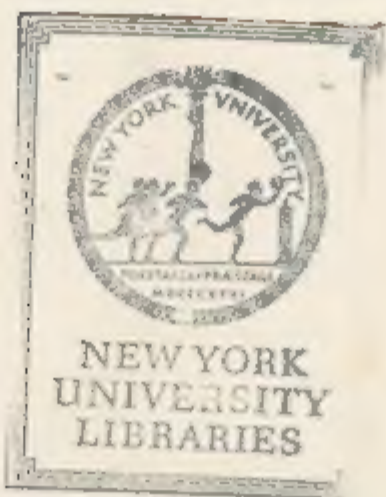


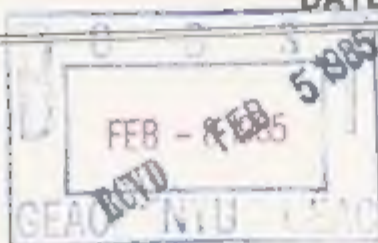


3 1142 00228 2260



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE





ماجد سعيد

بيروت في ٢٥ / النور / ١٩٥٣

Umarā' al-shi'ra al-'Arabī

أُمراء الشعر العربي

في

القصر العباسي

وهو دراسات تحليلية لأدب ثمانية من أشهر شعراء العرب
وللمعجم الذي نشأوا فيه

al-Ma'adisi, Anūs
al-Khūrī
أنيس المقدسي

استاذ شرف للأدب العربي في جامعة بيروت الاميركية
وعضو المجمع العلمي العربي

NE62-1607

الطبعة الرابعة

الطبعة الاميركانية (بيروت)

١٩٥٣

Near East

PJ

7553

.M3

C.1

توطئة

في الغرض من هذا الكتاب

لدرس الادب طريقتان - الاولى الطريقة الاجالية ، وهي المثبة في المدارس الثانوية والاورساط الادبية العامة . وروادها الاطلاع على كل ما انتجته قرائح الادباء والعلماء في مختلف العصور . وقد كان المرحوم العلامة جرجي زيدان اول من نظم هذه الطريقة في تاريخ الادب العربي ، ثم تلاه جملة من الاساتذة والادباء ، فمُنُوا بذلك ووضعوا من المؤلفات ما يعني بحاجات الطلبة والمتأدبين .

والطريقة الثانية طريقة التقصي الدقيق ، وهي المثبة في معاهد البحث الخاصة في الجامعات وسواها . وفيها ينحصر جهد الباحث في وجهة معينة يتقنها - كأن ينصرف مثلاً الى فرع معين من فروع البلاغة ، او باب من ابواب الفيلولوجيا (فقه اللغة) - او يقتصر على حياة شخص من اشخاص التاريخ كالمتنبي او الغزالي او ابن خلدون ، او كتاب خاص من كتب الادب كالنقد الفريد او العمدة او الزمريات . وهذه الطريقة يُدرَّب الطالب على جمع المعلومات من شتى المصادر ، ويخرج في اصول النقد وسلوك السبيل العلمي في الكتابة . وهنا يشترك الاستاذ والطالب توخلاً الى هدف واحد هو دقة الاستقراء والنظر في الاصول نظراً لا تشويه شائبة الترهّض او المتابعة العمياء

وبين هاتين الطريقتين طريقة وسطى نطلق عليها اسم « الشخص الاول » . وفيها يُعتمد الى فرع واسع من فروع الادب كالشعر مثلاً ، فيختار للتأدب نجمة من امرائه ، ويُدرس كل منهم درساً وافياً يجمع بين البحث العلمي والتحليل الادبي جماعياً يمكن المتأدب من الانتقال بعدئذ الى درجة التقصي الدقيق .

وقد حاولنا في هذا الكتاب ان نبحث هذه الناية فاخترنا الشعر في العصر العباسي

وتناولنا من امرائه ثمانية فدرسنا عصرهم وشعرهم على الطريقة التحليلية الحديثة ، وقرأنا ذلك بذكر اهم المصادر التي يرجع اليها في دراستهم ، وبطائفة كبيرة من روايتهم الشعرية . فتم لنا بذلك غرضان - نعرض علمي وهو الجري في ميدان البحث الحر ، وغرض ادبي وهو التفقه بالادب نفسه .

ونحن نعلم ما سئمتهذ له بسبب اختلاف الآراء . فان مقاييس البحث في الادب ليست مقياسه في العلوم الطبيعية والرياضية . وانما نحن نعرض هذه الابحاث للتأديين المفكرين ، ولطلاب التخصص الاولي ، مدرجة الى التخصص المالي وسعياً وراء الحقيقة العلمية . وانا اترحب بكل انتقاد مبني على الدرس والانصاف واصول البحث والمنطق .

وقد كان مدولنا في اختيار هؤلاء الثمانية شهرتهم ، وانهم اعمق اثرأ من سواهم في تزيخ الشعر العباسي . ولا يعني ذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او من يفوقهم في بعض المناحي ، وانما يعني انهم يمثلون العصر العباسي افضل تمثيل ، وفي درسهم درس لذلك العصر ودرس للحركة الادبية فيه .

وما نحن نتقدم الى العالم العربي بالطبعة الرابعة من هذا الكتاب بعد ان بذلنا الجهد في ضبطها وتنقيحها . نفعل ذلك ترولاً عند رغبة مستعبر من الادباء والطاء والاساتذة وجأ بدراسة وافية لهذه السلسلة الشعرية الطويلة التي تمكس لنا العواطف العربية في انصب العهود الادبية .

جامعة بيروت الامبركية

١٠ خ م



العوامل السياسية في الخلافة العباسية

نظرة عامة

حكم العباسيون في بغداد خمسة قرون كان هرشهم فيها ملجأ للاهوا. والحركات السياسية المختلفة . وقد رأينا تمهيداً لهذا البحث ان نقسم مدة حكمهم انقساماً توضح لنا العوامل التي كانت تعمل فيها والتي أدت أخيراً الى انحلالها . وهي عند التحقيق خمسة نطلق عليها اسم « ادوار سياسية »

الدور الاول - دور القوة المركزية

اي قوة الخلافة . ويمتد من بدء الدولة الى اواخر حكم المتوكل ، فيشغل نحو قرن من الزمان بلغت فيه الخلافة اقصى قوتها وازهى مظاهر مجدها . وفي هذا الدور كانت بغداد عاصمة لسلطنة واحدة تمتد من حدود الهند الى افريقيا (تونس)

الدور الثاني - دور الجندية

كان الخليفة المتصم قد نظم من قتيان الاتراك جنداً يعتمد عليه في حماية العرش . فلما مات المتصم أصبح نفوذ امراء الجند شديداً في الخلافة . ولم يكف يقاتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ حتى أصبح الخليفة في قبضتهم يتصرفون به كما يشاؤون . ويمتد هذا الدور الى سنة ٣٣١ هـ . على ان الخلافة فيه بقيت برغم استبداد الجند محافظة على شيء من دولتها ، وكان لها وزارة وعمل . وما يذكر في هذا الدور ان ديوان الخلافة كان قد نقله المتصم سنة ٢٢١ هـ الى سمرق وبقي فيها نحو اثنى عشر سنة ثم اعيد الى بغداد

الدور الثالث - الدور البويهي (٣٣٤ - ٤٤٧)

وفيه كانت السلطة الحقيقية في يد بني بويه وصارت الوزارة من جهتهم والاعمال

اليهم ، واصبح الخليفة لا يملك من المال الا راتبا يتقاضاه . على ان البيهيين كانوا اهل سياسة ودهاء ، فابقوا للخلافة نفوذها الاسمي وصاروا يحكمون في الدولة ظاهراً بامرة الخلفاء . وبقوا كذلك الى ان ضعفوا ثم زال ملكهم بقيام السلاجقة

الدور الرابع - الدور السلجوقي (٤٤٧ هـ - ٥٩٠)

فيه كانت السلطة للسلاجقة ، وهم دولة تركية قوية عرضت مملكتها واستولت على الاسر في بغداد وضربت باسم سلاطينها النقود وخطب لهم على المنابر . على انهم كانوا كاليوبيهيين يحافظون على الخلافة ويظهرون التبريل لصاحبها .

الدور الخامس - دور الاصفهاريين

انقرضت دولة السلاجقة من بغداد ايام الناصر ، ولكن الاغتيال كان قد تمسكن من جسم المملكة العباسية . فلما ذهب بنو سلجوق لم يبق للخلافة في بغداد سوى بعض انحاء العراق . فكانت الخلافة في طور الاحتضار ، ولم تزل كذلك حتى جاءها الممقول سنة ٦٥٦ هـ فنهروا بغداد وقتلوا آخر خلفائها ومحووا ما كان قائماً من معالمها .

* * *

هذه نظرة عامة نلقياها عن بعد على العصر العباسي . وانما نحن في ذلك كالواقف على رية مشرفة على سهل عامر يسرّح نظره في اقسامه العامة ويتبين معالمه الرئيسية دون ان يتغلغل فيه ليطلع على دواخله وخوافيه . وغايتنا من ذلك معرفة الخطط السياسية العامة تمهيداً للدرس حالة العصر النفسية ، وتوصلاً الى فهم آدابه . فنحن هنا انما نحاول درس الجور الذي نشأ فيه ادب القوم لا تلويحهم السياسي ، والا فالافضل الرجوع الى المطولات التاريخية كالمعبري والمحمودي وابن الاثير ومسكويه وصاحب الفخري والذهبي وابن خلدون وسواهم ممن خاضوا عباب هذا البحث وجاءوا بالاخبار الوافية .

. . .

ولما لقينا نظرتنا العامة على هذه القرون الخمسة ظهر لنا في حياة الدولة العباسية وما تقلّب عليها من غير الدهر ظواهر كبرى تمثل لنا ما نحن بصددده . اعلمها ما يلي :

- ١ - التنافس على السيادة بين العناصر الجنسية
- ٢ - ضعف الخلافة وتجزؤها الى امارات مستقلة
- ٣ - الحركات الهدامة الداخلية
- ٤ - غارات الروم والافرنج على اطرافها

وقد كان يحذر بنا ان نتجاوز ذلك الى الكلام من احوال الممالك الاسلامية ، ولا سيما البلاد العربية بعد سقوط بغداد ، ورُبط ذلك بقيام العتائين وانتقام الخلافة من العباسيين في مصر ، وما كان من احوال الادب في ايامهم ، ثم نسوق الكلام الى حالة الناطقين بالعربية في العصر الاخير ، وما كان لهم من النهضة بعد الحرب الكبرى . وانما ذلك خارج عن موضوعنا فتتركه لغير هذا المقام ^(١) . ونعود الآن الى الظواهر السياسية الكبرى في العصر العباسي .

التنافس بين العناصر الجنسية واخصها العربي والفارسي

في الفتوح الاسلامية الاولى وضع حجر الزاوية لبناء الملك العربي العالم . فبعد ان كان معظم العرب في جاهليتهم قبائل متفرقة ضاربة في اجواز الفلاة ، وبعد ان كانت حكوماتهم في العراق والشام وسواها خاضعة لاحدى الدول السائدة من فرس او روم اصبحوا في عهد الراشدين دولة واحدة ذات سيادة ، ففا فيهم حب الفتح والسلطان ووصل الجواشنده في دمشق ايام الامويين ، واستمر على ذلك في بغداد الى ايام المتصم . فمصر المياده العربية لم يته بقتة بانتهاء الدولة الاموية بل بقي نحو قرن بعدها . نعم ان عوامل الضعف كانت قد بدأت تعمل في جسم الدولة والخلافة ، ولكن سيادة المنصر العربي لم تهبط الا تدريجياً وبقي العرب على شيء كبير من القوة والنفوذ طيلة العصر العباسي الاول .

في هذا العصر بلغت الخلافة اوج قوتها ، فكانت بغداد كما كانت دمشق قبلها .

(١) راجع كتابنا الجديد « الانجازات الادبية في العالم العربي الحديث »

عاصمة سلطنة مصرية الأطراف لا تقبل عن سلطنة رومة في أبان مجدها ١٢ وكان الخليفة العوي الحاكم المطلق يتصرف بشؤون الدولة واموالها كما يشاء .

أما الروح القارية التي كانت تثقل عظمة الفوس الماضية وآمالهم في استرجاعها فقد كانت في أحط دركاتها أيام الامويين ، ولكنها اخذت تنتعش في اواخر حكمهم ، ولم قلبت ان تجسدت بروح الثورة الحراسانية بقودها ابو مسلم لتصرة العباسيين . وعرف العباسيون ذلك للفرس فاتكلموا عليهم في الادارة والوزارة ، ولذا رأينا نفوذهم يتعاظم ورأينا التنافس بينهم وبين العرب يشتد . وعلى ذلك يمد الجاحظ دولة العباسيين اعجبية خراسانية ودولة بني مروان عربية اعرابية وفي اجتاد شامية ^(١) . وقال ابن خلدون « كان بنو امية يستظهرون مجروهم وولاية اهلهم برجال العرب مثل عمر بن سعد وعبدالله بن زياد والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد القسري وابن هبيرة وبلال بن ابي ردة ونصر بن سيار وامثالهم ، وكذا صدر من دولة بني العباس حكام الاستظهار فيه ايضاً برجال العرب . فلما صدرت الدولة للانفراد بالهد وكبح العرب من التطاول للولايات صارت الوزارة للمعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل وبني طاهر وسراهم ^(٢) . »

على ان العباسيين الاول كانوا اصحاب بطش وقوة ، فانهم مع اتكالمهم على الفرس لم يستسلموا لهم ، بل ابقوا للخلافة العربية جلالها . يدل ذلك على ذلك ما فعله المنصور بابي مسلم حين خشي من الطغيان ^(٣) ، وكذا ما فعله الرشيد بالبرامكة حين اخذته الثيرة من تعاضلهم وأجبة دولتهم ^(٤) ، والمتصم بالافشين لطعمه او لانه على ما قيل كاتب بعض امراء المعجم واحب ان ينقل الملك اليهم ^(٥) : بل كانت سياستهم حفظ التوازن بين المضرة واليسنية والحراسانية منأ لاستبداد فريق بالدولة ^(٦) . وكانت جيوشهم مؤلفة من عرب وفرس ثم جاء المتصم قفطع من هؤلاء وجعل جنده من الاتراك .

وعما يدل ذلك على هذا التنافس بين المتصرين العربي والفارسي مدائح الشعراء الذين

(١) البيان والتبيين (تحقيق السندوقي) ٣١٧-٣١٨ (٢) مقدمة ابن خلدون (بيروت) ١٨٣

راجع هنا قصيدة المهدي في رثاء المنوكل ، المعقد (المجلعة الجالية) (١٣٣١) ١٨٦-٢٠١

(٣) المسعودي (باريس) ١٨٣-٦ (٤) المقدمة ١٦ و ١٧ الفخري (مصر ١٣١٧) ١٩٠

(٥) مختصر الدول لابن العبري (١٨٩٠) ٢٦٢ والبوطي (لندن) ٥٨٢-٢

(٦) ابن الاثير حوادث ١٥١

تبعوا في ذلك العصر . فاذا اعتبرت اهم شعرائه تجدهم في اول الامر يتسابقون الى باب الخليفة ويتنافسون في مدحه ، ثم تجدهم يتحولون الى امراء الدولة من عرب وفوس . ويؤداد هذا التحول مع الزمن الى العصر الاخير . فقد تبع بين ايام المأمون والمتضد ثلاثة من اكبر شعراء العرب هم ابو تمام والبحتري وابن الرومي ، وكان اكثر مديح الاول (وهو اقدمهم) في المتصم وبعض كبار العرب كأبي سعيد التكري والقاضي احمد بن دؤاد وخالد بن يزيد ومالك بن طوق والي ذلك المجلي . ومدح الثاني المتوكل واختص به ، ومع ذلك كانت مدائحه في كبار الدولة من الفرس تفوق مدائحه في امراء العرب . اما ابن الرومي فليس له في الحلفاء شيء يذكر ، واهم بمدوحه من الاعاجم كآل وهب وآل طاهر وامثالهم . وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا عن الشعراء واحوال مدوحهم .

ولو تحريت الاسباب التي آلت الى وهن العرب ، وهم اصحاب الخلافة ، ومنافسة الاعاجم لهم في الرئاسة والادارة ، ثم تقلبهم عليهم لرأيت من اهمها - هذا انقسامهم بين عينية ومضرة - فتأخرهم على الامر بين عباسية وعلاوية ، بل العباسيون انفسهم لم يكونوا يبدأ واحدة فراجت بينهم سوق الاغتيال والفساد والفتن : من ذلك قتل المنصور لعنه جده^(١) ، وقتلة الامين والمأمون وثورة ابراهيم بن المهدي هم المأمون وطلبه الخلافة ، وما كان من قتل المتوكل وغير ذلك من الحركات السياسية التي اوهنت قوى المنصر السائد ، وسدت السبل لانحلال عصيته .



بدأ نفوذ الفرس في الدولة العباسية منذ فتح الخراسانيون في الدعوة لبني العباس ومبايعة السامع . وقد ظلت كفة العرب وكفة الفرس متكافئتين حتى انتصرت خراسان مرة اخرى وجلس المأمون على العرش . فتعاضل نفوذ الفرس جداً وما زال كذلك حتى بلغ اوجه ايام عضد الدولة البويهبي الذي قبض على زمام الامر في بغداد ، فتحول الامر بعد ذلك الى تراخ بين الفرس والتك العتيق بقيام السلاجقة كما سيذكر في حينه . ولم يبق للعرب في الدولة من قوة تذكر الا في بعض امارات حكموها ، كالامارة ببني حمدان في حلب وامارة ببني الاغلب في تونس ، وسواها من الامارات التي ستذكر في كلامنا عن تجرؤ المملوك العباسية .

ضعف الخلافة

وتجزؤها الى امارات مستقلة

كانت خلافة الراشدين زعامة دينية ذنبية والدين فيها اقوى واظهر « واصبحت في عصر السيادة العربية (العصر الاموي وصدر العصر العباسي) ملكاً عظيماً الشأن واسع الاطراف ذا قوة مركزية عظيمة . فلما انقضى هذا العصر ، وفدت عصية العرب التي كانت ركن القوة الحربية في الدولة ، اخذت الخلافة تتحول تدريجياً من سلطة ملكية مهيمنة الى زعامة دينية مستضعفة . قال ابن خلدون ثم تغلب المعجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة ، فلم تمكن تمدد اعمال بغداد حتى زحف الديلم اليها وملكوها وصار الخلفاء في حكمهم ، ثم انقرض امرهم وملك السلجوقية فصاروا (الخلفاء) في حكمهم » (١) .

وجاء في الفخري قول صاحب راصفاً دولة بني بويه : « فدوخت الامم واذلت العالم واستولت على الخلافة ، فزلت الخلفاء . وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لاحكامها امور بلاد المعجم والعراق ، واطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق » (٢) . وكذلك كان السلاجقة كما ذكر ابن خلدون ، على ان هذه الدول المسيطرة لم تتناول الى مقام الخلافة فكانوا يدينون بطاعة الخليفة تبركاً (٣) . وكانوا على ما ذكر القلقشندي مع غلبتهم على امر الخلفاء يقتصرون على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف بالاموال ، ويكفون اسر الولايات الى الخليفة يباشرها بنفسه فتكتب عنه العهود والتقاليد على ما يشهد به الموجود من انشاء الصليبي وغيره (٤) .

وقد وصف صاحب كتاب الفخري هذه الحالة احسن وصف اذ قال : « ثم طرأت عليها (اي على الدولة العباسية) دول كدولة بني بويه وفيها كتبهم وغلهم عضد الدولة ، ودولة بني سلجوق وفيها مثل طغرل بك ، وكالدولة الخوارزمية وفيها مثل علاء الدين ،

(١) المقدمة ١٥٥ (٢) الفخري (مصر ١٣١٧) ٢٥٠ (٣) المقدمة ٢٠٨

(٤) صبح الاعشى (المطبعة الاميرية - مصر) ١١-٧٣

وجريدة عسكريه مشتملة على اربسة ائف مقاتل ، . . . الى ان يقول ولم تقو دولة على ازالة ملكهم ومحو اثرهم بل كان الملك من هؤلاء المذكورين يجمع ويحتشد ويحرق الساكنة العظيمة حتى يصل الى بغداد . فاذا وصل التمس الحضور بين يدي الخليفة ، فاذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى ما يشاء ان يولي الخليفة ، ويعقد له لواء ويخلع عليه ^(١) . فمن كل ذلك نستنتج ان هؤلاء الملوك كانوا يتصرفون بامور الدولة كما يشاؤون ألا انهم كانوا يظهرون الشجيل لصاحب الخلافة فيقدّمونه ويقبلون يديه ويتبركون به ، وهم في الواقع اصحاب الامر ليس للخليفة منه شيء ، وانما كانوا يفعلون ذلك لما كان للخلفاء من الميزة الدينية في نفوس الناس .

* * *

ولم يسكد يدخل القرن الرابع الهجري حتى ضعفت الحكومة المركزية في بغداد جداً ولم يبق للخلافة من نفوذ فعلي في المملكة . فكانت خلافة الراضي ، وبلاد فادس في يد بني بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طنج ثم في ايدي الفاطميين ، وخراسان والبلاد الشرقية في ايدي السامانية . وثبتت امارات اخرى ، واليك ذلك ببعض التفصيل :

الامارات المستقلة في بلاد فارس

وقد نشأت وانقرضت في مدد مختلفة بين سنة ٣٠٥ هـ و ١٣١ هـ وهي

الطاهرية في خراسان	الصفارية في فارس
السامانية ما وراء النهر	الساجية في اذربيجان
الزيارية في جرجان	

أما الامارة الفارسية الكبرى فقد مر ذكرها وهي البويهية (٣٢٠ - ٤٤٧) ويرجع نسب ملوكها الى ابي شجاع بويه بن فناخسرد من ولد يزدجرد آخر ملوك الفرس ^(٢) . نشأت في بلاد الديلم واخذت بالتقدم حتى استولت على بلاد فارس ثم استرات على بغداد

وأصبح لها الأمر والنهي في العراق وفارس - وكان الخليفة يعيش في ظلها من إقطاع يمينه له الملك البويهي^(١) . وهذه الدولة شيعية لكنها لم تتعرض للخلافة العباسية (وهي سنية) بل ابتقتها على حالها وابتقت الخلفاء حتى إصدار المراسيم والخلق . وهذا كبيرهم عند الدولة لما استولى على بغداد وعلى شؤون الدولة ، لم يبدأ من تعظيم الخلافة^(٢) مع أنه لا يعتقد بامتداد بحق العباسيين فيها وقد زوّج الخليفة ابنته وغرضه أن تقلد ذكراً فيجعله ولي العهد وتكون الخلافة في ولده^(٣) .

الإمارات التركية

ومنها الطولونية في مصر والشام ٢٥١ هـ - ٢٩٢ هـ

الاشيدية في مصر والشام ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ

الفرزونية في خراسان وأفغانستان ثم الهند ٣٥١ - ٥٨٢ هـ

قال ابن خلدون وقد بلغت هذه الدولة من الغز المبالغ العظيمة^(٤) اما الامارة التركية الكبرى فهي السلجوقية^(٥) وقد نشأت أولاً في تركستان ثم جمع جدهم سلجوق عشيقه ونفرهم من بلاد الترك الى بلاد المسلمين ، فلما دخلها اظهر الاسلام وعلى ذلك نشأ اولاده . وما زال امرهم يعظم حتى ملك طغرل بك ، وهو اول سلاطينهم ، بلاد المعجم وكان قيامه في خلافة القائم العباسي ، ثم تقدم الى بغداد بدعوة من القائم لينصره على نادر اسم البساسيري^(٦) . فاستولى عليها وحُطِب له بالسلطنة على منابر بغداد وذلك سنة ٤٩٧ هـ . وتولى خلفاؤه الامر بعده ، وما زالوا يسوسون الامور في بغداد حتى ضعف امرهم . ثم زالت دولتهم في خلافة الناصر سنة ٥٩٠ هـ وكان السلاجقة في اثنان مجدهم اصحاب شوكة عظيمة . وهم عدة فروع امتد سلطانهم من افغانستان الى البحر المتوسط . ولما ضعف امرهم استبدعهمهم (الاتايك) بالاحكام في اماراتهم المختلفة ، ولم يبق لهم بعد ذهاب دولتهم في بغداد وغارة المغول على المملكة العباسية الا آسيا

(١) ابن العبري ٢٩١ (٢) مسكويه - تجارب الامم (مصر ١٩١٥) ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) مسكويه ج ٢ - ٤١٤ (٤) ابن خلدون (تصحيح الموريني) ٢٦٠ - ٢٦١

(٥) ملك هذا الناصر الامر حيناً في بغداد ودعا فيها للفاطميين

الصفري ، فقد حفظوها حتى جاء الاتراك العثمانيون فاستولوا عليها واسموا على انقاض السلاجقة سلطنتهم العظيمة ، ثم لم يمتدوا ان اصبح سلاطينهم خلفاء العالم الاسلامي ودخلت اكثر البلدان العربية في حوزتهم . ولهم تاريخ خاص لا يدخل في بحثنا هذا

الامارات العربية

نشأ في الدولة العباسية بضع امارات عربية مستقلة ، علي انها - اذا استثبنت العلوية والادريسية منها - كانت جميعها تخبط للخليفة العباسي وتعدّه الزعيم الاسلامي الاكبر . ومنها :

الادريسية - في مراكش ١٧٢ هـ - ٣٧٥ وكانت مطاوعة للعباسيين

الافلحية - في تونس ١٨١ - ٢٨٩ امراؤها من نعيم

المحدانية - في حلب ٣١٧ - ٣٩١ شيمية وامراؤها من قنبل اشهرهم

سيف الدولة محمدوح المتني

المزيدية - في الحلة ١٠٣ - ٥١٥ وهم من بني اسد

العقيلية - في الموصل ٣٨٦ - ٤٨٩ دولة مضرة

المرداسية - في حلب ١١١ - ١٢٢ وهي مضرة وامراؤها من بني كلاب

على ان اهم الدول العربية التي نشأت في انشاء العصر العباسي اثنتان الفاطمية والاندلسية . واليك كلمة وجيزة في كل منها :

الدولة الفاطمية (٢٩٦-٥٦٧)

وهي علوية اسماعيلية . بذلك يقول ابن خلدون ^(١) وابن الاثير ^(٢) وابن الطلق ^(٣) ويشك غيرهم في اصلها العلوي .

وكان بدء امرها في افريقيا ايام المقتدر العباسي ، ثم انتقلت (في ٣٥٨ هـ) الى مصر وبقيت هناك حتى ازالها صلاح الدين الايوبي ٥٦٧ هـ . وهذه الدولة عظمى الشأن ، تختلف

(١) ابن خلدون ١١ - ١٢ (٢) ابن الاثير (لیدن) ٨ - ١٨٢ (٣) الفخري ٢٣٧

عن سواها من الدول التي نشأت أيام العباسيين إنما قومت الملك بالدين فنشأت خلافة تراحم الخلافة العباسية . وقد تبسّطت فاستولت على أفريقيا ومصر وسوريا والحجاز وبسارة ابن خلدون قاسمت العباسيين شق الأبله ، ثم اغتبت بالانحدار وما زالت كذلك حتى استولى صلاح الدين على مصر - فلما مات العاضد (آخر خلفائها) قطع صلاح الدين الخطبة للفاطيين وحوّلها إلى العباسيين .

وللدولة الفاطمية يد على الادب العربي ، فهم الذين انشأوا الجامع الازهر ، وكانوا ينشطون العلماء والادباء بالعطف عليهم واقتناء المكاتب الكبرى وفتح أبوابها لهم .

الدولة الاموية الأندلسية (١٣٨١ - ٤٣٨)

تبدأ بمبد الرحمن الداخل (حفيد هشام بن عبد الملك بن مروان) الذي فرّ من وجه العباسيين إلى أفريقيا ، ثم تمكّن من دخول الأندلس والاسبانيا عليها . وما زال الملوك من آله يتوارثون الحكم فيها حتى قام عبد الرحمن الناصر فبليت به الدولة الاموية في الأندلس اوجها ، وهو اول من طمع بالخلافة من امراءها فلقتب بامير المؤمنين ^(١) . قال مسكويه فعل ذلك لما ضعف امر الامة ووهت اركان الدولة العباسية وتطلبت القرامطة والمبتدعة على الافاليم ^(٢) . وقد ازدهرت في ايامه الأندلس أبداً ازدهاراً ، وبقيت كذلك أيام ابني المنتصر ثم اغتبت دولة بني امية تضعف واخذ الفساد يستولي على امارتهم ، فتجزأت واحدا ما اصاب الدولة العباسية من ضعف العرش واستبداد الامراء باماراتهم المختلفة . وهذه الدولة تاريخ خاص خارج من تاريخ الدولة العباسية وقد نشأ فيها من الاداب والعلوم والفنون ما يقتضي سفاً خاصاً . وقد ذكرناها في مرض هذا البحث زيادة للايضاح وتسمية للكلام عن الدول العربية التي انفصلت عن الخلافة العباسية .

* * *

ومن الامارات المشهورة التي كان لها شأن يذكر في الخلافة العباسية الدولة الكردية المعروفة بالايوبية (٥٦١ - ٦٤٨) واشهر ملوكها مؤسسها السلطان صلاح الدين الذي اشتهر بوقائمه مع الصليبيين .

(١) ابن خلدون ١ - ١٢٢ (٢) تجلوب الامم ج ٢ - ٦٠

تأثير هذا التمزق في الادب العربي

وكان من نشوء هذه الدول في العالم الاسلامي ان الادب تحول من بغداد الى مراكز اخرى . فكان الخليفة الراضي الذي يبيع ٣٢٢ هـ آخر خليفة ذو شأن له شعر ، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوازه وخدمته وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين ^(١) . ومعنى ذلك ان العرش العباسي لم يعد الموئل الاكبر للادب والادباء ، وانه نشأ في الامارات المستقلة حواضر زاهت ببغداد في الشعر والعلم ، نذكر من ذلك بلاط سيف الدولة في حلب ، وتلك الحلقة الادبية التي كانت تحيط به مثل ابن خالويه وابن نباتة والبيروني والمنتبي والنامي والفارابي والسري الرفاء والخلدوين ، وبلاط آل بويه ومن كان يتصل بهم كابن العميد والصابي والصاحب بن عباد ، وامراء سامان وما كان لهم من مظهر على العلم والعلوم . وقس على ذلك سائر الامارات في مصر والعراق والاندلس وفارس والمغرب ، فان اللغة العربية ظلت الى ايام العثمانيين لغة الادب والدين والسياسة في اكثر الممالك الاسلامية . وكان الامراء من عرب وغير عرب يتنافسون في المظهر على الادباء والعلماء وفي جمع المكتب وخدمة العلم . وظهر من فعل ذلك من غير العرب المترك الايوبيون في اماراتهم المختلفة ^(٢) . وهذا التنافس على الادب يقترن لنا تلك الظاهرة التاريخية القريبة - استمرار الادب العربي - مع ضعف العرب وذهاب السيادة من ايديهم . واذلك بعض امثلة من رجال العلم في ذلك العصر توضح لك ما نحن بصدده :

ابن سينا الطبيب الفيلسوف توفي ٤٢٨ هـ . كان في بخارى في خدمة نوح بن منصور الساماني وفي خوارزم عند مامون بن مامون

البيروني - الفلكي المشهور توفي ٤٣٠ هـ . كان في الهند واقام مدة في خوارزم وقد قدم بعض كتبه للسلطان محمود الغزنوي

الجوهري - صاحب الصحاح توفي ٤٣٩ هـ . كان في نيسابور وقد ألف كتابه لابي منصور البشيكبي

ابن فارس - الفزوي المشهور توفي ٣٩٠ هـ - ألف كتابه الصاحب للصاحب بن عباد
ابن حديد صاحب الجهرة والمقصود توفي ٣٩٠ هـ . صاحب ابن ميمون امير فارس
والف له بعض كتبه
المسمودي - المؤرخ المشهور توفي ٣٤٦ هـ . نشأ في بغداد وطاف البلدان ثم استقر
في مصر

مسكويه - المؤرخ والفكر توفي ٤٣١ هـ . صاحب ابن العميد وخدم بني بويه
ابن البيطار - النباي المشهور وكان في خدمة الملك الكامل الايوبي
وامثال هؤلاء الاعلام كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم . اما المدن التي شاركت بغداد
او زاحتها في الادب والعلم فنذكر منها - مصر وحلب ودمشق وقرطبة واشبيلية
والقيروان وغورزم ونيسابور وبخارى . ومن الامراء الذين اشتهروا بيلهم الى الادب
وعطفهم على العلماء ركن الدولة البويهى ومنصور الساماني وشمس المعالي قابوس ومحمود الفزوي
والعزيز والحاكم الفاطميان وصلاح الدين الايوبي وغيرهم .

الحركات الهدامة الداخلية

كانت الدولة الباسية منذ نشأتها مرتبة خصباً للثورات ، وتاريخها وثيق الاوتباط
بها . وهذه الثورات تظهر في مظهرين كبيرين - حركات الحوارج والحركات العلوية .

حركات الحوارج

ويرجع تاريخها كما هو معروف الى ايام صين والتحكيم . من ذلك الحين ظهر
الحوارج ونشأوا حزباً معادياً للخلافة فارقوا الامام علياً بعد ان كانوا قبلاً من انصاره .
ولهم مع الامويين وقائع مشهورة ، وقد كانوا من اشد الاخطار على دولتهم حتى قهرهم
الحجاج بن يوسف والمهلب ورجلها ، فضف امرهم وتشتتوا في أنحاء مختلفة ولم تقم لهم
قاعة بعد ذلك حتى خلافة المنصور العباسي . ففي ايامه خرجوا في عمان بقيادة زعيمهم شيبان
ابن مبد العزيز ولكن المنصور ارسل اليهم جيشاً قوياً فهزمهم وقتل جيوشهم .
وما كانت خلافة المعتد - والرش العباسي في حال اضطراب من جراء المستقبلين

به - عادوا الى حركاتهم فخرجوا في ولاية الموصل بقيادة مساور بن عبيدة * وتمكنوا سنة ٢٠٠ هـ من دخول الموصل والاستيلاء على كثير من انحاء العراق . وبلغ من امرهم ان زحفوا على بغداد نفسها * لكن جيوش الخليفة ردتهم ففترسوا . واقام مساور في الموصل حتى اغتيل سنة ٢٠٨ هـ ولم يبق للحركة الخارجية بعد ذلك من قوة سياسية في العراق . على انساب بقيت في الجزيرة العربية وفي افرقيا تحت اسم الاباضية (وهي فرع منها) قوة لا يستهان بها . ثم اعتراهم الرمن فتضعفت احوالهم ، ولم يلبثوا ان انسحبوا من معترك الجهاد السياسي والحولي ^(١)

الحركات العلوية

وهي اما ثورات قام بها آل البيت انفسهم خروجاً على الخلافة القائمة او حركات مدامة مؤسسة على المبدأ العلوي . وقد بدأت الاولى (ثورات الابنة) منذ انتزع الامويون الملك من آل البيت . ومنها قيام الحسين الى الكوفة ومقتله في كربلاء . وما تبع ذلك من دعوات وثورات طيلة الحكم الاموي ، كثورة المختار في العراق ثم الثورة الحراسانية ، وكانت ملوية في اول الامر ثم تحولت الى الباسيين .

ولما قام الباسيون وانفردوا بالملك دون العلويين رجع النزاع الى ما كان عليه بين الشيعة والخلفاء . فتحركت الشيعة حركات مداهم الباسيون مهيأين ، كخروج النفس الزكية في المدينة ايام المنصور ، وخروج يحيى بن عبيدة في الديلم ايام الرشيد ، ويحيى ابن حمزة بن يحيى في الكوفة ايام المتعين ، وظهور الكوكبي بقزوين وطرده آل طاهر ^(٢) ، لكن الخلفاء تمكنوا من الثأرين وقتلهم .

وفي بدء خلافة المأمون (وذلك قبل ان يقدم من خراسان الى بغداد) كثرت حركات الشيعة حتى رأى ان يعهد بالامر بعده لملي الرضا ^(٣) ، ولكن استياء الباسيين وموت علي الرضا حالاً دون ذلك . ثم سكت خروجهم في الحجاز واليمن والعراق وفارس وتناهت

(١) واخبارهم متفرقة في ابحاث كتب التاريخ العربي : ومن الكتب الحديثة مختصر قادريج الخوارج لمحمد شريف سليم ، والخوارج في الاسلام ليعز (مكتبة المعارف) وسواها

(٢) الطبري اخبار سنة ٢٥١ (٣) ابن خلدون ٢-٩

دعائهم . وهم ، وإن لم يستطيعوا تقويض العرش العباسي ، فقد أحدثوا فيه اضطراباً شديداً كان من جملة الأسباب التي أدت إلى انحلال الدولة . ولا يخفى أن الخلافة الفاطمية التي ذكرناها آنفاً كانت من ثمار الحركات العلوية ومن أشدّ الضربات على الخلافة العباسية .

* * *

أما الحركات الهدامة المؤسّسة على المبدأ العلوي فقد قامت بها هيئات منظمة أحدثت تأثيراً كبيراً في المملكة العباسية « وأهمها حركات الزنج والقرامطة والحشاشين (الباطنية

الزنج

حوالي منتصف القرن الثالث الهجري في أيام الخليفة المتتمد قام رجل اسمه علي بن محمد يدعى النسب العلوي . فاستأل إليه قلوب المبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها وأفسدهم على مواليتهم حتى اجتمع اليه منهم ومن سوام خلق كثيرون ، وما لبث حتى عظم شأنه واشتدت شوكته . واتفقت له حروب وغزوات نُصر بها ، فتفاز شراً والنبت مسكوكه السودان في البلاد العراقية والبحرين والاهواز . وفي ٢٥٧ هـ أغاروا على مدينة البصرة فنهبوا واحرقوها وأحدثوا فيها فظائع ذكرها ابن الرومي في قصيدة ستذكر في كلامنا عن هذا الشاعر . وكانت بينهم وبين جنود الخلافة حروب عظيمة دامت سنين كثيرة وذهب فيها الوف من القتلى ولكنها انتهت سنة ٢٧٠ هـ بقرمهم وتحرير البلاد من شرهم . وكان قائد العباسيين الأكبر في حروبهم الموفق أخا الخليفة المتتمد . ومن كبار رجاله موسى بن بشار ، وإبراهيم بن المدّير ، وأبو العباس ابن الموفق ، وسوام ممن يرد ذكرهم في مدائح الشعراء (١)

القرامطة

كان ابتداء ظهورهم سنة ٢٧٨ هـ بسواد الكوفة ، وقد قاموا يدهون لآل البيت .

(١) لزيادة الاطلاع راجع ابن خلدون ص ١٨ - ٢٢ ، الفخري ٢٢٧ ، الطبري في أخبار حنة ٢٥٥ و٢٦٧ الخ

وقوي امرهم هناك ثم ظهر منهم جماعة في البحرين وعاثوا في البلاد بنوون البصرة - فلاحهم
عمال الباسيين ولكن القرامطة انتصروا عليهم واستفعل امرهم في العراق ، فانضم اليهم
جموع من اعراب الشام وهاجروا دمشق . وكان بينهم وبين عامل الطولونيين فيها وقائع
شقي . وما زال امرهم يتعاظم ونفوذهم يتسع في العراق والشام والجزيرة العربية حتى امت
طرق الحج بايديهم فصاروا يستندون على الحجاج . وفي سنة ٣١٧ هـ دخلوا مكة فنهبوا
اموال الحجاج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم اقتلوا الحبر الاسود من الكعبة وحملوه الى
هجر فبقي عندهم اثنتين وعشرين سنة . قال ابن الاثير فلما بلغ ذلك الخليفة الفاطمي
المهدي كتب الى زعيمهم ابي طاهر ينكر عليه ذلك ويلومه ويحثه ويقم عليه القيامة
ويقول : قد حقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والاحاد يا فلت ، وان لم ترد
على اهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما اخذت منهم ، وترد الحبر الاسود الى مكانه ،
وترد كسوة الكعبة فانا نري ، منك في الدنيا والآخرة . فلما وصله هذا الكتاب اعاد
الحبر الاسود واستعاد ما امكنه من الاموال .

وبقي امرهم الشغل الشاغل لولاء الامر في بغداد اكد القرن الرابع الهجري ، واذك
لنحرف مبلغ ما احدثه في نفوسهم من كساب كتبه الصافي على لسان الخليفة^(١) . ثم
ضمت امرهم وتفرقوا في البلاد^(٢)

الطاسون

وهم من الباطنية . ظهروا اولاً في ساوه ايام ملكشاه الساجوق فتاضلهم اذ لو الامر
لكنهم لم يستطيعوا قهرهم . فلما مات ملكشاه استفعل امرهم في اصبهان . وفي ٤٩٣ هـ
استولى زعيمهم ومؤسس فرقتهم الحسن بن الصباح على قلعة الموت وهي من نواحي قزوین
وجعلها مقر المحاكم الاسماعيليه ، ومنها تصدر الاوامر الى كل النواحي وكان يدهو
للخليفة الفاطمي بمصر . وفي ٤٩٨ هـ ظهر امرهم في الشام فتملكوا حصن اقامية وقطعوا
الطرق . واخذت شوكتهم تتعاظم حتى كانت سنة ٥٢٠ هـ فاستولوا على بانياس ثم على

(٢) راجع بعض اخبارهم في

(١) راجع رسائله (المطبعة الشامية ١٨٩٨) ٢٤٦

ابن خلدون ٢ ص ٨٤ - ٨٨ و ٣٠٩ و ٤٥٧

أما حكن أخرى وكان بطشهم شديداً بالمسلمين والأفرنج الصليبيين ، وكان دأبهم اغتيال
الأمراء والزعماء . ومما يدل على شدة شكيتهم أن صلاح الدين الأيوبي حاربهم في
الشام ثم رأى أن يصالحهم .

وقد ظلوا أصحاب قوة وبطش وظل نفوذهم مظلماً من تركستان إلى البحر المتوسط
حتى أواخر الدولة العباسية وقيام دولة التتار ، فهاجمهم هولاكو في العراق وغرب قلاهم
وأغار عليهم في الشام الملك الظاهر ملك مصر . وهكذا أخذت شوكتهم وتشتتوا
شرادهم في الأقطار الإسلامية . وذلك بعد أن اضطرت لهم ملوك المسلمين والصليبيين
نحواً من قرن ونصف .

والباطنية التي ينتمي إليها الحشاشون تعضد المذهب الشيعي فكانت لذلك من أكبر
انصار الدولة الفاطمية ، ومن أفعال العوامل دينياً وسياسياً في تقويض سلطة الدولة العباسية

العوامل الهدامة الخارجية ومنها غارات الروم

كانت بلدان الشرق الأدنى المتاخمة لبحر الروم قبل الفتح الإسلامي جزءاً من مملكة
الرومان الشرقية (البيزنطية) . فلما حدث الفتح الإسلامي تقلص ظل الروم أمام العرب
الفاطمين . فاحتل العرب مصر وسوريا وافتتحو جزءاً من الأناضول وبقي أكثره تابعاً للروم
لأن العرب لم يستقرؤا هناك . والمتاخمة الأناضول لسوريا والجزيرة العراقية نشأ بين الفريقين
منذ المئة الأولى الهجرة حروب متواصلة كان النصر فيها سجالاً . ففي أيام معاوية مثلاً
توغلت جيوش العرب حتى القسطنطينية ثم تراجعت^(١) ، واضطر معاوية سنة ٢٢ هـ أن يصالحهم
على مئة ألف^(٢) . وفي أيام عبد الملك هجم الروم على سوريا فبلغوا حماء وقسرين
والعوام ثم هاجموا السواحل حتى خضع لهم قسم من الجيسل . قال البلاذري وصالح
عبد الملك الروم ، بعد موت أبيه وطلب الخلافة ، على شيء كان يؤديه اليهم^(٣) . وفي
أيام سليمان بن عبد الملك عاد العرب فهاجموا القسطنطينية^(٤) . وبقي الحال على هذا
المنوال بين الروم والمسلمين أكثر أيام العباسيين . ولا يتسع المقام هنا لذكر الوقائع أو لتعداد

(١) الطبري ٢ - ٢٨٨٨ وابن خلدون ٢ - ٢٢٨ (٢) البيهقي ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٣) فتوح البلدان ٢٨٨ (٤) ابن الأثير في حوادث سنة ٩٨

المدن والحصون التي كانت تتداولها أيدي الفريقين . على أنه لا بد من القول أنه كان لهذه الحروب أثر كبير في الأدب العربي . يكفي أن نشير هنا إلى ما سنذكره من روائع أبي تمام والبحتري والمتنبي في انتصارات المتصم والمتوكل وسيف الدولة . ولم تنج الممالك الإسلامية من خطر الروم الذين كانوا يواصلون الغارات من الشمال حتى استقر الأتراك في الأناضول وحاولوا دون تقدم الروم نحو الجنوب .

(٢) غارات الصليبيين

وبينا سكان الروم يتمددون الدولة العباسية من الشمال الغربي ، وكان السلاجقة يوطئون نفوذهم في عاصمتها ، انفق الفرنج على اكتساح الشام وما إليها بحجة انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين . وهكذا بدأت الحروب الصليبية وأخذ الإوربيون يواصلون الغارات على الأنحاء الساحلية من سوريا وفلسطين ومصر .

* * *

وبعد عصر الحملات الصليبية من ١٠٩٦ م - ١٢٩١ م وقد كانت الخلافة العباسية في أوائها متفككة العرى ، والفاطميون في مصر يترقبون الفرس للإيقاع بها . وكانت سوريا - المترك العام يومئذ - قد خرجت من حكم الدولة السلجوقية الرئيسية وأصبحت إمارات يتنازعها أتباعهم وخلفاء مصر . فاعتنم الفرنج تلك الفرصة وغزوها أولاً عن طريق الروم ثم من طريق البحر ، ولم يمضوا أن احتلوا القدس وأسسوا فيها للحكمة لائنية بقيت نحو قرن ونصف (١١٠٠ م - ١٢١٣ م) . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا نفوذهم على القسم الغربي من سوريا إلى ما وراء أنطاكية ، فأسسوا الإمارات المختلفة وابتنوا القلاع الحصينة . ساعدتهم على ذلك تنازع الحكام في البلاد وضمف الحلفاء في بغداد والقاهرة . ولكن الصليبيين كانوا من عناصر وبلدان شتى . فنشبت بينهم منازعات كثيرة أدت أخيراً إلى فشلهم وخروجهم من البلاد ^(١) .

ومن كان له اليد الطولى في خضد شوكة الفرنج صلاح الدين الأيوبي ملك مصر

(١) قال ابن الجوزي في مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ أخبار سنة ٥٨٢ هـ فيها ظهر الخلاف بين الفرنج ونفرت كلمتهم وكان لسعادة الإسلام

واخوه الملك المادل، ووقائعها مع الصليبيين في مصر والشام مشهورة . ولصلاح الدين وآله في الادب العربي اثر كبير يظهر في المدائح التي قالوها من شعراء زمانهم . نذكر منهم ابن الساعاتي^(١) وابن النثيب وابن قلائس وابن مفرج النابلسي وابن التمايضي (وقد ذكره ابن خلكان ذكراً خاصاً في سيرة صلاح الدين وذكر بعض مدائحهم) . فاهيك بالرسائل التي كان يتبادر بها منشو ذلك الزمان وعلى رأسهم القاضي الفاضل وعبد الدين الاصفهاني^(٢) ورغم ما كان بين الشرق والغرب في خلال تلك الحروب من العداء المستعمر والتراع المستمر، خرج الفريقان من صهيروها بقوائد اجتماعية ادبية عظيمة . وربما كانت فائدة الفريقين اعظم . فانهم رجعوا عن الشرق العربي وقد التبسوا من حضارته يومئذ ما كان له اثر كبير في حياتهم الاجتماعية .

والخلاصة

ان الدولة العباسية لم يسكد يمضي عهد خلفائها الثانية الاول حتى ظهرت فيها عوامل الفساد التي ادت الى انحلالها . وهذه العوامل داخلية وخارجية - فالداخلية هي (١) ضعف السلطة المركزية لسلط المستبدن بها من معجم واتراك (٢) استقلال الامارات المختلفة وتنازعها (٣) عوامل الفتن والثورات من خوارج وطوية .
والخارجية - غارات التتر من الشرق، وغارات الروم الصليبيين^(٤) من الغرب .
وهناك عوامل اخرى يرجع فيها الى المطولات التاريخية

(١) نشرها ديوانه حديثاً من نسخ خطية قديمة

(٢) راجع اخبار صلاح الدين في مرآة الزمان للجوزي ج ٨ ص ٢٧ - ٢٨٠ في اخبار سنة

٥٨٩ وراجع الكلام على الرسائل في تطور الاساليب الشعرية للمؤلف

(٣) من اراد التوسع في الحروب الصليبية فراجع من بين المصادر الكثيرة

مرآة الزمان للجوزي ج ٨

ماورد في الجزء الخامس من ابن خلدون

اخبار الصليبيين في دوائر المعارف ولا سيما البريطانية والاسلامية

كتاب The Crusaders in the East للمؤرخ ستيفنسن (Stevenson)

رسائل الكتاب ايام صلاح الدين في صبح الاعشى

تطور الحياة الاجتماعية

في العصر العباسي

الحضارة في فجر الاسلام

من المعلوم ان بلاد العرب لم تكن في زمن الجاهلية خلوة من حضارة ما . وفي القرآن الذي هو نص تاريخي صادق نجد الدليل على ذلك في ذكر المتاجر البعيدة والبحرية والشركات والاحتكادات والشورى والصنائع والصكابة والملاهي والنقود وبعض المعارف . فاذا أضفت ذلك الى ما نقله المؤرخون من اخبار اليمن وغريش والامارات العربية القديمة في العراق وحوران وتدمر وسواها ، عرفت انه كان للعرب قبل الاسلام اتصال بالمران السائد يومئذ . فلما جاء الاسلام وحدثت الفتوح ازداد هذا الاتصال وتنظم ، وكان له بعد ذلك آثاره المعروفة .

بيد ان الروح الدينية كانت في فجر الاسلام قوية جداً ، فوفقت بهم قليلاً عن الاخذ بأسباب الرخاء الحضري ، وكان لها اثر بين في تنظم حكومتهم الاولى ، حتى كان بعض امرائهم الاولين يسلكون مسلك التقشف ويشددون في تنفيذ احكام الدين . يلبسون الخلق المرقع من الاثواب ويتجافون عن اطياب الطعام ويسمعون في الاسواق كعامة الناس . والشواهد على ذلك من اقوال المؤرخين كثيرة متعارفة لا يسعها هذا المقام ^(١) . نكتفي منها بما رواه لنا الطبري عن عمر قال « ان سلة بن قيس بعث برسوله الى عمر ينبشه بفتح بلاد الاكراد ويحمل اليه حلى وجواهر . قال الرسول فاقبت امير المؤمنين وهو يقبضي الناس متكئاً على عصا كما يصنع الرومي ، وهو يدور على القصاع ويقول يا يوقاً زد هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خبزاً ، زد هؤلاء سرة . فاذا طعمام فيه خشونة . ثم اتبعته الى داره فاذا هو جالس على مسح ، متكئ على وسادتين من ادم محشوتين ليفاً فنبذ اليّ

(١) راجع وصف العالم في مقدمة ابن خلدون ٢٠٤ والفخري ٦٥

احداها فجلست عليها ، واذا به في صفة فيها بيت عليه ستر . فقال يا ام كاشوم (زوجة عمر) غداك . فخرجت اليه خبزة بزيث في عرضها ملع لم يبق « الى آخر الحديث ^(١) .
على ان هذا التخرج كان على اشد في خلافة عمر . ذكروا انهم استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل ، فقال اقلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ايات ولا تطلوا في البنيان والزمو السنة ^(٢) . وماذا يراد بالسنة هنا غير ما عهدوه من مقتضيات التقشف اتباعاً لاحكام الدين ؟ وقائداً لذلك نقل العلماء الاولون كمالك وابن حنبل وابن سعد وسواهم كثيراً من الاحاديث النبوية التي تحض على البساطة والتقشف . فلما جاء عهد عثمان اخذوا يتساهلون في ذلك فقد روى المسعودي ان الصحابة ايام عثمان اقتنوا الضياع والمال وابتنوا الدور ذات الشرفات ^(٣) . ولما حدثت الفتنة على ذلك الخليفة اراد خصومه ان يستغلوا هذا التساهل العمراني فذكروا من جملة ما تقوم عليه بناء الدار ^(٤) . وقد فسر ذلك المستشرق كاسانوفاً بقوله « ان القوم الذين نشأ فيهم عثمان (اي الامويين) كانوا اقل اهتماماً بامور الدين والآخرة منهم بامور الدنيا ، فكان مهمهم الفتح وجمع المال » ^(٥) . ولعل الاصح ان نقول ان التخرج الديني ضد الحضارة والزخرفة امر غير طبيعي فلا يلبث ان يزول . وهكذا كان بعد الحكم العربي ، برغم ان بعض الصحابة والتابعين ظلوا على سنة عمر .

الدولة الاموية

ولما انتقل مركز الخلافة الى الشام خطا العرب الى الامام في سبيل الحضارة السياسية والاجتماعية . وكان معاوية مؤسس الدولة الاموية اول من اقام الحرس والشرط والبرابرة في الاسلام وارعى الثنور ، ونشي بين يديه بالحرب وجلس على السرم والناس تحت ^(٦) . وقد ظهر على معاوية الميل الى محاكاة الاعاجم في آيتهم منذ كان عاملاً على الشام . ذكر ابن خلدون انه لما لقي معاوية عمر بن الخطاب عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال احكروية يا معاوية ؟ فقال يا امير

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٨

(٤) اليعقوبي ٢ - ٢٠٢

(٦) اليعقوبي ٢ - ٢٧٦ الفخري ٧٨

(١) الطبري (ليدن) ج ١ - ٢٢١٦

(٣) المسعودي (باريس) ٢ - ٢٥٣

(٥) Moh. et la fin du monde 58

المؤمنين أنا في شرف تجاه العدو ، وبنا الى مباهاتهم بزيئة الحرب والجهاد حاجة ^(١) وبعد ان كانوا في المدينة لهدم الارل يحسبون التجاني عن الرفه والرخاء واجباً دينياً صاروا لما استقر ملكهم في الشام يتأثقون في اسباب الحياة الحضرة ، فلبسوا الحلل المزركشة واقاموا الابنية الفاخرة ، وانصرفوا الا القلائل منهم الى الملاهي . ولم ينحصر ذلك في دمشق بل تراه في كثير من الحواضر كالسكوة والبصرة والمدينة ومكة . ومن البديهي ان يقبل الخاصة ومن يليهم من العامة على ما يقبل عليه امراؤهم ، حتى ان بعض ابناء الصعابة واحفادهم اصبحوا من اكثر الناس استمتاعاً بالملاهي .

ومن امثلة ذلك عبدالله بن جعفر بن ابي طالب فقد تشاغل بالبناء والحواضر حتى صيب عليه سعيه في عدم مروته . ومنهم الوليد بن عقبة اخو عثمان بن عفان فقد شهد عليه اهل السكوة انه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب حذو عمرو بن العاص بصرة اشرب الخمر . ومنهم الوليد بن عثمان بن عفان ، وحفيده العرجي الشاعر ، وابن ابي عتيق حفيد ابي بكر ، وغيرهم من ابناء الصعابة الذين اقتضت السياسة الاموية منعهم من الاشتغال بالسياسة فاندفعوا في سبيل اللهو والمجون ^(٢) . وصار اللهو الشغل الشاغل لبعض المترفين حتى في مناسك الحج ^(٣) . وهذا الاقبال من الامراء ومن دونهم على الدنيا كان له بلا شك تأثير كبير في تنشيط الصناعة والتجارة والادب ، فاقبل على دمشق وسائر الحواضر العربية عدد من الصناع والمضين والحواضر والشعراء مما زاد حركة الاعمال واحداث فيها حالة اجتماعية لم يعهدها الراشدون .

ومع كل ذلك بقيت لبداوة ترومة في نفوس الامويين . فلم يصكبن امراؤهم برغم سياستهم التي كانت ترمي الى تعظيم البيت الاموي يرقفون من معاشره رعائهم ومخالطتهم والسماح لهم بالكلام مندهم . فقد نقل من الوليد بن يزيد والفهر اخيه انها لما ماتت معبد (المني المشهور) مشيا بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد ^(٤) . وكان عبد الملك اول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء . وتقدم فيه وتواعد عليه ^(٥) . ولا غرابة فقد

(١) المدونة ٢٠٣ (٢ و٣) راجع اخبارهم في ما يلي :

الكامل للمبرّد (مصر ١٣٠٨) ١ - ٢٩٢ و٢٩٣

المقدّ (بولاق) ٣ - ٢٠٦ و٢٠٧ والنويري (دار الكتب المصرية) ١١٣ - ١١٩

(٤) الاغاني (دار الكتب) ١ - ٣٧ (٥) البيان والتبيين (ص) ٢ - ١٩٢

كان بعضهم يكلمه بما لا يُكلم به الملوك ، كما روى الجاحظ عن رجل من بني مخزوم وكان زُبيرياً . قال دخل على عبد الملك فقال له عبد الملك اليس قد ردك الله على حبيبك ؟ فقال أو من ردك اليك فقد رد على عقبه ؟ فاستحي وعلم انه قد اساء .^(١) ودخل كثير على يزيد بن عبد الملك يسأله عن معنى بيت للشاعر فاستصغره واخرجه .^(٢) وبقيت ذلك انهم كانوا حتى ايام الوليد يسمون خلفاءهم باسمائهم . قال البيهقي كان الوليد يقول لا ينبغي خلقة ان يناشد ولا يكذب ولا يسبه احد باسمه ، وعاقب على ذلك .^(٣) وعن ابن خلدون انهم تجافوا عن القاب التعظيم مع الفضاضة والسذاجة لان العربية في منازلها لم تقارهم حينئذ ، ولم يتحول منهم شعار البداوة الى شعار الحضارة^(٤) ، وقال كانت اعطيهم اكثرها الابل اخذوا بذهب العرب وبدانهم ، ومثلهم كان عمالهم .

وقد نقل ابن خلدون حديث الجاحظ ووليته في اختان بعض ولده ، قال فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس فقال شهدت بعض مراوبة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنفاً احضر فيه صحاف الذهب على اخوة الفضة ، اربعاً على كل واحد ، تحمله اربع مصائف ، ويجلس عليه اربعة من الناس ، فاذا اطعموا اتبعوا اربعتهم المائدة بصحافها ومصائفها . فقال الجاحظ وقد علم انه لا يستقل بهذه الابية يا غلام انحر الجزر^(٥) . ويظهر ما ذكره في موضع آخر ان نظامهم الحربي ظل بدوياً فكانت اسفادهم لحروبهم وغزواتهم بظلمتهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد^(٦) . ومع ما ددته الفتوح عليهم من المال وما مهدت لهم من سبل الحضارة لم يخرجوا خروجاً تاماً عن منازع البداوة في حياتهم . الا انهم توسعوا كثيراً في الملاهية فنظمت في الامصار المختلفة حركة الفناء واللعب على الآلات ونشأت في المدن المختلفة ولا سيما مدن الحجاز مجالس خاصة وحلقات خاصة من مشين ومضين اتخذت الفناء مهنة تورتق بها . وقد بلغ ذلك منهم حتى صار فيهم دور خاصة للملاهية والمطالعة . جاء في كتاب الاغانى ان عبد الحكم بن عمرو الجمحي اتخذ بيتاً في المدينة فجعل فيه شطرنجات وزدات وقرقات ودقات فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وقد منها ثم جر دقراً فقرأ او بعض ما يلعب به .

(١) البيان والتبيين (٣) - ٢٦٧ (٢) البيان والتبيين (٣) - ٢٦٧

(٣) البيهقي ٢ - ٣٤٨ (٤) المقدمة ٢٢٨ (٥) المقدمة ١٧٤

(٦) المقدمة ٢٦٨

غالب به مع بعضهم^(١) . وإذا قابلت ذلك بما كانت عليه المدينة أيام أبي بكر وعمر مثلاً تجد فرقاً كبيراً في اتجاه الافكار نحو الملاهي .

أما في دمشق - عاصمة الدولة يوشد - فقد كان الخلفاء أنفسهم الا القليل منهم ينشطون هذه الحركة . وكان يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء . وأرى المنين وشرب الخمر^(٢) . واشهرهم في ذلك سليمان بن عبد الملك ، ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد^(٣) . وفي أيامهم كثرت الملاهي ولم تنحصر في الخاصة بل تعدت الى العامة ، فنشأت طبقة من المتخصصين في صناعة الطرب كان لهم اتباع يدربونهم على الفناء والآلات تدريجاً فنياً . وظهر في الحجاز جماعة من المنين بلغوا من الشهرة مبلغاً عظيماً - منهم :

ابن مسجح (مكسي) وابن محرز (محسكي) وطويس (مدني) وابن سريج (مكسي) ومعبد (مدني) وجميلة (وكانت مطلة القينات في المدينة) ومروة الميلاء وحنين والغريض واخراهم ممن تجد اخبارهم بالتفصيل في كتب الادب^(٤) .

وقد رافق تعلق الفناء في هذا العصر تقدم الشعر الغزلي « ولا غرو فهما ربيبا عاطفة واحدة . ومن الشعراء الذين مرقوا بالترنل والنشيب وما الى ذلك من هو ومجون .

الاحوص وهو مدني من الاوس

يزيد بن الطائي وهو شاعر بدوي

نصيب مولى عبد العزيز بن مروان وقد اشتهر ايضاً بالفناء

هرير بن ابي ربيعة هو مشهور واختص شعره بوصف النساء وحاله معهن

الفرجاني وقد مر ذكره وكان شغوفاً باللهو والصيد والنشيب

ومن طبقتهم كثيرون لا يتسع لهم المقام^(٥)

* * *

(١) الاغانى (بولاق) ج ٢ - ٥٢ (٢) الاغانى ١٦ - ٧٠

(٣) المستطرف (بولاق) ٢ - ١٨٨ (٤) راجع كتاب الاغانى ج ١ - ١٥٢ ،

ج ٣ - ٨٤ ، ج ٢ - ١٢٤ ولما كن اخرى فيه . وخاتمة الارب للنويري (دار الكتب المصرية) ج ٢ ص ٢٣٢ - ٢٩٠

ووفيات الاعيان وسواها

ومن مظاهر التطور الاجتماعي أيام الامويين نشوء دور التعليم وازدياد عدد المتعلمين . فقد سكن العرب في اول امرهم اميين ، الا افراداً قلائل بقوا في الحجاز اول الدعوة الاسلامية سبعة عشر شهراً^(١) . ثم اخذ عدد القراء والكتبة يتزايد : قال ابن خلدون « لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك وتولوا الكوفة والبصرة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه ، وتداولوه فترقت الاجادة فيه^(٢) وطبعي ان تتقدم القراءة والكتابة ، وان ينشأ في مساجد الخواضر حلقات تعليمية ويكون فيهم مطعون لصبيانهم . وقد ورد ذكر معلم الكتاب في شعر جرير اذ قال - « هذي دواة معلم الكتاب » . وفي اخبار الوليد بن عبد الملك انه مر بمعلم صبيان يعلم جارية الغ^(٣) .

وذكر الجاحظ امثال الناس من المطيعين . وفي دفاعه عنهم جعلهم ثلاث طبقات - مؤدبي اولاد الملوك - ومؤدبي الخاصة - ومطلي كتاتيب القرى . وذكر بضعة من كبار المؤدبين في العصر الاموي مثل الجهني والشمسي وعبد الصمد الاعلى وركيت بن زيد وقيس ابن سعد ومطاع بن ابي رباح وعبد الحميد الكاتب والحجاج بن يوسف ، يوم كان يعلم في الطائف^(٤) . وبعبارة اخرى فرق بين الاساتذة المؤدبين وبين مطلي الكتاتيب الذين لم يبنوا مكانة في العلم والتأديب . وقال ان امثال العامة قد تصدق على بعض هؤلاء لا على الطبقة الاولى التي ينتمي اليها كبار العلماء والفقهاء وقادة الافكار . وقد نقل ابن قتيبة وصايا بعضهم لمطلي العصر الاموي فلتراجع^(٥) .

وبذلك على انتشار التعليم في هذا العصر نشاط حركة النسخ والتدوين : ذكرنا انه في معركة صفين رفع نحو خمسة نسخة من القرآن^(٦) . ومع انه لم يعلننا شيء يذكر مما دون في هذا العصر فلا شك ان التدوين سابق للعصر العباسي . ومن ادلة ذلك نقلهم الدواوين الاميرية الى اللغة العربية . ويجدنا يعقوبي ان زياد ابن ابيه كان اول من دون الدواوين ووضع النسخ للكتب^(٧) .

(١) البلاذري (ليدن) ٤٢١ (٢) المقدمة (بيروت) ٤٢٠

(٣) البيان والتبيين (س) ٢ - ١٦٤ (٤) البيان والتبيين (س) ٢١٠

(٥) ميمون الاخبار (دار الكتب) مج ٢ - ١٦٦

(٦) المعرودي (باريس) ٦ - ٣٧٨ (٧) اليعقوبي ٢ - ٢٧٩

وفي هذا العصر بدأت حركة النقل والفرجة ، واول من فعل ذلك خالد بن يزيد . فني الفهرست نقل له الكيمياء ، وجل اسمه اسطغان^(١) . ويقول ابن النديم ان سائماً كاتب هشام نقل بعض رسائل ارسطو وذكر كتباً في مواضيع مختلفة دونت في هذا العصر .

فما مرّ نستطيع ان احتكاك العرب بسواهم احدث فيهم ميلاً الى الاخذ عنهم = فزاد فيهم عدد المسلمين وكثر الاقبال على القراءة والكتابة ، واصبح في كثير من المساجد مراكز تعليمية للعلوم الساتية والدينية .

على ان المدارس لم تكن قد تنظمت تماماً وذلك :

- ١ - لعدم توفر الادوات الكتابية واتقانها
- ٢ - لقصر مدة الامورين ولانشغالهم بالحروب والفتن



وبقي الامر كذلك حتى قام العباسيون وانتقلوا الى بغداد ، ثم انصرفوا الى العلوم والمدارس فتنظمت اسباب التعليم والتدوين والتصنيف ، وحدثت تلك الحركة الفكرية المشهورة .

فالعصر الاموي عصر انتقال اجتماعي تطورت فيه نوعاً حادث العرب ومعارفهم ودخل اللغة كثير من المصطلحات الادارية والاجتماعية والمالية التي لم يكن للجاهلية عهد بها^(٢) .

حضارة العصر العباسي

في هذا العصر بلغ التطور الاجتماعي اوجه ويظهر ذلك في ما يلي :

- ١ - نشوء قومية عربية جديدة
 - ٢ - عمران بغداد وسواها من الحواضر
 - ٣ - اتساع الثروة وترف الخاصة
 - ٤ - النهضة الفكرية العامة
- ولنشرح كلاً من هذه الظواهر الاجتماعية بالتفصيل

(١) الفهرست (ل) ٢٤٢ و ٢٤٦

(٢) راجع امثلة ذلك في تاريخ اللغة العربية لزيدان ص ٣٠ - ٣٠

نشوء قومية عربية جديدة

واساس هذا النشوء (١) انتشار العرب في الامصار بعد الفتح (٢) امتزاجهم من سبيل الزواج بمناصر اخرى (٣) تعرب الامم المغلوبة .

خرج العرب من الجزيرة العربية فاتحين فانتشروا في الانظار التي افتحوها كالعراق وفارس والشام ومصر وافريقيا والاندلس وانتشروا فيها مستعمرات خاصة صادت بمدن مدناً ماهرة كالبصرة والكوفة وواسط والابصار وبغداد والقاهرة والقيروان وسواها . وكانوا في اول امرهم يحلون في اثر الفتح قبائل وعشائر فيقيمون في الامصار ويتحضرون . والظاهر ان هذه الهجرة الى الامصار المغلوبة كانت من سياسة القادة والامراء . فقد ذكر البلاذري مثلاً ان ابا عبيدة رتب ببالس (بناحية حلب) جماعة من المقاتلة واسكنها قوماً من العرب الذين كانوا بالشام قالوا بعد قدوم المسلمين ، وقوماً لم يكونوا من البعث تزعموا من البوادي من قيس ^(١) . وذكر ان مسلمة بن عبد الملك اسكن مدينة الباب في الحضر اربعة وعشرين الفا من اهل الشام ^(٢) ، وان هرقة اختط الموصل واسكنها العرب ^(٣) . وقال القنسي كانت تدمي اولاً خولان حتى وصل بها العرب عبادتهم ومضروها ^(٤) . وقد سبق هذه الهجرات الاسلامية الاولى الى الامصار المجاورة لبلاد العرب هجرات قديمة يدلنا على ذلك انه قبل الاسلام وجدت امارات وقبائل عربية في العراق وسوريا وفلسطين كالخمين والفسانة والتدميين والاقباط وسواهم . وكثير من هؤلاء القبائل تحضر واصطبغ بصفة البلاد الدينية والاجتماعية .

واستمر الامر على ذلك شطراً من الدولة العباسية . فقد بنى المنصور ملطية من ثغور الروم (وكان قد رتب فيها مطوية وابطة من المسلمين ثم خربت) واسكن فيها الوفاء من اهل الجزيرة ^(٥) . وفي ايام المهدي غزا الحسن بن قطبة بلاد الروم بجيش مؤلف من اهل خراسان والموصل والشام واعداد اليمن ومطوعة العراق والحجاز ، وبني طرطوس (وكانت قد خربت) ومضروها ^(٦) . وما يشر به سياسة التمهيد هذه انه لما اراد المؤمنون غزو الروم

(١) البلاذري ١٥٠ (٢) البلاذري ٢٠٧ (٣) البلاذري ٣٣٣

(٤) احسن التقاسيم (لندن) ١٣٩ (٥) البلاذري ١٨٧ (٦) البلاذري ١٦٩

قال أوجه الى العرب فأتي بهم من البوادي ، ثم اتزلم كل مدينة افتتحها حتى اضرب الى القسطنطينية . على ان الاجل لم يمهله ان يتم هذا الفتح ^(١) .

ومن ذلك تحرك العصابات في الامصار المختلفة كريمة ومضر ايام الوليد في خراسان ، والقيسية واليائية ايام المأمون في مصر ، ولحم وجذام سنة ٢٥٧ هـ ^(٢) في فلسطين . ناهيك من كان قد دخل من العرب الى افريقيا والاندلس .

والى انتشار العرب بعد الفتح واستقرارهم في الامصار يشير ابن خلدون في قوله - « وكان قد وقع في صدر الاسلام الانبعاث الى المواطن فيقال جند قسرين وجند دمشق وجند المواسم ، وانتقل ذلك الى الاندلس . ولم يكن (ذلك) لأطراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب . ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع السجم وغيرهم وفسد الانساب بالجملة وفقدت ثورتها من العصبية فأطرحت ، ثم تلاشت القبائل ودثرت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان » ^(٣) .

واذا نظرت الى هذا الامتزاج من جهة اخرى تجد ان الجزيرة العربية لم تكن مركز الملك العربي الأنحوا من ربيع قرن . ثم تحول الامر الى دمشق ببغداد ونشأت على اثر ضعف الخلافة في بغداد حواضر لامارات مستقلة . ومعنى ذلك من الوجهة الاجتماعية ان العنصر العربي الفاتح استقر قسم كبير منه بعد الفتح خارج الجزيرة حتى قدر بعضهم من دخل سوريا منه بنحو ربع مليون ^(٤) . ولا نستطيع ان نجزم بصحة هذا المدد ولكننا لا نشك ان الفتح سهل للعرب الانتشار والاستقرار في البلاد التي اشتموها ولا يقلل ان يحدث ذلك دون امتزاج او احتكاك قوي بالاسم الاخرى . ففي الشام كان الروم والسريان واليهود ، وفي العراق الاراميون والفرس ، وفي مصر الاقباط ، وسواهم في سوى ذلك . وقد اتصل العرب بهذه الاسم اتصالاً وثيقاً واختلوا بتقافتهم وحياتهم الاجتماعية . وكان اكثر امتزاجهم بالفرس - اولاً لاسراع هؤلاء باعتماد الاسلام ، وثانياً كان لهم من التأثير السياسي بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة .

(١) البيهقي ٢ - ٥٧٣ (٢) راجع البيهقي ٢ - ٣٩٩ و ٥٦٧ و ٦٢٣

(٣) المقدمة ١٣٠ (٤) La Syrie - Lammens 119-210

وإذا تخيرت ذلك من الوجهة اللغوية يتضح لك وجه الامتزاج - فان أكثر الالفاظ المقبسة اما يونانية او فارسية . على ان اليونانية راجعة بالاحكام الى حياة اليونان العلمية والفلسفية دلالة على ان الامتزاج كان على هذا السبيل ^(١) . اما الالفاظ الفارسية فمظهرها اجتماعي - وقد تخيرنا أكثر من مئة لفظة فارسية الاصل فوجدنا مظهرها من باب المأكل والمشرب والملبس والمفرش والملهي ومن الادوات المنزلية والصناعية وما الى ذلك ، مما يدل على شدة تأثرهم من حياة الفرس الاجتماعية ^(٢) .

وإذا نظرت الى البلدان العربية اليوم وجدت في الفاظها المعربة الحديثة قياساً منطقياً لما حدث في الماضي . فأكثر الفاظها العلمية مقبسة من لغات أوروبا الحديثة . اما الاجتماعية ففي العراق تكثر منها المقبسات الفارسية والتركية ، وفي سوريا الإيطالية والفرنسية ، وفي مصر التركية والأوروبية . وما وجود هذه الالفاظ الأ دلالة على احتكاك سكانها بالأمم التي اقتسموا عنها . وذلك ما حدث للدولة العربية في بغداد وسواها . وهذا الامتزاج اللغوي الاجتماعي طبعي بين الشعوب تتبادل فيه الالفاظ كما تتبادل السلع . فكما ان العرب أخذوا أولاً عن الفرس والروم والسريان والاقباط الذين استقروا بينهم كثيراً من الفاظهم ومصطلحاتهم ، عاد هؤلاء فأخذوا من العربية ما لا يمكن حصره هنا ، ولا سيما الفرس الذين أصبحت لغتهم مزيجاً من الفارسية القديمة والعربية . وكذلك أخذ غيرهم كالأتراك والاسبان . وكل ذلك دليل على تبادل اسباب الحياة الاجتماعية . ويكون الاقتباس عموماً على احد سبيلين

(١) الأمم المغلوبة من الأمم الغالبة

(٢) اللغات المتأخرة في نوع من انواع الحضارة من اللغات المتقدمة فيه

الامتزاج بالزواج

ولم تقف عملية الزج في الاقطار الاسلامية منذ هذا الحد ، بل تمدتها الى ما هو اعلى . فقد اختلط الجنس العربي بسواه على سبيل الزواج - اختلط أولاً بالأمم التي امتنعت

(١) تجد كثيراً من هذه الالفاظ في الكتب الطبية والعلمية لذلك العهد

(٢) راجع المقبسات الاعجمية في شفاء النيل النخاعي وفي العرب للجواليقي والالفاظ المعربة

لأدبي شير وسواها

الاسلام من فارس وترك وبربر وسواهم ، ثم بالامم الاخرى من طريق السببا والجواري اللواتي امين دوراً مهماً في تاريخ الاسلام الاجتماعي . وقد كان الامويون اولاً يتعصبون ضد ابناء الاماء ولا يستخفونهم . فقد أقب عبد الملك علي بن الحسين لتزوجه جارية ، وعبر هشام زبد بن علي بن الحسين بقوله : انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت ابن أمة ^(١) . ولا زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانتصاري يحيى بن خصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين الف درهم قل قاتل يعبره ^(٢)

اسمري لقد جألت نفسك خزية
ولو كان جذاك اللذان تابعا
وخالفت فعل الاسكندر الاكابر
بيد راسا راما صانع الألائم

على ان ذلك لم ينم حتى بعض الخلفاء الامويين من التزوج بالاماء . فكانت ام يزيد بن الوليد فيروز شاهي ابنة شجرة ^(٣) ، وام يزيد بن عبد الملك شاهفريد بنت فيروز ابن كسرى ^(٤) ، وكانت جدة مروان بن محمد كدية . اما بنو العباس فكثرت ذلك بينهم ، حتى كان كثير من خلفائهم ابناء اماء ^(٥) . منهم المنصور والرشد و ابراهيم بن المهدي والمأمون والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمقتدر والمعتصم والمستضي . والناصر . وقس على ذلك سائر الطبقات حيث اختلط الدم العربي بسواه اختلاطاً واسع النطاق

تعرُّب الامم الفارسية

من هذه الامم من تعرَّب تعرباً جزئياً وقتياً كفارس والاندلس مثلاً ، ومنها من تعرَّب تعرباً كلياً دائماً كعصر والشام والعراق وشمالى افريقيا . وقد حدث هذا التعرُّب فيها تدريجياً - بدأ منذ الفتح الاولى وقبلها بهجرة العرب واشتد بنشر الاسلام ، ثم بتحول دواوين الحكومة ايام الامويين . وبنا كان للعرب او للسليق من امتيازات في المملكة الاسلامية . واخذت حركة التعرُّب تتقدم مع الايام حتى استقرت العربية في هذه الاقطار . والمشهد ان ذلك جرى في الاقطار السامية الاصل او التي تلت الى الساميين

(١) المسعودي ٥ - ٦٦٨ (٢) كامل المبرِّد (ليزك) ج ١ - ٢٧١

(٣) عن الجاحظ (راجع رسائل الجاحظ مطبعة السادة مصر ص ٥١)

(٤) تاريخ التدن الاسلامي (نريدان) ٢ - ٥٥٣

بنسب متين ، اما في سواها فلم يكن الا جزئياً كما ذكرنا ولوقت معين . فلما زالت شوكة العرب زالت الصيغة العربية عنهم وبقي اثرها في لسانهم ومدنيتهم . وهكذا نشأ في الاقطار الاسلامية العربية (ما نسميه اليوم بالشرق العربي) قوميات شتى ، تجمعها جامعة معنوية قوية هي جامعة اللغة والثقافة . وليس من نسيهم اليوم ابناء العرب (خارج الجزيرة العربية) الا مزيجاً من عناصر شتى اصطفت بالصيغة العربية وارتبطت بتاريخ العرب ومبادئهم الادبي . وهذا الامتزاج القومي اللغوي التساريحي اثر في الادب العربي تأثيراً يائناً ، فكثرت فيه المقننات الاجتماعية ، واعتمرت فيه الحياة الفكرية اختاراً اذى الى نشوء الحضارة العربية المعروفة في القرون الوسطى .

حضارة بغداد عاصمة العباسيين

كانت بغداد في ايام الفرس قرية يقوم بها سوق لهم ، فاغار عليها المثنى فانفسها (١) ، ثم لم تلبث بعد ان احتارها المنصور العباسي مركزاً لدولته وبني فيها مدينته ، حتى زخرت بالعمران واصبحت من اعظم العواصم في القرون الوسطى . وانما نحن نذكرها هنا ذكراً خاصاً لعلاقتها الكبيرة بالشعراء الذين ندرس حياتهم وشعرهم ، ولانه فيها تشعبل الحضارة العربية في ابعى ظواهرها .

وقد مر بنا في عرض كلامنا عن « العوامل السياسية في الدولة العباسية » ما كان من تنازع العناصر المختلفة في بغداد ، وان اهمها ثلاثة (١) العرب - ويمثلهم البيت المالك وبعض الامراء والعمال (٢) الفرس - ويمثلهم الوزراء والكتبة ومعظم رجال العلم ثم امراء الديلم المتظلمون (٣) الاتراك - وكان منهم امراء الجند ثم السلاجقة ورجالهم . ففي بغداد التقت عناصر شتى واجناس كثيرة تتنافس على الريادة والرزق وكان لهذا التنافس اثره في احوالها الاجتماعية . ولما كانت هذه المدينة عاصمة الخلافة والدولة ، ولا سيما في القرنين الاولين من العصر العباسي ، كان من الطبيعي ان تتدفق فيها اموال الاقاليم عن طرق شتى اهمها - احياء المصادرة والتجارة والزراعة . ولتناول حكلاً منها بقليل من الاسهاب .

(١) مراد الاطلاع (لندن) ١ - ١٦٣

الحياة والمصادر

بلغت رقعة المملكة العباسية في ايام قوتها حداً عظيماً من الاتساع فكان يحجي اليها مما وراء النهر الى المغرب الاقصى . قيل وقد حسب خراج الروم المقتصم فبلغ اقل من ثلاثة آلاف الف . فكتب الى ملك الروم ان اخس ناحية ، عليها اخس عبيدي ، خراجها اكثر من خراج ارضك ^(١) . واذا صحت هذه الرواية لم يكن المقتصم مبالغاً ، فقد ترك ■ قدامة بن جعفر قائمة مسببة في الخراج لهدد المقتصم يبلغ مجموعها اكثر من ٣٣٨ مليون درهم ^(٢) . واحصى ابن خلدون الخراج ايام المأمون وفصله اقلياً اقلياً فاذا مجموعه يزيد على الاربعمئة مليون درهم ^(٣) . وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية مطلقين التصرف بالاموال والارواح ، يحيي اليهم الاموال الطائلة فينفقونها في رجالهم وحاشيتهم وملاهيهم ، ويختزنون منها ما يرونه حين الحاجة . فان المتصور خاف لابنه المهدي ما يزيد عن ٦٠٠ مليون درهم و١٦ مليون دينار ^(٤) . وخاف الرشيد نحو ٩٠٠ مليون درهم ^(٥) . هذا مع كل ما اشتهر به من السفا والاسراف ، حتى قال الطبري عنه انه لم ير خليفة اعطى منه ^(٦) . وكانت غلة امه الخيزران في العام ١٦٠ مليون درهم . اما اعمال الخلفاء ووزرائهم فكانوا يحيطون الاموال الطائلة ويتبارون في انفاقها . فقد بلغت نفقة الفضل ابن سهل ايام المأمون على ما رواه الطبري نحو ثلاثة ملايين درهم ، وذهب الفضل بن يحيى البرمكي الف درهم لمحمد بن ابراهيم البامبي ^(٧) . والبرامكة مشهورون بحكومتهم ورخائسهم ، وكانوا اصحاب الدولة والمجد حتى نكسبهم الرشيد واستصفي اموالهم ، على ان الكرم والفنى لم ينحصرا فيهم . ومن يراجع اخبار الوزراء والعمال يدرك الكثرة ما كان يصلهم من المال ، وما كانوا يتفقونه في سبيل مآديهم وملذاتهم . جاء في سراج الملوك للطبرطوشي ان العاقل (اي الحاكم) ايام عمر بن الخطاب كان راتبه مع مساوئيه ٦٠٠ درهم في الشهر ^(٨) ، فصار العمال ايام الامويين يتقاضون الرواتب الكبيرة . على انهم لم يبلغوا موماً مبلغ زملائهم في العصر العباسي .

(١) احسن التقاسيم للقسدي (ليدن) ٦٤ - ٦٥ (٣) تاريخ التمدن الاسلامي ٢ - ٥٦

(٣) المقدمة ١٧٩ - ١٨١ (٤) المسعودي ٦ - ٢٢٣

(٥) ابن الاثير ٦ - ٧٦ والطبري ج ٣ - ٣٦٩ (٦) الطبري ج ٣ - ٧٤١

(٧) الفخري ١٥١ (٨) سراج الملوك (١٢٨٩) ٢٢٥

ولم يكن هذا المال من طريق الخبايا الشروعة فقط بل كان للمصادرة شأن كبير في العصر العباسي . والمصادرة ما يقبضه السلطان من الوزير وهذا من المال والعمال من الرتبة .

وقد بلغت في الدولة العباسية ان انشأوا لها ديواناً خاصاً . واختار بنو العباس حافلة بذكر المصادرات ، وكذلك اخبار وزرائهم وعمالهم . من امثلة ذلك قائمة ما قبضه ابن الفرات وهي اقودج لانواع المصادرة ومقاديرها . ويبلغ مجموعها ملايين الدراهم ^(١) . وقد قال ابن الفرات من ذلك ما نال سائر الكبراء . فقد قال عن نفسه - تأملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة آلاف الف دينار ، وحسبت ما اخذته من الحسين بن عبدالله الجوهري بن الجصاص فكان مثل ذلك . واليك امثلة اخرى عما يرويه اليعقوبي : سخط المتوكل على الفضل بن مروان وقبض ضياعه وامواله ونفاه ، ثم رضي عليه ورده ، وسخط على احمد بن خالد المعروف بابي الوزير فاستصنى ماله ثم رضي عليه . ولا سخط على الكتاب (المصادرة) ، ثم يذكر ما فعله هذا الخليفة بايتاخ التركي وحرقة حامل معصر ، ويقول : ووجه بالحسين بن اسماعيل مسكان عم محمد بن ابراهيم . وامره ان يعذبه حتى يستخرج الاموال التي صارت اليه ، فعتب حتى مات . وفي مسكان آخر يذكر قبض ضياع ابن ابي دؤاد وامواله ، وانه احضر الى بغداد فلم يتم قليلاً حتى مات ^(٢) . وفي الفخري امثلة كثيرة على هذه المصادرات ، منها مصادرة المعتد للوزير ابي الصقر بن بلبل ، وام المعتد لكتائبها ابن الحبيب ، وابن الفرات لابن مقلة على مئة الف . قال وفي ايام المعتد وايام وزيره ابي القاسم كثرت المصادرات ولم ينج الوزير نفسه منها فصادره الخليفة وابعده . واعجب من ذلك ما فعله اقاخر بام المعتد . فقد عذبه وصادر منها مئة وثلاثين الف دينار ^(٣) . هذا عدا ما صادره الاتراك والديلم وكثير من الوزراء وكبار المال مما لا يسه هذا المقام ^(٤) .

وكانت هذه الاموال الوفيرة ينفق اكثرها في بغداد فليس من الغرابة ان نسمع عن

(١) راجع عصر المأمون المرقامي ٥ - ٣١٠

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ من ٩٢ - ٩٧

(٣) كتاب الفخري في اخبار المعتد والقاهر

(٤) راجع امثلة ذلك في تجارب الامم لمكويه في اخبار سنة ٣٥٠ و٣٦١

كثرة البذخ والسفا. في دوائر الخلفاء والامراء^(١) . وقد تناول زيدان في تاريخ التمدن الاسلامي^(٢) نفقات الدولة العباسية ، وبعد ان بحث فيها باسهاب ونقل ما نشره فرن كير من احمد بن محمد الطائي ، وما اشترطه هذا على نفسه ان يقدمه من ضمانات لبيت المال (وفيه ما كان ينفقه بيت المال ايام المتضد) « وجد ان مجموع النفقات كانت نحو مليونين ونصف مليون دينار في السنة ، باعتبار سبعة آلاف دينار لكل يوم . فاذا حسبنا ان النفقات كانت متقاربة ايام المأمون والمتصم والمتضد ، واخرجنا ذلك من معدل ارتفاع الحياة كما اوردها ابن خلدون وتقدمة ، استنتجنا ان نحواً من ٣٠٠ مليون درهم كانت تبقى في بيت المال يتصرف بها الخليفة كما يشاء . فهل يستغرب او ينكر بعد هذا دفعهم (حتى في ايام ضعفهم) الهب الدنانير للثمراء والمثنيين والعلاء ، او في سبيل الجواري وسائر الملاهي التي اشتهروا بها وراحت سوقها في زمانهم ؟ وايضاحاً لذلك فنقل بعض امثلة من بذخهم .

ملوك الرافق والمكثفي

اشتهر هذان الخليفان بكثرة ما جفا من الاثواب وبكثرة الثأني في اللبس حتى كان الرافق ستة آلاف ثوب من جنس واحد^(٣) ، وكان للمكثفي من الاثواب ما يبلغ عشرات الآلاف^(٤) .

جواهر القصر وسرافر

كانت خزانة الدولة في ايامه مفرقة بالجواهر ، من جعلها حجر الياقوت الذي اشتراه الرشيد بتلاثة الف دينار ، والدرة اليمنية التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل الى غير ذلك من الجواهر النفيسة ، فقرعها واتلفه في ايسر مدة^(٥) . ولا عجب فقد كان له احد عشر الف خادم من الروم والسودان وهم بمثابة حاشيته وحرسه .

(١) راجع مثلاً لذلك بذخ المتوكل - المعودي ٧ - ٢٧٦

(٢) ج ٢ - ص ٦٥ - ٧٢ (٣) الفخري (١٣١٧) ٢٢٨

(٤) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥ - ١٠٧ (٥) الفخري ٢٣٤

بنوخ ام جعفر وام المستعين

ذكر المؤرخون انه كان لام المستعين بساط فيه نقوش على اشكال الحيوانات والطيور اجسامها من الذهب وبعونها من الجواهر وقد قدروا قيمته بنحو ١٣٠ الف دينار^(١). وذكر ابن خلكان ان ام جعفر البرمكي كانت في ايام عزها تنشي ووراءها اربعمئة وصيفة ، وقد يكون في ما ذكره مبالغة ولكنه يشير الى غنى وافر وبنوخ عظيم .

الهادي والرشيد والوائى ومطربوهم

قيل ان الهادي اعطى ايوهم الموصل في يوم واحد ١٥٠ الف دينار^(٢) . ونفى ابن محرز في حاضرة الرشيد بابيات مطلعا « واذكر ايام الحى ثم انشى » فاستغف الرشيد الطرب وامر له بثنة الف درهم ، وفعل مثل ذلك لدحان الاشقر^(٣) . وهبات هذا الخليفة لخدمائه وشعرائه اكثر من ان تحصى هنا . واتقدي الواثق بجدة فوهب اسحق وقد غنى في حضرته مئة الف درهم^(٤) .

الولائم والافراح والمساكن

ذكروا ان المال الذي انفق يوم زفاف بوران الى المأمون على الفواد فقط بلغ نحواً من خمسين الف الف درهم^(٥) . وذكر صاحب التكملة ان ابا الفضل الشيرازي عمل دومة انفق فيها الف الف درهم ووهب فيها جواري وغلماناً وضياعاً النخ . وفي يوم زفاف ابنة القاسم بن عبيد الله الى احمد بن المكتفي انفق ما يزيد على عشرين الف دينار^(٦) .

-
- (١) المتطرف (بولاق) ١ - ١٩١ (٢) الاغاني ٥ - ٦
 (٣) المتطرف ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ (٤) المتطرف ٢ - ١٨٥
 (٥) الطبري ج ٣ - ١٠٨٣ وتريث الاسواق للاتقاضي ٣ - ١١٧
 (٦) صلة الطبري آخر اخبار سنة ٣٠٦

اما الساكن فنكتفي منها بذكر دار الوزير ابن القوافل التي انفق عليها مئتي الف دينار **■** ومثلها على ما قيل دار ابن مقلة ^(١) .

* * *

وانما هذه امثلة قليلة سقناها لتوضح ما نحن بصدده من توفر المال لدى الخاصة ولا سيما قبل انحلال الدولة . وفي اخبار العباسيين ورجالهم مما تجده في تضايف مکتب الادب والتاريخ ما يلا صفحات عديدة . ولم يكونوا يستطيعوا القيام بهذه النفقات الطائلة وهذه الالهة العظيمة (مهما كان مبالغاً فيها) لولا تدفق الاموال عليهم من الاقاليم المختلفة ، وقد بقي لهم حتى في ايام ضعفهم وخروج السلطة من ايديهم حظ وافر من المال . فان البويهيين لما استولوا على الامر ببغداد عيّنوا راتباً للخليفة خمسة آلاف درهم كل يوم ^(٢) . وفي سنة ٣٣٤ هـ عين الطليح الفا درهم ^(٣) ، وهو مبلغ كبير اذا قيس برواتب الحكام . ولم يكن ما يتقاضه الخليفة المستضعف يومئذ الا شيئاً يسيراً بالنسبة الى ما كان يتقاضاه صاحب الامر وعيّنه . وهذه الاموال الطائلة كان يتدفق اكثرها في بغداد ، وكان نصيب الادب منها وافراً . ولما تجزأت المملكة الى امارات مستقلة لم يتغير الحال كثيراً على الادباء والامراء وارباب الفنون ، اذ اصبحت حواضر هذه الامارات تنافس بغداد في الثني والبنخ والانفاق على العلم والادب ، وان لم تبلغ ما بلغته العاصمة الكبرى في ابان مجدها .

الامهران التجاري والزراعي

لم تكن بغداد مركزاً للخلافة والسلطنة فحسب بل كانت مركزاً كبيراً للتجارة ايضاً ، وساعدها على ذلك مركزها الجغرافي على نهر كبير صالح للفلاحة وانما في نقطة وسطى بين الشرق والغرب . والمعروف ان المسلمين حكموا في العصر العباسي سلاطين البحار تغر سفنهم الى سومطرة ووزنجبار وكالكتا وجزائر الهند والصين ^(٤) ودمشكر ،

(١) حلة الطبري اخبار سنة ٣١٨ (٢) ابن الاثير اخبار سنة ٣٣٤

(٣) تجارب الامم اخبار ٣٣٤

(٤) ترجم مؤرخاً في روسيا كتاب صيني يرجع الى القرن الحادي عشر منظمه عن تجارة الصين مع العرب - راجع كتاب زوبر 30 A Moslem Seeker After God وفيه انه وجد مسكوكات سكوية في اسكتلندا فارجع الى القرن الحادي عشر

وتجوب البحر المتوسط الى الاندلس وسواها . وقد تركوا اثر تفوقهم التجاري في المصطلحات التي اقتبسها لغات الغرب عنهم - مثل

Gatracca	حرّاقة	Cable	حبل السفينة
Tarif	تعريفة	Amiral	امير البحر
Mualina	موصلين	Arsenal	دار الصناعات
Damask	دمقس		

وما اشبه من الالفاظ التي دخلت اوروبا من طريق التجارة (١)

ويوازي اساطيلهم التجارية في الاهمية قوافلهم البرية التي كانت تحمل المتاجر من كل الجهات وقد ذكر المقدسي في احسن التقاسيم انواع التجارات من الاقاليم المختلفة واهمها -

اليافوت والاماس والنفائير والارز	من الهند
المزلق	من البحرين
المندرجات	من ايران
الحصر والقباطي والقراطيس	من مصر
الزجاج والخزف	من البصرة
الحك والكافور	من الصين
الرقيق الابيض	من تركستان والاندلس وبلاد الصقالية وسواها
الرقيق الاسود	من السودان

وغير ذلك من المتاجر الواسعة التي لا يتسع المقام لذكرها . ولا شك انه كان لبعضهم يد كبرى في التجارة ، فان جوهرياً من الكرخ ساومه يحيى البرمكي على سبط من الجواهر يبلغ سبعة ملايين درهم (٢) . وقد عرف من كبار التجار آل الجصاص (مؤ ذكرهم في باب المصادرة) - والشريف عمر - ذكر ابن الاثير ان دخله السنوي كان الف الف وخمسة الف درهم . وكانت ثروات بعض تجار المراكب في البصرة تقدر بالملايين . وقد دفعت التجارة بعضهم الى اقصى البلاد : ذكر المقرئ ان علي بن بندار البرمكي قدم الاندلس تاجراً سنة ٣٣٧ هـ . وامثال هذا التاجر كثيرون ممن كانوا يرحلون من الشرق الى

(١) راجع كتاب فون كيرغر 362 Tr.Bnkhsb The Orient Under The Caliphs.

(٢) راجع المنتظم ديسمبر ١٩٣٠ ص ٥٣١ (٣) فتح الطيب (بولاقي) ٢ - ٧٧٢

الغرب وبالعكس . وكان بغداد نصيب وافر من ذلك تعكسه ■ بعض قصص الف ليلة ليلة ، فهي وإن تكن اساطير لا صحة لها تمثل روح العصر الذي بانث فيه بغداد والبصرة اوج حضارتهما التجارية .

اما الزراعة فقد كانت ايام العباسيين على درجة عظيمة من الارتقاء . فانهم على ما يستدل من اخبارهم جعلوا همهم احتغار الانهر وانشاء الجسور والقرع ، حتى جعلوا ما بين دجلة والكوكة سواداً مشبكاً غير محير تحرقه انهار الغرات ^(١) . وقد ذكر المؤرخ مسكويه في مرض كلامه عن عهد الدولة تلافيه بغداد بالعبرة بعد ان خربت لكثرة الفتن والمصادرات والاضطرابات . قال « وكان ببغداد انهار كثيرة (ذكر منها نحو عشرة بعضها من دجلة وبعضها من الدجيل) فاندفقت مجارياً وعفت رسومها » . ثم ذكر مصالح السواد وتعمير القناطر على انهاره وحماية مزارعه وما بلغ بهمة عهد الدولة من العمران بعد الحروب ^(٢) . وفي كل ذلك اشارة الى عهد زراعي راق عرفته بغداد والعراق عموماً ايام زهو الخلافة .

ومثل ذلك في كتاب القاضي ابي يوسف الى هارون الرشيد كما نقله فون كيرمر في كتابه الشرق تحت حكم الخلفاء ^(٣) . فان ابا يوسف يذكر من واجبات الحاكم تعمير الاقضية للري وتنظيف الانهر التي تحمل المياه من الغرات والدجلة الى السواد ، وما الى ذلك من الجسور والسدود والقناطر والملاحة . ويؤيد ما ذكرناه من هذا العمران الزراعي انه ارتفاع الخراج من السواد ايام المعتصم (كما في قسامة قدامة بن جعفر) بلغ من القمح والشعير نحو ثلث ارتفاع الاقاليم كلها اي حوالي ١١٥ مليون درهم ، وبقي على هذه النسبة الى اواسط القرن الثالث الهجري (راجع قائمة ابن خردادبه) . وليس ذلك دليلاً على ثقل احيائيات فقط ، ولكن على مارة الارض ايضاً وتمكن الناس من القيام بما يتطلب منهم للدولة . ولم ينحصر هذا العمران الزراعي في السواد العراقي ، بل زده ايام حرر العباسيين في اقاليم اخرى كخراسان ومصر وسواها .

فبالتجارة والزراعة ، وما كان يحيج الى بغداد ايام حررها ، توفرت فيها اسباب العموان حتى فالت سواها واصبحت عروس الخواضر في القرون الوسطى ، او كما قالت دائرة

(١) الاصطخري (طبعة بريل) ٨٥ (٢) تجارب الاسم اخبار سنة ٣٦٩

(٣) النسخة الانكليزية ٣٣٨ (ترجمة Bukhsh)

المعارف الاسلامية (في كلامها عن بغداد) انها بلغت في ايام زهوها المقام الاول بين المدن في العالم المتسدين يومئذ . وقد زارها ايام المستنجد السائح اليهودي بنيامين الطليطلي وقال عنها (ولم تكن يومئذ في ابأن مجدها) * انها اخر مدن العالم لا يقابلها الا القسطنطينية^(١) ، وزارها الرحالة ابن جبير الاندلسي سنة ٥٨٠ هـ اي في اواخر العصر العباسي وقال عنها * واما حماماتها فلا تحصى عدّة : ذكر لنا احد اشياخ البلد انها بين الشرقية والغربية نحو الالفين حمام وكذلك مساجد لا يأخذها التقدير ، والمدارس فيها نحو الثلاثين وما فيها من مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ، واعظمها واشهرها النظامية * . الى ان يقول * فشان هذه البلدة اعظم من ان يوصف واين هي بما كانت عليه - هي اليوم داخلة تحت قول حبيب (الى قام)

لا انت انت ولا الديار ديارُ خفّ الهوى وتولّت الاوطار^(٢)

ويحكي لابن جبير ان يقول ذلك متأسفاً نادياً عمران بغداد . فقد ذكر الخطيب البغدادي بغداد في ايام المأمون وقال كان فيها خمسة وستون الف حمام^(٣) . ويظهر لنا في ذلك بعض المبالغة ، ولكنه بها كان ، فهو يدل على عظيمة المدينة واتساع هوائها حتى لقد قدرت مساحتها بنحو ستة عشر الف فدان ، وعدد سكانها بنحو مليون ونصف او اكثر^(٤) .

ولم ترتق هذا الارتقاء العظيم في مدة لا تتجاوز الستين سنة الا لانها كانت مركز دولة تسيطر على اقاليم وشعوب تضارع ما كانت عليه الدولة الرومانية في عنفوان قوتها . ويؤيد ذلك ما نجده من وصف اقاليمها في كتب الاصلطخري وابن حوقل والمقدسي وابن جبير وابن خردادويه وقدامة وسواهم من ارباب الرحلات وكتاب الخراج .

(١) Coke-Bagdad the City of Peace (London 1927) ١٣٤

(٢) رحلة ابن جبير (مصر) ٣٠٧ و ٣٠٨

(٣) نقل ذلك زيدان عن ابن خلدون وعن مير الملوک (راجع تاريخ التسدن الاسلامي

ج ٢ - ١٩٠) (٤) تاريخ التسدن الاسلامي ٢ - ١٩٤

بعض صور اجتماعية يعكسها الادب العباسي

١ - كثرة الجوارى والفلان - من نتائج المال والترف في العصر العباسي اقتناء الجوارى والفلان . وكان في بغداد - كما كان في البصرة وسواها من الحواضر الكبرى - سوق لبيع الرقيق من عبيد وامساء : حكى عن ابي دلامة الشاعر انه مر بنشأس يبيع الرقيق فرأى عنده من كل شيء فانصرف سهوياً ودخل الى المهدي فانشده قصيدة منها :

ان كنت تبغي العيش حلواً صافياً فالشر أعزبة وسكن غثاساً^(١)

وذكر الاصفهاني انه كان للرشد زهاء ألفي جارية^(٢) . وعن المسودي كان التوكل اربعة آلاف جارية^(٣) . ولم يقصر الفاطميون في مصر عن العباسيين في بغداد . فقد كان في قصر الحاكم بأمر الله ثمانية آلاف جارية^(٤) . ومثل هؤلاء ملوك الاندلس وسواهم . على ان ذلك لم يتعصر في قصور الملوك والامراء ، بل تعداهم الى منازل الخاصة وارباب اليسار من تجار وملاكين وعلماء ، ومن يليهم من طبقات الشعب . وكانت ائمان الجوارى تختلف من عشرات الدنانير الى الالف . وقد يبلغ الشف ببيع بعض الامراء ان يدفع مئات الالف من الدراهم في سبيل احدهن . وكانوا يتهادون الجوارى ، فقد اهدى طاهر الى المتوكل هدية فيها ٣٠٠ وصيفة ووصيف^(٥) ، بل كانت الامراء احياناً تهدي زوجها بعض الجوارى كما فعلت زبيدة مع الرشيد^(٦) . وقد بلغ اهتمامهم بتثقيف الجوارى والفلان وتعليمهم مبلغاً عظيماً اذ كان ذلك يزيد ثقتهم ويأتي بالروح الى المتجربين بهم .

ومع اننا نجد في العصر العباسي بعضاً من النساء الرافيات علماً وثقافة ، واننا نجد في كتب التاريخ شراهد على انه كان يتاح للنساء ان تتعلم كالفتي ، لا نجد الادب العباسي يعكس لنا من حالة المرأة ما يحلها في مقام رفيع : فخذ الشعر مثلاً نجد من هذا القبيل نوعين - الغزلي والجلدي . فالغزلي كثر الى نواس واضرابه اكثره مقرون بحياة الجوارى

(١) الاغانى ٩ - ١٢٨ : في اخبار ابي دلامة

(٢) الاغانى ٩ - ٨٨ : في اخبار حلية (٣) بروج الذهب ٧ - ٢٧٦

(٤) خطط القرطبي (مصر ١٣٢٤) ج ٢ - ٢٣٣ (٥) المسودي ٧ - ٢٨١

(٦) الاغانى ١٦ - ١٣٧ : في اخبار دنانير

الوفاي كن يشتري ويتهادى بين^١ وهو يصود لنا عبث الشباب الماخن . اما الجذبي كشمري فنتاشم ينظر الى المرأة في المنزل نظرة سوداء ، ولعله متأثر مما بلغته من التأخر الاخلاقي بعد ان زاحمتها الجارية فاعتقلت وحيل بينها وبين الرقي العلمي والادبي . ويظهر ذلك في الادب المنشور كما يظهر في الشعر ، ولا يستثنى من هذا الحكم الا قلائل لا يبيى عليهم حكم عام .

وما يذكر هنا ما بلغه بعضهم من التهلك والانحطاط الاخلاقي الاجتماعي ، حتى صاروا يستخدمون الفنان كالجواري ، ومن ذلك نشأ غزل الذكر كما زاء في شعر بعض من منتسكي ذلك العصر .

٢ - مجالس الشرب والفضا - توفرت في الحواضر ولا سيما بين الخاصة في بغداد مجالس الشرب ، ولم تكن تخلو منها قصور الحكام . وكان بعضهم يتذرع الى ذلك - على مناقضته لاوامر الدين - بان الشروع حال نبيذ التمر . وعليه بنى ابن خلدون دفاعه عن الرشيد اذ قال « وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق ، وفتاويهم فيها معروفة . واما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها » . الى ان يقول « وحال ابن اكثم والمأمون في ذلك حال الرشيد ، شراهم انما كان النبيذ ، ولم يكن محظوراً عندهم^(١) » . على ان شرب الخمر على انواعها كان شائماً كما يتبين من درس الشعر العباسي ، وكذلك مجالسة الندماء والمغنين والقيثات . ولم يكن ذلك يدع في الدولة العباسية « فقد سبقهم الى ذلك الامويون » واخبار يزيد والوليد وسليمان وغيرهم كافية للدلالة على ما ذكرناه . فبعد ان كان المسلمون ايام الراشدين يتعجبون من الخمر ويماقبون شاربها ، اصبحوا بعد ذلك يرون في بعض خلفائهم وقضاةهم ما يستل لديم معاقبتها : نعم ظلت الشريعة نافذة في حد السكاري ، ولكن ذلك لم يمنع الناس من تعاطي المسكر وارتداد الحانات . ومما كان من المبالاة في ما يتقوله عن الهادي والرشيد والامين والواثق والمتوكل ، ومن جرى مجراهم من الملوك او قادهم من الشعراء والمغنين ، فاجماع اكثر المؤرخين على شربهم الخمر وبلوغ بعضهم من ذلك درجة التهلك ، حتى روى الابشيهي ان الواثق كان يرقد في المحسكان الذي يشرب فيه ، ويرقد معه تداوؤه^(٢) .

وكان الشراب عادة مقروناً بالفناء ، ففي كل مجلس طرب عند الخاصة يحضر اولو الفن فيخترون او يرقصون ، ويشرب الحاضرون ، ويقضون وقتهم على ذلك . ومن امثلة ذلك ما نقله ابن الاثير عن الامين انه امر يوماً قيسة جواريه ان تهين له مائة جارية فتصعد اليه عشراً عشراً بايديهن العيدان يغنين بصوت واحد ^(١) . وكتب الاصب ملائى باخبار المنيين والمنقيات ، وما كان يبذل لهم من الاموال الطائلة ، وسلم شي من ذلك في كلامنا عن الشعراء .

٣ - نشوء حركة زهدية مضادة لترف العصر - وستكلم عنها في غير هذا المقام .

١ - التأنيق في الفنون الخضرية - ويدخل تحتها تشييد المنازل ونسج الثياب والمفروشات وطهي الطعام وبناء المراكب وصنع الآلات الموسيقية ، وما الى ذلك من اسباب الحضارة . وقد بلغت البلدان الاسلامية من ذلك في العصر العباسي مبلغاً عظيماً : يدل ذلك على ذلك وصف القصور والمساجد التي كان بينها الملوك والامراء في الحواضر الكبرى ، مما يمكنه لنا الشرعري في ذلك العصر كما سترى عند كلامنا من الشعراء . وكذلك وصف الولايم والرياش وسائر اسباب الحضارة الصناعية .

ذكر ابن خلدون انه كان للملوك دور في قصورهم لنسج اثوابهم تسمى دور الطراز ، وكان القائم عليها ينظر في امور الصناعات فيها وتسهيل آلائهم واجراء ارزاقهم ^(٢) . ولما احتك الصليبيون بالشرقيين وجدوا في رقي الشرق الصناعي والاجتماعي والازداعي ما حداهم الى اقتباس كثير من فنونه ومبادئه ، وقد رجعوا الى اوربا يحملون معهم من الشرق ما كان له تأثير في نهضة اوربا الاجتماعية في القرون الوسطى - كترقية دود الحرير وصناعة النسيج والاعجاد والسكر والزجاج والحرف والبارود ، وما الى ذلك مما تجده مفصلاً في المباحث الخاصة عن الحروب الصليبية ^(٣) .

٥ - انتشار المدارس والطب - ذكرنا قبلاً ان الانية كانت سائدة في العرب قبل الاسلام ، وانهم اخذوا بعد ذلك يحفظون في سبل الثقافة ، وما عتقوا ان انشأوا حلقات العلوم الدينية والفنية في المساجد والكتاتيب البسيطة في القرى . ولما استقر الامر للعباسيين زادت حركة التعلم والتتيف وتنظمت دور العلم في الامصار المختلفة ، ولا سيما

(١) ابن الاثير ٦ - ٢٠٦ في سيرة الامين (٢) المقدمة ٢٦٢

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية تحت Crusades

في بغداد ومصر : قال المقرئ « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عليها بعد الاربعة من سني الهجرة ^(١) ، ثم يذكر بعض المدارس المهمة ويتناول مدارس مصر خاصة فيصفها مدرسة مدرسة . ولا شك ان المقرئ يعني بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توفرت لها الاوقاف والاموال ، وتجري على نظم معينة كالنظامية في بغداد ، ودار المعلم والازهر في مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ولكنه لم ينتظم الا بعد القرن الرابع الهجري . واهم مراكز التعليم في العصر العباسي بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ، ويليها حلب وطرابلس ومدائن كثيرة من اقطار مختلفة ^(٢) .

* * *

ومن اسباب الرقي العلمي في هذا العصر تلك الحركة الكبيرة - اعني حركة النقل العلمي من اليونان والفرس والهنود التي عرفت اهل العربية بالعلوم الكونية القديمة واخرجت منهم بعدئذ مشاهير في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيا وسواها . ولا كنا قد خصصنا الفصل التالي للبحث في هذه الحركة الفكرية فاننا نجري هنا بالاشارة اليها وبذكر ظواهرها العامة وهي -

- ١ - تنافس الامراء في العالم الاسلامي على بناء المدارس والكتليات والسماء عليها
 - ٢ - نمو حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد الكتب وانتشارها ^(٣)
 - ٣ - انشاء المكتاتب العامة والخاصة
 - ٤ - حظوة العلماء والادباء لدى الملوك والامراء
 - ٥ - الرحلات العلمية من الاندلس الى الشرق وبالعكس
 - ٦ - المذاهب الفكرية المختلفة ونشاط ادبائها في الدفاع عنها
 - ٦ - اختراع العقلي العربية بالعلوم الطبيعية والفلسفية
- كل ذلك احدث في العصر العباسي تجددًا ظاهر الاثر في الشعر الذي يمثل تأثر الامة بما يحيط بها من اسباب العمران .

(١) المقرئ (مصر ١٣٢٦) ج ٦ - ١٩٢

(٢) راجع من المائدة التي نظمها خليل طوطح في كتابه The Contribution of the Arabs to Education 23

(٣) راجع مقدمة ابن خلدون في صناعة الوراقة

مجاري الحركة الفكرية

ليس للحركة الفكرية في أمة من الأمم منبت خاص تتدفق منه تدفق ينبوع من جوانب التلال . بل هي كسيول الأودية تدفعا المياه القليلة المتعددة من هنا ومن هناك فلا قلبت أن تصير مجاعة شديدة الشكسية . كذلك حياة العرب الفكرية كثيرة الأصول متشعبة الروافد ، وهيئات أن نحاول الآن البحث عن كل أصل وكل رافد منها فانها متصلة بظلمات يتيه فيها الاستقراء العلمي والقياس المنطقي . فما تاريخها الذي نبسطه هنا الا وصف إجمالي للمجاري الكبرى التي تمثل تطور البلوغ في حياة الناطقين بالعربية .

على اننا لا نرى مندوحة من التناظر الى الماضي العربي في القدم لنطلع على بعض العوامل الرئيسية التي كان لها يد في ترقية هذه الحركة الفكرية العربية ، فتربط الماضي بالحاضر ربطاً يسهل لنا فهم مبادئها والنظر في رجاها ، ما اخذوا وما اعطوا . وذلك ما حداثنا الى ان نجعل كلامنا في مسحتين رئيسيتين

- ١ - المصادر الرئيسية التي استمدت منها التربية مجاريها الفكرية
- ٢ - وصف بعض المجاري الكبرى مما له اثر يذكر في الادب العربي

في المصادر الرئيسية

وهو يتناول ما استمدّه العرب من فلسفة اليونان ومن الحركات الفكرية في الهند وايران وهو بحث واسع نلخصه لطلاب الادب فيما يلي استناداً الى مراجع تذكر في حينها .

المصدر اليوناني

كان الجو الذي ظهرت فيه النهضة العربية (الاسلامية) مشبعاً بالنظريات اليونانية . فلقد اغار الاسكندر على آسيا زاحقاً الى الهند ، اخذت العلوم اليونانية تنتشر في الشرق^(١) .

(١) 363-3 Huart, Histoire des Arabes (Paris 1915)

وتخبر عقول المفكرين ببادي. الفلسفة الذين انجبتهم بلاد اليونان ولما نهض الرومان ومدّوا رواقهم على شاطئ البحر المتوسط - على البلدان التي ورثها خلفاء الاسكندر - قضوا على سيادة العنصر اليوناني السياسية، لكنهم لم يقضوا على مدنيّة اليونان لان الرومان انفسهم كانوا يعدّون اليونان اساتذة لهم في العلم والحضارة . فكان في العالم الروماني مركزان كبيران للحركات الفكرية اثينا في الغرب ، ومجرى الفلسفة فيها ادبي اجتماعي ، والاسكندرية في الشرق ومجرى الفلسفة فيها ديني روحي ^(١). وكان طلاب العلم يقصدون هذين المركزين للتبحر في العلوم والفلسفة ، حتى الرومان انفسهم كانوا يؤمنون لها لهذه الغاية ^(٢).

وفي اوائل القرن السادس للميلاد اشتد اضطهاد الحكومة الرومانية على مفكرين اثينا الذين كانوا ينشّطون للتعاليم اليونانية القديمة (الوثنية) ، فاضطر هؤلاء الى هجرة الاوطان والضرب في رحاب الارض ، واسان حالهم ينشد

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها ان خاف القلي متزل

فساقتهم الاقدار الى بلاط كسرى انوشروان ، ذلك الماهل الفارسي المحب للعلم والفلسفة ، فانزلهم على الرحب والسعة ، ولم يمتسوا ان احدثوا في بلاده حركة فكرية جديدة ظهر آذنها في مدرستي نصيبين وجندسابور ^(٣) . ولكنها لم تلبث ان ضمت لوجرع هؤلاء المفكرين الى بلادهم .

وكأنما قدّر انجر فارس ان تكون الصلة الادبية بين الشرق والغرب ، وهذا الفخر الذي فات العنصر الفارسي انقلب الى العنصر السرياني (السوردي) الذي عرف الشرقيين بفلسفة اليونان وعلومهم . ففي اوائل القرن السابع للميلاد كانت بلاد العرب تتمسّض ببولود جديد ، بدينية دينية مركزها الحجاز حتى اذا تعرضت وامتد سلطانها واستولت على سوريا ومصر ومراها من بلدان البحر المتوسط استقرت تطلب غير الفتوح المادي من اسباب التقدم والحضارة ، فانصرفت الى تحصيل العلم والفلسفة واتخذت ادلتها في ذلك

Alexander-Short Hist. of Philosophy 117 (١)

Mosheim, Ecclesiastical Hist. (1832) 1—77 (٢)

Arabic Thought (N. Y. 1922) 42— Les penseurs de l'Islam 111—7 (٣)

واساقتها مفكري اليونان الذين كانت تعاليمهم كما ذكرنا قد ملأت العالم المتبدن شرقاً وغرباً ، ولا سيما تعاليم فيثاغورس وافلاطون وارسطو . ذكرنا ان الفيلسوف ان خمسة هم اساطين الحكمة ، وهم ابيدقليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطوطاليس ^(١) . ولا شك ان الاخيرين اشدّهم علاقة بحياة العرب .

قلنا انه كان في العالم القديم قبل الاسلام مركزان رئيسيان للعلم والفلسفة اثينا والاسكندرية ، على انهما ان يكونا الوحيدين . ففي القرن الخامس للميلاد كان للعلم والفلسفة بضعة مراكز اهمها ، عدا اثينا والاسكندرية ، القسطنطينية وبيروت وروما والرّها (اورفا) وهي في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة ، ونصيبين في شمالي الجزيرة ، وجنديسابور في بلاد فارس « وحران » وكان لفلسفة اليونانية الحظ الاوفر في هذه المراكز العلمية ، اذ على فلاسفة اليونان كان المعرّف في الطبيعيات والالهيات والرياضيات . قال هوسيم في كلامه عن العلم والفلسفة في القرن الخامس بعد الميلاد ^(٢) : « كان طلاب الشرائع يؤمنون ببيروت وطلاب الطبيعيات والكيمياء يؤمنون الاسكندرية . وقد اشتهر معلمو القسطنطينية والرّها والاسكندرية في فن التعليم . حتى ان اساتذة البيان والشعر والفلسفة وسواها من الفنون لم ينحصروا في هذين المركزين بل انتشروا في كل الجهات وانشأوا لانفسهم نوادي ومدارس » .

فاشرق الادنى قبل الدعوة الاسلامية كان تحت تأثير الروح اليونانية الفلسفية . نعم ان تلك الروح كانت تتباين مظاهرها بالنسبة الى اماكن ظهورها ، ففي مدارس القسطنطينية المسيحية ، وفي مدرسة حران الصابئية ، ومدرسة جنديسابور الفارسية « والرّها السريانية » وفي مدرسة الاسكندرية اليونانية الوثنية كان الفكر اليوناني سائداً ولكن سيادته كانت على درجات متفاوتة .

في هذا الجو اليوناني نشأت حياة العرب الفكرية مستمدة من الشرق روحها ومواطنها الدينية التي يعكسها لنا الشيخ السجستاني بقوله « ان الشريعة مأخوذة من الله عز وجل بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور

(١) الفيلسوف اخبار الحكماء . ٦٠

(٢) Mosheim—Ecc. Hist. I—380

المعجزات - وفي اثنائها ما لاسيل الى البحث عنه والنهوض فيه ، ولا بد من التسليم المدمر اليه ، وهناك يسقط لم ويبطل كيف النخ^(١) - ومن العرب نظرياتهم الفلسفية ومبادئها العلمية المبينة على المنطق والنواميس الطبيعية . وقد دخلت هذه النظريات الى الآداب العربية من طريق النقل او الترجمة وكان لها في حياة العرب الفكرية تأثير بعيد المدى . ومن المعلوم أن نقل العلوم او الفلسفة بدأ منذ العصر الاموي^(٢) ، على ان العصر الاموي لم يتسع لتقدم هذه الحركة ، فلما انتقلت الخلافة الى بغداد اخذت حركة النقل تنمو نمواً سريعاً وزادها نشاطاً تنظيماً بيت الحكمة في بغداد والاهتمام بطلب الكتب العلمية من بلاد الروم^(٣) . وبرعاية الخلفاء ولا سيما المأمون اخذ جماعة من نصارى الشام يتجهون الى العربية ، وقد اشتهر منهم جماعة كانوا من اركان النهضة العلمية في ذلك الحين ، وتبعهم سواهم حتى بلغت الترجمة اوجها في القرن الرابع الهجري - ومن اراد الاطلاع على اعماء النقلة والكتب التي نقلوها فليراجع كتاب الفهرست لابن النديم فإنه جمع فاقوس . وقد تناول النقل الطب والرياضيات والفلك واصناف العلوم الفلسفية .

ولم تقتف النهضة عند هذا الحد بل اخذ العلماء من الناطقين بالعربية يدرسون هذه المنقولات ويشرحونها ويصنفون الكتب في موضوعاتها ، وتوسعوا في بعض الفروع الى درجة بعيدة فجاءوا بما يذكر لهم في تدريخ الفكر العام .

ومع ان اكثر الناقلين عن اليونانية والسريانية كانوا من السريان واكثر المصنفين يتون بانسابهم الى غير العرب ، فان اللسان العربي كان الاداة التي استعملت في النقل والتصنيف ، فاصبح لغة العلم والثقافة في ظلمات القرون الوسطى ، وقد رتب اليه كثير من الافاظ الجديدة والمعاني الجديدة بما يعكس لنا الثمر والنثر في العصر العباسي .

ولمنا لا نمحط . اذا قلنا ان الذين تأثروا من ابناء العربية بالفكر اليوناني كانوا فرقتين - فرقة اعتمدت ففلسفة اليونان ولا سيما ارسطو فشرحت اقوالهم وانصرفت الى درس نظرياتهم استكشافاً لاسرار الحكمة وسعياً وراء البحث العلمي ، وهؤلاء هم المعروفون بالفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد واضرابهم - وفرقة اعتمدت نظرياتهم

(١) الفهرست (ل) ٢٤٣

(٢) الفهرست (ل) ٢٤٣ واخبار الحكماء ١١٩

واساليبهم في النضال الروحي أو الكلامي وهم المتكلمون الذين سيمر بنسأ شي من اقوالهم وآرائهم .

فلنتقدم من هنا الى ذكر شي من المصادر الشرقية التي استمد منها العرب كثيراً من حركاتهم الفكرية .

المصدر الفارسي

قال الأستاذ جاكسون استاذ اللغات الايرانية الهندية في جامعة كولومبيا سابقاً « ان فتح المسلمين لفارس اشبه بفتح النورمان لانكلترا . وما معركة القادسية ونهاوند الا مثال لمعركة هاستنيس » (١) . وكأنه بذلك يعني ان العرب وان كانوا اخضعوا فارس وحكموا المنصر الفارسي ، لم يستطيعوا ان يقتلوا الروح الفارسية الفكرية فبقيت متقدة في صدور الشعب تظاير كلما سنحت لها فرصة . ولا شك ان الاداب العربية ربحت شيئاً كثيراً من الفوس يذلل على ذلك العدد الكبير من رجالها الذين هم من اصل فارسي . قال ابن خلدون في مقدمته (٢) - « ان حملة العلم في المسلة الاسلامية اكثرهم المعجم . . . وكان صاحب النحو سيبويه والفارسي ، والراجح من بعدها ، وكلهم معجم في انسابهم ، وكذا حملة الحديث . وكان علما . اصول الفقه كلهم معجم كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام » وكذا اكثر المفسرين . ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم باكتاف السماء لثاله قوم من اهل فارس . ولم يزل ذلك في الامصار (اي حمل المعجم للعلم) ما دامت الحضارة في المعجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامهار وذهبت منها الحضارة ذهب العلم من المعجم « اه . والذي يحقق النظر في علاقة المعجم بالعرب سياسياً ودينياً وفكرياً لا يستطيع الا ان يرى ان التيار الفكري من قبل المعجم كان قوياً في حياة العرب ، واظهر ما يكون ذلك فيما يلي :

(١) Jackson, Early Persian Poetry (N. Y. 1920), P. 14

(٢) المقدمة ٥٤٣ و ٥٤٤

١ - في ان الاقطار المعجبة هي الحقل الذي تمت فيه بدور الشيعة وبانتشار الشيعة بين المعجم اكتسبت اللغة العربية كثيراً من الدواطف والافكار الفارسية . قال الدكتور مور استاذ التاريخ الديني في جامعة هارفرد سابقاً « ان ما زاه من الفار و التعلب عند بعض الطوائف الشيعة ناشى . بلا ريب عن ان كثيراً من اقباع زرادشت انضروا الى الاسلام تحت لواء الشيعة ^(١) » . وفي ذلك اشارة الى ما تسرب الى اللغة العربية من ديانة المعجم القديمة بانضمام الجوس الى الاسلام وتعريبهم .

٢ - في ان زعماء الحركة الفكرية العربية اكثرهم من المعجم ، وقد تقدمت الاشارة الى ما ذكره ابن خلدون من ذلك . وتريد هنا ان ملوك بني ساسان ولا سيما كسرى انوشروان الذي سبق الدعوة الاسلامية بقليل من الزمن كانوا قد اهتموا جداً باحياء العلوم والاداب الايرانية ، وان العرب انفسهم كانوا ينظرون الى المعجم نظرهم الى قوم متقدمين عليهم في الحضارة والعلم ، وعندهم لكسرى المذكور مقام فريد . وكان في البلاد المعجبة قبل الاسلام مراكز مهمة للعلم اهمها جنديسابور حيث التقت تحت رعاية العرش الفارسي الفلسفة الهندية بالفلسفة اليونانية ، وقد مر الكلام على هذه المدرسة في كلامنا عن اليوناني .

٣ - في المكتب التي نقلت عن الفارسية . ذكر ابن النديم ما يزيد على اربعين كتاباً اكثرها يرجع الى اصل فارسي والباقي كتب تحت رعاية الفرس ^(٢) . ومن اهم ما تسرب من الفرس الى حياة العرب الادبية الرسائل او الكتب التي تبحث في الفلسفة الادبية ككتاب مسكويه « ادب العرب والفرس » . قال العلامة الروسي انوستراتف ان هذا الكتاب يرجع الى اصل فارسي . وكذلك كتاب الادب لابن المقفع وكتب اخرى في هذا الباب . ومن اراد معرفة ايمانها فليراجعها في الترجمة الانكليزية لكتابه « تأثير ايران في آداب العرب » ^(٣) .

وقد ذكر الفهرست اسماً الذين نقلوا من الفارسية الى العربية نخس منهم هنا اين

(١) Moor, Hist. of Religion (N. Y. 1919) 458

(٢) الفهرست (ل) ٣١٣ - ٣١٦

(٣) Iranian Influence on Moslem Lit. (Tr. Nariman 1918) P.53

المفتع المشهور وآل نوبخت - موسى ويوسف ابني خالد - ابا الحسن علي بن يزيد التميمي - حسن بن سهل الفلكي - البلاذري - جبلة بن سالم كاتب هشام - اسحق ابن زيد - هر بن فرخان وسواهم^(١). ولو ان المقام يقتضي الاسهاب في ذكر اعمالهم وشرح ما نقلوه لذكرنا هنا الكتب التي نقلوها كتاباً كتاباً ولكن ذلك ليس غرضنا هنا .

١ - في العلاقة الجغرافية والتاريخية التي زاما بين الفرس والجاهلية . من ذلك ان مملكة الحيرة العربية كانت مركز النفوذ الفارسي بين موب الجزيرة ، وان ذلك اقتضى ان يكون بين الجنتين احتكاك ادبي اجتماعي . وما يشير الى هذا الاحتكاك ما ذكره القفطي^(٢) من الحارث بن كلفة طبيب العرب ان اصله من ثقيف من اهل الطائف وقد رحل الى فارس واخذ الطب عن اهل تلك الديار من اهل جنديسابور وغيرها ومن يدري انه لم يكن غير الحارث من عرب الجاهلية الذين رحلوا الى فارس في طلب العلم ۝ وهذه الصلة الادبية لم تنقطع بظهور الاسلام فان انتشار العرب بالفتح في الاقطار الفارسية جعل احتكاكهم بالفرس اشد مما كان قبلاً . ومع ان القوم الكبير من كتب الفرس ذهب بعد انحلال دولتهم فقد حافظ المجوس على عدد مهم منها بقي في الدولة العباسية الى ايام عبادة بن طاهر الذي اطلق يد التلغ فيها^(٣) . والذي يدقق في تاريخ فارس يرى ان الآداب والعلوم والتقاليد الوطنية الفارسية بقيت سالمة بعد الفتح الاسلامي في الولايات الشرقية والجنوبية كخراسان وفارس ويدلنا على ذلك ان خراسان كانت بؤرة الحركات السياسية التي ادت الى اسقاط الامويين .

اما ولاية فارس (وهي في جنوبي ايران) فقد كانت حصن المجوس . هناك حفظت كتبهم ومعتقداتهم الدينية والفلسفية وكان بعض مؤرخي العرب يرجعون اليهم^(٤) . وقد وصف جغرافيو العرب كالاصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت واليعقوبي تلك البلاد وصفاً يدل على ان المجوس (اتباع زرادشت) كانوا يتمتعون بالحرية الدينية في ولاية فارس ، وانهم كانوا لا يزالون محافظين على الشيء الكثير من الكتب الفارسية القديمة .

(١) الفهرست ٢٤٤ (٢) اخبار الحكماء ١١٣

(٣) Browne, Lit. Hist. of Persia (1928) I—347

(٤) Iranian Influence 21, 25, 26

وهنا لا يستأى إلا أن نذكر « الشورية » وهي فرقة من أصل عجمي كانت طبعاً تنصب للعجم وتفضلهم على العرب . ولا شك أنها كانت من حملة الروح الفارسية إلى اللغة العربية ، وكذلك كان الرنادقة الذين كان يثهم بمذهبهم بعض من اكابر الادباء والشعراء كـ بشار وابن المقفع وسواهما . وكانت الرندقة تطلق بالاكثـر على المجوس او الشوية^(١) أي على اتباع زرادشت او اقباع ماني الحكيم وكلاهما فارسيان .

المصدر الهندي

يصب تبين السيل الذي جرى فيه الفكر الهندي إلى نفوس الناطقين بالعربية ولكن مما لا ريب فيه أنه كان للفلسفة والعلوم الهندية تأثير شديد في تكوين الفلسفة العربية . وقد تقدم معنا أن مدرسة جنديار كانت قبل الاسلام ١١ ولا سيما في أيام كسرى انوشروان ، مركزاً علمياً التقت فيه علوم الهند بطولم اليونان ، ومنه حمل الشيء الكثير إلى العرب . ونلاحظ شيئاً من العلاقة الفكرية بين الهند واسم الشرق الأدنى قديماً في ما القاه مسكوتد المتحف التجاري في فيلادافيا على الجمعية الفلسفية الأميركية حيث يقول ان الهنود كانوا يرسلون سفراء إلى سلوقية وانطاكية واسكندرية وغيرها ، وكان هؤلاء السفراء أيضاً دعاة دينيين^(٢) . على أن احتكاك العرب بالعقيدة الهندية لم يبلغ كماله إلا بعد الاسلام ، فإن امتداد العرب بالفتح قرب العناصر الهندية من العناصر السامية العربية وجعل بينها علاقة كبيرة في التجارة والعلم والدين .

من أيام بني أمية إلى أيام محمود بن سبكتكين (أواخر القرن الرابع للهجرة) كان الفتح الاسلامي باباً قسرب المبادئ الفلسفية الهندية إلى نفوس العرب . وتوأم الفلسفة الهندية التي ظهر أثرها في تاريخ الفكر العربي الزهد والفناء الروحي ، وقد انتشرت هذه المبادئ الروحية بانتشار البوذية في ولايات إيران الشرقية واحتكاكها هناك بالاسلام بعد الفتح^(٣) . وإذا اعتبرنا ما اخذه افلاطون وفيثاغورس من فلسفة الهنود يحق لنا أن نقول ان شيئاً من فلسفة الهنود وتعاليمهم وصلت إلى العرب عن طريق اليونان أيضاً .

(١) عن لسان العرب والقاموس

(٢) Early Communication Between China and the Medit. (1921) (٢)

Moore-Hist. of Religion 447 (٣)

وفي التهرست لابن التديم ذكر الكتب الهندية المشهورة والذين نقلوا منها الى العربية، ومنها كتب الطب والحرفات والاسرار والاحاديث والتوهم او الحر والمواظ والحكم، ومنها كتاب ملل الهند واديانها^(١). وجاء فيه نقلاً عن الكندي «حكى بعض المتكلمين بان يحيى بن خالد البرمكي بعث رجلاً الى الهند ليأتيه بمعايير موجودة في بلادهم وان يكتب له اديانهم فكتب له هذا الكتاب». قال محمد بن اسحق: الذي عني بامر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة واهلها بامر الهند واحضارها علماء طليها وحكمتها^(٢). ويذكر الجاحظ عن لسان ابي الاشعث ان يحيى بن خالد اجتلب اطباء الهند مثل منكه وبازيكر وقلبرقل وسندبار وفلان وفلان^(٣).

والخلاصة ان مجرى الفكر العربي له دوافد ثلاثة كبرى، اليونان وهو اهمها ثم الفرس والهند، وان ما اكتبه العقل السامي العربي من هذه المصادر غير السامية ايقظ فيه حركة قوية ظهرت غارها الفلسفية والعلمية في اذن التمدن الاسلامي. وسنشير الى كل من هذه المصادر في سياق كلامنا على المجاري الرئيسية في حياة العرب الفكرية.

المجاري الفكرية العامة

للهركة الفكرية عند العرب ثلاثة مجاري كبرى - الفلسفة والكلام والتصوف. وغاية الفلسفة التوصل الى المبادئ الاولى عن طريق العلم، واصحابها في الغالب اتباع اليونان وتجد لهم في الشعر العربي نغفات تنم على آرائهم كقصيدة ابن سينا في النفس التي يقول فيها^(٤)

هبطت اليك من المحل الارفع | ورقاء ذات تمزق وفتح
محبوبة عن كل مقلة عارف | وهي التي سمرت ولم تتبرقع
وصلت على كرمك اليك وربما | كرمت فراقك وهي ذات توجع

(١) التهرست (ل) ٣١٥-٣١٧

(٢) التهرست ٣٤٥ (٣) البيان والتبيين (س) ١٠-٩٠

(٣) راجع في دائرة المعارف للبستاني تحت ابن سينا

أينفت وما ألفت فلثا واحلت
الفت مجاورة الخراب البلقع
واظلتها نيت عهودا بالحي

ومنها -

فلأني شيء أعطت من شاعره
سامر الى قمر الحفيض الاوضع
ان كان اعطها الاله الحكمة
طوبت عن الفطن اللبيب الاروع
اذ عاقها الشرك الكشيف فصداها
قفص من الأوج الفسيح الارفع
فكأنتها برق تألق بالحي
ثم انطوى فكأنته لم يلمع

وفي الشعر العربي كثير من الاشارات الفلسفية والادواخ العلمية التي كانت شائعة في العصر المباني

كقول ابى القاسم الاصفهاني يصف حماماً في دار صديق له (١)

ودخلت بيتته وذوت جميعه
وشكرت رضواناً ورافة مالك
والبشر في وجه الفلام نتيجة
لقدمات ضياء وجه المالك
وقول ابى علي المهندس (٢)

تقسم قلبي في حبة مشرر
بكل فتى منهم هواي منوط
كأن فزادي مركز وهم له
يحيط واهواني اذيه خطوط

ولم ينحصر ذلك في اقوال العلماء والفلاسفة بل تعداهم الى اهل الادب ، كقول المتنبي مشيراً الى اختلاف المفكرين في مصير النفس

تخاف الناس حتى لا اتفاق لهم
الأعلى شجيرة والخلف في الشجب
فقبل تخلص نفس المرء سالمة
وقيل تشرك جسم المرء في الطير
وقوله ذاكرة فلاسفة الاقدمين

من مبلغ الأعراب اني بعدها
جالست رسطا ليس والاسكندرا

وصحت بطليموس دارس كتبه متحيزاً متبدياً متحيزاً
ولقيت كل الفاضلين كأنفسا ردّ الآله نفوسهم والاعصرا

وقول المرتي في عالم الافلاك

العالم العالي برأي معاشر كالعالم الهوي يحس ويعلم
ذهمت رجال ان يسارقه تبق العقول وانها تتحكم
وقوله - اركان دنيانا خرافات اربع جعلت ان هي فوقنا اركانا
وقوله - في مصير الروح

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غابت به
ان كان يصحبها الحبيب فقلها تدري وتظن للزمان وعبه
او لا فكم هذيان قوم غاير في الكتب ضاع مداده في كتبه
والمرتري كثير من النفثات الفلسفية وسقى ذلك في حينه .

ولو نحررنا جميع ما دخل الشعر العربي من هذا الباب نعرفنا ما كان للفلسفة والعلم
الطبيعية من التأثير في الادب . وقد كنا نود ان تثبت هنا زبدة الآراء الفلسفية التي
اقتبسها العرب من سواهم ولا سيما من افلاطون وارسطو والافلاطونية الجديدة . ولكننا
نكتفي هنا بالإشارة اليها ونحيل المتصق الى مصادرها الرئيسية .

اما الكلام فجاء شئ يخص منها بالذكر المعزلة والاشمرية .

المعزلة

ظهر الاسلام فاعشقه العرب وامتد بالفتوح الاولى الى غير العرب ، ولم يكن كل
الذين اعتنقوه وقاموا بفروضه ونوافله في درجة واحدة من خلوص الايمان والامتداد ، بل
كان شأنهم في ذلك شأن المسيحيين ايام قسطنطين الكبير . فان انقلاب الدولة الرومانية
بشقة من الوثنية الى المسيحية ليس بدليل على ان كل الذين دأبوا يومئذ بالدين الجديد
استأصلوا من اعقاب نفوسهم مبادئ مذهبهم الاولى ، بل بقي بعضهم محافظين باطنياً على

على معتقدات غير مسيحية لم تلبث ان ظهرت في تاريخ المسيحية واشتد خطرها على المبادئ الحقيقية ، حتى كان ما كان من الاصلاح ، وما نجم عنه من التطورات الجديدة .

هكذا الاسلام اعتنقه كثيرون ممن بقي في نفوسهم اثر من غيره ، ولكن ذلك الاثر لم يظهر الا بعد ان صلح له الجو ، ولا سيما بعد ان خرجت الدولة العربية تدريجياً من بساطتها الاولى الى حياة الحضارة والعلم . هذه امور ليس بالهين اقامة الدليل التاريخي عليها لاننا من قبيل العوامل الخفية التي ندرسها بالاجتهاد والاستنتاج ، ولكن لا بد من ذكرها قبل التبسط في الحقائق الراهنة . والذي لا جدال فيه انه في الدولة الاموية بدأت تبشير حركة فكرية لم تعه في ايام الراشدين ، وما ذلك الا لان العقل كان قد بدأ يستنير بانوار جديدة . وصعب هذه الاستنارة تطورات فكرية — منها حركة المعتزلة التي نحن بصدددها . واول معتزلي حسب النص التاريخي هو واصل بن عطاء ، وكان من اتباع الحسن البصري^(١) ثم اخذ مذهب في الانتشار حتى بلغ ابانته في ايام المأمون العباسي ، ولكنه عاد الى التقفر والضعف حتى قضى عليه ، ولم يعد الى الظهور كذهب خاص .

والمعتزلة ، على اضطراب كثير من نظرياتهما ، تحاول اخضاع النظريات الدينية لحكم العقل . وهي بلا ريب نتيجة منطقية لاحتكاك الفلسفة بالدين . فقد جاء الاسلام وتعاليمه واضحة ونصوصه محدودة ، وهي مبنية كسائر النصوص الدينية على التسليم لله والايان بوحيه المنزل . ولم يخامر قلوب المؤمنين الاولين شك فيها ولا شغلهم بحث عن اسرارها ، فلم يهمهم ازاء تقوالم البسيطة الخالصة من شوائب الريب ان يحكيوا النقد العقلي في كل ما آمنتم به قلوبهم واطمانت اليه نفوسهم — وتلك نزوة الايمان الراهن .

وانك اذا استقصيت اخبار الدعوات الدينية لتجد من الصفات الملازمة للدعاة الاولين . فلما لعبت في الجو الاسلامي رياح الفلسفة ، وتسرب الى العقول شي من نظريات الحكمة اليونانية^(٢) ولا سيما المثالية (الارسطورية) شرع المفكرون يبحثون ويتيسون ويقولون علام ولم ؟ فقادهم ذلك الى مسائل ابعدهم من بساطة المعتقد المبني على التزويل^(٣) من

(١) راجع الكلام عن النظام في كتاب الفرق بين الفرق للبندادي ١١٣ . وعن الجاحظ في الملل والنحل للشهرستاني

(٢) قد العلم والطلاء ٩٥ (مصر ١٣٨٠) والبندادي ٩٤

هذه المسائل - مسألة خلق القرآن « ومسألة صفات الله ، وحرية الارادة ، وقدمية الكون وكيفية المادة وما شاكل .

وقد رفض المعتزلة اذية القرآن وجعلوه مخلوقاً ^(١) ، وكان من اهم انصارهم في ذلك المؤمن وامره مشهور .

وكذلك نفوا الصفات الالهية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسع والبصر والكلام . قال ابن خلدون في كلامه عن المعتزلة : « فقضوا بنفي صفات الماني لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزمهم ^(٢) ذلك لانهم نظروا الى الصفات كوجودات يلزم منها تحديد وجود الله المطلق وهذا عندهم منافي للاحكام العقلية » .

على ان منهم من لم ينكر صفات الله وانها سرمدية بل ذهب مذهب ابن العلاف (المتوفى ٢٢٨ هـ) ان صفات الله ليست بشيء خارج عن جوهر الله بل هي اشكال يتشكل فيها ذلك الجوهر . وكان يقول ان علم الله هو الله ، وان قدرة الله هي الله ^(٣) . فالارادة مثلاً ليست صفة خارجية يتصف بها الخالق بل هي صورة اخرى لعله وهكذا جميع الصفات مظاهر مختلفة لجوهر واحد . وقد زاد على ذلك احد انتمهم ابراهيم النفلان المتوفى ٦٣١ هـ ، فقال ان الله لعله السرمدي بالحق لا يوجد غيره - ان ارادة الله هي لعله . فالمطلق عندهم (الله) لا يوصف بنفي ولا اثبات ، فلا يقال هو واحد او اكثر . ولا يوصف بالتقدم عندهم غير الله . ومع ان بعضهم اثبتوا لله احوالاً اربعة هي العالمية والقادرية والحيثية والوجودية ، فقد فرقوا بين اثبوت الوجود بالذات وقالوا انها موجودات غير موجودة ^(٤) : فكأنهم يعنون بذلك ان هذه الصفات حالات تظهر فيها الذات لا صفات زائدة عليها . وهذا قريب من مذهب ابي حاشم ابن الجبائي المتوفى ٣٦١ هـ ، اذ جعل لجوهر الله احوالاً شتى يظهر فيها . ومع ان هذه الاحوال لا توجد بنفسها ولا تتصور بدون الجوهر فهي تتازع عنه وبها يعرف الجوهر ^(٥) . ومنهم من يذهب الى ان الله يعلم

(١) مقدمة ابن خلدون ٩٦٩ وعلامة ابن رشد ٥٧

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون تحت علم الكلام

(٣) نقد النظم والطاء ٨٨

(٤) شرح تهذيب الكلام ١١١

(٥) المال والنحل للشهرستاني حاشي ابن حزم (مصر ١٣١٧) ١ - ١٠٢

جل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها وأنه لا يقدر أن يخلق الذات ، وإنما هو قادر أن يخرجها من العدم إلى الوجود ^(١) .

فالمعتزلة في ذلك تخالف الصفائية ، أي التي تثبت الصفات لله . والارادة عندهم حرة وقد فُسِّرَ الجاحظ (وهو معتزلي) الارادة بأنها حال من احوال المعرفة ، وحرية العمل او الارادة ان يعرف العمل من فاعله . فالانسان عند المعتزلة غير لامسيرة وهو مسؤول عن اعماله ، وأنه على اكتسابه يقترب العقاب والثواب ^(٢) .

ويضادهم في ذلك الجبرية . وهم يقولون لا علة ولا مطول في الأشياء التي زأها او نشعر بها ، لان كل شيء مسبب مباشرة عن الله . فإذا نمت فالتناس وضع في بعمل خاص من الله . وإذا كتبت فتحررك القلم واردة الكتابة وما يتعلق بهما قد اتصلت بي رأساً من الله . فلا دافع لما يريد الله ، وما الانسان الا واسطة لتنفيذ ارادة الله ^(٣) . وعلى ذلك الاشارة الذين يذهبون الى ان الله يخلق كل عمل . وزاد عليهم الباقلاني تعطفاً بقوله بل الله يحدد كل شيء . (حتى اللون مثلاً) كل لحظة . فأيضاً الله الآن وما يخلقه قد يجيء في اللحظة التالية ما يناقضه - كل شيء ، كل عمل ، كل حركة في الكائنات متوقفة مباشرة على ارادة الله .

هذه التعاليم التي ترجع كل شيء الى ارادة الله مباشرة تدور لنا شريعة القضاء والقدر في اعظم مظاهرها . وليست المعتزلة على ذلك ، لان القول بحرية الارادة وبمسؤولية الانسان يناقضه . وحجتهم انه لو كان المبدع غير خالق لافساده الاختيارية لكان القول بالثواب والعقاب لغواً .

فردية الكون

وهذه المسألة زأها في كل نظام فلسفي ، فالفلسفة المادية مثلاً تجعل للكون قديماً (أي ازلياً لا بداية له) والروحية تجعله محدثاً . وواضح ان الدين والكلام يذهبان الى

(١) في العلم والعلماء ٨٨ (٢) فلسفة ابن رشد ١٠٠

(٣) الشهرستاني هامش ابن حزم ١ - ١١٠

حدوث الكون بقدرة الخالق المبدع المريد - فاقول المعتزلة في هذا الشأن ؟ قال ابن رشد في كلامه عن المعتزلة ^(١) : « واما المعتزلة فانه لم يصل اليشاع من كتبهم في هذه الجزيرة (الاندلس) شيء تقف منه على طريقهم في هذا المعنى ويشبه ان يكون طريقهم من جنس طرق الاشعرية » - فكأنه يقول ان المعتزلة والاشعرية سيان في نظرها الى قدم الكون . وهو على ما ارى غاية ما يصل اليه الباحث عن معتقدهم . فانهم وسائر المتكلمين سواء في هذا الصدد ، الا ان نظرهم الى الله غير نظر اهل السنة - فهم اميل الى جعله مصدراً للمقتل القاتل الذي تفيض منه عوالم النفس والطبيعة - وهذا يجعل الجنة والخلود والجحيم في نظرهم غير الاحوال المحسوسة التي يصورها الدين - ولا ريب ان للفلسفة اليونانية تأثيراً ظاهراً في ساداتهم ، فالقول في ازالة صفات الله وتفسيرهم تلك الصفات بانها هي نفس جوهر الله او انها اعراض لجوهر واحد ، وقول شيخهم النظام ان النفس مجسم الجسد وعلى شكله تتخلل دقائقه كما تتخلل الزبدة دقائق اللبن ، مأخوذ من قول ارسطو في المادة وصورتها - وقول معمر السلي في صفات الله ومطلقته يقود الى الرأي الاتحادي (اي ان الله والكون واحد) الذي هو اثر من آثار الافلاطونية الجديدة - صوغ بالصيغة الهندية . واما نظرية بعضهم ان الله لمعرفته الكلية بالخير لا يستطيع ان يريد غيره لبياده فيقرب ان يكون نفس ما حلم به الرواقيون ^(٢) . وللنظام رأي في الخلق يكاد يكون نفس الافلاطونية الجديدة .

والخلاصة ان الاعتدال مبدأ فكري يحاول ان يستدير بالمثل ويخضع كل شيء لاحكامه ، لكنه اراد ان يجمع بين العقل والنقل متسكاً بكلية فلم يوفق تماماً ، ولذلك كثرت اضداده ومعتقدوه .

الاشعرية

وهم ينتسبون الى ابي حسن الاشعري المتوفى ٩٠٣ م ، وكان من تلامذة المعتزلة في بغداد ولكنه لم يبق كذلك بل انقلب عليهم وصارت فرقته اشد الفرق في مناقضاتهم ^(٣) ، واليك بعض اوجه النضال بين الفرقتين .

(١) راجع النظامية في الفرق بين الفرق ١١٣ واليهشية ١٦٩

(٢) راجع فلسفته ٢٥

(٣) ابن خلكان ١-٣٢٦

في ماهية الله

كان الجمهور من المؤمنين ينظرون الى ما ذكره الكتاب المتزل عن اعضاء الله الجسدية كاليد والعين والاذن نظراً حرقياً . اما المعتزلة فأتخذت ذلك من قبيل التأويل ، فقالوا لا يد حقيقة لله وانما هي اشارة الى قوته وبسطه ، وهكذا فسروا سائر الاعضاء . فقام الاشعري وعلم ان الله يمكن رؤيته في الآخرة وان له ممماً وبصراً ويدين ووجهاً الخ ، ولكن ماهية تلك الاعضاء خارجة عن محقول الانسان او هي وراء العلم ^(١) .

المعاد

ذهبت المعتزلة الى ان الدليل العقلي هو الهادي الذي يهدينا الى معرفة ما وراء الطبيعة ^(٢) ، وان حالة النفس من عذاب او نعم انما هي حالة عقلية لاجسدية . فقال الاشعري بل العقل لا يستطيع الهداية ، فما علينا الا التصديق والايان بالوحي المتزل وان الامور التي ذكرها الكتاب كجلوس الله على العرش والحوض والموقف والفرودوس والملائكين والمنكر والنكير وما شاكل - كل ذلك حقيقة واقعة لا صور خيالية كما يدعي المعتزلة .

صفات الله

وفي هذا الباب يملك الاشعري مسلكاً وسطاً بين السنة والمعتزلة فهو يقول بصفات الله وقدميتها على ان تلك الصفات اشكال او تكيفات لجوهره ، فلا هي من ذاته ولا هي غيرها ^(٣) .

(١) الشهرستاني هاشم ابن حزم ١ - ١٣١ و ١٣٢

(٢) راجع مناقشات ابن تيمية في ذيل فلسفة ابن رشد ٨

(٣) او كما يقولون هي منة بنسبة الواحد الى الشرة فهو ليس بالشرة ولا غيرها

رأيه في القرآن

سلك في ذلك مسلكاً أصبح معروفاً أهل الكلام ، وهو ان القرآن كلام نفسي قديم غير مخلوق ، وانما المخلوق هو الصور اللفظية لذلك الكلام النفسي .

الجبر والاختيار

(القضاء والقدر وحرية الإرادة) . ليس عند الأشاعرة من إرادة حرة . قاله (القديم الأزلي) عندهم هو المطلق المدبر لكل حركة - خالق الإنسان وأعماله وما الإنسان إلا آلة في يد الله ، مسير عقلاً وجسماً بإرادته الإلهية ، وليس له من عمل إلا الكسب - وهو كما في القاموس « تعلق قدرة العبد وإرادته بأفعل المقدور » أي تطبيق إرادة الله على العمل . وهذا طبعاً يقود إلى الاعتقاد بأن الله خالق الخير والشر وهو مخالف لمبدأ الاعتزال القائل بأن الله لا يستطيع ان يريد غير الخير . وان الخير والشر يدركهما الإنسان بالعقل وعلى ذلك فهو مسؤول عن أعماله .

وبدأ الأشعرية ينفي من الطبيعة نظام العلة والمعلول ، لأنه يحل الله علة كل شيء . صغيراً كان أم كبيراً ، جسدياً أم عقلياً . فإذا مسست النار مثلاً لم تحترق النار لان الحرق من طبيعتها ، بل لان الله يخلقها عند ميتك أيامها . وعليه لا يتعرب او لا يستحيل ان يحترقك تشعر بالبرودة عند مسك النار . لان نوع الحس راجع رأساً إلى إرادته فما العجائب اذن بخوارق لنظام الكون ، بل هي من أعمال الله في المألوفة عندنا .

قلنا ان المبدأ الأشعري معول أهل الكلام . والنضال الذي احتدم بين الأشعرية والمعتزلة انتهى بانتصار الأولى ، ولم ينقض القرن الرابع للهجرة حتى انقضى معها عصر المعتزلة .

النصروف

تباينت الآراء في اصل هذه الكلمة فذهب بعضهم الى انها من صفاء النفس ، وهو

قول المتصوفة . وقال غيرهم بل هي من اصل يوناني معناه الحكمة . على ان ابن خلدون يرى كما يرى كثيرون غيره ان اشتقاق اسمهم من الصوف ^(١) .

كان المؤمنون الاولون من الصحابة والتابعين معروفين بالفضاعة عاكفين على الصلاة والعبادة معرضين عن زخرف الدنيا وزينتها ، فلما تقدم المسلمون في الحضارة ومالوا الى الترف في العصر الاموي وما بعده ، نشأت بين اهل الدين حركة مرماها الرجوع الى بساطة الايمان الاولى ونبذ الشهوات العالمية . على ان هذه الحركة لم تكن الا توطئة للتصوف الحقيقي الذي عرف بعدئذ . فاننا نراه في ابائه تظافاً روحياً خاصاً بميت بشي . من القرابة الى النظمه روحية سابقة . فاهي هذه الانظمه ؟ قال المستشرق فون كرومر ^(٢) ان اصل الصوفية عربي يرجع الى نظام الزهد والتك الذي كان شائعاً في المسيحية قبل الاسلام . والدليل على ان عرب الجاهلية احتكروا زهاد المسيحيين وعرفوهم « ما ورد في اشعارهم منهم » .

والذي يظهر لنا ان في كلام فون كرومر بعض الحقيقة لا كلها . فقد يكون نساك المسيحية المثال الذي تحذاه متصوفو الاسلام ، ولكن النظام اللاهوتي الصوفي لا يقف عند ذلك ، بل يرجع الى مصادر يونانية وهندية وفارسية . فالافلاطونية الجديدة التي مر ذكرها آنفاً كانت قد خثرت الفكرية الشرقية بكثير من المبادئ اللاهوتية ، ومنهما التجسد ، وعودة النفس الى اصلها (العقل الفعال او الله) . اما الاثر الهندي في التصوف فثراء واضحاً في فكرة الاتحاد الروحي . فالفلسفة الهندية تعلم ان الروح الاعظم والعالم المادي واحد (وحدة الوجود) وكل ما في العالم يجري من ذلك الروح واليه يعود — هو الموجود الساطع الذي يرى في قرص الشمس كما يرى في عين الانسان . هو النور الوضاء الذي يضيء في السماء وفي الارض وفي نفس الانسان . وهو الذات العاقلة الخالدة السميعة . على ان الرجوع الى الروح الاعظم يقتضي فهم اسفاره المقدسة (القياد) وممارسة

(١) راجع المقدمة الصوفية لابن الوردي و١٤٥٠ ابن خلدون ٢٦٧ ودائرة المعارف البريطانية تحت Sufism . ويظهر ان ليس الصوف قدم في الاسلام فقد ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبصار خارجة الى زمن الحسن البصري

الطقوس والعبادات الخاصة ، ولا سيما مراسم التقوى والتوبة . وانما يظهر العقل من كل فساد بممارسة الفضيلة لنفسها دون النظر الى ثواب . ولا يستمتع بالاتحاد بالروح الاعظم (برها) الا الذي يتصف بالصفات التالية -

- ١ - التمييز بين ما يبقى وما يفتي
- ٢ - عدم الاكثار لثواب او صرة
- ٣ - الحصول على السكوت التام وضبط النفس
- ٤ - الرغبة في الخلاص

فهناك شبه بين الاتحاد الصوفي والفناء الهندي « الزفانا » ولكن الاختلاف بينهما بين ، لان الاول يقضي باستقلال ذاتية النفس في الوجود الاعظم ، وان يمكن قد توغل بعضهم في القول بالوحدة ^(١) ، والثاني يقول بتلاشيها . وسترى في شرح الصوفية بعد ان فيها اثر كبيراً من التعاليم الهندية التي كانت منتشرة في بلاد المصم والهند قبل الاسلام ، والتي جعلت التصوف صفة غير الصفة الزهدية التي عرف بها اقياء المسلمين الاولين : هؤلاء لم يؤمنوا لاهوتاً جديداً ولا خرجوا عن نصوص القرآن في ماهية الله وحالة النفس بعد الموت .

اما الاثر الفارسي فقد ذهب بعضهم الى انه يرجع الى المانوية والمزدكية اللتين كان للزهد فيهما شأن يذكر ^(٢) . ولعل اهم اثر فارسي في الصوفية وفي سواها من الحركات الفكرية في الاسلام ان الذين قاموا بهذه الحركات استكثروا من اهل فارس ، فهم ورتة العقلية الفارسية التي كانت قد تأثرت من تعاليم الهند ومن تعاليم الزمان الموحدين ، كتابي الحكيم وسواه . وماني ثنوي ، وخلاصة تعليقه كما شرحه ابن النديم ^(٣) : ان للسكون مبدأين النور والظلمة ، ولكل من هذين المبدأين اجزاء ، وباشتياك الاجزاء النورانية بالآخرى حدث السكون . فالخلاص (او السعادة) قائم على تطهير العالم من اجزاء الظلمة المشتبكة باجزاء النور . وسيظهر اثر ذلك في الصوفية .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ٤٧٢ و٤٧٣

(٢) Arabic Thought 190

(٣) الفهرست (د) ٣٢٧ - ٣٣٨

يؤخذ من تعاليم ائمة المتصوفين ان نقطة الدائرة في نظامهم هي الوحدة ^(١) اي الاتحاد النفس بالله . وهذا المبدأ يوافق المبدأ الهندسي كما مر معنا ، والمبدأ اليوناني (الافلاطونية الجديدة) ، الا انه يختلف من هذا بان الحصول على الوحدة لا يتوقف بالاكتر على العقل بل على التقوى وقمع الشهوات . قال الشيخ البغدادي : التوحيد معنى تضمنه في الرسوم وتندرج العلوم ويكون فيه الله كما لم يزل ^(٢) . واخذ عنه الحلّاج المتوفى ٣٠٩ وذهب مذهب الغلاة من الشيعة ، وقال بالحلول اي حلول الله في الاجسام وبالتناسخ ، وقد قتل بافتاء اكثر علماء مصره ^(٣) .

وفكرة الحلول ظاهرة تماماً في كلام ابى زيد البسطامي وهو اول من قال بالفتاء ^(٤) ، او الذي خطا الخطوة الاولى من التصوف الى الحلول ^(٥) . ومن مبادئهم ان الله هو الموجود الحقيقي - لا وجود حقيقي سواه (افلاطونية) ، ولكن في الانسان نفساً عاقلة هي صورة معكوسة عن نفس الله ، وهي قادرة ان تقترب من الحقيقة الالهية . وبما انه لا وجود حقيقي لغير الله فعرفة الله لا تحصل بواسطة مادية (بالحواس او الدليل) بل بالحام روحاني ، وان هذا الاحام يحصل في حالة التجرد عن الدنيا ^(٦) . ومع انه لا وجود حقيقي لغير الله فبأن هذا الوجود يمتزج بالغير الحقيقي . وهذا الامتزاج اساس العالم المادي (قابل ذلك بالانوية) . فالشر نتيجة لازمة لامتزاج هذين الوجودين . وغاية النفس الاتحاد بالله ، وكل ما يساعد على بلوغ هذه الغاية فهو صالح ، وكل ما يحول دونها فهو شريد (وبهذا تتفق جميع الاديان والمذاهب) . وهذا الشوق الى الاتحاد بالحقيقة الالهية هو الحب الذي يتفنى به الصوفيون ، ويجعلونه اساس ايمانهم (راجع اشعار ابن الفارض اكبر شاعر متصوف عند العرب)

ومن اكابر المتصوفين عند العرب محيي الدين بن العربي المتوفى ٦٣٨ هـ . كان اولاً من اتباع ابن حزم المشهور . وفي تعاليمه يظهر مبدأ الحلول والوحدة تمام الظهور . فن اقواله في الله

(١) ابن خلدون ٦١٣ (١) الرسالة الفقهية (١٣٣٠) ١٣٥

(٢) ابن خلدون ١ - ٢٠٦ وابن النديم ١٩٠

(٣) دائرة المعارف البريطانية تحت Sufism

(٤) Nicholson, Lit Hist of Arabs 390

(٥) فاسقة ابن رشد ٢٢ ومقدمة ابن خلدون (التصوف)

« فذلك قال تعالى انا عند ظن عبدي بي - اي لا اظهر له الا في صورة مستقده فان شاء اطلق وان شاء قيد . قاله المتقدم تأخذه الحدود وهو الاله الذي وسعه قلب عبده ، فان الاله المطلق لا يسه شي ، لانه عين الاشياء وعين نفسه . والثاني لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسها » اه (١) .

ومن شراح ابن العربي عبد الرزاق المتوفى ٥٧٣٠ هـ ، وهو يقول بجمرة الارادة لان النفس البشرية عنده فيض من روح الله ، فهي تشارك الله في القدرة على الاختيار ، وان العالم على احسن ما يمكن ان يكون ، وان الاشياء ستبقى اخيراً في وجود الله السكّان الحقيقي الوحيد . ويقسم البشر الى ثلاثة اصناف وهم

العالهون - اي محبو الذات الذين تدور حياتهم حول نفوسهم وهؤلاء لا يكثرثون للدين والمبادئ الروحية .

المفكرين - وهم اهل الفكر الذين يرون الله بتور العقل في مظاهر الوجود

الروحانيون - وهم الذين يرون الله بالكشف اي بالهام روحي يوافيهم من الحضرة الربانية .

* * *

والخلاصة ان الصوفية بدأت مظهرأ من مظاهر الورع الديني ، ولكنها انتهت في غلاتها بتعاليم بعيدة عن تعاليم السنة . ومحور مذهبهم الكشف الرباني بالتجرد عن العالم وبالحب الالهي . وقد علق عليهم من تعاليم الهند والروم الوحدة والحلول والفناء في وجود الله ، على انهم قادروا في مسألة الكشف والكرامات الى حد ان بعضهم صار يستعمل لذلك طرق السحرة والتدليس .

من اراد التوسع في درس الحركة الفكرية في هذا العصر فليراجع

Lit. Hist. of Persia	برون
Le Dogme ■ ■ Loi	سكول دزهر
Arabic Thought	اوليري
Les Penseurs de l'Islam	كارا ديفو
The Mystics of Islam	نكلسون
اللال والنمل	— ابن حزم
« «	— الشهرستاني
الفرق بين الفرق	— البندادي
تد الطم والطاء	— ابن الجوزي
المقدمة	— ابن خلدون
	دوائر المعارف المختلفة



القسم الثاني

الشعر في العصر العباسي

مزاجه - امرؤه (دراسات فحلبية وانتقادية) - الخنار من دولابهم

بحر تهميدي

بـ

خصائص الشعر العباسي

إذا وازنت بين الشعر القديم والشعر المولد فلا شك أنك تجد في الأخير أثر التقدم ظاهراً للبيان ، على أن ذلك لم يبلغ به مبلغاً يخرج به عن المناهج التي اختطها الأقدمون . خذ الوصف مثلاً فانك تجد عربة في الشعر يرجع الى ما قبل الاسلام . على انه كان قديماً ينحصر في الهداة وما يشاكلها ، فصار - بعد أن اتسع الأفق العمراني لدى المسلمين ، وبعد أن طاب بحر الرفعة على بغداد وسواها من حواضر العصر العباسي - يتفنن في نمط اسباب الحضارة كالقصور والبرك والجنائن والولائم والجيوش والمراكب . ومثل ذلك تفننه في الخمر وأنواع النزل والمديح ، وما الى ذلك من ضروب النظم . ولا ينكر أن المولدين فاغوا الأقدمين في ذلك ، ولكنهم لم يبتدعوا اساليب جديدة او مواضيع جديدة فنجوز لنا أن نقول ان الشعر طرأ عليه في زمانهم تطور كبير .

والشعر نومان رئيسيان وجدائي وموضوعي . فالوجداني يدور على نفس الشاعر - على تأثره من امر ما ، واظهار ذلك التأثر بالكلام المنظوم . ومن ذلك مدحه لاميه ، او تغزله بفتاته ، او هجاءه لعدوه ، او وصفه لما تقع عليه عينه ، او تحريضه على ما يشعر بصلاحه .

اما الموضوعي فيدور على شيء خارج عن نفسه - على صفات يتغلبها او يراها فيما حوله من ظواهر الطبيعة او النظر في حياة الانسان ، وما الى ذلك من المواضيع الاخلاقية والادبية التي تثل للجسمود ما يشعرون به في الحياة ، او تحمّلهم على اجنحة الخيال الى ما وراء المحسوسات ، فتثير فيهم حب الجمال وتدفعهم في سبيل التكامل .

وانت اذا رجعت الى معظم دولتين الشعر في العصر العباسي ، ثم دقت في المقاييس

الادبية التي وضعها طهلاء البلاغة ونقدة الشعر امثال قدامة والاصفهاني والامدي والمسكري
والثعالبي والجرجاني وابن الاثير واضراهم « رايت ان التجدد الشعري في العصر العباسي
لم يتمد في الاغلب صناعة الشعر ، وانه منهصر في الوجداني منه . وهو يظهر لنا في ثلاثة
مظاهر :

(١) رقة العبادة

(٢) التفنن في المداني

(٣) التوثور على البديع اللفظي

وقد يضاف اليها التوسع في المصطلحات اللفظية .

على انه من الانصاف ان نقول ان الشعر المولّد يمثل لنا ايضاً تجدداً في الناحية الروحية
من الشعر ، فاحية الزهد والورع والاصلاح - وتلك حركة خاصة سنلتاها في غير هذا
المقام .

رقة العبادة

وحكمنا من هذا القبيل اجمالي لا حصريه . فلا العهد القديم يتفرد بمجشونة
الاسلوب وضخامة الالفاظ ، ولا المولد بالنعومة والسلامة وعذوبة العبارة . ومن البين ان
العبارة كثيراً ما تتوقف على الموضوع . فانشاعر القديم (بدوياً كان ام حضرياً) اذا تنزل
اورقاً او تأمل جاء بالرقيق الناعم ، كقول عروة يصف ما فعل به الوجد

جعلت لعراف اليامة حاكمه وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا نعم نشفي من الداء كله وقامسا مع العرّاد بيتدراني
فما ترصنا من رقية يطانها ولا سلوة الا وقد سقاني
فما شفي الداء الذي بي حاكمه ولا ذخرا نصاً ولا ألواني

وقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدته المشهورة في قتانه نعم

وبت اتاجي النفس اين خياؤها وكيف لما آتني من الامر مصدر
فدل عليها القلب رياء عرفتها لها وهري النفس الذي كاد يظهر

وقول أبي ذؤيب في رثاء بنيهِ

والنفس رغبة إذا رَغَبَها وإذا تُرِدُ إلى قليل تنفع
وإذا المنية أنشبت اغفارها الفيت كل قيمة لا تنفع

إلى ما يجري مجراه من الشعر العذب الذي لا يمكن حصره هنا . فإذا تعديت ذلك إلى ما يختص بعبشة الأعراب ووصف منازلهم وأدواتهم أصبح الشعر غشناً مشوَّعاً ، كالذي تجده في صفات الطلول والجمال والقبي وأوابد القفر ، وما إلى ذلك مما يسجُّ به الشعر القديم وكذلك الشعر المولد تجده في أديار تختلف باختلاف مواضعه وأحوال قائله . فله الذي يسيل غزوبة ويبلغ الدرجة العليا من الالاقة ، وسيمر بنا كثير منه . ومنه ما يمتُّ بنسب متين إلى العهد القديم ، تقرأ فتجد فيه منجوية البدواة وتوَعَّرها كقول ابن دريد يصف حصانه

ومشرفُ الاقطار خاطرُ نخضه حالي الثَّصِيرُ جُرْشَعُ مُردِ النَّسا^(١)
سامي الثَّنابل في دسيعٍ مُفعمٍ رعبُ اللَّبانِ في أمينات العُجى^(٢)
ومنها في وصف حاله -

ما خلتُ أن الدهر يتبني عليَّ ضراءُ لا يرضى بها ضبُّ الكدَى^(٣)
أدُمْتُ العيش على برضٍ فان رمت ارتشاقاً رمت صعب المرقى
في كل يومٍ مقلٍ مستوبلٍ يشفُّ ماءً سهجتي أو مجتوى
وقول المأمري في حقل الزند

لعلَّ نواها أن تبيع شطونها وإن يتجلبى عن شمس شطونها^(٤)
إذا ما انحسا حُرَّةٌ فوق حُرَّةٍ يكنى رحمة الوجناء فيها وجينها^(٥)
والمأمري ولا سبأ في شعر شبابه كثير من هذا الضرب .

(١) حصان مرتفع الجوانب ضخم شديد الصب

(٢) مرتفع المنق واسع الصدر قوي الأرساغ

(٣) الكدَى الصخور (٤) راح رجوع . شطون بييد . شطون دجون

(٥) حُرَّةٌ أي ناقة كريمة . حُرَّةٌ أم سوداء . الوجناء الناقة . الوجين الأرض النليظة

ومثله أبو تمام ، وسنناول ذلك في دراسته وتحليل شاعريته * وانما نكتفي هنا بآياته التالية في وصف قتال حدث في الشتاء .

لقد انصتَ والشتاء له وجهٌ يراه الرجال جميعاً قطوباً
مَبْرَأَتُ^(١) إذا الحروب أبيضت .^(٢) هاج صُجْرُها فكانت حروباً
فضربتَ الشتاء في أخدميه خربة عاودته قوداً وهكوباً

وهذا أبو نواس وهو في طليعة المولدين ديباجة ودونقاً لا يخلو شعره أحياناً من القرعة الأعرابية كقوله -

إنّا إليك من الصليق فداسم طلع النجاء بنا وحيث الأيتى
يشعن مائة الملائكة^(٣) كأنها تروى بعني مُفْلَتٍ لم تفرق
وسمى ذلك في درس شعره

فنحن اذن في نمنا الشعر المولد بالركة لا تنفي الحشونة البدوية من بعضه ، ولا نخصر النعمة والعلامة فيه . على اننا برغم ذلك نجد ان التطور الاجتماعي قد انشأ في العصر العباسي جواً حضرياً رائقاً ، ففضى على الفاظ وتعاير وانشأ عرضها ما هو اشد ملازمة لروح العصر . ومن ذلك ميل الادباء من اسلوب النظم القديم . وهو كما وصفه ابن قتيبة « ان يتبدى ، الناظم بذكر الديار والدمع والاثار فيشكو وبكي ويحاطب الربع ويستوقف الرفيق . . . ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق والم الوجع والفراق ثم يرحل ويشكو النصب والسهو وسري الليل وانضاء الراحة الخ »^(٤) . ومع ان هذا الميل الى التجدد لم يكن شاملاً ، فان له اثرأ يمتأ في المباحث النقدية التي عني بها علماء الشعر في ذلك العصر . ويوضح لنا ذلك ما ذكره ابن رشيقي يصف الحالة الشعرية في زمانه ، اي في القرن الخامس الهجري (وقد سبقه الى ذلك نقدة الشعر منذ القرن الثالث) - قال

« وليس بالحدث من الحاجة الى اوصاف الابل ونعوتها والتفاد ومياها ، وحر الوحش والبقر والظلمات والوعول ، ما بالاعراب واهل البادية ، لرغبة الناس في الوقت لمن

(١) مَبْرَأَت غدوات باردة . ابيضت تحدث

(٢) فاقة مضطربة الاعضاء (٣) الشعر والشعراء . (مصر ١٣٣٢) ص ٧

(٤) فاقة مضطربة الاعضاء

تلك الصفات ، وعليهم ان الشاعر انما يتكلفها تكلفاً ليجري على سنن الشعراء قديماً . . . الى ان يقول « والاولى بنا في هذا الوقت صفات الحر والقيان وما شاكلهما وما كان مناسباً لهما ، كالكوثر والقناني والابريق وتفتح التحيات وبلقات الزهر » الى ما لا بد منه من صفات الحدود والقدود . . . ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين (١) .

وله في السدة مقابلة جيدة بين طريقة القدماء وطريقة المولدين في « باب المبدأ والخروج والنهاية » فلترجع هناك (٢) .

ومن دلائل التجدد اللفظي في العصر الباسي ظهور « النقد البياني » الذي جعل اساس البلاغة في الالفاظ السهلة والحلاوة والجزالة . وامثلة ذلك ما جاء لابي جلال العسكري في كتابه « الصنائع » اذ قال - « فاذا كان الكلام قد جمع المذوبة والجزالة ، والسهولة والرضانة ، مع السلاسة والنصاعة » واشتمل على الروق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سحابة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرد ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يجه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاهلي البشع . . . والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ويسكن الى المألوف » الى آخر كلامه (٣) . ومثل ذلك قول الجرجاني « واما رجوع الاستحسان الى اللفظ فلا يكاد يمدو غطاء واحداً وهو ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً او عامياً سخيفاً » (٤) .

ولا ينبغي ان « النقد البياني » لم يصبح فناً ذا قواعد مرعية الا في القرن الرابع الهجري وما بعده ، بيد ان الروح النقدية التي تمثل التطور الصناعي في الشعر قديمة ترجع الى اوائل العصر الباسي .

(٢) السدة ١ ص ١٢٥ - ١٦١

(١) السدة (عصر ١٩٢٥) ٢ - ٢٢٧

(٣) كتاب الصنائع (الاستاذة ١٣٢٠) ٤١

(٤) اسرار البلاغة (تصحیح رشید رضا ١٣٢٠) ٣

الفتن في المعاني

ويعتبرون بالمعاني الشعرية ضروب التمثيل والتشبيه والاستعارة
أما التمثيل فيراد به أن يعدد الشاعر إلى حكمة عقلية ادرسها الناس بالقطرة أو
عرفوها بالاختبار ويسبكها في قالب فظي جميل ، كقول المتنبي

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

والمثل في الشعر العربي كثير « وقد فتنوا فيه في العصر المباسي فترسكوا لنا من
اقوالهم جواهر غالية . ويكثر ذلك في شعر أبي النخعي والناحية التي قام وابن الرومي والمتنبي
والعري واضرابهم وسنلم بالكثير منها عند درسنا هؤلاء الشعراء ، وهو داخل عند
الجرجاني في قسم المعاني المقولة . . . ويقابله عند ذلك الامام القسمة التخييلي وهو كما
قال « مقتن المذاهب كثير المسالك لا يكاد يحصر الا تقريباً ولا يحاط به تقيساً وتبويباً ،
ثم انه يجيء طبقات ويأتي على درجات . فله ما يجيء مصنوعاً قد تُلطف فيه واستعين عليه
بالرفق والخلق حتى اعطي شياً من الحق وقتي رونقاً من الصدق ^(١) . . . الى ان يقول
وجلة الحديث الذي اريده بالتخييل هننا ما يثبت فيه الشاعر امرأ هو غير ثابت اصلاً
ويُدعى دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويربها ما لا يرى ^(٢) »
ومع انه يخرج الاستعارة من هذا الحد ترى معظم امثله تدور على ضروب من التشبيه
والاستعارة والمجاز .

ولابن الاثير في المثل السائر بحث ضافه في توليد المعاني بسط فيه المراد بسطاً وافياً ،
وغلاصته ^(٣) : ان المعاني على ضربين ، ما ينتزع من شاهد الحال « وما ينشأ من غير شاهد
الحال ، واليك امثلة ذلك : فن القسم الاول

بكرروا وامرؤا في مشون ضوامر قيدت لهم من حريط النجار
لا يبرحون ومن رأهم خالهم ابدأ على سفر من الاسفار

(١) راجع اسرار البلاغة ٢١٦

(٢) اسرار البلاغة ٢٢٣

(٣) المثل السائر (بولاق) ١٨٧٤ - ١٩٧٢

وهذا المعنى (أي تشبيه المصلوبين بالفوارس الركبين ولا يبرحون مكانهم) استغله
أبو تمام من رؤية بعض القاتنين على الخليفة المعتصم مصلوبين على أخشاب عالية

مثال ٢ -

وزائرني كأنَّ بها حياة فليس تزود إلا في الظلام
بذلت لها المطاوع والحشايا فعاتبها وباتت في عظامي
كأنَّ الصبح يطردها فتجري مدامها باربعة سجاج

شعر المتنبي بالحمى ، وشاهد كيف كانت تزود ليلاً وتدب في جسده وكيف كانت
تبهط صباحاً ويبتل جسده بالعرق من جوار ذلك ، فوصفها كزائرة ذات حياة لا تزود
حبيبها إلا ليلاً ، وتحمل الصبح يطردها فتبطل لذلك مدامها

مثال ٣ -

ضربت سيف الدولة خيمة عطية ، فهبت ربيع شديدة فسقطت ، وسكان المتنبي
حاضراً فقال في ذلك

أيقده في الخيمة النذل وتشل من دهرها يشل

إلى أن يقول

رأت لون فورك في لونها حكايون التزلة لا ينل
وان لها شرفاً باذخاً وان الخيام بها تحجل
فلا تصحكون لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل

فانظر كيف جعل سقوطها ميماً من شدة ما نالها من القنطار والزهر ثم ساق الكلام
إلى قوله

ولما امرت بطئيبها أشيع بانك لا تحمل
فا اعتمد الله تقريضها ولحسن اشار بما تفعل

لجعل تقويض الله لها تكديماً لما أشيع عند طئيبها من أنك لا تنوي فزواً لمدو .
وقد أجاد المتنبي في انتزاع هذا المعنى والباسه ثوب الهجاز والخيال

وهن القمم الثاني (اي المعاني المتكررة من غير شاهد حال) قول علي بن جبلة مادحاً

تَكْفُلُ مَا كُنَّ الدُّنْيَا حُمِيْدُ فَقَدْ اضْطَعَتْ لَهُ الدُّنْيَا عِيَالَا
كَأَنَّ أَبَاهُ آدَمَ حَكَانَ أَرْضِي إِلَيْهِ أَنْ يَعُوْلَهُمْ فَصَالَا

أراد ان يثمت بمدوحه بالكرم العظيم الشامل ، فجعل العالم عياله وتخيّل ان آدم ابا البشر
أوصاه بأعالتهم ففعل .

وقول ابني قنم مدح اميرة اقام على بابه حاجياً يمنع الناس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الثَّانِي بِرُؤْيَيْهِ وَجُودِهِ لِلرَّاعِي جُودُهُ كَسْبُ
لَيْسَ الْحِجَابُ بِقَصَصٍ عَنْكَ لِي أَمَلَا أَنْ السَّمَاءُ تَرْجُو حِينَ تَحْتَجِبُ

وقوته في الحاسد والمهزود

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ ، أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَمُودِ
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فَيَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ حُرُوفِ الْعُودِ

ومثل ذلك في الحسن قول ابن الرومي

كُلُّ أَمْرِيءَ مَدْحٍ أَمْرًا لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ قَدْرُ أَسَاءِ هِجَاؤِهِ
لَوْ لَمْ يَقْدَرْ نَحْمٌ بَعْدَ الْمُسْتَقَى مِنْهُ الْوُرُودُ لَمَا أَطَالَ رِشَاؤُهُ

ومن لطيف المعاني قول ابن بقيّ الاندلسي

بِأَيِّ غَزَالٍ غَاظَلْتَهُ مَقْلَتِي بَيْنَ الْمُذْيَبِ وَبَيْنَ شَطِيءِ بَارِقِ
حَتَّى إِذَا مَاتَ بِهِ سَنَةُ الْكُورَى زَحَزَحَتْهُ شَيْئًا وَحَكَانَ مَعَانِقِي
أَبْدَنَهُ مِنْ أَضْلَعِ تَشْتَاقِهِ كَيْ لَا يَنْسَامَ عَلَيَّ وَسَادُ خَائِقِ

وامثلة ذلك كثيرة في الشعر الموالد . واذا تأملتها تجد اكثرها او كلها من قبيل
التفنن في الجواز والتشبيه ، ولعلّ للاخير النصيب الاوفر مما يدخل في باب المعاني . وقد
خصه ابن رشيق بالذكر اذ قال . ان المعاني ■ اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار
العرب بالاسلام في اقطار الارض ، فمضوا الامصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في الملابس
والمطاعم ، ومرفوا بالبيان حاقبة ما دلتهم عليه بداعة العقول من فضل التشبيه وغيره .

وانما خصصت التشبيه لانه اصعب انواع الشعر وابعدها متاعلى^(١) ، وقال في موضوع آخر يقابل المحدثين بالقدماء ، « واذا تأملت ذلك تبين لك ما في اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة » ثم اتى بشاعر بن برد واصحابه فزادوا معاني ما مررت قط بخاطر جاهلي ولا محضرم ولا اسلامي ، والمعاني ابدأ تقوّد وتقولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً^(٢) . ولم يرد ابن رشيّق بالمعنى الشعري غير ما ذكرنا من التصرف في وجوه الصناعة المعنوية وأعضائها عنده التشبيه . والذي يطالع دواوين كبار الشعراء في العصر العباسي ، ويقابلها بما نظم في العهد الاموي وما قبله ، يجد صراحة ما ذهب اليه ابن رشيّق وسواء من تقوّد المولدين في ذلك . ولا نظن الا ان هذه المعاني التخييلية اخذت تتضاءل بعد عصر الشعر الذهبي ، وقد ضفت جداً بعد القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاد وبقيت كذلك الى اواخر القرن التاسع عشر ، ثم اخذت بالانتماش على يد شعراء القرن العشرين .

النوفر على البديع اللفظي

وما يقال عن رقة العبارة واختراع المعاني ، من حيث ان المولدين فاقوا بها الاقدمين ، يقال عن البديع اللفظي - فقد جماعوا الاخير فناً معروفاً وجروا فيه الى الغاية . وانواع البديع كثيرة وقد ائتت فيها كتب تدارسها الطلاب في كل جيل واول من صنف فيها عبدالله بن المعتز الشاعر المشهور (في القرن الثالث الهجري) فجعل منها بضعة عشر نوعاً ، ثم قدمه بن جعفر فجاء منها نحو عشرين ، وجاء العسكري في القرن الرابع فجعلها خمسة وثلاثين . ثم اخذ البيهقيون والديلمييون يبتغنون فيها حتى بلغت ما يزيد على المئة والخمسين ، واصبح للبديع في اواخر القرن العباسي سيطرة كبيرة لا على الشعر فقط بل على النثر ايضاً ، كما يتضح من الرسائل الديوانية والادبية في القرنين السادس والسابع .

على ان المولدين لم يشكروا البديع ابتكاراً بل توشعوا فيه حتى برزوا سواهم : قال العسكري في كتاب الصنائع رداً على الذين يفرزون فضل ابتكاره للمحدثين (اي اديباء العصر العباسي) « فهذه انواع البديع التي اذمى من لا روية ولا رواية عنده ان المحدثين

ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما اراد ان يفهم امر المحدثين ، لان هذا النوع اذا سلم من التشكك وبرى من العيوب كان في غاية احسن ونهاية الجودة (١) .
والمسكوي كما مر بنا من اهل القرن الرابع الهجري ، وكان الشائع في زمانه على ما يفهم من دفاعه ، ان ادباء العصر العباسي هم الذين ابتكروا انواع البديع فبنى ذلك وقال بوجودها في الشعر القديم . وذلك معلوم . ولكنه لا ينبغي ان هذا الفن الكلامي لم ينظم ولم ينضج الا في العصر العباسي . ولا نعرف مصراً باغ فيه ولوع المنشئين والشعراء بالبديع اللفظي كذلك العصر . فنذ ايام مسلم والي قام الى ايام ابن القارض وصفي الدين الحلبي نجد ولع الناس بالبديع يزيد مع الاجيال . وبقي كذلك الى ايام ابن ممتوق ثم الى ستمثل النهضة الأخيرة ، لم يقض عليه غير ما اصاب الادب في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد وفي القرن العشرين من التطور اللفظي والخيالي .

ولا ينسح المقال لذكر كل انواع البديع اللفظي والتمثيل عليها ، بيد انه لا بد من القول ان الطباق والجناس هما الركنان الاساسيان وعليهما يقوم احسن الشعراء ، وبليها رد العجز على الصدر ، والعكس ، والتقصيع فماتر الانواع .

وقد تنازل ابن رشيق امر المقابلة بين القدماء والمحدثين فقال « ان المحدثين احسن ابتداءً لان الملك الاسلامي عظم في ايامهم » . واكثر النقاد يقولون ذلك ، ويعنون به ان اتساع الحضارة فتح للشعراء ايواناً جديدة للمعاني ، كأوصاف البحر والنساء والفنان والفناء . وسائر اسباب اللهو والقصص ، وان ذلك اشأ في نفوس البعض شعوراً ، اكسأ مال بهم الى الزهد والتصوف وانكار المفادات - وفي ذلك ما فيه .

على اننا عند التحقيق نجد ان هذا التجدد في المعاني انحصر بالاكث في مجاري البديع لم يمتدّها الى الفنون الخيالية العليسا المبنية على معرفة اوسع في الكون والانسان ، وعلى نظرات ادق في الطبيعة وال عمران . ولم تكن الاشعار الروحية والادبية عموماً تأملات فلسفية في الحياة ، بل خطرات تأت في سياق وعط او انتقاد او لغو ذلك من المناسبات .

التوسع في المصطلحات اللفظية

وهذا باب واسع يعسر الخوض فيه هنا ، وهو يحتاج تاريخ اللغة وتطورها اولى - على ان الناظر في تطور الشعر المولد لا يسهل الا ان يقف قليلاً عند هذه الظاهرة الادبية العامة ، وهي تمثل لنا امرين - (١) اختلاط العرب بالاعاجم (٢) الميل الى التعرّد من بعض القيود اللفظية . اما الاول فقد سرّ منا في الكلام عن تطور الحياة الاجتماعية ، فلا لزوم لاعادته . وبكفي هنا ان نقول ان هذا الاختلاط كان له اثره في الالفاظ الشعرية : قال الجرجاني في الوساطة ، ان المحدثين قد اتسموا فيه حتى جاوزوا الحد لما احتاجوا الى الافهام وكانت تلك الالفاظ اغلب على اهل زمانهم واقرب من افهام من يقصدون وقد افروط اليوناس حتى استعمل زغرده - ويازبتده - وباريسكندة الخ . (١)

ومن ذلك لابن الرومي شعر وهي الاسد في الفارسية - زرويل اي ماء الذهب - الدوشاب وهو النبيذ الاسود - الكوش اي الاذن . والشمري غوزان وفرازين وبياذق من اسماء الشطرنج - والزيج والاسطولا ب من ادوات الفلك - وبعض الفاظ عامية مثل آرا يعني نعم وامثالها .

وقد كان القدماء يشتملون الفاظ المعجم عند الحاجة ولكنهم لم يبلغوا من ذلك ما بلغه المولدون (٢) . وعن الجاحظ كان الشاعر يتلجج بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان (٣)



واما الخروج عن نصوص اللغة فيما بلغت النظر وقد اشتهر بذلك بعضهم كالمتنبي وابن الرومي فنن كلام الاول قوله

اذلت له بدل اذله من
اخاطره في روحي مراحتة

(١) و (٢) الوساطة (تصحیح احمد الزین) ٣٥١ ٣٥٢

(٣) البيان والتبيين (س) ١ - ١٣١

فريض جمع فرائض
يتفادس أي كل يطلب اقتباس الآخر
فرد رجل أي رجل واحدة
الحدور والجلوب والقروك وما يشاكل هذه الصيغ
العلم المبرح (ولعله أول من وصف العلم بالتبريح)
اليتطق أي اللسان
وعشرات مثلها تجدها في تضاميف ديوانه^(١)

ومن أمثلة الثاني

مفاتش - يزندقون - الاشرابات - الأذهاب - هبيج - نهارك انهر - الايام
الاطاول - العلاجم - اللباء جمع لاعب و كثير غيرها

ولست هذه الظاهرة شائعة ولكنها تكاد تكون عامة في العصر العباسي ، ولها
اسباب لا تدخل في بحثنا الآن . ويدخل فيها المصطلحات والمسميات الجديدة التي نشأت
بتقدم الحضارة . ولا شك ان هذا التجدد اللفظي بدأ في اللغة منذ اقدم عهودها وجرى
فيها مع الزمن ، حتى كانت النهضة العلمية الاجتماعية في العصر العباسي ، فظهر فيها بظهور
كبير ، كما ظهر في نهضتنا العلمية الحديثة . ومع تخرج الشعر في المحافظة على الارضاع
اللفوية الصرفية لم يستطع التخلص من تأثير الارضاع الاجنبية ، كما تشهد بذلك النصوص
الشعرية في كل زمان .

(١) راجع ما انكره الطاهر من شعره في كتاب الوصافة للجرجاني ٣٣٩ - ٣٦٩

امراء الشعر المولد

ابو نواس - ابو العتاهية - ابو تمام - البحتري - ابن الرومي - المتنبي -
المري - ابن الفارض

يختلف الباحثون في من تقدم من شعراء العصر العباسي ، ولا سبيل الآن الى البحث في اختلافاتهم والنظر في اسبابها فلننظر الى نظرة الخاص ، ولكل آراء يدعمها الحجج مقبولة .
على اننا قد اخترنا منها لدراستنا التحليلية هؤلاء الثانية ، وهم بلا جدال من الطبقة الاولى بين المولدين .

وقد كان مولدنا في اختيارهم شهرتهم ، وانهم اهتموا من سواهم في تاريخ الشعر العباسي ، ولا نقصد بذلك انه لا يوجد بين سائر الشعراء من يرتفع الى درجتهم او يفوقهم في بعض الناحيات . فكأننا فراس مثلاً او الشريف الرضي ، بل انهم يمثلون العصر العباسي بافضل تمثيل ، وفي دهرهم درس لذلك العصر والروح الشعرية العامة فيه .

————— الله

أبو نواس

الحسن بن هاني

ولد بين (١٤١ و ١٤٥) هـ - وتوفي بين (١٩٦ و ٢٠٠)

حوالي (٧٦٠ - ٨١٦) م

مصادر دراسته - يافته - ميه الشعري - مقامه الادبي - شخصيته الشعرية

مصادر دراسته

- ١ - ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ هـ (٨٩٠ م) الشعر والشعراء المطبعة العمومية مصر ١٨٩٨ ليدن ١٩٠٢
 - ٢ - ابن المعتز توفي ٢٩٦ هـ (٩١٠ م) طبقات الشعراء نشره عباس اقبال ١٩٣٩ ص ٨٧ - ٩٩
 - ٣ - الطبري توفي سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١
 - ٤ - الاصفهاني توفي سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) الاغانى يولاتى ج ١٨ ومتفرقات في ج ١٦ و ١٧
 - ٥ - الجرجاني « ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) الواسطة صيدا ١٢٣١
 - ٦ - المزدباني « ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) الوشاح مصر ١٣١٣ من ص ٢٦٢
 - ٧ - ابن النديم « ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) الفهرست ليلى ص ١٦٠
 - ٨ - ابن شرف القيرواني توفي ٤٦٠ هـ (١٠٦٩ م) اعلام الكلام ص ٢٢ - ٢٣
 - ٩ - الخطيب البغدادي « ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) تاريخ بغداد ج ٧ من ص ٤٣٦
 - ١٠ - ابن عساكر ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) تهذيب التواريخ الكبير مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ ج ٢ ص ٢٥٤ - ٢٧٩
 - ١١ - الانباري توفي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) طبقات الادباء من ص ٩٦
 - ١٢ - ابن خلكان « ٦٨١ هـ (١٢٨١ م) وفيات الاعيان (ميدي) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٢
 - ١٣ - ابن منظور توفي سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) اخبار ابي نواس (مصر ١٩٢٤)
 - ١٤ - النويري « ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) نهاية الارب (دار الكتب المصرية ١٩٢٥) ١ - ص ١١٩ - ١٢٣
 - ١٥ - طاش كوري زاده توفي سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦١ م) مفتاح السعادة (حيدر آباد)
 - ١٦ - البغدادي توفي سنة ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) خزائن الادب (يولاتى) ١ - ١٦٨
- وفي مواضع شتى من الكامل للبرد ، والمدة لابن رشيق ، والفخري لابن الطلق ، وزهر الآداب للعصري ، وغنمير مقدمة الشعر لابن منقذ ، ومعاهد التنصيص للعباسي ، نجد زبدة الاخيرين في ذيل ديوان مسلم النوجي (Goezi)

وقد ترجم له مؤرخو الاداب المتأخرون كاليستاني في دائرة المعارف ، وزيدان في آداب اللغة وسواهما .

ومن تناوله في دراسات نقدية الاساتذة طه حسين في حديث الاربعاء ، وعباس مصطفى عمار في كتابه (ابو نواس حياته وشعره) وعمر فروخ في كتابه (ابو نواس)

بنته وعصره

ولد شاعرنا في خوزستان من بلاد المعجم ، وانتقل به والده وهو طفل الى البصرة فنشأ فيها . وبظهر ان ابيه مات وتركه صغيراً في كفالة امه ، فسلمته الى عطار ليتعلم تلك المهنة . ولا نعرف شيئاً كثيراً عن مهنة « العطارى » ، فان التاريخ يتخطى ذلك سريعاً ويبرزه لنا في صحبة الشاعر والية بن الحباب . ثم لا نلبث ان نراه حوالى الثلاثين من عمره ، وقد استقر في بغداد ومدح الرشيد واتصل ببلاطه . ويقول ابن رشيّ انه كان نديم الامين طول خلافته ^(١) . اما كتاب الفخري فينقل لنا انه كان من شعراء الفضل بن الربيع المنقطعين اليه ^(٢) . وليس من تناقض بين القولين ، فان الفضل كان حاجب الرشيد ومن رجال دولته والوزير المقرب في دولة الامين ، فقد يسكنون اتصال به اولاً ثم تادم الامين ومدحه . وتوفي في الفتنة قبل قدوم المأمون من خراسان .

نشأ ابو نواس في العصر الذهبي للخلافة العباسية — عصر القوة والرخاء . وقد رأينا في كلامنا عن تطور الحياة الاجتماعية كيف كانت بغداد في ذلك العصر ، من حيث فناها وعمرانها وبذخ المقرين فيها . ومن يطالع اخبار الامراء والوزراء ومن اليهم من ارباب الفنى ، وكيف كانوا يجتمعون باسباب الحضارة من عبيد وجوار وقصور ، ويسرقسون في سبل اللهو من شرب وقتنا ورقص ، يعرف شيئاً عن الجو الذي وجد فيه شاعرنا والذي اثر في اخلاقه ايها تأثير .

طبع ابو نواس على الظرف والمجون ، وواقفته الاقدار في صحبة ابن الحباب ، فاخذ عنه مذهبه في الشعر والحياة . وكان الشعر آتلف في ايدي عصابة من اهل الاسراف

(٢) الفخري (عصر ١٣١٧) ١٩٢

(١) السبعة ج ١ ص ٢٢

والخلاعة ، نذسحر منهم مطيع بن اياس - حماد مجرد - مسلم بن الوليد - داود بن
 رزين - الواسطي - الحسين بن الضحاك - الفضل الرقاشي - عمر الوراق - الحسين الحياط
 - علي بن الحليل - اسماعيل القراطيسي وامثالهم . وفي القراطيسي يقول الاصفهاني « كان
 مألفاً للشراء فكان ابو نواس وابو التاهية (طبياً قبل زعمه) وسلم وطبقتهم يجتمعون
 عنده ويقصفون ويدعولهم الثيان وغيرهن من الثقلان ^(١) .

في مصبة كهذه المصبة وقع شاعرنا . وليس شعره لدى التحقيق الا مرآة لحياته
 واحوال معاصريه . ولقد بلغ من التاذي في مبه وتتهكه ان صار مثلاً في ذلك .

روى الحصري « انه لما خلع المأمون اخاه الامين ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربتة كان
 يعمل كتباً يصوب اخيه تقرأ على المنابر بخراسان . فكان مما عابه به ان قال انه استخلص
 رجلاً شامراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هاني » استخلصه ليشرب معه الخمر ويرتكب
 المآثم ويبتك المصارم » ثم يقول . . . ويقوم بين يديه رجل فينشد اشعار ابي نواس في
 الجون ^(٢) . واننا لنظلم ابا نواس اذا حصرنا حياته وادبه في هذه الدائرة التي وضعت
 فيها كتب المأمون . فقد كان غير ذلك (كما سنذكر في كلامنا عن مقدرة اللقوية)
 ولكن الجون قلب عليه ، وصرف في سبيله مواهبه .

قال ابو جعفر الجعفي يصف ابا نواس ^(٣)

« كان اطرف الناس منطقاً ، واغزرهم ادباً واقدرهم على الكلام ، واسرههم جواباً ،
 واكثرهم حياءً » . وبعد ان يصف شكله ولونه يقول -

« كان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الالفاظ ، حلو الثاقل ، كثير النوادر »
 واعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للاشعار علامة بالاخبار ، كان كلامه شعر
 موزون .

(١) الاغاني ج ٢٠ ص ٨٨

(٢) زهر الآداب (شرح ذكي مبارك) ج ٢ - ١١١

(٣) ٢٠٢ - ١٤٥

كان الرجل واسع المعرفة - متصلاً بحياة عصره السياسية والفكرية ولكن انصرافه الى الخمر واسترساله في الموبقات حالاً دون ان يترك لنا اثرأ ادبياً كبيراً في غير مخالف الحياة .

ميد في ادبه الى الشعوب

قد تعجب من هذا الزعم بعد ان عرفت انه كان يلازم الفضل بن الربيع والامين بن الرشيد « وهما مقد العصبة العربية في ذلك الوقت . ولكن لا عجب فاي نواس كما مر منا من ام فارسية ، وقد ولد في بلاد فارس ، ونشأ لا تعرف له عصبة واضحة في العرب . وهم ينسبونه الى قبيلة حَكَم اليمنية فيقولون الحكمي ، ولكن ابن منظور صاحب اخباره يقول : « كان ابو نواس دعياً يخالط في دمونه » ^(١) اي انه لم يكن ثابت الانساب الى اصل من الاصول ، فهو تارة يدعي النسب الياني ، كقوله في حديث له مع الحمار

فلما ان رأى زقي امامي تكلم فخر مذمور اللسان

وقال امن قيم ؟ قلت حكلا واصكني من الحمي الياني

وتارة يهجو اليمنية كقوله في هجاء هاشم بن حديج وهو كندي من صميم اليمن

يا هاشم بن حديج لو عدت ابا مثل القلث لم يلق بك الدنس

والقلث احد رؤساء كنانة وهي من غير اليمن كما هو معروف . وفي هذه القصيدة يمدد كرماء توار الذين يفتخرون بهم ، ويستغرب ذلك ممن له عصبة شديدة في اليمن . ونقل ابن منظور « انه حكاه يتنثر ويدعي للفزدق ، ثم انقلب على التراب وادعى انه من « حاء وحكم » فوجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له انت خوزي (اي من خوزستان) فالك ولحاء وحكم ، فقال اما سولي فتركوه . وقال بعضهم لبعض انه ظريف اللسان عزيز الماوم فدعوه ، وهذا الولاء يتعصب لنا ويكاذب منا ويهجو القرابة ، فكان كما قالوا . وكان يكنى اولاً ياني فراس فعدل عن ذلك واستكنى ياني نواس تشبهاً بكنية

(١) اخبار ابى نواس ١٦

ففي نواس ، كما كانت اليمن تسكني وقيل غير ذلك ^(١) . ويذكر في محل آخر انه كان في دعاويه يتاجن ويعبث ويخفني اسمه واسم امه لتلاجهجي ، وذلك مشهور عنه . والمذكور من امره انه كان مولى الحكسين يفتخر باليمن ويدعهم لذلك ، ويدع العجم ويذكرهم لانه منهم ^(٢) .

فما ذكر آنفاً نستدل ان ابا نواس كان من اصل وضع وأنه كان ينسب الى
الحكميين بالولاء . والامر الراهن انه فارسي الضلع ياخذ لإخذ الشعوبية في الاستخفاف
بالحياة العربية . ويزيدنا ثقة بذلك انه كان ياخذ العلم من ابي عبيدة ويحده ويذم
الاصمعي^(٤) . والى ذلك يذهب ابن رشيقي اذ يقول « وكان شعوبي اللسان وما ادرى ما
وراء ذلك وان في اللسان وكثرة ولومه بالتي . شاهداً مدلاً لا ترد شهادته^(٥) . ويروي
له ابن عبد ربه ايضاً ويقول انه قالها على مذهب الشعوبية^(٦) . وتقول الطبري ان الرشيد
حبسه لهجانه قريش^(٧) . وانك تلحس في شعره استهزاء بالعرب كقولهم

عاج الشقي على رسم يائنه
يسكي على طلل الماضين من اسد
ومن قيم ومن قيس ولثمها

لارض باعد الرحمن — عنها الطلح والعُصرا (١)
 ولم يحل مصابدها — ترايعاً ولا وَحْراً (٢)
 ولصكن حور غزلان — تراعي بالملأ بقرا
 فذاك الديش لا يبد — بقفرتها ولا وبرا (٣)
 اذا ما كنت بالاشياء — في الاعراب معتبرا
 فانك آيما رجلا — وردت فلم تجد صدرا

ويأخذ من هنا بدم اهل البادية رجلاً ونساء - وشعره يسج بنا يدل على شغفه بتاريخ القرس وثافة الحضرة ونفوره من الحياة البدوية التي كان يشقى بها الاقدمون - ومن ذلك ايضاً قوله

دع الملقى يسكي على طَلْله — وخلف عروفاً يقول في جلله
 وقلي لكشوم (١) المفضل بالشمر بطيل الإعراض من جلله
 واغد على اللهو غير مشر — منه فهذا اوان مقبيله
 اما ترى جدّة الزمان وما — ابدع فيها الربيع من عمله
 واني وجوه الزمان غادية — عند اقتراب الشتاء من اجله
 فاشرب على جدّة الزمان فقد — واني بطيب الهوى ومُعتدله
 من كهوة تُذكر السرور وتُنسي الهم — عند اعتراض مشتكله

وقوله

لقد جنّ من يسكي على رسم مقل — ويندب اطلاقاً هفون مجرول
 فان قيل ما يسكيك قال حماة — تنوح على فرخ باصوات مُعول
 تذكريني حباً حلالاً بقررة — وآخية شجبت بفهر وجندل (٢)

(١) من اشجار الغفر (٢) الوحر من النطاء (٣) كالجراذين وسام ابرس

(٤) السيد الذئب والوبر حيوان اصغر من السنور

(٥) هو الثاني الشاعر المشهور (٦) آخية أي حود دقيق يوضع بين حجارة الخياط

لشدة اليه الذابة، والفهر الحجر وكذلك الجندل

وعما يشعر بيله الى الفرس وانحرافه عن مذاهب العرب قوله من نصيدة

دع الاطلاع تغيبها الجنوب
وخلل لراكب الوجناء ارضاً
وتبكي مهد جذتها الخطوب
تحت بها النجبية والنجيب
ولا تأخذ من الاعراب لهما
ولا عيشاً فعيشهم جديب

ثم يصف عشوة عيشهم ويقابل ذلك بصفاء العيش في الحضارة والتمدن بالحرف الى ان يقول

فهذا العيش لا عيش البوادي وهذا العيش لا الاذن الحليب
فان البدو من ايوان كسرى واين من الميادين الزروب

* * *

كان النضال في عصره مستحراً بين المحافظين والمجددين - بين الذين يرون التمسك بقوانين الشعر القديمة ، وبين الذين يرومون استبدالها بقوانين اخرى فوقف الى جانب هؤلاء . على انه لم يقبل ذلك في كل شعره ، وسرى انه تابع المحافظين حيناً وجرى معهم بعض الاحيان في سبيلهم المعبودة .

قلنا ان ابا نواس كان يأخذ في شعره اخذ الشعبوية . وعلى ذكر الشعبوية نقول انها حركة قام بها في صدر الدولة العباسية جماعة من المثبتين الى اصل فارسي ، وغايتهم تعظيم الفرس وحضارتهم ومقاومة ما كان قد نشأ في نفوس العرب (ولا سيما ايام الامويين) من روح التفوق والاستنثار بالمجد . وقد قام من الفريقين جماعة يناضلون من مذهبهم ويرومون خصومهم بالمسمم . نذكر من الفريق العربي ابن قتيبة والجاحظ وابن دريد ، ومن الفريق الشعري ابا عبدة وسبل بن هرون والحرثي وحنيفة الاصمغاني . ولقد كان لهذه الحركة السياسية الاجتماعية تأثير ملوس في الادب ، وقد اشرنا الى تأثيرها على ابي نواس

مقامه الادبي واسلوبه الشعري

ذكرنا سابقاً انه كان واسع المعرفة متصلاً بحياة عصره الفكرية . وفي شعره ما يشعر باطلاعه على آراء الفلاسفة والمثكلين . على ان اهم ما يذكر له هنا تبثيره في العلوم

صاحب ابى نواس اتعرف اعزك الله احسن من هذا ، وانشدته شعراً فقال لا والله . فلمن هو ؟ قال للذي يقول

رسم الكرى بين الجنون محيل^١ عني عليه بصفا عليك طويل
يا فاعظراً ما اقلمت نظراته حتى تشخط بينهن قتييل

فطرب الشيخ وقال له : ويحك لمن هذا ؟ فواظه ما سمعت اجود منه لتدريج ولا لحدث ؟ فقال لا اخبرك او تكتبه ، فكتبه . فقال للذي يقول

ركب^٢ تساقوا على الاكوار بينهم كاس الكرى فانتشى المستي^٣ والساقى
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلة حتى اتاغوا اليحكم قبل اشراق
من حكل جانلة الطرفين ناجية مشاققة حملت اوصال مشتاق

فقال لمن هذا ، وكتبه . فقال له الذي تذاثه وتميب شعره ابى علي الحكمي . فقال الشيخ اكتم علي^٤ ، فواظه لا اعود لذلك ابداً

وهذه القصة اذا صحت تدل على تعصب « الأعرابييين » (اي المبالين الى شعر الاعراب) على المحدثين كالابى نواس واضرا به .

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يتعصب على ابى نواس ويقول : هو يخطى . وكان اسحق في كل احواله ينصر الاوائل ، فكنت انشدته جيد اقوال ابى نواس ، فلم يجفل به ، لما في نفسه . فانشدته

وخيمة فاطور يرأس منيفه^٥ تهم^٦ يدا من راسها يزليل

فكان على امره . فقلت : والله لو كانت لبعض اعراب هذيل جملتها افضل شيء . صحت قط (١) .

والغريب ان ما اصاب ابى نواس من تعصب اسحق اصاب اسحق نفسه من تعصب اهل اللغة (٢) . وهذا التعصب قبحه في كل عصر وفي كل جيل .

(٢) راجع حديثه مع الاصمعي في ابن حساكر ٢ - ٣٤٤

(١) الموشح ش ٢٦٣

فن كل ما ذكر يؤخذ ان ابا نواس كان من كبار اهل اللغة وما منهم من الاحتجاج بقوله الا ارفاته وانه من المحدثين. وقد وصف أسلوبه الفني بالسهولة وبخفة عن التكلف. قال محمد بن داود الجراح كان ابو نواس اجود الناس بديهة وارقهم حاشية ، لساناً بالشعر يقول في كل حال ، والوديء من شعره ما حفظ عنه في سكره^(١). ومثل ذلك قول ابن رشيقي : لم يكن يؤثر التصنع ولا يراه قضية لما فيه من الكلفة وانما يجيء بالشعر على سجيته^(٢). وقد انمى ابن عبدربه على المبرد باللائمة لسوء اختاره من شعر ابي نواس ، وقال قلما يأتي له بيت ضيف لرفة فطنته ، وسبوطه بينته « وعذوبة الفاظه . وكل اشارته الخريات بديهة لا نظير لها . ونقل ما ذكره الجاحظ في كتاب الموالى من ان ابا نواس اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيه^(٣) . على ان ابن شرف القيرواني يخالف من تقدم ويصف شعر ابي نواس بالضعف وانه فاقق عند العوام كاسد عند النقاد^(٤) .

ومع ما في اقوال هؤلاء العلماء مما يهيننا في درس شاعرنا لا نستطيع ان نعتمد عليها كل الاعتماد ، لانهم كثيراً ما يكيلون الكلام جزافاً ، وكثيراً ما يدغمون الى القول نكتة في شعر او جمال وصف في عبارة . ولنا نرى اراءهم - على صحة الكثير منها مستندة الى دراسة نقدية يصح قبولها . فلا بد اذن من الرجوع الى ديوان الشاعر والتحقيق فيه . وقد ظهر لنا انه ان ابا نواس يقف في شعره « موقفين متناقضين - موقف المقلد وموقف المجدد . ففي فئة من قصائده يسير على سنن القدماء ، حتى كأنه احدهم . وفي فئة اخرى يفرغ الى التجديد ، فينكر الاساليب القديمة ، ويذمها ويحاول القضاء عليها . ولنتقدم الى تأييد ذلك بادلة من ديوانه

الموقف الاول

وفيه (كما ترى في اكثر شعره المدهمي والريائي) يتكلف الاسلوب الاعرابي ، فيقف في مدحه على الطلول « ويركب النياق ، ويقطع المراحل ، ويأتي بجموع الانفاظ ، مما يدل

(١) عن حمزة الاصماني مقدمة الديوان (مصر ١٨٩٨) (٢) السدة ١ - ٢٠٠

(٣) راجع تفصيل ذلك في الطد ٣ - ٢٦٨ و ٢٦٩

(٤) راجع تفصيل ذلك في اعلام الكلام (مصر ١٩٢٦) ٢٢٤

على سعة معرفته بأرايد اللغة وأنه متأثر من محفوظاته الواسعة . وربما كان موقفه هذا هو الذي حل الشيباني وسواء من علماء اللغة على التثنية بمقدرة اللغوية واحلاله المحل الرفيع بين أربابها قال من قصيدة يمدح بها الرشيد

يا حبذا سفوان من مقرب ولربما جمع الهوى سفوان^(١)
 وإذا عودت على الديار مسلماً فلتغير دار أمية المهجران
 أنا نسينا والمناسب ظنة حتى رُسيت بنا وانت حصان^(٢)
 لما قرعت من الترواة والصبا ونحلت في الشدية المذعان^(٣)
 سبط مشافرها دقيق خطها وحكأن سائر خلقها بنيان
 واحتازها لون سحرى في جلدها يبقى سكقرطاس الوليد هيجان

ثم يصل على هذه الناقفة الى الممدوح وبعد فضائله

وله من قصيدة يمدح الامين

اقول والعيس تعرفوري الفلاة بنسا صغر الامنة من مثق ووحدان
 لذات لوث مغرناؤى مذاقرة كأن تضيرها تضير بنيان^(٤)
 يا نائق لا تسالي او تبليني ملهكاً تقبيل راحته والرحمن سيان

وقال يمدح العباس بن جده الله بن ابي جعفر المنصور من قصيدة مطلعها - يا ايها المنتاب من غمره

ذا وسخبر غماره غمر الابصار عن قطره^(٥)
 لا ترى عين البصير به ما خلا الاجال من بقره
 خاض في لحيه ذو جرر يضم الفضلين من صفره^(٦)
 يمسكني عشوته زبداء فنصيلة الى غمره^(٧)

(١) نسينا أي تنزلنا في الشر (٢) الشدية المذعان أي الناقفة السلسة الى أس

(٣) ذات لوث أي ذات شدة . غرناة شديدة كالأسد . تضيرها أي اكتناز اللحم فيها

(٤) بسط اشاع الصحراء . ويريد بنهر المتعادم أي فقر كالج الطرق تكال الاجساد دونه

(٥) ذو جرر أي جل سكت اللحم شديد . الضفر جمع ضفائر وهو عزام الرجل .

العثون الذفن . النصيل ، الخنك

ثم يمتم^١ التجاج به كما تلم النفوف في مشره^(١)
 كل حاجاتي تناولها وهو لم تنقص قوى أشره
 ثم ادثاني الى ملك يامن الجاني لدى حجره

ومثل ذلك اوجزته في الفضل بن الربيع وأولها « وبللة فيها زور »

وهي طويلة يصف ركوبه ورجله الى المدح في عدة ابيات . منها

عفتها على خطر	وغرر ^٢ من الفر
ببازل حين فطر	يهز ^(٢) جن ^(٢) الاشر
لا متشك ^٣ من سد	ولا قريب من خور ^(٣)
حكانه بعد الضمر	وبعد ما جال الضفر
وانج ^٤ في ^(٤) مفر ^(٤)	جأب ^(٤) رباح ^(٤) المشفر ^(٤)

وكلها على هذا النوال

فانت ترى في كل هذه القصائد محاكاته لشعراء الاعراب من وصف ناقة او فرس
 يركبها غوصلاً الى اميره . وربما كان يقصد ذلك احياناً تنزيهاً لمركوه الادبي بين ادباء
 ذلك العصر . قال ابن رشيق بعد ان ذكر ان المولد كان يتكلف ذلك ليجري على سنن
 الاقدمين « وقد صنع ابن المعتز وابو نواس قبله » وموت معها في تلك الطريق ما هو
 مشهور في اشعارهم^(٥) .

ويظهر ذلك في رثائه لاستاذه خلف الاحمر ، ولراويته الى البيداء الرباعي . فن
 رثائه للاول -

- (١) التجاج ، ما حول البين ، والنفوف القشر . والمشر شجر . وحتى الايات : قطعت الى
 المدح صحراء واسعة لا يمكنها غير البحر الوحشي وكنت متمطياً جللاً لني من المشاق والحرم ما لديه
 وهو مع ذلك لم يزل في نشاطه حتى بلغت به الى ملك . . . الخ
 (٢) البازل الجمل الذي طلع نابه . جن الاشر عنقوان البطر
 (٣) السدر تحير النظر من شدة الحر . والمخور الضف
 (٤) اي جرى فأجأ (٥) حمار وحش قتي

- لا تثل العصم في المضاب ولا شغواء تغزو فرخين في الجف (١)
 تحذر مجوشوها على ضرم كقعدة المنحني من الحرف (٢)
 ولا شوب نالت قوزقه الثرة منها بوابل قصف (٣)
 غدا كوقف الخلوك ، ينهت القطر عن منبته والخصف (٤)

وفي مرثائه لابي البداء يقول -

- هل غطى حشفه غفر بشاعة (٥)
 او لقوة لم انهي في الجف (٦)
 او ذو شفاء امن الصوت ارقه
 او ذو فحاش اشاء اذا نسفت
 شون حتى اذا ما جفن ذكرها
 يؤم مياها ذرقا طامية (٧)
 زار الحمام ابا البداء محترسا (٨)
 دعى باخافها شفا وطبا (٩)
 شيرتها شفا عظم واما (١٠)
 وبلى مري ماخض الودقين فيدا
 مناسجا وتنت ملطسا واطبا
 من منهل وردا عاشقن واشتا
 يرى عليها لجين الماء اطرا (١١)
 ولم يغادر له في الناس مطرا (١٢)

الى آخر هذه الايات وهذا الكلام الامري القح (١٣) . تأمل ذكره في الرثاء . للفر ترمي
 الشث والطباق ، والقوة ام الانهين في جف مال ، والوبل الضيق الماخض الودقين
 والشغواء تحذر مجوشوها على ضرم ، والشوب (الثور) ينهت القطر عن كفه فتري
 ان شاعرنا الظريف خرج هنا عن « حضارته البغدادية » الى خشونة البداهة ، ولم يكتف
 بمجازة الاولين في الفاظهم بل اخذ اخذهم في تشبيههم وصورهم الشعرية . ولا زى تطيلا
 منطقيا لذلك الا ان تقول ان ابا نواس ، على ميسله الى الاسلوب الحضري الجديد وعلى
 كراهه للاعراب وحياتهم ، لم يتحرد حالا من اسلوبهم إما لشدة ما علق في ذهنه من
 محفوظات الشعر القديم ، او ليثبت الرواة واللغويين مقدوقه في اللغة . والذي يطالع ديوانه

- (١-٥) الشغواء الطاب . المجوشوش الصدر . الضرم فرغ الدقاب . الشوب الثور . الثرة
 اسم لثلاثة كواكب . الطلطط المطر . وقف الخلوك اي اسوار الخاتمة شبه به ملاسته
 (٥) غفر اي وجل . والشث والطباق نباتان
 (٦) لقوة دقاب . ام خبيصين ام فرخين . اللجف مرة الوادي . وما يلي وصف لبعض حيوانات الغفر
 (٧) مركبا بضمه فوق بعض (٨) مطراق نظير

بندقي ويعارض ذلك بأراء العلماء فيه يرى متانة النظم وحسن الصنعة في مدائح ومرائيه
ولكنه لا يراه هناك ذا شخصية شعرية مستقلة - في هذا الموقف من شعره يظهر انسا
الشاعر مقيداً بقيود الزمان خاضعاً لاحكام العادة سائراً في مجرى « التقليد » العام . وانما
ابو نواس ابو نواس في وقته الثاني

الموقف الثاني

وهو محلي موافقه الطبيعية ووجدانه الحقيقي . واكثر ما يكون ذلك في مجالس اللهو
والسرور . وقد صدق اذ قال عن نفسه : « لا اكاد اتول شعراً جيداً حتى تكون نفسي
طيبة واكون في بستان مؤنق وعلى حال ارتضيها من صلة او وصل او وعد بصلة . وقد
قلت وانما على غير هذه الحال ابياتاً لا ارضاها ^(١) »

فالشاعر الذي يحجب بالوصف الشائق والنظرة الساحرة ، فيجري الكلام من قلبه بلا
كلية ولا تصنع ، انما يتجلى لنا هنوماً يحاري طبيعته ، كما يتجلى ابو نواس في خمرياته
وملاهيته . هنا يترك التعذلق والتنطس ويرسل موافقه عبارات رائقة كقوله

اترك الاطلال لا تمأ بها	انما من كحل يؤس دانيه
واشرب الخمر على تمريهما	انما دنياك دار فانيه
من عقار من رآها قال لي	صيدت الشمس لنا في باطيه

وقوله

وخمار أُنحِت اليه وحلي	اتاخة فاطن والليل داج
فقلت له اسقي صبا صرفاً	اذا مُزجت نَوَد كالسراج
فقال فان مندي بنت مشر	فقلت له مقالة من يناسج
اذقنيها لاعلم ذلك منها	فابرز قهوة ذات ارتجاج
كان بنان محصها اشيت	خضاباً حين تلمع في الزجاج

(١) ابن منظور =

فشاعرنا في هذا الموقف يخرج من الطريقة القديمة طريقة الوقوف على الطلول وقطع
المفاوز وتجنس الأحوال توصلاً الى مدح المقصود ، وعلى ذلك قوله

صفة الطلول بلاغة التدم فاجمل صفاتك لابنة الصكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاؤه بالحر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره قال -

أعز شعرك الاطلال والمزل القفرا فقد طالما اذرى به نمتك الحفرا
دعاني الى نمت الطلول مسلط تضيق ذراعي ان اردت له امرا
فسمعا امير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جئتني مركبا وعرا

« فهو يجاهر بان وصفه الاطلال والتفرثا هو من خشية الامام والأفوه عنده فواغ
وجهل » (١)

ولم يكن ابو نواس على علم كعبه في وصف الحر ومجالسها نسيج وحده في ذلك .
فقد تقدمه في الجاهلية والاسلام من وصف الحر واحوال شاربها . نذكر منهم الاشعري
وعدي بن يزيد ، ثم الاخطل والوليد بن يزيد . والذي يراجم اشعار الوليد يرى بينها وبين
اشعار ابى نواس من اوجه الشبه ما يحملنا على الحكم بان شاعرها تأثر بطريقة الوليد . بل
قد ذهب ابو الفرج الاصفهاني الى ابعد من ذلك فقال « انه سلع مصالي الوليد لجمالها في
شعره وكررها في عدة مواضع » (٢) . ولتبيان ما نذهب اليه من تأثر ابى نواس بطريقة
الوليد ننقل للاخير الايات التالية ونترك للقارىء مقابلتها بالشعر النواسي « وهي على
حد قول الاصفهاني تنبى من نفسها » (٣) - قال

اصدع شعبي المغموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة الضرب
واستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب
من قهره زانها تقادما فهي عجزت تملو على الخشب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة التسب
فقد نجلت ورق جوعها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغية المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب

ولوليد اشعار كثيرة في الحر والغزل قلّس فيها روح شاعرها وطبقته من مولدي العصر العباسي (١).

* * *

ومع انصراف ابى نواس للبحث النسائي والغلامي لا نجد له في ذلك من جمال الشعر ما يضارع شعره الحمري . فنقله ، على عذوبته احياناً وظرفه ، متخفّض ضعيف . ولعله في الغزل الغلامي اصدق عاطفة منه في النسائي ، على انه في كليهما لا يحلو لنا غير القرائر الحيوانية السفلى التي فتمّ عن تحرّق شهواني يصل الى درجة الاسفاف احياناً . وشأن ما بينه في ذلك وبين كبار شعراء الغزل من عذريين وقبيح عذريين . ففي اشعار هؤلاء قد نجد ما يثير فيك مواطن النفس ، ويريك جمال الحب ، ويصور لك المرأة تصويراً يروقك او يستمريك . اما في غزل شاعرها النواسي فلا ترى غير جوارح متهتكات وغلمان فاسدين ، واوصاف تدل على ما بلّغه بعض القوم يومئذ من الانحطاط الاجتماعي .

اما تخرياته فبرغم ما يشوبها احياناً من سوء الطبع - تدل على خفة روح عرف بها ابو نواس في عصره . وقد وصفه بعض معاصريه بقوله « بانه كان اطرف الناس منطقاً » . مليح الكلمة حسن الإشارة فصيح اللسان حذب الالفاظ حار الثائل (٢) . حتى قيل ولم يكن شاعر في عصره الا وهو يحسده ليل الناس اليه وشهوتهم معاشرته . ويقرن هذه الخفة الروحية بجمال فني يستوي القاري ، ويستثير فيه حاسة الطرب والاعجاب .

اتبعه الى حانة وانظر كيف يدخلها مع رفاهة خفية . (والحانات عادة في ضاحية مقروية واصحابها من اليهود والنصارى) ها هو يلاطف صاحبها « وقد تكون من اصحاب النساء ، فيداعبها ويسترق منها قبلة او يربت على ظهرها » وفي يده الدنانير يضعها امامها ، ويستغنى الى تقديم افضل الخمر المعتقة . ثم انظر كيف يقودك معه الى قبو قديم تحت الحانة فيريك نسيج المنكبوت على الدنان ، ثم يريك الخمار وقد ضرب بالمزبل بعضها فخرجت الخمر صهااء مشرقة تطرد الظلام

(١) راجع الاغاني ٦ من ٩٨ - ١٣٦

(٢) زهر الاداب للحمري ١ - ١٤٧

جاء بها زينة ذمية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

ولست أشك ان الشاعر يصف حوادث واقعية في غرأته الحرة ، وان اكن اميل الى الاعتقاد انه احيانا يتخزع الحديث ابهاجاً لزملائه . وفي كلتا الحالتين ترى شعر ابي فؤاد الحقيقي وترى تدفق شعوره الصريح . واليك تلخيص غزوة اخرى توضع ما تقصد اليه

وليلة مظلمة قصدت ورفاقاً لي الى بيت خمار ، فاخذنا نسير من ذقاق الى ذقاق حتى وصلنا اليه وقد هجع هو واهل بيته . قرعنا الباب فاستيقظ مذموراً وتوجس شراً من ادلاجنا في مثل تلك الساعة فلم يشأ ان يفتحنا بل

تناوم خوفاً ان تصكون سحابة .
ولما دعونا باسمه طار خوفه
وبادر نحو الباب سعيماً مليئاً
وايقن ان الرجل منه خصيب
له طرب باثارتين عجيب

ثم فتحه هاشاً منعياً امامنا ، وهو يقول مرحباً بالكرام . وجاء بالمصباح فقلنا له اسرع لم يبق من الليل الا بقية قليلة . هات لنا خمر الطيبة

فابدى لنا صباها ثم شبابها
فلما اجتلاها للتداسي بدا لها
لها مرح في كلصها ووثوب
نسيم جبر ساطع ولهب

ثم جاءت جارية بيدها يزهر فاخذت تنفي لنا ونحن نشرب . وما زلنا على هذي الحال ، كاس تذهب وكاس تفي . ، حتى غنت لنا « سرى البرق غريباً غن غريب » فقاضت مدامع العشاق منا وامسنا بين سرور بنشوة الخمر وبالك من شدة الهوى ، حتى لاح الصباح

وقد فابت الشعرى العبر واقبلت نجوم الثريا بالصباح تؤوب

* * *

ولنسمعه يقص علينا بلسانه الخاص حديث زيارة اخرى الى بعض هذه الحانات ، ويصف لنا الخمار وامرأته وميزانها المقشوم وخمرها الممتعة ، وكيف حل الخمر الى رفاق كانوا ينتظرونه في بستان « فاقاموا رداً من الزمن يتعمون النفس بين الرياحين بعيدين عن اعين الرقيب والحاسدين . قال -

إذا خطرت منك المهرم فداؤها
بكأسك حتى لا تكون مهموم
الى قوله

فشئت اثنائي وهزلت مسرعاً
الى بيت خمار افساد زحامة
وفي بيته ذق وذن ودورق
ودهقانة ميزانها نصب عينها
فاعطيتها صُفراً وقبّلت رأسها
وقلت لها هزني الدنان قديفة
وقلبي من شوق بهكاد يهيم
له ثروة والوجه منه يهيم
وباوية تروي الفنى وتقيم
وميزانها للشترين فقوم
على انني فيما اتيت مُلِيم
فقلت نعم اني بذلك زعيم

وبعد ان تحضر له الخمر من قبر قديم عثقت فيه يقول

فرحت بها في زورق قد كنتها
ومن ان للسك الركي كنتوم
الى فتية نادتهم لحديثهم
وما في رندامي ما علت لثيم
فتنت نفسي والندامي بشرها
فهذا شقاء سر في ونعيم
لمسري لئن لم يفر الله قنبها
فان هذا في الحساب ألم

ولو سألت نفسك ما الذي يستغنى في حديث كهذا - حديث الخمر والمبت والمجون
لصعب عليك الجواب ، ولكنه في الحقيقة مستر في تضاعيف الايات - هو هذه الحفة
الروحية في الشاعر - هذا الطرف الادبي الذي كان يجيبه الى الناس - ولو انه كان غير
ذلك - لو كان صريح الروح واللسان ، لاستغنى ولاشأزت نفسك من استماع احاديثه .

شخصيته في شعره

ليس لابي نواس في غير شعره الطبيعي (الفزلي والطردي والحري) شخصية خاصة .
وقد مرت بنا صورته في غزله ، وانه هناك يجلو لنا ضعف النفس والتزعزعات اليبسية السافلة .
اما طردياته فاداجيز تصف الكلاب والقطود وطيور الباز وما الى ذلك من اسباب الصيد
والطرد . وهو فيها شاب مرح يتنعم بقوة الشباب وعشرة اهل الرخاء ، ويقرن ذلك بحال
في الوصف ورضا في التعبير . واليك مثالين من طردياته - قال

لما تجلى الليل وابيض الأفق^(١) وانجذب سحر الليل عن وجه الطرق^(٢)
 باحسارني سهل الحياء والحلق^(٣) نسب اذا استندبت شهيم لبق^(٤)
 يدهو الى الصيد ألا - قلت انطلق^(٥) باكلب غضف صبيحات الحدق^(٦)
 من اصفر اللون ومبيض يقق^(٧) كأننا اذناه من بعض الجرق^(٨)
 لو يلمص الحد باذن لالتصق

وقال ينمت كلاباً اسمه خلّاب لسته حية فات

يا بؤس كلابي سيد الكلاب^(٩) قد كان اغشاني من العقاب^(١٠)
 وكان قد اجزى عن العقاب^(١١) وعن شراني جلب الجلاب^(١٢)
 يا عين جودي لي على «خلّاب»^(١٣) من للظباء العفر والذئاب؟^(١٤)
 خرجت والدنيا الى نيباب^(١٥) به وكنان هذلي ونابي^(١٦)
 اصفر قد خرج بالملاب^(١٧) حكأفا يدهن بالزرياب^(١٨)
 قيينا نحن به في الثاب^(١٩) اذ برزت كالحقة الانساب^(٢٠)
 وقتناه جرداه من الثياب^(٢١) لم ترع لي حقاً ولم تحاي^(٢٢)
 غرّ وانصاعت بلا ارتياب^(٢٣) كأننا تنفخ من جراب^(٢٤)
 لا أبت ان أبت بلا عقاب^(٢٥) حتى تذوق اوجع العذاب^(٢٦)

وكل طردياته على هذا النمط ، يصف فيها ما كان يتسلّى به اهل الرخاء من حيد
 الغزلان وسواها . وهي صورة رشقة للبيئة التي كان يعيش بها الشاعر .

* * *

قلنا انه في غزل ابي نواس تتجلى لنا «بهيمة» ، وفي طردياته مرحة وتروث . على
 ان في شخصيته شيئاً اعمق من ذلك تنفذ اليه من خلال اقداده ومجاسي سكره . ففهي
 شعره الحمري يقرن البهيمة والمرح يتشاورم قائم يذهب باناقة الحياة ويمجّدها من كل قيسة

(١) اي بدا النهار على الطريق

(٢) النصف المسترخية الآذان من الكلاب

(٣) جلب الجلاب اي البعيد

(٤) الزرياب ماء الذهب . واللاب طيب يشبه الزعفران

وجمال . واذك اذا دقت في تحليل شعره لتعرف به الى نفسيته الحقيقية تجده - على حبه
للحياة - مستخفاً بها . فهو من طلاب اللذة الساعية ينصرف الى الملاهي ليخدر اعصابه
فلا يرى آلام الحياة ومتاعها قال :

غدوت الى اللذات منهتك المترو وافضت بنات السر مني الى الجهر
وهان عليّ الناس فيما اريده باجست فاستغنيت عن طلب العفد
رايت الليالي مرصداً لمدتي فبادرت لذاتي بمبادرة الدهر

وقد نقل المزياني القصة التالية عن الحماز قال -

كنت عند ابي نواس . قال (ابو نواس) اسمع ايهاً حضرت . قلت هات ، فانشدني

وملأني بالوم تحسب انني بالجهل اوثر صحة النطار (١)
بكركت عليّ تلومني فاجتها اني لأعرف مذهب الاجرار
فدعني الملام فقد اضعف عوابتي وصرفت معرفتي الى الانكار
ورايت انياني اللذات والمهوى وتبجلاً من طيب هذي الدار
اخرى واخرى من تنبأ آجله عليّ به رجم من الانصار
ما جاءنا احدٌ ينجّر انه في جنّة من مات او في نار

فلما بلغ الى هذا البيت قلت له : يا هذا ان لك اعداء ، وهم ينتظرون مثل هذه
الحققات ، فانتك الله في نفسك ودع الافراط في المجون ، واكتفها . قال : لا والله لا
اكتفها خوفاً ، وان قضى شيء . كان ، فسمي الحبر الى الفضل بن الربيع ، ثم الى الرشيد ،
فما كان بعد هذا الا اسبوع حتى حبس (٢) .

ومن قوله -

أعاذل اقصري عن بعض لومي قراجي توبتي عندي مخيب
تعيّرتني الذنوب وايّ حرر من الفتيان ليس له ذنوب
عُريت بتوبتي ولجعت فيها فشقي الآن جيئك لا اتوب

هذه هي روح ابني نواس يرى الدهر واقفاً له بالمرصاد — يرى الموت نهاية كل شيء
فيقول لنفسه وما نفع الحياة وماذا تجد فيها غير الشقاء ؟ ويشمر بقوة وشبابه فيثب الى
خمار المسرات الزائلة ويجحّض فيها وهو يقول

طربت الى الصنج والمزهر	وشرب المدامة بالاكبر
واقبت عني ثياب الهدى	وغضت بحوراً من المنكر
واقبلت اسحب ذيل المجنون	وامشي الى القصف في المنذر

ولا يقف عند الاستخفاف بقية الحياة بل يقرنه باستخفاف بتواهي الادب والشريعة
كقوله

ولاح حلاني كي يحمي بيده	وتلك لعمري خطئة لا اطيقها
حلاني كي لا اشرب الخمر انها	تورث وزراً فادحاً من يذوقها
فا زادني اللاعنون الا حاجة	عليها لاني ما حيت رفيقها
أرفضها والله لم يرفض اسمها	وهذا امر المؤمنين صديقها
فمن وان لم تسكن الخلد عاجلاً	فا خذتها في الدهر الا رحيقها

وقوله :

بكيت وما ابكي على دمن ففر	وما بي من عشق فابكي على الهجر
ولكن حديثاً جاتنا من نبينا	فذاك الذي ابصر دموعي على النحر
بشريم شرب الخمر والنهي جاءنا	فلسا نعي عنها بكيت على الخمر
فأشربها صرفاً واعلم انني	اعزّر فيها بالثانين في ظهري

ولم يقل هذا الاستخفاف فيه تقدمه نحو المشيب ، فقله لا يقف عن اعتبار او نظر في
المواقب بل من ضعف او كلال . اسمه يذكر ايام الشباب ، وكانك تشعر بأسفه ان الدهر
لم يبق له غير القوة على مقاومة الخمر —

كان الشباب مطية الجمل	ومحزن الضحكات والمزل
كان الجمال اذا ارتديت به	ومشيت اخطر صيت النمل (١)

(١) الصيوت شديد الصوت

كان المشفع في مساريه عند الفتاة ومدرك التبل^(١)
 والباعثي والناس قد رقدوا حتى ابست خليقة البعل
 والآثري حتى اذا عومت نفسي اعان يدي بالقعل
 فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبا رحلي^(٢)
 والراح اهراسا وان رذأت بلغ المعاش وعلقت فضلي

الى ان يقول

فاعذر اخاك فانه رجل مرقت مسامحه على الذل

* * *

ولكن هل ادرك الشاعر ما يتوخاه من الدنيا ؟ نحن هنا امام مسألة عقلية لا يصحنا
 الاغضاء عنها . والجواب عليها يتناول احد امرين

١ - ان الحياة اثم ما في ابدينا ، وان سعادتها ثقافة على تفهم قيمتها الحقيقية والسعي
 لادراكها

٢ - او ان الحياة هزلة لا قيمة لها ، وما على العاقل الا ان يتناساها بالانغماس في
 اللذات الدنيوية

ولنا الآن في مقام يمكننا من تحليل هاتين النظريتين تحليلاً فلسفياً وافياً ، على انه
 لا بد من القول ان الاولى منهما نظرة جدية الى الحياة - نظرة الى جمالها الحقيقي وفرصها
 الثمينة ، وان الثانية نظرة استخفاف اليها وانصراف الى سغانها

في الاولى يحاول الانسان ان يسعى نحو مرمى عال قد لا يحصل عليه ، ولكن السعادة
 كل السعادة في هذا السعي المتواصل ، وبعبارة اخرى في شعور الانسان بالتقدم نحو المثل
 العليا . وفي الثانية يتسلك الانسان خوار العزقة فيقف فشلاً ويحاول ان يستر فشله بخدشات
 الحياة الباطلة . ومن افضل الامثلة على ذلك ما رواه في رباعيات عمر الحيام من ميل الشاعر
 المنكر الى نسيان الوجود وآلامه بالخر . ولعل الحيام تأثر شعر ابى نواس ومذهبه ،

(٢) المخاربة ترك النور وقصد السداد

(١) التبل اي الثأر

وجرفه تيار التناؤم الى هذه الحياة الحليية . وانك لتجالس ابانواس في مجالس لهو فتسمع
 تمهقته ونكاته ، ويطربك ظرفه وجمال حديثه ، وتعبجك خفة روحه بين اقتداحه وتدمانه ،
 ولكنك تستشف من وراء ذلك مراوة وتشاؤماً ، ربما كانا سبب عيشه بمخائلي الحياة
 واسترساله في اسباب الملاحى . ولا يظهر ذلك في ايان قوته وريعان شبابه ظهوره بعد ان
 اضمغه الدهر وحط عن ظهر الصبا رحله كما قال . ذلك الاستخفاف الذي عرف به وهو
 في نشاط العمر ، تحول ايام الضف الى اسير مؤلم ، لا عن تقوى ولكن عن شعور بالفضل .
 كان يشرب الخمر ويقول غير مبال .

الراح شيء عجيب انت شاربہ
 يا من يلوم على حمراء صافية
 فاشرب وان حثلتک الراح اوزاردا
 صر في الجنان ودعني اسكن الناردا

ثم خدمت فيه قوة الشباب وفارقت ايام الهناء والرخاء فرأى ماضياً متهمكاً وفرصاً
 ضائعة ونفساً شائبة بالمعاصي فصاح آخفاً

حب في الفناء سفلأ وعلوا
 ليس من ساعة مضت لي الا
 ذهبت جذلي بطاعة نفسي
 وتذكرك طاعة الله نظروا
 لمف نفسي على ليلال . وابام غلبن
 لمبا ولها
 قد اسانا كل الاساءة فالاسهم
 صففاً عفاً وغفراً وعفوا

قابل هذه الايات بما ذكرناه سابقاً وقابلها بقوله

رداً علي الكاس انك كما
 لا تدريان الكاس ما تجدي
 خوفتاني الله وبكما
 وكخيفتي رجاءه عندي
 لا تمذلا في الراح انك كما
 في فلة عن كنه ما تسدي
 ان كنتا لا تشريان معي
 خوف العقاب شربتها وحدي

وقوله من قصيدة

ألم ترني اجمت الراح عرضي
 واني عالم ان سوف تنأى
 وعض مراشف الظبي المليح
 مافة بين جثاني وروحي

وانظر كيف تحول اشره الى ضعف واستغفانه الى شعور بالفشل . وقد ذهب بعضهم انه كان يعترف ما يعترف انكالا على الله ، ويستشهدون على ذلك بقوله
لا تخف العفو ان كنت امرءا حرجا فان حظركم بالدين ازراء
وقوله

حتى اذا الشيب فاجاني بطلته	اتبع بطلته شيب غير مبغوت
عند الغواني اذا ابصرن طلعه	اذن بالصرم من رد وتشتت
فقد ندمت على ما كان من خطي	ومن اضاءة محسوت المراقبت
ادعوك سبحانه اللهم فاعف كما	مفوت يا ذا العلى عن صاحب الحوت

او قوله من قصيدة

بادر شبابك قبل الشيب والمار
وحشحت الكاس من بكر لا بكاد
الى قوله

فذاك قبل تول الشيب مادتنا
لكتنا زنجي خمران ففاد

الى آخر ما نراه من كلامه الزهدي . وليس ذلك بادل على التوبة وحسب التردد والتجدد مما هو على الشعور بالضعف والخور والحطوف
جاء في الاغانى من محمد بن ابراهيم الصوفي قال :

دخلنا على ابى نواس نعوده في عاتق التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي :
يا ابا علي انت في اول يوم من ايام الآخرة وآخر يوم من ايام الدنيا « وبينك وبين الله
هناك ، فتب الى الله عز وجل . فبكى ساعة ثم قال ساندوني ساندوني . ثم قال
أخوف بالله عز وجل ، وقد حدثني حماد بن مسلم عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك ،
قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكل نبي شقاعة ، واني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي يوم القيامة . افتراني لا اكون منهم ؟

هذا الشعور بفشل الاباطيل هو الذي كان يدفع شاعرنا في اواخر ايامه الى الندم
والتعصير ، وقد صدق الجرجاني اذ قال « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء

الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب ان يعنى اسم ابى نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات (١) .

على انه لا يجوز ان نحصر الحكم على فن الشاعر في منطقة الشرائع الوجدية والاجتماعية التي اتفق عليها المصلحون والمهذبون . فالشعر لا يتقيد بذلك ، وما جماله قائماً فقط على ما فيه من عبر وارشاد ، بل على ما يتجلى فيه من شعور وحياة . الادب فن يتجلى فيه خوالج النفس ، وعلى هذا التجلي تتوقف مقلة الشاعر الفنية .

نعم ان ابانواس لم يزهّد تجدد في طبيعته ، بل مات كما عاش . وقد ترك لنسباً شعراً يحفظ لا لسبب مواعظه ، ولكن لحفة روحه ، وجمال صنعه ، واتمته اطلال حياته وحياة بيئته .

المختار من شعر أبي نواس

١ - فرباز و مجالس لهره

وداوني بالتي

دع عنك لومي فان اللوم اقراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تقل الاعزان ساحتها لو منها حبرٌ مثته سراء

قامت باريقها والليل مشكراً فلاح من وجهها في البيت لألاء^(١)
فارسلت من فم الابرق حافية حصناً اتخذها بالعين اغشاء
رقت من الماء حتى ما يلائمها لطافة وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لما زجها حتى تولدت انواراً واضواء
دارت على فتية دار الزمان بهم^(٢) فما يصيبهم الا بما شاهدوا
تلك ابكي ولا ابكي لقلبي كانت تحملها عند واسماء^(٣)
حاشا لدرّة ان تُبنى الحيام لها وان تروح عليها الابل والشاء^(٤)
فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء^(٥)
لا تحظر الفخر ان كنت امرءاً حواجا فان حطركه في الدين إزاء

لها مرح في كاسها

دع الوبع ما للوبع فيك نصيب وما ان سبني زينب وسكوب

(١) قبل هذا البيت بيت مخدوف يصف به فتاة حافية (٢) وفي رواية - دان الزمان لهم

(٣) اي انا ابكي عليها لا على الطفل البالية (٤) درّة كناية عن الحية

(٥) تعريض بالنظام احد رؤساء المعتزلة المتوفى ٣٣١ هـ والمعتزلة تشدد التكبير على مرتكبي

ولكن سبتي البالية انها
 جفا الماء عنها في المزاج لأنها
 اذا ذاقها من ذاقها حلفت به
 وليلة دجن قد سررت بقتية
 الى بيت خمأر ودون عجله
 ففرغ من ادلاجنا بعد هجمة
 تناوم خوفاً ان تكون ساية
 ولما دعونا باسم طار ذمره
 وبادر نحو الباب سياً ملئاً
 فاطلق عن ناييه وانكب ساجداً
 وقال ادخلوا حينئذ من عصابة
 وجاء بمصباح له فاناره
 فقلنا أرحنا هات ان كنت بائساً
 فابدى لنا صهباء ثم شباهها
 فلما اجتلاها للتداسى بدا لها
 غباء بها تحذوها ذات رزهر
 فما زال يقينا بهكأس مجدة
 وغنى لنا صوتاً بحسن ترجع
 فمن كان منا عاشقاً فاض دمه
 فمن بين سرور وباك من الهوى
 وقد غابت الشموى القبور واقبات

لشلي في طول الزمان سلوب
 خيال لها بين العظام ديب
 فليس له عقل بعد اديب^(١)
 تنازعها نحو المدام قلوب
 قصور منغات لنا ودروب^(٢)
 وليس سوى ذي الكبرياء رقيب^(٣)
 وعوده بعد الرقاد وجيب
 وايقن ان الرجل منه خصب
 له طرب بالزاتين عجيب
 لنا وهو فيا قد يظن مصيب
 فترككم سهل لدي رحيب
 وكل الذي يبغي لديه قريب
 فان الدجى من ملكه سيب
 لما مرج في كأسها ووثوب
 نسيم عبر ساطع ولهب
 يتوق اليها الناظرون ربيب^(٤)
 تولي واخرى بعد ذاك تزوب
 «سرى البرق غريباً لمن غريب»
 وعوده بعد السرور نجيب
 وقد لاح من ثوب الظلام غيوب
 نجوم الثريا بالصباح تشوب

(١) اديب نعت عقل اي ليس له عقل اديب بعد في القول

(٢) كانت الخانات عادة في محلات بيضة عن اعيان الناس

(٣) ذو الكبرياء اي الله ذو الكبر . والادلاج الجبر ليد

(٤) اي منية تحمل عوداً . والريبب الطبية او المنفعة

وحبك ضوءها مصباحا

ذكر الصُّبُوحَ بِسُحُرة فَأَوْتَاها
أَوْفَى عَلَى شَرْفِ الْجِدَارِ بِسُدْفَةٍ
بَادِرُ صِبَاكَ بِالصُّبُوحِ وَلَا تَكُنْ
أَنْ الصُّبُوحَ جَلَاءَ كُلِّ غُخْرٍ
وَعَدِيدِ لَذَاتِ مَعْلَى صَاحِبِ
نَيْبَةٍ وَاللَّيْلُ مَلْبَسٌ بِهِ
قَالَ ابْنِي الْمَصْبَاحَ قُلْتُ لَهُ أَتَشَدُّ
فَكَبْتُ مِنْهَا فِي الرِّجَاجَةِ شُرْبَةً
مِنْ قَهْوَةٍ^(١) جَاءَتْكَ قَبْلَ مَزَاجِهَا
صَبَاءٌ تَقْتَرِسُ النَّفُوسُ فَا تَرَى
شَكَّ الْبَرَالِ^(٢) فَوَادِهَا فَكَأَنَّهَا
صَحَرَتْ بِكَائِكَ الزَّمَانِ حَدِيثِهَا
فَاشَاعَ مِنْ أَسْرَارِهَا مَسْتَوْدَعًا
فَأَتَتْكَ فِي صُورٍ تَدْخُلُهَا الْبَلَا
فَكَأَنَّهَا وَالْحَكَايَا سَاطِعَةٌ بِهَا

وَأَمَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحَ صِبَاها
غَرْدًا يَصْبِقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحًا^(٣)
كَسُوفَيْنِ غَدَا عَطِيقَ شَعَاها
بَدَرْتُ يَدِيهِ بِكَأْسِهِ الْأَصْبَاحِ
يَقْتَاتُ مِنْهُ فَكَأَمَةٍ وَمَزَاجِها
وَأَزَحَتْ عَنْهُ نَقَابَهُ فَأَوْتَاها
حَسْبِي وَحَبِيبُ ضَوْأِهَا مَصْبَاحِها
كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحَ صِبَاها
عُطْلًا فَالْبِهَا الْمَزَاجَ وَشَاحِها
مِنْهَا بَيْنَ سَوَى الثَّبَاتِ جَرَاها
أَهْدَتْ إِلَيْكَ بِرِيحِهَا تَفْشَاها
حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّامَةَ بِهَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ لَمْ يَكُنْ لِيِبَاها
فَارَاهُنَّ وَاثِبَتْ الْأَشْيَاها
صَبَحٌ تَقَارِبُ أَمْرُهُ فَاَنْصَاها

روحان في جسد

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدِّنِّ فِي لُطْفِهِ
وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحِ
حَتَّى أَثْنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدِ
وَالدِّنُّ مَسْطَرَحُ جَسْمًا بِلَا رُوحِ

لا جف دمع الذي يبكي على حجر

حَاجَ الثَّقِيَّ عَلَى رَسْمِ بَائِلِهِ
وَعَجَبْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَارَةِ الْبَلَدِ^(٤)

(١) القهوة من اجاء حشر
(٢) يريد بالثقي هنا الشاعر الذي يبكي على الطلوله

(١) بسدفة اي قبيل الفجر
(٢) حديدية يفتح جا الدنة

يسكن على طلل ^١ ضيق من أسد
ومن تميم ومن قيس ولهما ؟
لا جف دمع الذي يسكن على حجر
كم بين ناعت خمر في دساكرها
دع ذا عدتك واشربها متعة
من كف مضطر الزنار متدل
أما رأيت وجوه الأرض قد نضرت
حالك الوبيع بها وشياً وجالها
واستوفت الخمر أحوالاً بحرمة
فاشرب وحد الذي تحوي يدك لها
يا عاذلي قد انتهي منك بادرة
لو كان لومك نصفاً كنت الجله

لا درء درك قل لي من بنو اسد
ليس الأعارب عند الله من أحد
ولا صفاء قلب من يصبر إلى وقد
وبين بالك على نومي ^(١) ومتصد
صفاء تفرق بين الروح والجسد
كأنه غصن بان غير ذي أود
والبستها الزراني نثرة ^(٢) الاسد
بيانع الزهر من مشي ومن وحد
واقتر عيشك من لذائك الجدد
لا تدخ اليوم شيئاً خوف فقر غد
فان تقدمها صفري فلا تذر
لكن لومك موضوع على الحسد

نقتر عن درء

خفيت عليك محاسن الخمر
فصرفت وجهك عن متعة
يسمى بها ذو نقتر فنج
ولميت قولك حين تشربها
« لا تخمين » نقار خايقة

ام فارتك نوايب الدهر
نقتر من قدر وعن شذر ^(١)
متكحل اللخطات بالسحر
فقول مثل كواكب النمر ^(٢)
والهم يجتمعان في صدر

(١) ما اعظم الفرق بين من يصف الخمر ومواطنها وبين من يسكن على الانوار . والنوي المنارة
حول الخيمة . والمتنشد المقام او ما تقدم من متاع الخيمة

(٢) نثرة الاسد اسم لثلاثة كواكب + يريد بذلك ان مطرما البس الارض بطلا من الازهار

(٣) الشذر قطع الذهب

(٤) كوكب النمر اسم نجم . اي فتصيب في الغم غياب ضوء النجم وراء الافق

اقنأها

ودار قداسي مطلقوها وادخلوها
 مساحباً من جز الزقاق على الثرى
 ولم اتر منهم غير ما شهدت به
 حبست بها صحيي فحدثت عهديهم
 اقنأ بها يوماً ويومين بدمه
 تدار علينا الراح في مسجدية
 قرارتها كسرى ولي جنباتها
 فلاخسر ما زرت عليه جيوبها
 يا اتر منهم جديد ودارس
 واضقات ونيحان جني ويايس
 شرقي ساباط الديار الباس^(١)
 واني على امشال تلك طابس
 ويوماً له يوم الترحل خامس
 حبتها بانواع التصاوير فارس^(٢)
 مهي تدريها بالقسي الفوارس
 والساء ما دارت عليه القلائس

اجدت ابا عمرو جفود لنا الخرا

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم
 فلما حكى الزنار ان ليس مسلما
 فقلنا على دين المسيح ابن مريم ؟
 ولكن يهودي^١ يبحك ظاهراً
 فقلت له ما الاسم قال ستوال
 وما شرفتي كنية عربية
 ولكنها خفت وقل حروفها
 فقلنا له عجباً بظرف لسانه
 فادبر كالزور يقسم طرفه
 وقال لسري لو تواتم بتغيرنا
 الى بيت خمار تولنا به ظهرا
 ظننا به خيراً فظن بنا شراً
 فاعرض مزوراً وقال لنا هجرا
 ويضرب في المكنون منه لك القدرا
 ولكنني اكنى بسرور ولا همرا^(٢)
 ولا اكسبتي لا نساء ولا ظرا
 وليس كاخرى انما جعت وقرا^(٣)
 اجدت ابا عمرو جفود لنا الخرا
 لاوجلنا شطراً واوجهننا شطرا
 لناكم لكن سنوسعكم عذرا

(١) ساباط مكان بالمدائن ، وهذه الايات قيلت في مجلس نحو هناك (زعر الاداب للحميري)

(٢) عسجدية اي كاس ذهبية عليها صور فارسية (١٧٥-٢)

(٣) اي ادعى ابا عمرو وليس له ولد جدا الاسم

(٤) وابست كالكنية الاخرى الثقبلة

نجاء بها زينة ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا
خرجنا على ان المقام ثلاثة فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا
مصابة سوه لا ترى الدهر مثلهم وان كنت منهم لا يرينا ولا صفرا
اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم يحذونها حتى تفوتهم مسكرا

رضيت من الدنيا بكأس وشادن

غدوت على الذات منهتك السر وهان علي الناس فيما اريده
رايت الياسي مرصداً لمذاقي فبادرت لذاتي مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادن فبادرت لذاتي مبادرة الدهر
مُدام ربت في حجر نوح يدورها عليّ ثقيل الردف مطمر الحصر
صحيح مريض الجفن مُدن مباحداً عيت ويحي بالوصال وبالهجور
كان ضياء الشمس نيط بوجهه وبدر الدجى بين الثواب والنحر
اذا ما بدت ازدار جيب قيصه تطلع منه صورة القمر البدر
فاحسن من ركض الى حومة الوعى واحسن عندي من خروج الى النحر^(١)
فلا خير في قوم تدور عليهم كؤوس المسايا بالمشقة السمر
نجياتهم في حكاك يوم وليلة ظبي المشرفيات المزينة للقبر

واهتدى ساري الظلام بها

يا شقيق النفس من حُكم فلت عن ليلى ولم أُنم^(٢)
فاسقني البكر التي اختمرت بنجمار الشيب في الرُحِم^(٣)
لُقت انصاف الثياب لها بعدما جازت مدى الهرم

(١) ذاك عندي افضل من جهاد الحرب وافضل من ان اخرج الى غر الذبائح

(٢) حُكم اسم القيلة التي كان ينتمي اليها

(٣) لهذا البيت عدة تفسير منها : ان نجمار الشيب نسج العنكبوت الذي حول الدن . وقد كُتِبَ من الدن بالرحم . ومنها ان الشيب اشارة الى ما يلو الكرم من الزهر الابيض . والكومة رحم الحمر على المجاز

فهي لليوم التي بُزات
عُثِّتْ حتى لو اتصلت
لاحتبت في القوم مائلة
فرمتها بالزجاج يد
في نداسي سادف زهر
فتمتت في مفاصلهم
فعلت في البيت اذ مزجت
واعتدى ساري الظلام بها

وهي تررب الدهر في القدم
بلسان تاطق وفم
ثم قصت قصة الامم^(١)
خلقت لل سيف والقلم
اخذوا الذنات من أمم^(٢)
صكتني البرء في النقم
مثل فعل الصبح في الظلم
كاعتداء الشر بالعلم^(٣)

فهذا شقاء مرء في ونعيم

اذا خطر منك الموم فدارها
أدها وخذها قهوة بابل^(٤)
ولا عرفت ناراً ولا يذر طايخ
لها من ذكي المسك ربيع زكية
فشممت اثراني وهرولت سرعاً
الى بيت نخار افاد زحامة^(٥)
وفي بيته زق وذن ودرق
فازلقه سود وحر دقانه
ودفقانه ميزانها نصب هينا
فاعطيتها صفرأ وقبلت رأسها
وقلت لها هزي الدنان قديمة
الست تراها قد تممت رسومها

بكأسك حتى لا تكون هموم
لها بين بصري والعراق كروم
وي حشش اذ تهيج نسوم
ومن طيب ربيع الزعفران نسيم
وقلي من شوق يكاد يهيم
له ثورة والوجه منه يهيم
وباطية تروي الفتى وتيسم
فضي البيت حبشان لديه وروم
وهذاتها المشقون فشوم^(٦)
على انني فيما اتيت ملهم
فقلت نعم اني بذلك زعيم
كما قد تممت للديار رسوم^(٧)

(١) اي جلست للفرقاء واخذت نفس طيبهم اخبار الاقدمين

(٢) من امم اي من اقرب الطرق (٣) كما يتندي المسافرون باعلام الطريق

(٤) افاده اي ارجعه مالا (٥) دهقانة اي سيدة وهي الباشة هنا

(٦) هذا البيت وما بعده يستف قدم هذه الخمرة وانما كانت محفولة لدعقان في دنان نسج عليها

الصكوكوت نسجه فاصبحت لا يتجزأ احدها من الآخر

ذخيرة دهقان^(١) حواها لنفسه
 فقلت بكم رطل؟ فقالت باسفر
 فرحت بها في زورق قد كتبتها
 الى فتية نادتهم لحذتهم
 فتنت نفسي والتداسي بشرها
 لسري لكن لم ينفر الله ذنبها
 اذا ملك الغني عليه غشوم
 حفرت زقاقاً وزهرن عظيم
 ومن اين لك الزكي كدوم
 وما في قداسي ما علت لقيم
 فهذا شقاء مر في ونعيم
 فان عذابي في الحساب اليوم

فلسفها بالروح والريحان

لا تخشعن اطارق الخدعان
 أو ما ترى ايدي السحاب رقت
 من سوسن غفر الفطاف واخرم
 وجني ورد بيتيك بحنه
 حراً وبيضاً ليختين واصفراً
 كمتود باقوت نظمن ولؤلؤه
 ومن الزبرجد سولمن عسلاً
 فاذا الموم تعاونك فلها
 وادفع همومك بالشرب القاني
 حال الذي بدائع الريحان
 وينفج وشقائق النعمان
 مثل الشوس طلعن من اعصان
 وبلوناً بيدائم الالوان
 اوساطهن قلائد القيان
 محطاً يلوح بجانب البستان
 بالراح والريحان والندمان

ديني لنفسي ودين الناس للناس

اني عشقت وما بالعش من ياس
 ما لي وللناس لم يلحونني سفهاً
 ما للعداة اذا ما زدت مالكتي
 الله يعلم ما تركي ويارككم
 ولو ندرت على الاتيان جتكم
 وقد قرأت كتاباً من صائفكم
 ما مر مثل المهري شيء على راسي
 ديني لنفسي ودين الناس للناس
 كأن اوجههم تطلى بانقاس^(٢)
 الا بخافة اعدائي وحراسي
 سياً على الوجه او مشياً على الراس
 لا يرحم الله الا راحم الناس

(١) الدهقان كلمة فارسية معناها رئيس الاقليم

(٢) انقاس جمع نقس وهو الخبر الاسود

نشقى وبلتذ خيالانا

عاد لنا الوصل كما كنا	إذا التقي في النوم طيفانا
نشقى وبلتذ خيالانا	يا قمره العين لنا
انمت احسانك يقطانا	لوشئت اذ احسنت لي غافنا
فاصبعا غضي وعضبانا	يا عاشقين التقيا في الكرى
وانما تصدق احياننا	كذلك الاحلام غرارة

ومن اقواله في جنان

قالت أراد خيانتني وغروري	غضبت لهور في الكتاب كثير
فاظهر فيه لكفرة التميع	كتب الكتاب على خلاف ضميره
فادالك من حزن هناك سروري	لا والذي ان شاء صيرنا معاً
مني ولا للهو والتقصير	ما كان ذاك لما أتى من قولها
صفه اللسان بما يكنه ضميري	كبت عيني والدموع سواك
فجري دموع العاشق المهجور	فاظهر من قبل الدموع وانما

وقال —

قالت سننظر ردّها من قابل	اين الجواب واين ردّ رائل
قالت نعم بجواره وجنادل	فدوت كفي ثم قلت تصدقوا
وارجع قال لك عندنا من نائل	ان كنت مسكيناً لجارز بابنا
الله عاقب في انتهار السائل	يا تاجر المسكين عند سؤاله

٢ - مراثيه واوصافه

وهو لا يخرج في معظمها عن مذاهب الشعراء المتقدمين

قال بمدح الامين

يا دار ما فعلت بك الايام ؟ طامتك والايام ليس تضام
 قهرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين ، والزمان غرام
 ايام لا انشى لاهلك موقلاً الا مراقبة طلي ظلام
 وقد نهزت مع القواة بدوهم واهت مرجح البهو حيث اساموا^(١)
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشابه فاذا عصارة كل ذاك انام
 واذا المطي بنسا بلفن محراً فظم ودهن على الرجال حرام
 قربتنا من خير من وطى الغرى فلها علينا حرمة وذمام
 رفع الحجاب فلاح اناظر ملك اذا علقت يداك بجمله
 فاليه^(٢) مشتمل بيدر خلافة ان الذي يرضي الاله بيديه
 ملك اذا اعسر الامور مضى به فسلت للامر الذي ترجى له
 طامتك والايام ليس تضام ملك اذا علقت يداك بجمله
 قهرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين ، والزمان غرام
 ايام لا انشى لاهلك موقلاً الا مراقبة طلي ظلام
 وقد نهزت مع القواة بدوهم واهت مرجح البهو حيث اساموا^(١)
 وبلغت ما بلغ امرؤ بشابه فاذا عصارة كل ذاك انام
 واذا المطي بنسا بلفن محراً فظم ودهن على الرجال حرام
 قربتنا من خير من وطى الغرى فلها علينا حرمة وذمام
 رفع الحجاب فلاح اناظر ملك اذا علقت يداك بجمله
 فاليه^(٢) مشتمل بيدر خلافة ان الذي يرضي الاله بيديه
 ملك اذا اعسر الامور مضى به فسلت للامر الذي ترجى له

(١) تحز بالدلو اي ضرب جاك الله لثمنه . ومعنى البيت انه شارك الذوات في لغوهم وما شاعهم في ضلالتهم

(٢) البهو البيت المقدم امام البيوت ويراد به هنا قصر الخلافة

وقال يمدح الفضل بن الربيع

- ومعظتك واعطة القدير
ورددت ما كنت استمر
فالآن صرت الى النهى
هذا وبجر تنانيف
للجن فيه حاضر
قاربت من ميسوطه
لأزور قفو الله في الـ
يا فضل حارزت المدى
انت المعظم والمنكسر
فاذا العقول تقاطعتك مرضى في حكمهم وبغير
واذا العيون تأملتك صدون عن طرف حيد
ما ذات في عقل الكبير وانت في من الصغير
حتى تصارت الشبيبة واكسبت من القدير
صف المداخل والخا رج والفريزة والضير
واقه غص بك الحلي فاقصطفاك على بصير
فاذا آلات بك الامور كفيته فحم الامور^(١)

- (١) القدير الشيب او اوله ، والوجه النظمه والبهجة والكبر والنخوة
(٢) النسي العقل ، ولوت اختبرت
(٣) التناقب جمع تنوفا وهي المقارنة
(٤) الحاضر ، من معانيه المحي العظيم ، والسبح المسار ولا يكون الا بالبل
(٥) المنقوس النقة النليطة الوثيقة ، والميسجور الناقة المربعة
(٦) من الكرم متعلق بصقو ، والخطير الرفيع
(٧) تقاطعتك تصورتك بنظرة ، والجدير (بالكبر) الكرم والشرف
(٨) تصارت اي عصرت مرة بعد مرة ، والقدير الشيب
(٩) الات بك الامور استودعتك ايها ، والقحم جمع قحمة وهي الممالك والمصاعب

من قاس غيركم بكم قاس الشاذ على البحور^(١)
 ابن القليل بنو القليل من الكثير بني الكثير
 قوم كفوا إنشاء مكّة تازل الخطب الكبير
 فتداركوا جزر الخلافة وهي شامة النصير^(٢)
 لولا مقامهم بها هوت الرواسي من تبير

ومن لطائفه قوله يصف بعض سفن الامين

سبحر الله للامين مطايا
 فاذا ما ركابه سرن برأ
 اسداً باسطاً ذراعيه يمدو
 لا يعانیه باللعيام ولا السو
 حجب الناس اذ رأوه على صو
 سبحوا اذ رأوك سرت عليه
 ذات زور ومنر وجناحين تشقّ الأباب بمد المصاب
 تسبق الطير في السماء اذا ما استجلوها بجينة وذهاب
 بارك الله للامين وابقا
 ملك تقصّر المدائح عنه
 لم تسخر لاحاب المهراب^(٣)
 سار في الماء راكباً لث غاب^(٤)
 اهزت الشدق كالج الانياب^(٥)
 ط ولا غمز رجله في الركاب
 رة لث يرمى من الحاب
 كيف لو ابصرك فوق المقاب
 ه وابقى له رداء الشاب
 هاشمي موقوف للصواب

وقوله متظافراً يخاطب الفضل

أنت يا ابن الربيع ألزمتني الشك وعودتني والحيد عاده

- (١) الشاذ الماء القليل (٢) الجزر قطع الشاة المذبوحة اي تداركوا الخلافه من الشجر و
 صاحب المهراب هو سليمان الحكيم
 (٣) كان للامين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة وهي اللث والمصاب
 والدلفين كما هو ظاهر في هذه الايات
 (٤) اهزت الشدق اي واسعه

فارعوى باطلبي وأقصر حياي وتبدأت عفة وزهده
 لو ترائي ذكرتُ للعن البصري في حسن سمته أو قتاده ^(١)
 المساييح في ذراعي المصحف في لثي مكان القلادة
 فادع لي لا عدت تقويم مثلي ونفطيت لوعد السجادة
 تر إثمًا من الصلاة يوجهي تؤن النفس إنما من عياده
 لو رآها بعض المرائين يوماً لاشتواها بعدّها للشهادة
 ولقد طال ما شقيت ولكن أدر كنتي على بدبك العادة

وله مدائح مشهورة في الميأس بن عبد الله ، وابن أبي جعفر المنصور ، وفي الخليفة بن عبد الحميد المرادي أمير خراج مصر . فلتراجع في ديوانه .

من شعره الجعري

وهو يمثل شعوره وقد صجر وشم حياة الخلافة والمجون

إذا امتحن الدنيا لبيب

يا رب وجه في القراب متيق ويا رب حسن في القراب رقيق
 ويا رب حزم في القراب ونجدة ويا رب رأي في القراب وثيق
 أرى كل شيء هالكاً وابن هالك وإذا حسب في المالكين عريق
 فقل لقريب الدار أنك ظاعن إلى منزل نائي المحل صحيح
 إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عذري في ثياب صديق

وعليك الفصد

خلّ جنيتك لرام وامنض منه بلام
 مت بداه الصمت خير لك من داه الكلام

(١) الحسن الجعري وقناة إسماعيل معروفان من أهل القرن الأول

ربما استفتحت بالمرزح مغالبك إلهام
 رب لفظ ساق آجا ل نيام وقيام
 انما الالم من الهم فاه بلجام
 فالبس الناس على الصحة منهم والسقام
 وعليك الفصد ان القصد ابقى للجسام^(١)
 شئت يا هذا وما تترك اخلاق الفلام
 والمنايا آكلات شاربات لالنام

كأني لا اعود

ألم ترى تحت اللهو نفسي وديني واعتكفت على الماهي
 كأني لا اعود الى سعاد ولا اخشى هنالك من قصاص

فأني قد شيعت^(٢)

ايا من بين ماطية وزر ايام في يدي فان مغني
 اذا لم تنة نفسك عن هواها وتحسن صونها فاليك عني
 فأني قد شيعت من الماهي ومن إدمانها وشعب مني
 ومن اسوا واقبح من لبيد يرى متطرباً في مثل سني

وقال يرثي نفسه وقد شارف الموت

دب في الفناء سقلاً وعلوا واراني اموت عضواً فعضوا
 ليس من ساعة مضت لي الا نقصني برها في جزوا
 ذهبت جناتي بطاعة نفسي وقد ذكرت طاعة الله يضوا^(٣)
 لحف نفسي على ليال وايام غلتيهن لباً ولها
 قد اسأنا لكل الاساءة قاللهم صفوا عنا وغفراً وغفوا

(١) اي اعتدل ان الاعتدال ابقى للقوة (٢) وتروى هذه الايات ايضاً لاني المتابعة

(٣) التبتو الثوب اليالي اي بعد ان اصبحت عاجزاً

أبو العتاهية

إسماعيل بن القاسم

١٣٠ - ٢١١ أو ٢١٢ هـ

(٧٤٨ - ٨٢٨ م)

مصادر دراسته - كلفة في نسبه واتهامه بالزندقة - حياته الادبية - رسالته
الشعرية - مقابلاته بالي نواس - شاعريته - حسناته وسيئاته الفنية

مصادر دراسته

- طبقات الشعراء لابن المقفّ (١٩٣٩) ص ١٠٥ - ١٠٨
 الشعر والشعراء لابن قتيبة (لندن) ص ٤٩٢ - ٥٠١
 مروج الذهب للمسعودي ج ٢ في اخبار المهدي والرشيد
 الاغانى (بولات) ج ٣ ص ١٢٦ - ١٨٣
 ج ٦ ص ١٨٦
 ج ٨ ص ٢٤
 ج ١٩ ص ١٢٩ - ١٥٠
 الموشح للرزباني ص ١٥١ - ٢٦٣
 زهر الآداب للحصري ج ٢ ص ٣٥ - ٣٩
 الصدة (هندية) ٢ - ١٠٦
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (مصر) ج ٦ ص ٢٥٠ - ٢٦٠
 وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٣
 مقدمة ديوان ابي القاسم رواية النسري (طبع الاباء اليسوعيين بيروت)
 واخبار متفرقة في الكامل والتهرست والمعدة وغيرها

كلمة في نهب وزندقة

في كل عصر وفي كل قطر ، اذا كثرت اسباب الفنى والتوف ، نشأ في المجتمع البشري
مجرمان متطرفان : الاول مجرى البعث والخلاعة ، والثاني مجرى الحرص والتشلف .

في الاول ترى المسترسلين في الموبقات والشهوات الجارئين مع الاهواء الى اقصى
الغايات ، وفي الثاني ترى الذين عافت نفوسهم ملذات الدنيا « فتكفوا عنها الى ذوايا
الزهد ينموتون الى الناس زخارفا ، ويدعونهم الى تنقذها والنظر الى ما وراءها . وكما يمثل
ابو نواس في عصره الفئة الاولى وبمعكس لنسب حياتهم وعواطفهم ، يمثل زميله ومعاصره
ابو القاسم الفئة الثانية وبمعكس في ديوانه مواطن المتطرفين من الروحانيين والاخلاقيين .

نشأ شاعرنا في الكوفة ، حتى اذا نضجت صناعة الشعر فيه ام بداد فاقصل بيلاط
الباسيين ومدح المهدي والمهدي والرشيد ، ومات في خلافة المأمون وقد بلغ الثمانين . وقبل
البعث في شعره نذكر نقطتين لم يوضحهما مؤرخوه تمام الايضاح وهما نسبة وزندقة . فقد
ذكر بعض المؤرخين وقبهم المستشرقون نسكسون وهوار^(١) ان ابا القاسم عربي الاصل .
واذا راجعت ما اورده الاصفاي وابن خلكان ومن نقل عنها رأيتهم يتفقون على نسبته
الى مرة بالولاء . ففي الاماني من محمد بن موسى قوله « ولا ابي القاسم من قبل ابيه
لمزة ، ومن قبل امه ابني زهرة^(٢) » . ولعل في اسم بلدته التي ولد فيها ما حداهم الى
ذلك القول ، فقد ولد في عين التمر وهي على ما ذكرنا بلدة في الحجاز . والحقيقة ان في
العراق بلدة تعرف بهذا الاسم^(٣) والاصح ان تكون هي مسقط رأس الشاعر . فانه نشأ
في الكوفة والكوفة وعين التمر كلتاها من سقي الفرات . ومما قد يؤيد صحة هذا
القول ان بعضهم كان يشبهه بالزندقة^(٤) ، ولم يكن يشبه بها عادة الا الذين يتبنون بنسب
الى الفرس . ولم يكن ابو القاسم شديد التمسك بنسبه فكان طول حياة يزيد بن منصور

(١) Nicholson, Lit. Hist, 296 - Huart. Hist. of Ar. Lit. 74

(٢) الاغاني ٣ - ١٢٧ (٣) ابن خلكان ١ - ١٠٠ ومجمع البلدان لباقوت

(٤) ابن قتيبة (ليدن) ٢٩٧

البحري يدعي انه مولى لليسن ويستفي من مائة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه الاول^(١) وما ذلك فعل من ينتسب نسباً عريضاً الى العرب .

اما زندقته واتهامه بمذهب الفلاسفة فليس في شعره ما يشتمها ، ولم يذكره ابن النديم في جملة شعراء الزنادقة الذين عاصروا اما الناهية . وكل ما رأينا من هذا القبيل ان قوماً من اهل عصره كانوا ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ويحتجون بان شعره انما هو في ذكر الموت دون الآخرة^(٢) وهو ليس بصحيح . وقد توهم كوكب زهير من البيت التالي اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين

ان الشاعر ينوء بفضل بوذا . والحق ما ذكره تكتلسون من ان ذلك لا يراد به في وصف النبي الزاهد ، دون الاشارة الى شخص خاص^(٣) .

ومما نسب فيه الى الزندقة الابيات التالية^(٤)

اذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فلا تراه الدهر امضى واجوز

وقوله في مقية^(٥)

يا رب لو انيثلها بما في جنة الفردوس لم انسها

ان المليك ذلك احسن خلقه ورأى جمالك

لحذا بقدره نفسه حور الجمال على مثالك

وايس في هذه الابيات عند التحقيق غير مبالغات خيالية قد تجري على لسان المؤمن لتقرير ار ايضاح معنى شرعي . ونقلوا عن الصولي قوله بالجوهرين المتضادين كالثبوت وقوله بالجبر وما شاكل^(٦) . وقد جارهم العلامة زيدان فقال في تاريخه وكان ابو الناهية

(١) (الافغاني ٣ - ١٢٦) (٢) (الافغاني ٣ - ١٣٦) راجع ايضا وفيات الاعيان تحت ترجمة

ابن المقري Lit. Hist. of the Arabs 297 (٣)

(٤) ابن قتيبة (ليدن) ٥٠٩ (٥) (الافغاني ٣ - ١٥١) (٦) (الافغاني ٣ - ١٨)

سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقنّب على اطوار شتى شأن الذين يحلّون
انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد ^(١) . على ان الناظر في شعره لا يجد فيه
غير رجل متريّ يزي الفقراء متغنّياً باناشيد الزهد . وليس فيه اثر انظر نقدي في السكون
او لزعة فلسفية في الدين .

عبارة الاديب

تظهر لنا حياة ابى العتاهية في مظهرين - حياة النزول والمناذمة ، وحياة الوعظ
والتقشف - فقد اجمع المؤرخون ان شاعرنا كان في اول امره يعيش عيش المنتهكين من
شراء عصره ^(٢) ولكنه لم يكسب ببلغ الحسنيين حتى تحول عن سبيلهم . وكان ذلك على
ما رواه صاحب الاغانى في خلافة الرشيد . قال « كان ابو العتاهية لا يفارق الرشيد في
سفر ولا حضر الا في طريق الحج ، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين الف درهم سوى
الجواز والمعادن . فلما قدم الرشيد الرقة (وذلك سنة ١٨١ هـ) يس الشاعر الصرف
وزهد ، وترك حضور المناذمة والقول في النزل ^(٣) . فكان شاعرنا اذن في صباه وفي
شبابه يجري مجرى اهل الظرف والحلافة ، حتى زعموا انه كتب باي العتاهية لانه كان
يجب التهاؤ والمجون والتعش ^(٤) . لما الذي دفعه الى ترك مساكن عليه الشعراء والتمرام
طريقة الزهد والتسك ^(٥) . سؤال جدير بالنظر . ولا بد لنا قبل الاجابة عليه من ان ننظر
ليأبلى -

- ١ - حائته النفسية واستمداده الفطري لذلك
- ٢ - تأثر نفسه بتهتك معاصره وقادهم في اسباب الترف
- ٣ - فشله في حبه اقتاة من جوازي المهدي
- ٤ - ميله الى الطريقة الزهدية في الشعر

اما استمداده الفطري فليس لنا من دلائل صريح عليه ولكننا نستنتج مما عرف من

(١) تاريخ آداب اللغة ٢ - ٦٨

(٢) راجع مجله مع ابى نواس وصرح القوافي في العقد ٣ - ١٦٤

(٣) الاغانى ٣ - ١٥٧ (٤) الاغانى ٣ - ١٢٧

الى العتاهية من حب المال والحرص على الدنيا ، انه كان ذا نظر في المواقب وعلى شيء - حتى في أبان شبابه - من ضبط النفس بما لا زاء عادة في متهتكى عصره فلم يكن شديد الميل الى الانفاق في سبيل الشهوات ، وبسكلة اخرى لم تكن مشاركته زملائه في مجونهم ايام شبابه لتقتل فيه ميسله الى الحرص والزناة . جادهم ولكن الى حين ، واندفع في تيار الحياة ولكنه لم يرخ نفسه العنان . ولم يلبث ان زأبناه يتراجع عنه مشمئزاً ، مهياً ملاً حزين ان يسلكوا سبيل الرشاد « وان يمتدبروا بطرؤف الزمان . ولا نشتك انه كان امصره فأنير عليه ، وان ذلك التأثير تحول الى عاطفة شعيرة مقابلة لعواطف زملائه يومئذ . فترك القزل والمادمة ، واختط لنفسه اسلوباً آخر احب ان يتفرد فيه . واثا لتلميح ذلك ما نقله لنا ابن منظور عن ابي غنيد الطائي قال « جاني ابو العتاهية فقال لي ان ابنا نواس لا يحالفك ، وقد اجبت ان نسأله الا يقول في الزهد شيئاً ، فاني قد تركت له المديح والهجاء والخمر والرفيق وما فيه الشراء ، والزهد شوقي . فبشت الى ابي نواس حجة الى « واخذتاني شأننا . فقلت لابي نواس ان اما اسحق^(١) (ابا العتاهية) من قد عرفت جلالته وتقدمه « وعد احب انك لا تقول في الزهد شيئاً . فوجم ابو نواس عند ذلك وقال يا ابا غنيد قد قطعت علي ما كنت احب ان ابلغه من هذا . . . ولا اخاف ابا اسحق فيما رغب اليه^(٢) . « فار العتاهية اذن اصطنع الزهد واتخذ طريقتة فنية مندفاً اليه بشوق نفسه الى هذا النوع من الشعر . واذا صح ما زعمناه اشارتنا من الاستعداد الفطري ، وانه مجازاة لهذا الاستعداد رأى ان يتفرد بالزهد دون سائر ابواب الشعر ، بقي ان ننظر في المحرك المباشر الذي حرك في نفسه شهوتها الزهدية وحسب اليه ترك حياته الاولى . هذا المحرك هو على ما يقول المؤرخون نشله في حبه لمسة جارية الخيزران ام الرشيد وفي ذلك يقول المبري^(٣)

الله يتقل من شأ
ابدى العتاهي نكناً
« رتبة بعد رتبة
وقاب عن حبة عنبه

ومن المسمودي ان ابا العتاهية ليس للحدوف لياسه من عتبة^(٤) . وكان ذلك ايام

(١) كتيبه الخفيفة ابو اسحق واثا ابو العتاهية لقب له

(٢) اخبار ابي نواس

(٣) التزويبات ١ - ١١٨

(٤) المسمودي ج ٧ - ٣٣٦

الرشيد ، وقد آثر المحجن على ان يرجع بعدها الى قول الفزلي (١) . أما انه احب هذه الجارية حباً شديداً فذلك ما اجمع عليه المؤرخون واليك بعضاً من غزله فيها -

يا عتب سبتني اما لك دين	حتى متى قلبي لديك وعين
وانا الذلول لكل ما حلتني	وانا الشقي البائس المسكين
وانا العذل لكل هالك مسعد	والكل حب صاحب وخدين
لا بأس لي لذك عندى راحة	لأص ان يلقى الحزين حزين
يا عتب اين افر منك اميرتي	وعلي حصن من هوائك حصين

وقال من قصيدة

صكأها من حسنها درة	احوجها اليم الى الساحل
كانا فيها وفي طرفها	سواحر اقبلن من بابل
لم يسق مني حبها ما خلا	حشاشة في بدن ناهل

ويذكر الحصري ان ابا العتاهية ضرب مئة سوط ونفي الى الكوفة من اجل غزله بعنبة ، وان المهدي قال حين نفيه « أي يترس ولحرمي يتعرض وينساني يمست (٢) » وجاء لابن قتيبة انه حبسه ، ثم تشفع له يزيد بن منصور خال المهدي فاطلقه (٣) . والظاهر انه خاف المهدي فانتطع من ذكر الجارية . فلما مات داد امه فطلبها من الرشيد كباروى المبرد ولكنه باء بالقتل . وبين اول حبه لعنبة ويأسه من الحصول عليها نحو من عشرين سنة بقيت فيها شرارة الحب مشتتة يرغم كل الموانع ، ويرغم انه كان متزوجاً . وهو حب شديد وغريب في عصر كعصره ، يذكرنا بحب شاعر ايطاليا لفتاته بياتريس وما كان له من التأثير في نفسه كل حياته .

من فشل دانتى نشأت الرواية الالهية . قبل من فشل الى العتاهية نشأ شره الزهدي ؟ قد يكون ذلك .

على ان في مسلكه الزهدي ما راب بعض اهل زمانه . وتحذر هذا الريب بصحة

(٢) زهر الادب ٢ - ٣٦

(١) الاغانى ٣ - ١٢٠

(٣) الشعر والشعراء (ليدن) ٢٩٨

زهده الى الاجيال التالية . هذا ابو العلاء المعري يقول في البيتين الاتفي الذكر « ابدى العتاهي نسكاً » . وفي العبارة ما فيها من الشك في ذلك النسك . وهناك حكايات لمعاصريه تنم على روح الاستغفاف بقرعده ، وتشمه بالادماء والتظاهر . من ذلك ما رواه الاصمغاني عن غامة بن اشرس قال انشدني ابو العتاهية :

اذا المرء لم يُعْتَق من المال نفسه تَلَحَّصَهُ المَالُ الذي هو ماله
الا ■ مالي الذي ■ منفق ■ وليس لي المَال الذي انا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادره بالذي ■ يحقن والا استهلكته ماله

فقلت له من اين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله (ص) انك من مالك ما اكلت فافيت ، او لبست فابليت ، او تصدقت فامضيت . فقلت له اتؤمن ان هذا قول رسول الله (ص) وانه الحق ؟ قال نعم . قلت فلم تجلس عندك سبياً ومشرين بدرة في دارك ، ولا تاكل منها ولا تشرب ولا تركي ؟ ولا تقدمها ذحواً ليوم فترك ؟ فقال يا ابا معن والله ما قلت هو الحق ، ولكنني اخاف الفقر والحاجة الى الناس . فقلت وبم تريد حال من افتقر على حاله ، وانت دائم الخرص ، دائم الجمع شحيح على نفسك لا تشتري اللحم الا من جيد الى جيد ؟ فترك جوابي كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد اشتريت في يوم ماشوراء لحماً وتوابله وما يتبد بخمسة دراهم . فلما قال هذا القول اضحكني حتى اذهلني من جوابه ومعاتبه ، فامسكت عنه وعلت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام . (١)

وروي الحصري عن الحديث التالي قال : دخل ابو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوف فقال ألم اكن قد نبهتك عن هذا (اي عن التصوف) . فقال ابنه وما عليك ان اتعود الحذر ؟ فآخذ ابو العتاهية يرفقه ويقرعه ثم قال له اقبل على سوقك فانها أعود عليك . وكان ابنه بزراً (٢) . وامثال هذه الحكايات كثيرة تجدها في الاغاني وسواه . ولعل ذلك ما حمل سلم بن عمرو الملقب بالحاسر ان يفضب حين انشد ابو العتاهية قصيدته التي يقول فيها مخاطباً مسلماً يهذين البئين :

تعال الله يا سلم بن عمرو اذلّ الخوص اعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك غنواً ليس يصير ذاك الى الزوال

فقال سلم : « وبلي على الجرّار الزنديق جمع الاموال وكثرتها وعبساً البدور في بيته ثم
ترعد مراآة ونفاقاً فاخذ يهتف بي اذا تصدّيت للطلب . » (١) وقال الجّاز ابن اخت سلم
ويرويا ياقوت اسلم نفسه .

ما اقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا اضحى وامسى بيته المسجد
يخاف ان تنفذ ارزاقه والرزق عند الله لا يتفد

وانك اذا تحربت الحكايات الكثيرة التي ينقلونها عن ابي التهاية تجد اساسها شك
معاصره بصدق تزهد . وهذا الشك مبني عندهم على ما يلي : ١ - سيرته الاولى
٢ - حرصه على المال ٣ - تعذّب الناس من الوعظ والاتذار . وجل ما يقال هنا ان الرجل
صدف عن سيرته الاولى ، وانه لزم جانب التدبّر والتحفّ الشعر الزهدي فذاً فاجاد فيه (٢) .
ولم يكن زهده انقطاعاً عن الدنيا وتزهداً من حطائها ، ولكن تقيحاً لمساك . تزيها
وانذاراً نحو . مصبرها ، واشباعاً لشهوة غنية لم يستطع الا اشباعها . وكان يرغم ما يحكونه
محترماً من معاصره حتى من ابي نواس (٣) .

رسالة ابي التهاية في شعره

لا يحمل شاعراً في شعره رسالة جديدة ، ولا يضع مبادئ فلسفية خاصة . وانما هو
يعكس لنا روح الشرق الدينية - احتقار الحياة الدنيا وتعظيم الآخرة . اقرأ كل ديوانه
فلا ترى فيه الا دعوة الى ترك الجهاد في سبيل التقدم والتحرر من قيود المطامع .

(١) معجم الادباء لياقوت ٦ - ٢٥٨

(٢) قال الخطيب البغدادي كان يقول في الغزل والديح والمجاء قديماً ثم تنسك وعدل عن ذلك
الى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ - تاريخ بغداد ٦ - ٢٥١

(٣) راجع في المصدر نفسه حديث ابي نواس واجلاله لابي التهاية حتى قال ما رأيته قط الا
توهمت انه سايدي والما ارضي

حتى متى يستقر في الطمع ليس لي بالكفاف مشع
ما افضل الصبر والقناعة للناس جميعاً لو انهم قنعوا
واخضع الليل والنهار لاقوام اكرم في التي قد رتموا
فه در الذي فقد لعبت قلبي بقوم فما ترى صنعوا
اثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا
وكان ما قدموا لانفسهم اعظم فقراً من الذي ودعوا

وقال

طلبت الفنى في كل وجه فلم اجد سبيل الفنى الا سبيل التعفف
خائلي ما اكفى اليسر من الذي نحاول ان كنا بما عفا تكفي
وما اكرم العبد المريض على الندى واشرف نفس الصابر المتعفف

فانت في ذلك وفي سائر شعره امام منبر واعظ يرشدك الى سبيل القناعة ، سبيل الخير
كما ينص عليها الدين . ولكن في وعظه شاعرة جلية وحنناً شجياً يخفف عليك مشقة
الاصغاء الى الوعظ ولا سيما من واعظ يُعرف فيه الحرص وحب المال . وهو واعظ الموت
والظلام ولكن في نبراته ما يجذبك اليه .

واي شيء ادل على شاعريته من ان يحملك الى المقابر فيقف بك هناك امام الجثث
البالية والعظام النخرة ، ثم يصف لك ظلام القبور واحوال الحمام ، وينذرك بظلمم الانسان
واباطيل الحياة في شعر يثير شعورك ويزيل بهجة الدنيا من امامك . وانت مع كل ذلك
تسم في ابياته ايهاً يحلو لاذنيك ، فتصفي اليه مسروداً ، وتشعر منه بشرة خفية قللاً
قلبك وتحرك عواطفك .

لدا الموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تباب
لمن نبني ونحن الى تراب نصير كما خلقنا من تراب

صوت شجي تقف لديه معتبراً خاشعاً ، ولكنك لا قلبت ان تعيده لنفسك فتفتدي
بجماله تمام الموت وهبوسة القبر . ثم تسمعه يقول

الا ياموت لم ارا منك بداً اتيت وما تحيف وما تحاي

كأنك قد هجمت على مشبي كما هجم المشيب على الشباب
وانك يا زمان لذر صروف وانك يا زمان لذر انقلاب
ادرك وان طليت بكن وجه كحلم النوم او ظلم السحاب

فتنظر الى الموت فترك الى صديق مؤاس يأتي ليخلصك من الزمان ، وينقلك الى
خلال الجنان . ولماذا ترى الموت كذلك وهو الرعب المخوف ؟ لان الشاعر يضرب على
وتر شجي يهيج فيك حاسة الاستحسان ، فيطربك ويلقي على ما حوالك من فساد ورعب
مسعة من جمال الفن الشعري الذي يحول الظلام الى نور ، ولرعب الى امن وطمأنينة .
وتثبتت ذلك في نفسك اجمع الايات التي يصف بها طمع الانسان وجوب القناعة
وذوال الدنيا - وما تلك بمواضيع تلذ الانسان عادة ، ثم شرح شعورك لدى سماعها

الم تريب الدهر في كل ساعة له ماض فيه المنة تلعب
ايا بائي الدنيا لنعرك نبتي ويا جامع الدنيا لتعرك تجمع
ارى المرء وتأبأ الى كل فرصة والمرء يوماً لا محالة مصرع
تبارك من لا يملك الملك غيره متى تنقضي حاجات من ليس يشبع
واي امرئ في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سواها تطلع

وقوله

خايلكم من ميت قد حضرته ولستني لم انتفع بمحزوري
ومن لم يزده السن ما عاش عبدة فذاك الذي لا يستفيد بنور
اصبت من الايام لينة اعقر فاجريتها ركضاً ، واين ظمور
متى دام لفتيا سرور لاهلها فأصبح منها وانقأ بسرور

وقوله

رجعت الى نفسي بفكري لهاها تفارق ما قد غرماً واذلها
فقلت لها يا نفس ما كنت آخذاً من الارض لو اصبحت املك كلها ؟
فهل هي الا شبعة بعد جوعة والا متى قد حان لي ان اهلها
ارى لك نفساً تبغني ان تعزها ولست تعز النفس حتى تذللها

الى غير ذلك من العظات الروحية الباقية ، مما يشهوي النفس برؤم ما يتراءى فيه من

اهوال الموت وكلاحة الورع والزهد . وكل ديوانه على هذا النمط العالي ولا يعيبه الا
انه على وتيرة واحدة - موضوع واحد يردده في قصائد مختلفة الوزن والروي
ولا بد لنا في هذا المقام من ان نقف هنيهة نقابل الروح « التواسية » بالروح
« العتاهية » فالغا الشاعر روحه ، وما شعره الحقيقي الا مجلي لمواقفه الداخلية .

ابو العتاهية وابو نواس

كلاهما مثاشم - هذا في زهوه وسروره ، وذلك في زهده وتقديره . ابو نواس لم
يدرك قيمة الحياة ولم يفهم مراميها العالية فانفق نفسه وقواه في سقائها ، وابو العتاهية اخطأ
الغاية من وجود الفرد ومن علاقته بالمتجمع ، فتمنى عليه ذلك ودعا الى نبذ الدنيا والاهتمام
بلاخرة . وكلاهما مخطئ - ذاك لافراطه في الباطلها ، وهذا لافراطه في الترهيد بها . ولو
اننا جاربنا شاعرنا في افواله وقناجا يطالبه في عطائه لتحشم علينا ان نقف كل جهاد وكل
سمي ، ونعيش عيشة الخول والقناعة . واين هذا من ارقى الاجتهاد الذي يتطلب من
كل فرد ان يسعى ويجتهد ليدرك اقصى ما يستطيع ادراكه .

ساقنم ما بقيت بقوت يوم .	ولا ابقي مكاثرة بال
تمالي الله يا لم بن عمرو	اذل اخرص اعناق الرجال
فما ترجو لشيء ليس يبق	وشيكاً ما تغفر الليالي

هي الروح الشرقية القديمة التي تحقر الدنيا وتنظر اليها كسر زائل حياة عليا . نظرت
تعبكنا كتب الدين ، واقوال الانبياء والاتقياء وقادة الحياة الدينية في كل جيل .
واننا اذا غسرنا القناعة (او الزهد) بانها الجام الشهوات الفاسدة والاطاع الثائرة والتعالي
من الطبيعة الحيوانية التي قد دعونا الى التعدي وحسب الازمة ، كانت القناعة حكمة اجتماعية
حالية ، بل صدق الداعون اليها انها باب السعادة الدنيوية . واما اذا كانت كما يصفونها
الوقوف عن الجهاد ، والبعد عن اسباب التقدم ، وطلب الراحة في زوايا المناحك ، والظهور
بظهر الفقر والتصرف ، فهي الخول الذي يزيد احكاد الانسان ويسد عنه سعادته
المشودة . وهنا وجه الضمت في رسالة ابى العتاهية : انه قام ينشد لنا اناشيد الدين دون
ان يتفنن في تطبيقها على الحياة العملية ، وكان في شعره بقدر الزهد ورجال الدين تقليداً .

والأفني وسع من كان في مقدوره الشعرية ان يستخلص من حياة عصره صوراً اجتماعية
عالية يصورها فيريها جمال الفضائل الدينية والآداب القومية ، او قباحة اضرارها ، على
نحو ما يفعل الاجتماعيون من شعراء وتأثرين .

عكم

ولابي العتاهية في هذا الضرب من المنظوم مكانة عالية - فهو قد برز بضرب الامثال ،
وعقد جوامع الحكمة في أبيات شمرية جميلة : واليك امثلة من ذلك

اخوك الذي من نفسه لك منصف اذا المرء لم ينصفك ليس اخاك

وليس امرؤ لم يروع منك بجهد بهج الذي ترعاه منه ينصف

هب الدنيا تداق اليك عفواً ليس مصير ذاك الى الزوال

وذقت مرارة الاشياء طرأ فاطعم امرئ من السؤل

اجلك قوم حين صرت الى الفنى وكل غنى في العيون جليل
وايس الفنى الا غنى زين الفنى عشة يقري او غداة ينيل
اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت اليه وسال الناس حيث ميل

توق بدا تكون عليك فضلاً فصانها اليك عليك مال

طلبت المستقر بكل ارض فلم ار لي ارض مستقر
اطعت مطامعي فاستبدني ولو اني قتلت لكنت راء

لقد حلت الزمان اشطره فكان فيهن الصاب واللع
مالي بما قد اتى به فرح ولا على ما دلى به جزع

صاحب البغي ليس يعلم منه وعلى نفسه بنمي كل باغ

فه الدنيا اناس ذالعين لها قد ارتعوا في رياض النوى والفتن
كسائن رفاع تبتمى سناً وحشها لو درت في ذلك السن

واي امرى في غاية ليس نفسه الى غاية اخرى سراها تطالع

وا بلاني من دعاوي املر كلما قلت لداني بعدا
كم امنى بغدر بعد غد ينفذ العمر ولم اتق غدا

الم تر ان الفقر يوجب له الفنى وأن الفنى يخفى عليه من الفقر

هشت ذي الدنيا فليس بها احد اراه لآخر حامدا
حتى سكان الناس كلهم قد افروا في قالب واحد

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الظلك
الا لنقل السلطان من ملك قد انقضى ملكه الى ملك

انت ما استغنيت من صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه ساعة منك فوه

وله ارجوزة حكيمية جمع فيها كثيراً من الامثال البليغة .

وقد ذكر صاحب الاغانى انها تبلغ نحو اربعة آلاف مثل ، على انه لم يثبت منها غير
بضعة وعشرين مثلاً ١٠١ في ديوان ابى الساهية فقد نقل منها ما يقارب الحسين ولم تذكر
عليها كلها او على معظمها في كتاب ما ، ولعلها ضاعت في جملة ما ضاع من كتب الاولين
واكثر حكمها عادي على ان فيها كثيراً مما يبلغ الدرجة الاولى من الجمال

كقوله -

ان كان لا يفتيك ما يكفيك
فكان ما في الارض لا يفتيك

وقوله

ان يصلح الناس وانت فاسد
هيأت ما بعد ما تعذر

وهو معنى في غاية الجمال يريد بذلك ان المجتمع لا يصلح ما لم يصلح كل فرد ذاته .

وقوله

من جعل الشام عينا هاهنا
مهلك النمر كباميه اها

وهو معنى متداول مأثور ولكنه جميل .

ومن اجل معانيه قوله

يوسع الضيق الرضا ماضيق
وانما الرشد من التوفيق

ولو اردنا التوسع في الشطر الاول من هذا البيت لضاق بنا المقام وهو من اثبت

الحقائق العقلية والاجتماعية .

وهناك كثير من امثال هذه الابيات وهي تدل على مقدرة الشاعر على سبك الحقائق في قوالب شعرية جميلة ، على ان حكمه عموماً محدودة المعنى فهو يصرها في معنى واحد من معاني الحياة ، ويظهر فيها مظهر الرشد الشئذ ، والحكيم الواعظ . ولو قابلتها بحكم المتنبي مثلاً لوجدت هذه اوثق علاقة باجريات الحياة ، وباتالي اكثر شوعاً بين جميع الطبقات . وما الفرق بين ابى القاهية والمتنبي في هذا الباب الا ان الاول بنى حكمه على ما تتطلبه حياة الرشد ، فجاءت على حسن نظمها مقيدة بغايتها . ولما الثاني غاض غبار الحياة ، وعرف حلوها ومرها . وقد ترك لنا اختباراته في ابيات يستهوي القلوب بجمالها ، لصدق ما ترجمه من احوال العمران ، وشدة مماثلتها لما يشعر به كل انسان .

شاعريته وشعره

قال صاحب الاغانى * ويقال اطبع الناس بشار والسيد وابو العتاهية - وكان ابو العتاهية غزير البحر لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الاقتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المردول مع ذلك - واكثر شعره في الزهد والامثال * على انه يرغم ذلك حكايا من الطبقة الاولى في النظم .

قال احمد بن زهير سمعت مصعب بن عذاف يقول ابو العتاهية اشهر الناس فقلت باني شيء استحق ذلك فقال بقوله

تعلقتُ بآمال	طوال اي آمال
واقبلت على الدنيا	منعاً اي اقبال
ايا هذا تجهز افرا	ق الاهل والمال
فلا بد من المرو	ت على حال من الحال

ثم قال مصعب هذا كلام سهل حق لا عشوفيه ولا نقصان ^(١) يعرفه العاقل ويقر به الجاهل . وقال ابن الاعرابي وقد اتاه رجل رضى ابا العتاهية بالضمف « فوالله ما رأيت شاعراً قط اطبع ولا اقدر على بيت منه » وما احسب مذهبه الا ضرباً من الشعر ^(٢) وسمع الجاحظ مرة من يشد ارجوزة ابي العتاهية التي سماها ذوات الامثال حتى اتي على قوله

يا للشباب المرح النصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للشندقف * ثم قال انظر الى قوله « روائح الجنة في الشباب » فان له معنى كمنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الا لسانة الا بعد التطويل وادامة التفكيك . ونحو المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه ^(٣) .

(٢) الاغانى (بولاق) ٣ - ٣١

(١) الاغانى (بولاق) ٣ - ٣٠

(٣) ٣ - ٢٣

وكان الاصمعي يقول شعر أبي المتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجواهر والذهب والتلاب والحزف والنوى .

وفي الأغاني مثل ابن مناخر عن أشعر أهل الإسلام فقال : من إذا شئت هزل وإذا شئت جد فتل جري ، ومن المحدثين هذا الحبيب (أي أبو المتاهية) الذي يتناول شعره من كنه ^(١) .

وقال الجرجاني كان اسماعيل بن القاسم (أبو المتاهية) لا يسكاد بخلي شعره بما تقدم من الأخبار والآثار ، فينظم ذلك الكلام المشهور ، ويتناوله أقرب تناول ، ويسرقه اغنى سرقة ^(٢) .

والمثال شعر أبي المتاهية يثبت لديه جل ما ذكرناه من وصف واصفيه . وأهم خصائصه الفنية ثلاث :

١ - سهولة الالفاظ وهي مذهبه في جميع قصائده .

نقل الأصفهاني قوله لابن أبي الأبيض وقد جاء يستريده من شعره . « فالصواب أن تكون الفاظه بما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا حبا الأسماء التي في الزهد . وهو مذهب أشرف الناس به الزهاد واصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء (كذا) والامة ، وأعجب الأشياء اليهم ما فهموه ^(٣) . » وانشد مرة ابياتا امام سلم الخاسر فقال سلم لقد جردتها لو لم تكن سرقة . فقال أبو المتاهية والله ما يرغبني فيها الا الذي زهدت فيه ^(٤) . وقد عرف له نقدة الشعر ذلك . قال ابن رشيق : ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ واعتبر فيها الركاسة واللين المفرط كالإي المتاهية والعباس بن الأحنف ومن تابعهما ^(٥) وهم يزعمون الفاية قول أبي المتاهية

يا اخوتي ان الهوى قاتلي فمجرؤا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى فاني في شغل شاغل

(١) الكامل ١ - ٢٣٨

(٢) الأغاني ٣ - ١٢٣

(٣) الأغاني ٣ - ١٥٤

(٤) الأغاني ٣ - ١٦١

(٥) المبدعة ١ - ٨١

عنى على عتبة منبهة
يا من رأى قبلي قتيلًا بكى
بسطت كفى نحوكم سائلًا
ماذا تردون على السائل
بدمعها المنعكب السائل
من شدة الوجد على القائل

وقد ذكر ان ابا العتاهية والماقاس والحسين بن الضحاك اجتمعوا يوماً فقام
ابو نواس لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء. فانشأ
ابو العتاهية هذه القصيدة فسلما له وامتنعوا من الانشاد بعده وقالوا اسما مع سهولة هذه
الالفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الاشارات فلا ننشد شيئاً .

٢ - وشاقة التعبير : وهي من مزايا الشعراء المطبوعين ويراد بها البعد عن التكرار
والتعقيد . تقرأ قصائد ابي العتاهية تتجدد رشيقة المبني تسيل عذوبة وطلاوة . وقد صنف
الخطيب البغدادي اذ قال « وكان سهل القول قريب المأخذ بعيداً من التشكُّف متقدماً
في الطبع (١) » . تأمل هذه الابيات التي قالها امام المهدي يميزه في بنت له . اتت حزن عليها
حزناً شديداً . قال شاورنا فوافيته وقد سلا وضحك واكل وهو يقول ؟ لا بد من الصبر
على ما لا بد منه . وان سلونا عن فقدنا ليسلونا عنا من يفقدنا . وما يأتي الليل والنهار
على شيء الا ابلهائه . فلما سمعت هذا منه قلت يا ابا العتاهية ان اذن لي ان المشدك . فان
هات فانشدته -

ما لأجددين لا يبلى اختلافهما
يا من سلا من حبيب بعد موته
كلُّ كلِّ نعيم انت ذنقه
من لغة العيش يحكي لغة الآل
لا تلعبن بك الدنيا وانت ترى
ما شئت من خير فيها واهل
ما حيلة الموت الا كل حيلة
او لا فسا حيلة فيها المحتال

وروي ان ابا العتاهية مرَّ بأبي نواس في السكة ومعه بعض الرفاق ، فسلم ثم اومأ
برأسه الى ابي نواس وانشأ يقول

لا ترقدن - لعينك المهر -
وانظر الى ما تصنع النير

واذا سألت فلم تجد أحداً فل الزمان فعنده الخير
انت الذي لا شيء تنصكه واحتق منك بمالك القدر
انظر ابو نواس الى من حوله وقال : « اقهر هذا ام انتم لا تبصرون » (١).

ومثل هذه الشهادة شهد بها بشار يوم انشد شاعراً قصيدته في المهدي
ألا ما لي بدتي ما لها ادلاً فاحل ادلالها
الى ان يقول -

انته الخلافة منقادة اليه فجزر اذبالها
ولو رامها احد فغيره لزلت الارض زلزالها

فقال انظروا الى امير المؤمنين هل طار عن امواله . والقصة مشهورة وقد ذكرتها
في المصادر .

وفي رثافة شعره يقول ابن الاثير (٢) « وهذا ابو النعمان كان في عز الدولة العباسية ،
شعراء العرب اذ ذاك موجودون كثيراً . واذا تأملت شعره وجدته كاللؤلؤ الجاري رقة
الخط ولطافة سبك ، وليس يدرك ولا وافر » . وحكم ابن الاثير فيه حكم خبير الا
له نقاضى من بعض ركاكته كما سقى بعد .

٣ - سرعة الخطر وما يقرن بذلك احياناً من الزكافة قيل له كيف تقول الشعر .
ال ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد . وكان يقول لو شئت ان
يحمل كلامي كله شعراً لفعلت (٣) . ووصفه ابن قتيبة بقوله « وكان احد المطبوعين ومن
الكاد يسكرن كلامه كله شعراً » .

فهو سريع الخطر واذا صح ما ذكرناه من وصف الاصمعي له لم يصح من الذين
يثنون بقربة ابياتهم وطرح ما يجب طرحه . وقد تناول الموزاني هذه الناحية من شعر
النعمان وذكر اقوال الناس فيها واورد له بعض ما يميضونه من شعره كتوله في غيبة -

(١) تاريخ بغداد ٦ - ٢٥٩

(٢) الاغاني ٢ - ٣١

(٣) المثل السائر ١٠٥

ألا يا عبثة الساعة أموت الساعة الساعة

وقوله في رثاء سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

وفيه ذلك من القول السخيف الذي تناقله الرواة من شعره (١).

فكان كثيراً ما تأتي الفأظه مكررة لأفائدة منها كقوله -

من أحسن لي أهل القبور ومن رأى من أحسن لي بين أطباق القرى
من أحسن لي ما حكنت ألفه ويألفني فقد انكسرت بعد الملتقى
من أحسن لي إذ يعالج غصة متشاعلاً بملاجهما عمن دما
من أحسن لي فوق ظهر سريره يثني به نفر إلى بيت البلى
يا أيها الحلي الذي هو ميت أفنت عمرك في التلألؤ والمني

فلو وثبت فوق البيت الثالث والبيت الرابع، حتى وفوق الثاني أيضاً لكان الاتصال بين الأول والآخر أشد ولم يخسر المعنى شيئاً يذكر. تأهيك بركاسة الفعل أحسن واستعمل الوصل بعد القطع فيه. وكذلك قوله -

أين الحماة الصابرون حجة يوم الهياج لحز مختلف القنا
وذو المنابر والمساكر والسا كر والحضائر والمدائن والقرى
وذو المواكب والكتائب والشجائب والمراتب والمناصب في العلى
افنأهم ملك الملوك فاصبحوا ما منهم أحد يحس ولا يرى
وهو الحفيظ الظاهر الملك الذي هو لم يزل ملكاً على العرش استوى
وهو المقدر والمدبر خلقه وهو الذي في الملك ليس له سوى
وهو الذي يقضي بما هو اهله فينا ولا يقضى عليه إذا قضى

فانظر التكرار غير المفيد في البيت الثاني والثالث، ثم تأمل تكريره لصنات الله في

الآيات الثلاثة الأخيرة . وكله من قبل سرعة الحاطر وتراحم اللفاظ على المعنى الواحد .
واقراً هذه الآيات من قصيدته التي مطلعها « لمن طلل أسائله مطلة منازل »
واحكم لنفسك فيما نحن بعده من ميله إلى الإطالة والتكرير وعدم التبرلة

أيتها القافر فيك من كنى نازله
ومن كنى قناجره ومن كنى نامله
ومن كنى نفاشره ومن كنى نداخله
ومن كنى نفاخره ومن كنى نطاوذه
ومن كنى نشاربه ومن كنى نؤاكله
ومن كنى نرافقه ومن كنى قنازله
ومن كنى نكارمه ومن كنى نجامله
ومن كنى له إنا قليلاً ما نزاوله
ومن كنى له بالأمس اخواناً نواصله

وقوله يتعجب من لا يهتم بأخوته

سبحان ربك ما أراك تنوب والراس منك بشيبة مخضوب
سبحان ربك ذي الجلال أما ترى نوب الزمان عليك كيف تنوب
سبحان ربك كيف يفلبك الهوى سبحانه ان الهوى قلوب
سبحان ربك ما تزال وفيك عن اصلاح نفسك فقرة ونكوب
سبحان ربك كيف يلتذ امرؤ بالعيش وهو بنفسه مطلوب

ومن ذلك قصيدة يذكر فيها الانسان وموته ونسيان الناس له قال فيها

فاذا ما استدعوه الأرض وهناً تحركوه
خلّفوه تحت رمس او قروه انقلوه
ابعدوه اسحقوه اوجدوه افردوه
ودّوه قارقوه اسلموه خلّفوه
وانشروا عنه وخلّفوه حكان لم يعرفوه

وله مثل هذا كثير في ديوانه وعمر راجع كما اسلفنا الى سرعة خاطره وتراحم الالفاظ حول المبنى الواحد من معانيه وعدم اعتنايه بطرح الثمن منها .

١ - عدم التفنن في الخيال . ولا اريد بالخيال هنا اللطائف الشعرية فقط من تشبيه واستعارة وكناية وما شاكل ، بل اعني الخطأ او الصورة التي يتخيلها الشاعر فيجعل الناس عليها الى عرضة . فانت اذا طالمت ديوان ابى القاهية لا تجد فيه الامور عرضاً واحداً يحوم حوله ويعرضه علينا عرضاً يكاد يكون واحداً - وصف القبور واهوالها - فناء الاعراض الدنيوية - فساد الانسان وعقاب الآخرة . ولقد تقرباً بضع قصائد منه فتستفي بها عن سائر الديوان . واذا كان لك جلد الباعث وتحملت عناء قراءته الفيت نفسك امام موسيقى شرقي يكرر عليك لحناً واحداً بكيفه على « تقاسيم » شتى فيؤثر فيك ، ولكنك لا قابض بعد مدة ان تشعر بملل من ذلك التكرار ، وبرغبة في استماع شيء جديد على تلك الاوتار . ليس لابي القاهية قلم الفنان الاجتماعي الذي يرى الحياة بطولها ويعرضها فيستخلص منها مواضيع شائقة يتفنن في عرضها على الجمهور . نعم ان العصور تختلف من حيث السياسة واسباب العمران ولكن الدوافع النفسية هي هي ، وما يحدث الآن كان يحدث في كل اوان .

لم يكن شاعراً حكيم الافتنان في انشاده ، بل كان له وتر واحد ينقر عليه نغمات متائلة مؤثرة ولكنها خالية من سعة التخييل والنفوذ الى مناطق الحياة الحقيقية .

فاذا قرنت ذلك بزاياه الاخرى من سهولة المبنى وسلاسة المبنى فهنت لماذا يختلف النظر في حقيقته ، ولماذا يجمع في شعره بين السمو والاسفاف والبلاغة والركاكة .

المختار من شعر أبي العتاهية

يقف على المقابر فينشد لنا نفثات الموت والآخرة - ويرغم أنه يكررها ويترجها
على وتر واحد نجد فيها إيقاعاً يلهو نفوسنا ويؤثر فيها

في غرور الدنيا

نصبت لنا دون التفكير يا دنيا أماني يفي العمر من قبل أن تنفي
متى تنقضي حاجات من ليس واصلًا إلى حاجة حتى تكون له أخرى
لكل امرئ فيها قضى الله خطته من الأسر فيها يستوي البعْد والمولى
وإن امرأ يسمى لغير نهاية لنفسه في لجة الفاقة الكبرى

في ذكرى الشباب

بكيت على الشباب بدمع مبني فلم ينز البكاء ولا النعيب
فيا أسفاً أسفت على شباب نعام الشيب والرأس الخضب
عريت من الشباب وكان غصاً كما يعرى من الورق القضب

في زوال الدنيا

لدا الموت رايتوا للخراب فكلكم يصير إلى قبائر
لمن نبني ونحن إلى تراب نصير كما خلقنا من تراب
ألا يا موت لم أد منك بدءاً اتيت وما تحيف وما تحاي
كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم الشيب على شبابي
ايا دنيائي ما لي لا اداني اسوءك مثلاً إلا نبائي
وإنك يا زمان لثو صروقه وإنك يا زمان لثو انقلاب

فألي لستُ احبُّ منك شطراً
وما لي لا ألحُّ عليك إلا
أراك وإن طليت بكل وجه
أو الالم الذي ولّى ذهاباً
وهذا أخلق منك على وفاة
وموعد كل ذي علم وسمي
تقلدتُ العظام من الخطايا
ومها دمتُ في الدنيا حريصاً
سأسال من امور كنت فيها
بأية حجة أحتج يوم الحساب
ها امران يوضحُ منهما لي
فأما أن أخلدَ في نعم
فأحد منك عاقبة الحساب
يمتدّ الهم لي من كل باب
كخلم النوم أو طلق السحاب
وليس يعودُ أو لمع السراب
وارجلهم جميعاً في الركاب
يا احدى غداً دار الثواب
كلني قد امنت من العقاب
فاني لا أوفقُ للصواب
فأعذري هناك وما جوالي
إذا دُعيتُ الى الحساب
كلني حين أنظر في كتابي
وإما أن أخلدَ في مذاب

في الحرية الحقيقية

طلبت المستقر بكل ارض
اطعت مطامعي فاستبدتني
فلم اذ لي بارض مستقر
ولو اني قنمت لكنت حراً

في اهل القبور

أخوتي مرّاً بالقبور
ثم ادعوا من عادها
ر وسلياً قبل المير
من ماجد تهرم ظفر
أغر ككالبقر المنير
موسوق وجبر الفناء
يا من تضئنه المقابر
هل فيكم أو منكم
من كبير أو صغير
من مستجاد أو مجير
يوماً يعرف أو نكير
او فاطق أو سامع
بمد الجدالة والسرور
اهل القبور احبتي

بعد النظارة والنضارة والتنعم والحرير
 بعد المشاهد والمجا لس والساكر والقصور
 بعد الحسان المسما مت وبعد ربأت الحدود
 اصبحتم تحت الثرى بين الصفائح والصخور
 اهل القبور اليحكم لا بد طاقية الامور

في غرور المطامع

حتى متى يستغنى الطمع اليس لي بالكفاف مشع
 ما افضل الصبر والقناعة للناس جميعاً لو انهم قنعوا
 واخذع الليل والنهار لاقوام اراهم في الغنى قد رنعوا
 اما المنيا فغير غافلة لكل حي من كأسها جرّع
 اي لبيب تصفو الحياة له والموت ورد له ومنتجع
 يانفس ما لي اراك آمنة حيث يكون الزوعات والفرع
 ما عذ للناس في تصرف حالاتهم من حوادث تقع
 لقد جلبت الزمان اسطوره فكان فيهن الصاب والسلم (١)
 ما لي بما قد اتى به فرح ولا على ما ولى به جزع
 قد در الذي قد لعبت قلبي بقوم فما ترى صنعوا
 بادوا ووقتهم الالهة ما كان لهم والايام والطلع
 اثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لانفسهم اعظم نفعاً من الذي ودعوا (٢)
 غداً يتنادى من القبور الى هول حساب عليه يجتمع
 هذا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما ذرعوا
 قبارك الله كيف قد لعبت بالناس هذي الالهة والبدع
 شئت حب الدنيا جماعتهم فيها فقد اصبحوا وهم شيع

(٢) ودعوا. تركوا

(١) نباتان مران

في شرف العفوف والرضى

مضى تنقضى حاجة المتكلمين
طلبت الفنى في كل وجه فلم اجد
اذا كنت لا ترضى بغيره قتاله
فلست من الممّ العريض بخارج
أراني بنفسي مريباً متعزّزاً
وإني لمين البائس الواهن القوى
وليس امرؤه لم يزع منك يجده
خليلي ما اكفى البعد من الذي
وما اكرم العبد الحريص على الندى
ولا ميا من متوف النفس مسرف
سبيل الفنى الا سبيل الثغف
وكنت على ما فات جمّ التلهف
ولست من الفيط الطويل بشتف
كأنى على الآفات لست بشرف
وعين الضيف البائس المتطرف
جميع الذي رماه منه بشتف
نحاول ان كنا بما عفت نكفى
واشرف نفس الصابر المتشف

في ضرورة التقي

بليت وما تلى ثياب صاكما
ألم تَرَ ان الشيب قد قام فاعياً
تسع ودع من افلق النوى سمه
ألا ليت شعري كيف انت اذا القوى
تقيت حتى قلت ثم تركتها^(١)
اذا لم تكن في متجر البر والتقى
اذا انت لم تعزم على الصبر للاذى
اذا كنت تبغى البر فاكف من الاذى
اخوك الذي من نفسه لك منصف
كفاك من اللغو المضّر كفاك
مقام الشباب النض ثم نساك
كأنى بداع قد الى فداك
وهت واذا الكرب الشديد علاك
تنهل بين الوارثين متاحك
خسرت نجاة واكتسبت هلاك
رمت الذي منه الاذى ورماك
وما البر الا ان تصكف اذا كا
اذا المره لم ينصفك ليس اخاك

(١) الضمير يرجع الى الدنيا

في فناء الحياة ومرارة الحرص

نعم نفسي الي من الليالي^(١) تصرّفتن* حالاً بعد حال
فما لي لست مشغولاً بنفسي وما لي لا اخاف الموت مسا لي
لقد ايقنت اني غير باق ولكنني اراني لا ابالي
اما لي عبرة في ذكرك قوم ففانوا ربما خطروا بيالي
كان ممرّخي قد قام بشي بنشي بين اربعة مجال
وخلفني نسوة يهكّين شجراً حضان قلوبهن على مقال
ساقنح ما بقيت بقوت يوم ولا ابقي معكثرة بال
تعالى الله يا - لم بن عمرو اذل الحرص* اناق الرجال^(٢)
هب الدنيا اتاق اليك غداً ليس مصير ذلك الي الزوال
فما ترجو لشيء ليس يتي وشيخك ما تغيّره الليالي
خبرت الناس قرونًا بعد قرن فلم اد غير خشال وقال
وذقت مرارة الاشياء طراً فما طعم امر من السوال

في المنيّة وبطشها

لمن طال اسائله محطّة منازلة
غداة رأيت تنمي اعاليه اسائله
وكنّت اواه مأهولاً ولصكن باد آهله
وكل لا عتاف الدهر معرضه مقاتله
فيصرع من يصارعه وينضل من يناضه
ينازل من يجم به واحياناً يحاته

(١) وفي رواية - الي مرّ الليالي

(٢) يخاطب الشاعر المعروف بسلم الحاسر وقد مرّ ذكره

واحياناً يؤخره وتارات يعاجله
 وكم قد عز من ملك تحف به قنابله
 يخاف الناس صوته ويرجى منه نائله
 وبشي عطفه مرحاً وتمجبه شمائله
 فلما ان اقام الحق ولي عنه باطله
 فقبض عينه للموت واسترخت مفاصله
 رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكبه
 الا فانظر لنفسك اي زاد انت حامله
 لمقل واحد بين المقابر انت نازله
 قصر السك قد رصت عليك به جنادله
 بعيد ترار الجيران ضيقة مداخله
 ألا إن النية منهل والخلق نائله
 اوامر من ترى ففنى كما فنى اوائله
 لمرك ما استوى في الاسر عالمه وجاهله
 يعلم كل ذي عمل بان الله سائله
 فاسرع فازراً بالحيد قائله وقاطله

في قصر العمر وحقيقة الغنى

ألا هل الى طول الحياة سبيل
 وأنى وهذا الموت ليس يُقيل
 والى وان اصبحت بالموت موقنا
 فلي امل دون اليقين طويل
 واللهم الوان تروح وتفتدي
 وإن نفوساً بينهم تسيل
 ومقل حق لا مفرج دونه
 لكل امرئ يوماً اليه رحيل
 ارى علل الدنيا علي كثيرة
 وصاحبها حتى المات عليل
 اذا انقطعت عني من العيش مدتي
 فان غناء الباسكيات قليل
 سيمرض من ذكرى ونفسي ودلي
 ويحدث بعدي للخليل خليل
 ولاحق احياناً لميري مرادة
 ويقل على بعض الرجال تقيل

ولم أرَ انساناً يرى ميبَ نفسه
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً
اجللك قومٌ حين صرت الى التني
وليس التني الا غنى وثمن الفتى
ولم يفتقر يوماً وان كان معدماً
اذا مالت الدنيا الى الناس رغبته
وان كان لا يحقني عليه جيلٌ
والناس قد قالوا بالظنون وقيل
وكل فتى في السرون جليلٌ
مشبهٌ بقري او غداة بنيل
جوادٌ ولم يستغفر قط مجيلٌ
اليه ومال الناس حيث ميلٌ

في ذل السؤال

أتدري اي ذل في السؤال
يعز - على التثنية - من وعاء
اذا كان السؤال يبدل وجهي
معاذ الله من خلق دني
توق بدأ تكون عليك فضلاً
بدأ تعلم بدأ يجمل فعل
أنفكر ان تكون انا نعيم
وانت تروم قوتك في عاف
مقي ثمي ونصبح مستريحاً
تكايد جمع شيء بعد شيء
وقد يجري قليل المال مجرى
اذا كان القليل يسد فتري
هي الدنيا رأيت الحب فيها

وفي بذل الوجوه الى الرجال
ويستقي العفيف بغير مال
فلا قربت من ذاك الثوال
يكون الفضل فيه ملي لا لي
فصانها اليك عليك حال
كما علت البين على الشمال
وانت تصيف في فيه اللطال
ورباً ان ظلت من الزلال
وانت الدهر لا ترضى بحال
وتبني ان تكون رخي بال
كثير المال في سد الحلال
ولم أجدر العكس فلا أمالي
مواقبه التفريق من يقال

عبر الزمان

نادت بوشك رحيلك الايام
أعلمت تسمع او بك استصام
ومضى امامك من رأيت وانت للسائقين حق يلحقوك امام

مالي اراك كأن عينك لا ترى
 تأتي الخطوب وانت مشبه لها
 قد ودمتلك من الصياء تواوة
 عرض^(١) المشيب من الشباب خليفة
 أهلاً وسهلاً بالمشيب مؤذياً
 ولقد غشيت^(٢) من الشباب منطقة
 لله ائمنة عهدت رجالها
 أيام اعطيت الاحكام جزية
 فليجروا أبحرت الزمان الذي
 زمن مكاسب امله مدخولة
 زمن تحامي المكرمات ممراته
 زمن هوت اعلامه وتقطعت
 ولقد رأيت الطامعين^(٣) لما اشتروا
 ما زخرف الدنيا وزبرج اهلها
 ولرب اقوام مضوا ليلهم
 ولرب ذي فرش مهتدة له
 وعجت اذ ملل الختوف كثيرة
 والتمى مزدحم عليه وعورة
 والموت يعمل واليون قرية
 والله يقضي في الامور بطله
 والحق يقدم بعضه بعضاً يفسد
 كل يدور على البقاء مؤثلاً
 عيبراً قرأ كتابين سهام
 فاذا مضت ففكأها اعلام
 فاحذر فاك بعدن مقام
 وكلاهما نعم عليك جسام
 وعلى الشاب نعمة وسلام
 واتقه وتاك مثاره الاحكام
 في الثوابات وانهم اكرام
 اذ لا يضيع لذي الذمام ذمام^(٤)
 هلك الارامل فيه والايام
 دخلاً فروع اصوله الآتام
 حتى كأن المكرمات حرام
 قطعاً فليس لاهله اعلام
 وهم لاطباق القرب طعام
 إلا غرور حكله وحطام
 ولنمضين كما مضى الاقوام
 امسى عليه من القرب دكام
 والناس من ملل الختوف نيام
 والرشد سهل ما عليه زحام
 تلهو وتلعب بالاني وتنسام
 والمرء بمحمد مرة ويلام
 القدام منه الى البلى القدام
 وعلى الفناء تديره الايام

(١) وفي نسخة : عرض (٢) وفي رواية : غشيت

(٣) وفي نسخة : افلا يضيع لدى الزمان ذمام (٤) الاكليم

في الذكر الطيب

مسكنٌ يبقى له مسكنٌ
 نحن في دارٍ بخيرنا
 دار سوء لم يذم فوجٌ
 ما نرى من أهلها اعداً
 معباً من مشر سلفوا
 وفروا الدنيا لتيرم
 تركوها بعدما اشتبكت
 كل حين عند ميتته
 إن مال المرء ليس له
 في سبيل الله انفسا
 ما هذا يؤذن الزمن
 عن بلاءها ناطق لبس
 لا مري فيها ولا حزن
 لم تقل فيها به الفتن
 اي غبر يغي غبنوا
 وابتنوا فيها وما سكنوا
 بينهم في حنبا الإحن
 حظه من ماله الحسفن
 منه الا ذكره الحسن
 كلنا مالموت مرتين

خداع الاماني

الدهر ذو دول والموت ذو عطل
 ولم تزل عير فيمن مقبر
 والنبلى فهو المهجور جانبه
 يبكي ويضحك ذو نفس مصرفة
 يا بائع الدين بالدنيا وباطلها
 حق متى انت في لهو وفي لعب
 ما كل ما يتنى المرء يدرهكه
 والناس في رقد عماد بهم
 أنصف هذيت اذا ما كنت متصفاً
 يا رب يوم انت بشره مقبلة
 لا تحقرن من المعروف اصغره
 والمرء ذو اذل والناس اشياء
 يجري بها قدر والله اجراء
 والناس حيث يكون المال والجاه
 والله اضحكه والله ابهكاه
 ترضى بدبتك شيئاً ليس يسواه
 والموت تخوك يهوي غاغراً فاه
 رب امرى حقه فيما غناه
 والحوادث تخويك واتباه
 لا ترعز للناس شيئاً لت ترضاه
 ثم استعالت بصوت النعي بشراه
 أحسن فاقية الاحان حسناه

وكل امرئ له لا يد عاقبة
 تلهو واللوت محسنا ومصحنا
 ما اقرب الموت في الدنيا وابعد
 كم تافس المرء في شيء وكابر فيه م
 بينا الشقيق على الامر يسر به
 يسكي عليه قليلا ثم يخرج
 وكل ذي اجل يوما سيلقه
 وخير امرئ ما احلته عقباه
 من لم يصحبه وجه الموت مشاه
 وما امرئ جنى الدنيا واحلاه
 الناس اثم مضى عنه وغلاه
 اذ صار اغضه يوما وسجاه
 فيسكن الارض منه ثم ينساه
 وكل ذي عمل يوما سيلقه

أبو تمام

حبيب بن أوس الطائي

ولد بين ١٨٨ و ١٩٢ هـ وتوفي ٢٣٠ او ٢٣١
(حوالي ٨٠٤ م — ٨٤٥ م)

توطئة تاريخية - مدح وحم - شخصيته في شعره - خصائصه الفنية
(التأنق البديعي - التفنن المعري - الشغف بالأغراب)

مصادر دراسته

- طبقات الشعراء لابن المعتز (١٩٤٩) ص ١٣٣ - ١٣٨
 مروج الذهب للمسعودي (أوروبا) ج ٧ ص ١٦٠ - ١٦٧
 الأغانى (بولاق تصحيح المودبني) ج ١٥ ص ١٠٠ - ١٠٨
 وفي سيرة ديك الجن
 الوساطة للجرجاني (تصحیح احمد الزین) ص ٢٤ - ٢٨ و ٦٢ - ٧٢
 الموازنة للآمدي (الاستانة ١٢٨٧)
 الموشع في مأخذ العلماء على الشعراء للرزباني (مصر ١٣٤٣) ص ٣٠٣ - ٣٢٩
 اخبار ابی تمام للصولي (نشر لجنة التأليف والنشر ١٩٣٧)
 تهذيب التاريخ الكبير لابن عساکر (١٣٣١) ج ٤ ص ١٨ - ٢٦
 نزهة الألباء، للأنباري ص ٢١٣
 وفيات الأعيان ج ١ - تحت حبيب ص ١٦٩ - ١٧٣
 حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ - ٢٤٠
 خزائن الادب البغدادي (بولاق) ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٢
 هبة الايام للبديمي (شر محمد مصطفى ١٩٣٤)
 ديوان ابی تمام للخیاط
 ديوان ابی تمام (نشر ملهم الاسود)
 ومواضع شتى في كتب الادب الحديثة كدائرة المعارف للبستاني ومجلة الحكيمة
 ومجلة الجمع العلمي ودائرة المعارف الاسلامية ، ودراسات عمر فروخ وعبد العزيز سيد
 الامل وسراها .

توطئة تاريخية

يؤخذ من المصادر التاريخية ان ابا تمام ولد حوالي ١٩١ هـ في قرية يقال لها جاسم - وهي على ما ذكر ياقوت قرية تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ على بين الطريق الاعظم الى طبريا . ولا يعرف عن حياته فيها شي . يذكر ، الا انه قد يلاحظ مما نقله ابن خلكان وابن حساكر انه كان في صفره يعمل عند حائك او قزاز في دمشق ^(١) .

وكل ما يمكن استخلاصه من شتى الروايات ان والده رجل مسيحي اسمه قدوس الطمار ، اُخْرِفَ بعد اسلام الشاعر الى اوس . ويجمعون فيه الى قبيلة طي ولذلك لبث بالطائي . وفي ديوانه مواقف يفاخر فيها بهذا النسب تذكر منها هنا قصيدته التي مطلعها - « تصدت وحبل البين مستحصد شزر » ومنها

وهل خاب من جذماء في اصل طيهم * عديّ المديين القلش او عمرو
لنا جوهر لو خالط الارض اصبحت * وبطنائها منه وظلرائها تد
مقاماتنا وكف على العلم والحجى * فامردنا كهل واشيئنا حبر

ويأخذ فيها بذكر كرام الطائيين وابطالهم وما كان لهم من غرر الوقائع ويختمها بقوله :

ساع يضل الشعر في كنه وصفها * فما يهتدي الا لاصفرها الشعر

والجميع عليه انه انتقل وهو قتي الى مصر . وكان يلزم مسجدها يخدم فيه اهل العلم والادب ، فنشأ هناك . ثم جاب الاقطار فزار بغداد وخراسان ونيسابور وبلاد الجبل والحجاز واربينيا والموصل وسواها . وشعره مغمم بما يدل على كثرة تجواله في الاقطار ، وتحمله للشاق والاعطار .

واذا دققنا في ديوانه وسيرة تروّج لدينا انه هبط مصر يافعا . ففي قصيدته التي

(١) وفيات الاعيان ١ - ١٥٣ وعذيب التاريخ الكبير (١٣٣١) ٢ - ١٩

قالها في مصر مادحاً آل الرسول ومطلها « اظبية » حيث امتنعت الكسب الغر « ما يشير الى انه قالها وهو في السبعة عشرة : واليك هذه الايات منها

وان فكيراً ان يضيق بمن له عشيرة مثلي او وسيلته مصر
وما لامرئ من قاتل يوم مثة لئلاً وخديناه الحداثة والفقر
وان الذي احذاني الشيب للتي رايت ولم تكمل له السبع والعشر

قالها تأملت البيت الاول شعرت ان قائله حديث العهد بمصر ، وانه III أمها وسيلة للارتقاء - ويثبت لنا ذلك ما جاء في حسن المحاضرة للسيوطي من انه هبط مصر « وهو في شببته (١) » ، وكذا ان ما اشار اليه عرضاً ابن خلكان وابن عساكر انه كان في دمشق يعمل هند حائك - ويقول المرزباني ان اول تبوغه كان يدمشق (٢) .

وفي شعره ما يدل على ان حياته في مصر لم تكن على ما يرام فاكثر شعره فيها نغبات متبرم يستثقل الإقامة في وادي النيل - وهذه قصيدته اللامية شاهدة بذلك ، نظمها وقد مر عليه خمسة احوال في مصر فقال فيها —

بنفسي ارض الشام لا ايمن الحلى ولا ايسر الدهنا ولا اوسط الرمل
مدتني عنكم مكرهاً غربة النوى لها وطراً في ان تُبر ولا تحلى

الى ان يقول

أخسمة احوال مضت لخبية وشهران بل يومان تُسكل من الشكلى
وبعته من ان يبيت زماعه على عجل ان القضاء على رسله
لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طالع سطر ولا طائر سهل
وساوس آمال ومذهب همة بحيمة بين المطية والرحل
نأيت فلا مالاً حويت ولم اقم فامتع اذ فجمت بالمال والاهل
وكان ودائي من صريمة طينة ومن وذهب من امامي ما يسلي
فلم يك ما جرعت نفسي من الاسى ولم يك ما جرعت قومي من الشكلى

والذي يحصل من هذه الايات انه كان قبل خمسة احوال ترك قومه وجاء مصر منتجباً

الرزق ، فلم يلق ما يترخاه ، ولم يحصله على البقاء فيها حتى الآن الا القضاء المعاكس .
 ويفهم من ذلك ضمناً انه ترك اهل وفيه مطامع . ولا تكون المطامع عادة قبل ان يشرف
 المرء على البلوغ . فشاعروا على ما يظهر حين اليه الاسلام وهو في الشام ففعل ذلك
 مندفعاً بما فيه من الطموح وطلب العلى ^(١) ، وظن انه يتال غايته في مصر قائماً بها . ولضيق
 ذات يده وميله الى الادب لزم المسجد يخدم اهل العلم وبأخذ عنهم .

وما زال كذلك حتى نبع واشتهر فهجرو مصر قاصداً كبار الرجال في العالم الاسلامي .
 وبلغ المعتصم خبره فحمله اليه الى سامرا (سر من رأى) فلزمه ومدحه ، وكان في زمانه امير
 الشعراء وحامل رايته .

ثم عينه الحسن بن وهب على بريد الموصل ، فمضى في هذا المنصب السنتين الاخيرتين
 من حياته ، وتوفي هناك . وقد رأينا فليداً لدراسته ان نشئت هنا قائمة باهم بمدحيه مرتبة
 بحسب عدد القصائد التي قيلت فيهم .

اهم مدحوي ابلي تمام

ابو سعيد محمد بن يوسف الثوري وآله ٢٩ قصيدة (من طي) وكان من كبار القادة
 آل وهب وزراء الدولة ١٣ ينسبهم البعض في بني الحارث بن
 كعب ولكن الصحيح انهم من
 الموالي ^(٢)

الخلفاء العباسيون	المعتصم	٨
	المأمون	٢
	الواثق	٢
		١٢

(١) وقد فعل ذلك بعض من كبار النصارى في عصره وبسده سكاك الفيز وآل ثوابه وآل
 وهب . وكانوا من دولاء الناس وكانت دولتهم ناضرة وايامهم مشرقة - الفخري ١٣٧ و ١٨٢
 والفهرست ١٣٥

(٢) راجع قصيدة ابلي تمام « هل اثر من ديارهم دمس » ومختارات البارودي ٣٧٢ قول ابن
 الرومي عن ابن وهب « وذو نسب من آل ساسان شابك »

القاضي احمد بن ابي دؤاد (الايادي الجهمي)	١٢	كان قاضي الدولة ومن اكبر المستنفيين فيها
خالد بن يزيد بن مزيد (الشيدي)	١٢	من الامراء والقادة
مالك بن طوق (التطلي)	١٠	امير عرب الشام
محمد بن الهيثم بن شيانه	٨	من اهل مرو (من الموالي) (١٢)
آل حميد الطوسي (طائي)	٦	ومنهم محمد بن حميد وقد اشتهر في حرب بابك
ابو المنيث الراقي وآله	٥	امير الشام
عبدالله بن طاهر بن الحسين	٤	فارسي الاصل (خزاعي اولاً) احد كبار رجال الدولة وامير خراسان
ابو دلف القاسم بن عيسى (المجلي)	٤	قائد عربي كبير وصاحب الكرخ
محمد بن الزيات الكاتب المشهور	٤	وزير المتصم
اسحق بن ابراهيم المصمي (الخزاعي)	٤	نائب بغداد
عبد الحميد بن غالب الصفدي	٤	
محمد بن حسان (الفي)	٤	
آل سهل	٤	الوزراء والكتاب وهم من الفرس
الافشين	٣	القائد التركي الكبير
علي بن سر	٢	من كبار طي

شخصيته في شعره

لا يفي تمام مزيانته ما دؤان « صبره على المشاق لبلوغ المني وشدة عبقريته واهجابه بنفسه، يضاف الى ذلك ميله الى الاسراف في المال والقوى . فاذا قرأت ديوانه رأيت مفعماً بما يدل على انه نشأ مفاشراً في سبيل الجلاء والمال . وقد زادته كثرة اسفاره عزماً ومضاء ، فليس اذن من الغريب ان نسمعه يقول

ذريني على اخلاقي الصم للقي هي الوفراو سرب تون نواديه

اي ذهيني - على ما في من خلق شديد - اغوص غمرات الحياة فاما الغنى او الموت .
وقوله من قصيدة اخرى

ولكنني لم احو وفراً مجئها ففزت به الا بشمل مبدد
تزع في نفس الشاعر تعبر عما يختلج في نفوس البسلا . الماخرين الذين يابون حياة
الموت ، فية تحمرن الاهوال ويجوضون القمار طلباً للعلى والمجد . ومنها

ليس باكتاف الجري وفارس وقم واصطغر قرار لوود
بلى ان ارض الله فيها ندوحة ومضطرب للفانك المتجرد
تلك روح قلقة كثيرة المطامع ، وهي التي حملت شاعرنا على ترك قومه في الشام ، ثم
على ترك مصر والضرب في اجواز الارض . وقد صدق في وصف حاله اذ قال

ذات الثنايا الفز لا تضرخي عند الفراق بقلتين وجيد
ما ابيض وجه المرء في طلب العلى حتى يسود وجهه في اليد

وانك لتكاد تفس صلابه نفسه في ابيانه التالية -

لا أفقر الطوب القلاص ولا أرى مع زير نسوان اشد قيودي
شوق ضرحت قذاته من مشربي وهوى اطرت لحاه من عودي
عامي وعام العيس بين وديقة مسجورة وتنوفة صيخودي
حتى اغادر حكل يوم بالقللا للطير عيداً من بنات العيد

وملاحظ هذه الايات : انني لست من الذين يركبون العيس توصلاً الى طرب او
للهمي فرامي ، ولكنني رجل اسفار متوسس يقطع الغلوات المحرقة ، وكم تركت لطيوها
نهيباً واقراً من نياقي - يشير بذلك الى صلابته واحبائه وشوقه الى النظام . والكثير في
شعره ينضح بهذه الروح المظفرة ، حتى شعره في مصر - وهو في اول هذه وقد قيده
الدهر بقيود الفقر - زاه برغم ذلك ينتم على نفس مرة طامعة . ومن قوله في ذلك

ومال قطوني ارض مصر حاجة يقال لها اقبح بهاتي وأسمج
اقلب في اقطارها الطرف كي ارى ولست يره ذاك عصاة ملتجي
ففتني بأسي واعلم انني مقود بحبل القادير مدمج

أما عنفوانه فظاهر فيما دروه عنه يوم قصد عبدالله بن طاهر أمير خراسان . قالوا لما فرغ من انشاده بأبيته التي مطلعها « إلهن عراذي يوسف وصواحيه » نثر عليه الف درهم . فاستلقها الشاعر ولم يمس منها شيئاً ، بل تركها للفلان يلتقطونها . فوجد عليه الأمير وقال يترفع عن برتي ، ويتهاون بما اكبرته . فلم يبلغ ما اراده منه بعد ذلك . واهي عنفوان اشد من ان يقصد شاعر اميراً جليلاً كابن طاهر فيمدحه ، ثم هو يرى هبة الأمير اقل من قدره ، فيترفع عن ان يمسأ بيده . وهذه الظاهرة الخلقية في شاعرنا تجعلنا أيضاً في خلق أبي الطيب المتنبي كما سئرى عند درسا هذا الشاعر . وهي قد تهيب بالشاعر الى وزن نفسه بيزان بمدوحه ، او الى التفاخر والتعظيم على زملائه ومنابيه . أخذ قصيدة أبي عامر التي قالها بمدح قاضي الدولة المباشية احمد ابن أبي دؤاد ويعتذر اليه عن اساءة ، واولها

أرأيت أي سوانك وغدود عنت لنا بين اللوى فرود

وفيها يذكر فضل المدوح وفضل قومه (اياد) ويقرن ذلك بمدح طي (قبيلة الشاعر) ويجعل اياداً وطياً متساويين في المحامد فيقول

كعب وحاتم الذان تقاسما خطط العلى من طارف وتلبد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الحمد مئة خضر صديبر

ثم يتقدم الى الاعتذار بابيات تدل على شدة نفسه ومنها

فاسمع مقالة زائر لم تشبه آراؤه عند اشتباه الببد
اسرى طريداً للحياء من التي زعموا وليس لرعية بطريد
كنت الربيع امامه ، ووراءه قمر القبايل خالد بن يزيد
ما خالد لي دون ايوب ولا عبد العزيز ولست دون يزيد

والمأمل في هذه الابيات يعجب من هذه المواطف التي تغلي عليه ان يقول لممدوح عظيم يعتذر اليه . لم آتلك رهبة منك بل خجلاً مما اتهمت به ، وان مثلي في الاعتذار اليك مثل يزيد بن المهلب لما استجار من الوليد بابوب بن سليمان بن عبد الملك وبعد العزيز بن الوليد فشققا له . وما خالد الذي يشفع لي باقل منهما ، ولا انا بأقل من يزيد ابن المهلب .

ومثل ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف -

وكنت اذا ما زرت يوماً مسوداً سرحت رجائي في مسارح مؤدد
فان يحزول النعمى ثبُّ قهاندي وان يابَّ لم النع باصوات مُعبد
ليس باكتاف الجريد وفادس وقم واصطخر قرار لروء

فكأنه يقول اني شاعر كبير النفس اقصد الامير العظيم فان كافأني بما يستحق مقالتي كافأته بما يستحقه من القوائد ، والا فاني اتحول منه الى الضرب في آفاق الارض .

اما تعاطفه بشعره فهو كثير كقوله يصف قصائده

ومسيرة في الارض ليس بنازح على وخدها حزنٌ سحيق ولا سهب
قدراً خدور الشمس في كل بلدة وقسي جروحاً ما يرد لها غرب
اذا أنشدت في القوم ظلت كأنها مُسرةٌ صكبر او تداخلها عجب
منفصلة بالؤلؤ المنتقى لها من الشعر الا انها للؤلؤ الرطب

وقوله -

خذها مغربة في الارض آنسة بكل فهم غريب حين تقرب
لا يستثنى من حفيد الكتب رونقها ولم تزل تستقي من بجرها الكتب
حسبية في صميم المدح منصبا اذ اكثرت الشعر ماتي ما له حسب

وقس على ذلك ما لا يسه هذا المقام .

على ان ابا تمام كان - على صلابه نفسه - موصوفاً بكرم النفس وحسن الاقلاق (١) .
وكان محباً للشرب والثناء ، لا يكداد يحصل على المال حتى ينفق في سبيل المبرات .
فهو في ذلك كأكثر شعراء عصره * وبرغم ما تجده في شعره من التعصب الديني عند
ذكره للروم لا تجد في سيرته او في شعره قسكاً شديداً بفروض الدين . قال المحدثي
كان ابو تمام ماجناً خلياً ، وربما اذاه ذلك الى ترك موجبات فوضه تاجناً لا اعتقاداً (٢) .
وبكلمة اخرى كان مستهتراً قليل المبالاة بما يتطله حسن الاعتقاد .

(١) نزهة الالباء للاباري ٢١٤ وابن عساكر ٤ - ١٨ الى ٢٦

(٢) مروج الذهب ٦ - ١٥١

مصابر الغيبة

قال ابن رشيق القيرواني لا بد لكل شاعر من طريقة تطلب عليه كاللي نواس في
الخر « واني تام في التصنيع » والبحري في الطيف الخ^(١) . وقال الجرجاني في الوساطة
كانت الشعراء تجري على نهج من الاستعارة قريب من الافتصاد حتى استرسل فيه ابو تمام
ومال الى الرخصة ، فاخرجه الى التمدي وتبعه اكثر المحدثين^(٢) . وقال ابو الفرج
الاصمائي « وله مذهب في المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء . وان كانوا قد فتعوه
قبله وقالوا القليل منه ، فان له فضل الاكثر والملك في جميع طرقه^(٣) » . ووصفه
الآمدي بقوله « وشعره لا يشبه اشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات
والمعاني المولدة » ثم يقول « فان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الفاضلة التي تستخرج
بالقوص والذكرة ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام اشعر^(٤) .

هذا هو رأي جمهور العلماء النقاد في شعر ابي تمام . والذي يطالع ديوانه ويدقق في
تقوّم معانيه يرى فيه ثلاث مزايا بارزة وهي -

١ - تألقه البديعي (واكثر ما يظهر ذلك في الاستعارة والطباق والجناس)

٢ - تقننه المعنوي وهو ما يسميه البعض بالاختراع

٣ - شغفه بالاعراب - او القوص على ما يستعصم من الاقفاط والمعاني

ولنبسط لك هذه المزايا واحدة واحدة

الثاني البديعي

لم يخل الشعر العربي في عصر من العصور من الاخذ بأسباب البديع او الصناعة اللفظية
والمنوية . كان ذلك منذ ايام الجاهلية ، فقد عرف امرؤ القيس يسبقه الى الكثير من
لطائف الوصف والنشيد ، وعرف زهير بتتيف قصائده وتكرير النظر فيها وتنقيحها

(٢) الوساطة ٣٢٤

(٣) الموازنة ٣

(١) العمدة ١ - ١٩٤

(٣) الاغاني ١٥ - ١٠٠

« وربما رصد اوقات نشاطه فنباطاً عمله ». ولذلك سميت احواليات مبالغة في تأنيقه وتصنعه ، ومثله الحطيطنة .

واذا راجعت شعر النابغة والاعشى وجريو والاعطل والفردق وابي نواس وبشار وبروان ومسلم وسواهم من امراء الشعر الذين تقدموا ابا قحافة ، نجد في جميعهم اثر الميل الى الصناعة يتفاوت فيهم بالنسبة الى الشاعر واحواله . قال ابن رشيق عن صنائع الشعر المتقدماء « واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت او البيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره . فاما اذا كثرت ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وايتار الكلفة . وليس يشبه البتة ان يتألى من الشاعر قصيدة كلها او اكثرها متصنع من غير قصد ، كالذي يأتي من اشعار حبيب والبحتري وغيرهما ، وقد كانوا يطلبان الصنعة ويولان بها » (١) .

وقد كادوا يجمعون على ان مسلم بن الوليد هو اول من توسع في البديع ، وتبعه فيه جماعة منهم ابو قحافة — روى ذلك الاصفهاني في سيرة مسلم بن الوليد وقال ان ابا قحافة جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه . ونقل عن محمد بن يزيد قوله كان مسلم اول من عقد هذه المماضي الطريقة واستخرجها . ومن القاسم بن مروه اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا الفن الذي ساء البديع ، ثم جاء الطائي بعده فتفتت فيه (٢) .

والحقيقة ما ذكرنا من ان انواع البديع منشورة متفرقة في اشعار المتقدمين ولكن مسلم بن الوليد اكثر منها وكان يحتملي حذر الثاني ، وكان هذا يحتملي حذر بشار (٣) ، ثم قام ابو تمام فزاد على مسلم . وكان الصمر الذي نشأ فيه شاعراً (ابي صدر الدولة العباسية) مصر انتقال في الادب من الطريقة البدوية القديمة التي عرف بها صدر الاسلام الى الطريقة الحضرية المولدة طريقة التبسط والتأنق . والظاهر ان ابا قحافة كان من الشعراء الذين تأثروا بهذه الطريقة فجري فيها شوطاً بعيداً وصار على ما يرى بعضهم امام هذه الصناعة . وفي شعره من الشواهد على ذلك ما لا يحتمل المقام الاسباب به فنكتفي هنا بالقليل منها — قال من قصيدة

(١) المصداق ١ - ٨٢ (٢) راجع الموازنة ص ٩ ودرجانة الالفاظ (٣) ص ١٣٠٦ (٤) ٢٣١

(٣) البيان والبيان ١ - ٣٢

تقومين ان لم اطو منشور عتق
 ابرئتك اثواب البصائر عزّة
 كأنك لا قدرين طعم ميثقة
 فصورني قناع الصبر اني لراجل
 امنات حياة الوعد منه توافل
 طوت عن لساني مدح كل مزبد^(١)
 كمتك ثياب الرجو من كل مرشد
 تمجّ دماً من طعم ذل التبد
 الى بحر جود قاسم الفضل مزبد
 من الجلود اضممت للعفاة برصد

وقال مادحاً احمد ابن ابي دؤاد

ما زلت ارقب تحت افشاء المني
 لولاك عزّ لقائهم^(٢) فيا بقي
 اوردتني اليد الحليف وقد أرى
 اما القريض فقد جذبت بضمه
 احبته اذ كان بك محبباً
 قد كانت الحال اشثكت فأسوتها
 ما عذرهما الا فبق ولم تزل
 يوماً يوجر مثل وجهك ايضاً
 اضفاف ما قد عزّني فيا مضي
 اقبرض الشمد اليك^(٣) تبرأ^(٤)
 جذب الرشاء مصرحاً وممرضاً
 وازددت حباً حين صار مبعثاً
 اسوأ الى امرائه ان ينقضا
 لمريضها بالمكررات مريضاً
 وله متفرلاً

لا انت انت ولا الديار ديار
 كانت مجاورة الطلول واعلمها
 ايام تدمي عينه تلك الدمي
 اذ لا صدوف ولا كنود اسمها
 يبيض فهن اذا رُمقن سوافراً
 وقال من قصيدة في ابي داف العجلي
 فتركب من شوق الى كل راكبه
 نككاد مخانيه تهن عراضها

(١) المزبد اللحم

(٢) الضمير يرجع الى الحليفة

(٣) اليد الحليف اي النجم الوافر الماء . اقبرض الشمد اليك اي اطلب الماء القليل هنا وهناك

(٤) صدوف وكنود ونوار اسماء (٥) الصوار . القطيع من غنم الوحش

إذا ما غدا أغدى حكمة ماله هدياً ولو ذقت لالأم خاطب
 يرى المبح الأشياء أوبة آمل كسته يد المأمول حلة خائب
 وأحسن من نور تفتحه العبا يياض الطايا في سواد المطالب
 إذا أجمت يوماً لجم وحولها بنو الحصن نجل الحصنات النجائب
 فان المنايا والصوارم والقنا اقاربهم في الزوع دون الاقارب
 جفاف لا يترحكن ذا تجيرة سلباً ولا يحمرن من لم يحارب
 يذون من اينر عواصير عواصم تصول باسياف قواضير قواض

وامثال ذلك كثيرة في شعره بل هي منهية العام . وقد قاده شغفه بذلك الى الاسراف والخروج عن جادة المعقول ، حتى رماه الكثيرون باسم النقد الحادة . فقال الجرجاني ان ابا تمام اسلم نفسه للتكلف ، يرى انه ان سر على اسم موضع يحتاج الى ذكره او يتصل بقصة يذكرها في شعره من دون ان يشتق منه مجيئاً او يصل فيه بديماً ، فقد باه باشم واخل بفرض حتم ^(١) . وقال الامدي في الموازنة بعد ان ذكر آراء المنحرفين عن ابي تمام « كانوا يريدون اسرافه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه في التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها ، حتى صار كثير مما اتى من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع التكيد والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن . ولو كان اخذ غفوة هذه الاشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعاني مجاذبة ويقترها مكارهة ، وتناول ما يسبح به خاطره وهو بجهامة غير متمب ولا مكدرود ، واورد من الاستعارات ما قرب في حسن ولم يفتش ، واقتصر من القول على ما كان محذواً عند الشعراء المحسنين ليلطم من هذه الاشياء التي تهجن الشعر وتذهب مائه وروثه — ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر — لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتأخرين ^(٢) » . وقال الباقلاني بعد ان ذكر بضعة امثال على تصنع ابي تمام « فهذا وما شبه انما يحدث من غلو في الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب ، وربما اسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استثقل نظمه واستوخم رصفه ، وكان التكلف بارداً والتصرف جامداً ^(٣) » .

والذي يطالع ديوانه تحريماً لهذه التهم يتضح له ان اكثر ما ذكره حق وان ابانام كثيراً ما يأتي بالاستشارة او الكناية دون ان يراعي التناسب بين الحقيقة والخيال كقوله -
وركب يقاتون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف فاعلم

يقصد بذلك ان المسافرين يشاركون ركائبهم في السير الشديد الذي لا ين فيه ولا
تؤدة . فاستعار للسير الشديد الحمر التي لم تخرج بقاء وجل تشارك الركب والركائب فيه
عبارة من تساقبهم تلك الحمر الصوف . وانت لا تحتاج الى تأمل كثير لقرى شدة الضعف
في هذه الاستشارة

ومثل ذلك بقوله -

ضاحي الحياء للهجير ولقنا نحت العجاج تحاله محراثا

فالشطر الاول جميل ، جبل المدح من ذوي الاقدام والتعرض للشقاء ، ولكنه
المش في الشطر الثاني اذ جعله محراثاً يشق غبار الحرب وافسد جمال البيت
وقوله -

آثرني اذ جملته سداً كل امرئ لاجي الى سنده
ايشار شزر القوي رأى جسد المعروف اولى بالطلب من جسده

والشاهد في البيت الثاني وهو يريد ان يقول آثرني ايشار القوي وقد غار للمعروف
وقام يناصره . فتأمل استعارته الجسد للمعروف ، وايشار القوي له بالطبيب !
لمصري قد حررت يوم لقيته لو ان القضاء وحده لم يبرء

وانك لتشر بتشميرة البرد في هذا البيت . وهو يقصد ان يقول ان حمتك قد
ثارت يوم لقيت العدو وكدت تمتك به لولا ان القضاء حال دون ذلك : فمعد نفسه
حتى جاء بالطباق ، ولكنه جاء فتاً بارداً

وانظر الى تصفه اذ يقول

نوى كانهض النجم كانت نتيجة من الهزل يوماً ان هزل النوى جد

اي ان النوى فاجاته مفاجأة فلم يصدق اولاً ، ولكن ألم وقوعها اراه الحقيقة وعلمه
ان هزل الجيب جد
وقوله -

فكان افتدة النوى مصدوعة حتى تصدع بالفراق فؤادي
فاذا فضضت من الليالي فرجة خالفنها فسدتها بيماد

ومعناها ان فؤاد النوى بقي مصدوعاً حتى صدع بفراق الاحبة فكلمنا فتمت لنفسه
منقرجاً خالفته الايام فسدت ذلك المنفرج بالبعاد . فانظر كيف تكلف تصديق افتدة
النوى ، وكيف استعمل البعاد كعجز يد به ثرة الفرّج
وقوله -

اهيس' اليس' لجاء الى مهم تفرّق الاسد في آذيتها اللبسا

انظر الى هذه المهم التي ترى الاسود غرقى في غارها . وكل ما يريد ان يقوله ان
الممدوح شجاع مهمته تفوق همه الاسود الشديدة
وقوله -

هدأت على تامل احد همي واطاف تقليدي به وقياسي

معناه رأيت الناس يسعون الى الممدوح فقلدتهم ووجدته بالقياس افضلهم ، فهدأت
همي المضطربة عنده . قابل هذا المعنى بما استعاره له من هدوء الهمة وطواف التقليد
والقياس فترى شدة اسرافه في الصناعة
ومثل ذلك قوله -

لو لم تفتّر مين' المجيد من زمن بالجلود والبأس كان المجد قد خرقا

ومعناه ان المجيد قد هرم ، ولولا ان ارجعت اليه فتوّنه بجودك وبأسك لكان قد
ادركه الخرف .

ومن الاسراف المحقوت قوله

فلويت بالمعروف اعتاق الوري وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

وقوله -

قررت بقرآن عين الدين وانثقت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

والاشتران قائدان الروم

قال العسكري وهذا مع غثاثة لفظه وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر وهو ان اشتاد الدين لا يوجب الاصطلام .

واليك هذه الابيات يصف سفينة حمله الى المدوح ، وانظر كيف يتعسف في تشبيهها بالجمال وكيف يخرج به التكلف عن حدود الجمال

حملت رجائي اليك بنت حديقة غلباء لم تلقح لفعل مكرم
فنبجت وقد حوت الهنيذة وابشت في شطرها وتبوءت في الثيب

في البيت الاول يريد بابتنة الحديقة الغلباء السفينة لانها تصنع من خشب الحديقة وشبه الماء بالفعل ، ولم يلقحها اي لم يصبا بنظر . فأمل هذه الدجاجة الصناعية . وفي البيت الثاني - اسرعت هذه السفينة وهي بنت مئة ولكنها في نشاط الحسين « وسارت غابيتها في بحر كالصحراء .

الى ان يقول -

فاعتاما ذو خيرة بفعلها ندس بجيالة خلقها متلطف

بي فاختارها من حول الشجر خبير حاذق بيناتها

ثم اجتنت يشاوي فصرت جنيها متعكنا بقرار بطن مسدود

اي ثم حملتني فكنت في بطنها كما يكون الجنين في بطن امه .

والني ارجع القاري الى هذه القصيدة ليراجعها ويحكم بنفسه على هذه المجازات . وامثال ذلك كثير في شعر ابني تمام ، فانك لا تكاد تقرأ له قصيدة حتى تقرأ بيت او بضعة ابيات من هذا الشعر المكثود الذي ينفر منه الذوق المليم . لما فيه من قسك الصنعة والاعتماد بالقشور دون اليباب .

تقته الشعري

على ان لا يقيم مع كل اسرافه في الشعر الصناعي مكانة عالية في الشعر العربي .
وما ذلك الا لدقة تصويره وحسن اختراعه . ففي شعره كثير من الصور البليغة التي تشهد
له بجودة الخيال وبعد سرامي النظر . والذي يراجع ديوانه بروية ويصبر على تحليل معانيه،
يجد من بدائنه الشعرية ما اطف من وصف او مجاز او حكمة او لبس لباساً قشيباً من
البلاغة . واليك امثلة ذلك من شعره

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعل النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وجودة البيتين في جمال الصورة التي ترى فيها الحسود ناشراً فضل الحسود، وفي التشيل
على ذلك من العالم الطبيعي تمثيلاً يوضحها ويعززها في الذهن . وقد قرن كل ذلك بركة
المعبرة وجودة الالفاظ . ومثل ذلك قوله متقرباً من امير اقام الحجاب على بابه وهو في
غاية البلاغة

ليس الحجاب تقص. عنك لي املاً ان السماء ترجى حين تحجب

وقوله يصف عدم اجتماع المال والكرم في شخصه

لا تنكري عطل الكرم من النفي فاليل حرب له كان العالي

ومن اجل صوره الشعرية قوله يروي ولدين صغيرين لاحد الامراء والبلاغة ناطقة فيه

لهفي على تلك الشواهد منها لو اهل حق تكون شائلا

اندا سكوتها حجي وصباها حلماً وتلك الاريجية تائلا

ان الهلال اذا رأيت غوه ابقت ان سيصر بدرأ كاملا

وهذا البيت الاخير الذي اتى به تمثيلاً لما كان يوحى من ذنبك الولدين هو من ابداع
الامثال وابلغها . ومثله بلاغة وجمالاً قوله المشهور يصف بلوغ الارب من سبيل المشقات

ونسكتني لم احمر وفرأ مجئاً فقرت به الا بشمل. مبدثر

ولم تعطني الايام يوماً مسكيناً الذُّ به الا بنوم مشرد
وطول مقام المرء في الحلي مُخلق لذي باجتيه فاغلب تتجدد
قلبي رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم يسرمد

وقد اجاد في هذه الايات كل الاجادة ، وبرز هذه المعاني البديعة بقالب يأخذ
بجامع القلوب . ومن حسن اختراعه قوله يصف مشيه الباكر

ستٌ ومشرون تدعوني فاتبعها الى المشيب فلم تظلم ولم تحب
فاضري ان شيئاً لاح لي حدثاً واكبري انني في المهد لم اشب

يعذر المشيب ويقول ليس الغريب انني شبت في السادسة والعشرين ، ولكن الغريب انني
لم اشب واتا طفل : يشير بذلك الى ما في نفسه من هزم وهمة ، والى ما اصابه منذ
طفولته من مقارعة الاهوال والخطوب .

وقال يصف كرم الممدوح والودحام الشعراء على بابه

ولو كان يفي الشعر افتاء ما قرت حياضك منه في العصور النواهب
ولكنه صوب القول اذا انجلت سحاب منه اعقت بسحاب

والصور الشعرية في البيت الثاني خلابة ، لاحكام التشبيه فيها وجمال التركيب .

ومن هذه الصور الخلابة قوله من مراثيه المشهورة

وقد كان قبل الموت سهلاً فردء اليه الحفاظ الموء والخلق الوعر
ونفسٌ تخاف العار حتى حكاأنا هو الكفر يوم الروح او دونه الكفر
فانبت في مستنقع الموت رطله وقال لها من تحت اعنصك الحشر

وقوله له يصف اميراً انعم الله عليه بنعم عظيمة ، ولكنه كفرها ونقض عهد الولاة والوفاء

كم نعمة لله كانت عنده فكأنها في غربة واسار
كيت سائب لومه فتضاءلت كتضائل الحناء في الاطيار

وقد شهد البلغاء لابي عامر بالتقدم في ذلك . قال ابن الاثير في كلامه عن المعاني التي
تستخرج من غير شاهد الحال : ان لا يكارها سرّاً لا يهجم على مكانته الا جهان

الشهم ، ولا يفوز بمعاسنه إلا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم . ثم يقول : قد قيل
ان ابا تمام اكثر الشعراء التأخرين ابتداءً للمعاني . وقد عدت معانيه المبتدعة (اي التي لم
يسبق اليها) فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . واهل هذه الصناعة يسكبون ذلك ، وما
هذا من مثل ابي تمام بكبير ^(١) .

وقد اصاب الاستاذ ضومط اذ قال - « الخلق يقال ان ابا تمام هو كما قال فيه واصفوه
شاعر واسع الخيال دقيق التصور بعيد مرامي النظر ، واقدر انه لو عاش فوق الاربعين ،
ولم يمنعه الالتماس في الشهوات من ترتيب محفوظاته ومدركاته ، بل لو عاد عليها بالتهذيب
والتشذيب ، فأطرح منها ما حقه ان يطرح وابقى منها ما هو جدير بالبقاء ، ثم جمع الاشياء
والنظائر - لو عاش حتى فعل كل ذلك - لكان شعره بعدها لا يتماق به ، يتماق ،
وليز على الاربع الشعراء قاطبة حتى ابا الطيب المتنبى في كثير من حكمه وامثاله وبعد
مطالعه نظره ^(٢) .

وكما اننا ننمي على ابي تمام ميله الى تكلف اليدبع غدهه لما نجد في شعره من نفس
عالم في النظم يؤثر في النفس فيحصلها الى الطبقات العليا . اقرأ ايأ شئت من هيون قصائده ،
وانظر الى تلك المزة التي تعريك لقراءتها . فاذا حللتها وجدتها مزيجاً من جمال النظم
ومثانة التركيب وسحر الفكر . ونجوتى . هنا بثلاثين او ثلاثة من ذلك -

راجع قصيدته المشهورة في فتح حمورية وتأمل مقدمتها - تلك الوصفة الشعرية العالية
التي يرينا فيها الشاعر « المذنب الفربي » ويسمينا احاديث الجهور عنه ، ثم يستخلص من
كل ذلك تمهيداً ساحراً للتوصل الى المدح ، ووصف الواقعة العظيمة التي فتح فيها
حصون الامداد . كل ذلك بأسلوب شديد الأسر بديع الخيال بلا الاسماع ويحرك اوتار
القلوب . واذا استثنيت بعض ما ذكرناه من تصنعه فان معظم القصيدة من هذا النمط
العالي - كقوليه يصف فشل قائد الروم ومحاوئته اغواء المنتصرين بالمال وترفع الخليفة عن
ذلك -

لما رأى الحرب رأي العين توفلس ^(٣) والحرب مشتقة المأني من الحرب
غدا يصرف بالاموال جريتها فغزه البحر ذو التيسار والحدب

هيئات زُعزت الأرض الوقور به
لم ينفق الذهب السُّري بكثرة
ان الأسود اسودّ الفسّاب همها
ومن هذا النقط التالي قوله

ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى
صدفتُ منه فلم تصدف مودته
كالغيث ان جنته وانك ريقه
صكنا هو في اخلاقه ابداً
كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب
عني وعادته ظني ولم يحب
وان ترحات عنه ليح في الطلب
وان ثوى وحده في جمل لب
وقوله —

ويوم امام الموت دحض وقفته
جلوت به وجه الخليفة والقنا
فلو نطقت حرب لقالت محنة
الا هكذا فليكتب الحمد كاسبه

فانت ترى في كل ذلك ترمته الغنية الشديدة ، ولو قلبت ديوانه لوجدتها في اكثر
شعره . وهذه التهمة وما فيها من عنف وشدة اسر هي التي حدث بمريديه الى التغالي
بعده وعذه امام هذه الصناعة ، حتى قال ابو الفرج الاصفهاني « وفي عصرنا هذا (القرن
الرابع الهجري) من تعصب له فيفرط حتى يفضل على كل سالف وخالف » (١) . بل هي
التي دفعت ابا دلف المجلي ان يصيح وقد انشده ابو تمام قصيدته التي مطلعها

على مثلها من اربع وملاعب اذيلت مصونات الدموع السراكب

يا معشر ربيعة ! ما مدحتم قط مثل هذا الشعر ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بخلافهم
يؤمنون به اليه . فقال ابو دلف قد قبلنا منكم واعادكم لبساً ، وسأوب عنكم في
ثوابه . ثم امر له بخمسين الف درهم وقال والله ما هي بازاء استحقاقك وقدرك فاعذرتنا (٢) .
ولم يكن ذلك مجرد اعتزاز للديح ، ولكن الرجل تأثر بنفس الشاعر وجلال اسلوبه .

ونلاحظ ذلك في مجلس عبد الله بن طاهر أمير خراسان ، فإنه لما قصده وأنشده قصيدته
 «أهـ» «وادي يوسف وصواحيه» لم يتالك الشعراء الحاضرون من أن يصيحوا ما يستحق
 هذا الشعر غير الأمير حفظه الله . وبلغ التأثر بأحدهم أن قال : لي عند الأمير أعزُّ الله
 جاترة وعدني بها ، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاءً على قوله للأمير (١) . ومثل ذلك ما جاء
 في الأغاني عن محمد بن سعد كاتب الحسن بن رباح أن أبا تمام مدح الحسن بلاميته التي
 يقول فيها

أنا من عرفت فإن عرفتك جهانة فانا انقيم قيامة العذال

فلما وصل الى قوله

لا تشكري عطل الكريم من الفنى قاليل حرب المكان العالي
 وتنظري حيث الركاب ينضوا محي القربض الى محيت المال

صاح الممدوح متأثراً : والله لا اتمتها الا وانا قائم . فلما انتهى من انشادها عانقه ، قال
 محمد بن سعد «واخذ منه على يدي عشرة آلاف درهم واخذ غير ذلك مما لم اهتم به على
 بخل» كان في الحسن بن رباح . (٢)

ولا شك ان في شعر شاعرنا روعة خاصة ، فهو يجمع بين الفخامة اللفظية وجزالة المعنى
 جملاً يبرز النفس ، ويفعل بها ما فعل بمحاصره ومناوئته دجيل يوم سمع بعضهم ينشد بيتي أبا تمام

شهدتُ لقد اقوت منانيكمُ بدي وبعثت كما مئحت وشائع من برد
 وانجذتم من بعد انتقام داركم فيا دمعُ انجديني على ساكني نجد

فتأثر دجيل - على كرهه لاني قام - وصاح احسن والله وجبل يردد «يا دمع انجديني
 على ساكني نجد» (٣) .

ولولا كثرة تصنعه وما سذكزه له من التعقيد والاقراب لاحلته هذه الروعة الفنية
 اعلى محل في الشعر العربي .

(٢) الأغاني ١٥ - ١٠٤

(١) الأغاني ٤٥ - ١٠٣

(٣) ١٥ - ١٠٧

شفق بالافراب

« بذهب الى حروقة اللفظ وما يملأ الامعاع منه مع التصنيع المحكم طوعاً وكرها .
ياي الاشياء من بعد ويطلبها بكلنفه وياخذها بقوة » (١) . ذلك رأي ابن رشيق القيرواني
فيه « وقد اصاب كل الاصابة ولا سيما في قوله « ياتي للاشياء من بعد » ويراد بذلك هيامه
بالقريب من المعاني التي يحتاج في فهمها الى تأمل ومشقة .

وممن سبقه الى هذا النقد ابو الحسن الجرجاني اذ قال بعد ان ذكر اغرابه اللفظي
وتطلبه البديع (٢) « ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني القامضة ، وقصد الاغراض
الحقيقية ، فاحتل فيها كل قسث ثقيل ، وارصد لها الافكار بصكل سبيل ، فصار هذا
الحلس من شعره اذا قمع السمع لم يصل الى القلب الا بعد انطب الفكر وكد الحاضر
والحل على القرينة » . فهو كما قال « ينطوي مقاصده بشيء من الابهام . ومن هنا هذه
الصعوبة التي يمانها من يطالع ديوانه اذ يقف حائراً امام طلائعه وغموض معانيه ، ولكن
اذا راضت له بالدروس والتفكير رأى فيها ما يندب من صور جميلة وممان رشيق . ولله
وصف الشاعر قصائده بقوله -

فكأنما هي في الساع جنادل وكأنما هي في القلوب كواكب
وغرائب تأتيك الا انها لصنيعك الحسن الجليل اقارب

تقبل على شعره فتصدمك وعورته ، فتعاول التقلب عليها وتكد نفسك في تذليل
حقباتها ، ولكنك لا تلبث ان تشعر بشعب قد يحملك على النكوص . على انك اذا صبرت
وتابعت الشاعر في اساليبه وغرائبه واخذت تجلوا لنفسك معانيه « حدثت عاقبة هذا العمل
وشعرت بما يستهويك من بديع تخيلاته وجزالة الفاظه . ولنضرب لك بعض الامثلة على
ذلك . قال في مطلع قصيدته ابدائه بن طاهر

اهن عوادي يوسف وصواحيه فزماً قدماً ادرك السؤل طالبه
اعاذلتي ما اخشن الليل مركباً واخشن منه في المات راكمه

دعيني على اخلاقي العجم لاني
فان الحسام الهندواني انما
هي الوقر او سرب ترن نواديه
خشوته ما لم تغل مضاربه

ذكروا انه لما بدأ في انشاد هذه القصيدة في مجلس الامير قيل له لم تقول ما لا يفهم ؟
فاجاب السائل لم لا تفهم ما يقال ؟ نكتة جميلة تبين ما تقصد اليه . ومعنى هذه الابيات
عروماً : هل تريد التواني ان تشغلني وتشغى عزمي عن السفر ، وان تخدعني كما حاولت ان
تخدع يوسف بن يعقوب ا فلا تدرع بالعزم ، لا بد لكل طالب مواظب من ادراك طلبه .
ويا ايها العاذلة ان الليل مركب خشن ، ولكن الذي يركبه اشد منه واخشن . فاطر كيني
على اخلاقي الشديدة اسمى في طلب العلى ، فاما ان اناها او اموت وتندبني النوادب . فان
الحسام الهندواني القاطع انما خشوته (عدم مضائه) ما لم يستعمل (اي انما مضاه الرجل
بالعمل والاقدام) .

وقوله يصف امانى الروم واعتمادهم على مناعة حصونهم -

وقال ذو امرهم لا مرتع صدّد
للسارحين وليس الزود من كسب
ان الحمامين من بيض ومن سر
دلوا الحياتين من ماء ومن مشب

اي قال قادتهم لانفسهم لا مرتع قريب للاعداء (اذ اراموا الحصار) ولا ماء فلا يمكنهم
البقاء طويلاً . على ان امانهم هذه قد فشلت لان السيوف والرماح (الحمامين) هي سيلنا
الى الماء والمشب .

وقوله يصف - كيد المدوح للاعداء وحسن رأيه -

قد رأوه وهو القريب بعيداً ورأوه وهو البعيد قريباً
سكن الكيد فيهم ان من اعظم ادب ان لا تكون ارباً
مكرهم منه فصيح وان هم خاطبوا مكره رأوه جلياً
لقد انصمت والثناء له وجه يراه الرجال جهماً قطوباً
طاعناً منحراً الشمال متيحاً لبلاد المدوح موتاً جنوباً
فضربت الشتاء في اخذه ضربة غادرته قوداً ركوباً

اي ان الاعداء رأوا المدوح على قوبه منهم بعيداً بمناعته ، ورأوه على بعده قريباً

منهم لغزمه وهجومه الشديد . وقد خفيت سياسته عليهم - وإن من أعظم فنون السياسة أن لا يظهر الدهاء للاعداء - فلم يدركوا خططه مع أن خططهم كانت لديه واضحة . ولقد عدت إليهم والشتاء في إبانته قطعت منعر الشمال (يعني بذلك عن العدو لأنه من جهة الشمال) حاملاً إليهم الموت من الجنوب ، وضربت الشتاء فاذلت حتى أصبح لديك كالجلل الركوب .

ومن هذا القبيل -

يقولون إن الليث ليثٌ خفية نواجذه مطروقة وغالبه
وما الليث كل الليث إلا ابن عثر يمشي فواق ناقرة وهو راهبه

ويحل هذا العظم بقولنا : ليس الأسد سبب الغاب ولكن الأسد الحقيقي هو الذي
يحمل بأس المدح ولو قليلاً (فواق ناقرة)

وقوله للعاذل الخفي وهو بين الطلول

وما صار في ذا اليوم عدلك كله عدوي حتى صار جهلك صاحبي
وما بك أركابي من الرشد مركبا إلا أنا حاولت رشد الركائب

لم يصح عدلك عدواً لي ، حتى صار جهلك صاحبي : أي كرهتك لذلك أيادي
ولكنني ما لبثت أن رضيت عنك لجهلك لوعة الحب ، إذ أنك بجهلك تستطيع مساعدتي
فتمنني مثلاً من شدة الوجد وكثرة البكاء . ولكن ما لك تحملي على اتساع سبل
الرشد وترك الوقوف بين الطلول - ليس ذلك رشادي بل رشاد ركائي التي ترغب في
متابعة السير .

. . .

ومن أسباب اغرابه وغبوضه شفه الزائد بالطباق والجناس كقوله
فالشس طالعة من ذا وقد افلت . والشس واجبة في ذا ولم تجب

. . .

فهو مدن للجد وهو بفيض وهو مقص للبال وهو حبيب

. . .

فانت لديه حاضر غير حاضر يذكر وعنه غائب غير غائب

. . .

غربت خلانقه واغرب شاعره فيه فاحسن مغرب في مغرب

ومن ملاحقه في ذلك قوله -

وركب ياقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كنف قاطب
فقد اكلوا منها الفوارب بالسرى وصارت لها اشباحهم كالقوارب
يصرف مسراها جذبل مشارق اذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طامع تار وبالعرس الوجناء غرة آيب

ومناها - ورب ركب شاركوا نياهم بالسير الشديد حتى اذاوا اسنمتها وكواهلها ،
ويقود هؤلاء الركاب رجل خبير بالاسفار شرقاً وغرباً ، شغوف بالسفر على النياق حتى انه
ليرى في وجه الناقة جمالاً ، ويسكره المسكوت في المنازل فلا يرى في وجوه الحسان ما يفريه
على ذلك .

ومن دواعي غرضه اغراقه في استعمال الغريب من الالفاظ . جاء في كتاب الموازنة
« كان ابو تمام يتتبع حوشي الكلام ويتعمد ادخاله في شعره » (١) . ولعل ذلك راجع
بالاكثر الى كثرة محفوظه ودرسه لاشعار الاقدمين . قال الامدي « كان ابو تمام مشغولاً
بالشعر مشغولاً مدة عمره بتخيره ودراسه ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة - منها
الاختيار القبانلي الاكبر ، وقد مر على يدي هذا الاختيار . ومنها اختيار آخر ترجمته
القبانلي ، ومنها الاختيار الذي تلط فيه بحاشن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة
شيئاً حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول .
ومنها اختيار تلط فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المغمورين ويلقب بالحاسة ، وهو
اشهر اختياراته . ومنها اختيارات المقطعات يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والمتقدمين
والمتأخرين وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشغل به وجهه وكده ،
واقصر من كل الآداب والعلوم عليه : فانه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي

ولا يحدث الأثر وأطالع عليه (١) . وقيل انه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطع ، وقال هو عن نفسه لم انظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون الرجال (٢) .

ولا ريب ان للحفظ تأثيراً على أسلوب الشاعر أو الناثر ، ولا سيما في أبان قوة الحافظة . ويظهر ذلك في ميل شاعره الى استعمال غير المؤلف من الاوصاف والعبادات . انظر الى هذا البيت وقد ذكر قبلاً

أهيس اليس لجأء الى همم
تفرق الاسد في اذنيها اليها
اي شجاع تفرق بجود همته الاسود الجريئة
وقوله

الواردن حياض الموت متافئة
ثباً ثباً وكادباً كادباً
ويريد بتافئة مترعة . وثباً ثباً اي جماعات جماعات
وقوله وهو مطلع قصيدة

أما انه لولا الهوى ومهادنه
مواهبه قد افقرت واجالده
لامطيت هذا الصبر مني طاعة
ليعلم دهري اي قرن يكابده
اي لولا ان نأى الاحباب عن الديار قد افقدني صبري لملأت الدهر بشبالي على مصائبه
اي رجل انا
وقوله

فللمروراة الصالح عزمه
باليس ان قصدت وان لم تقصد
اي طوى السهول والقفار عزمه
وقوله

سهاد يرجعن الطرف منه
اي سهاد تثقل فيه الجفون
ويروى حكل طيف بالحدود

وقوله

تثقل في أدم المهادى وشؤمها على كل شئ مثلب وفدود
أي تضطرب في النياق الرعادية والسوداء على كل فلاة سوداء الحجارة
وفي قوله

صهّل في الصهيل تحبه أشرج حاقومه على حمس
يصف حصانه بشدة الصوت حتى كأنها حاقومه شد إلى حمس
ومن هذا القبيل -

عططت على رغم الحدى عزم بابلك بعزمك عطّ الاتحمي المرجل
الكلام استعارة معناه : شقت عزم « بابلك » بعزمك كما تشق الثوب الخطاط
وقوله

حكان بابلك بالبدن بعدم نؤي أقام خلاف الحمي أو وتد
بكل منزعج من فارس بطل جناجن فلق فيها قنا قصد
والعنى كأن بابلك ، وقد غني جيشه ، اثر نؤي أو وتد باق في الحمي - فانت لا ترى الا
أشلاء جيشه مبثرة ، وفي كل ناحية ومنطفئ آثار الرماح المتكسرة
وقال -

مقابل في الجديل صلب القرا لو حك من عجه الى كتفه
أي كريم النسب قوي الظهر لو امتنع من مجزه الى كتفه لوجد كذلك
واراد مرة أن يطلب فرواً من ممدوحه فوصفه بهذه الايات القريبة
ولا بد من فرو اذا اجتابه امرؤه غدا وهو سامر في الصناير اغلب
اثيث اذا استعبت مصقة به ثلاث علماً انها سوف تعتب
يوام الشيف المرتعن فينشي حيراً فتنشاه الصبا فتسكب
أي اذا لبس الانسان ثياب فيه على البرد - وهو كثير الشعر اذا استرضيت البرد به رضي
واذا رآه المطر البارد المنهمر انشئ منه كليلاً ومالت عنه ربيع الصبا .

ونحن هذه الامثلة على ميله لاستعمال المتوعر من الالفاظ بيتين من همزيته المعروفة -
قال في مطلعها

قدك انتب اربيت في القلواء كم تعذلون وانتم سُجرائي
اي استحي يا لانمي يحكفك غلواً في تعنقي . وكيف قلوبوني وانتم مثلي مصابون
بالفرام .

ومنها يصف البید والشیاق

بيدٌ لنسل العيد في امليدها ما اريد من هيد ومن عُدواء
اي تفار قطعها على ناقة ذلول ، فيها كل ما يتطلبه الراكب من عزم ومضاء . ومن فرج
للهموم .

وامثال هذه الالفاظ في شعر ابي تمام كثيرة فاشية . وقد انكر المتقدمون الاقدمون
ذلك عليه وقالوا اذا جاز للاعرابي القبح فهو مستهجن من المحدث الذي ليس هو لفته ،
ولامن كلامه الذي تجري عادته به ^(١) . وقد ذكرنا ان احكثر ذلك راجع الى شفاه
بالقديم وكثرة محفوظه منه . على ان هناك شيئاً آخر وهو شدة اعجابه بشعره ، حتى لم
يكن يرضى ان يسه يادى تهذيب . قال ابو الهلال العسكري كان ابو تمام يرضى بآرل
خاطر فسمي عليه حبيب كثير . وعن الاغاني - روي عن بعض الشعراء ان ابا تمام انشده
قصيدة له احسن في جميعها الا في بيت واحد ، فقال له يا ابا تمام لو القيت هذا البيت ما
كان في قصيدتك عيب . فقال له انا والله اعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل
عنده مثل اولاده ، فيهم الجليل والقيبح والرشيد والساقط وكلهم حلوا في نفسه ^(٢) .
فكان شاعرا كما وصفه الامدي شهما الى ابواب كل ما جاش به خاطره ، ولجلجة فكره ،
نظا الجيد بالودي . ، والدين النادر بالعدل الساقط ، والصواب بالخطا ^(٣) . على ان شعره
طابا من الجزالة او الفخامة تعرف فيه . وعليه قال ابن الاثير يصف الفاظه -
« كانوا رجال قد ركبوا خيولهم واستلأوا صلاحهم وتأهبوا للطراد » ^(٤)

(٢) الاغاني ١٠ - ١٠٠

(٤) المل السائر ١٠٦

(١) الموازن ١٣١

(٣) الموازن ٥٦

المختار من شعرا أبي تمام

وإد بعيد النور كثير الجنادل يرده الناهل فلا يلبثه إلا بعد أن تكلل قدماء وينقطع
نفسه ، على أنه إذا وصل وجد فيه ما ينسبه أهوال الطريق ومتاعب الرحيل . ذلك هو
أبو تمام في شعره - هذارت كثير التأني ولوع بسلوك أغرب السبل إلى المعاني .

فتح عمورية^(١)

قيمت في المعتمد سنة ٢٢٣ هـ وكان الشاعر قد صعبه في هذه المعركة فشهد بنفسه
وقائمه^(٢)

السيوف اصدق انس ^(٣) من الكنسر	في حذم الحد بين الجدر والأعب
بيض الصفائح لا سود الصفائف في	متون جلاء الشك وإربير
والعلم في شهب الأرواح لامة	بين الحيين ^(٤) لا في السيمة الثمير
ابن الرواية بل ابن النجوم وما	صافوه من زخرف فيها ومن كذب
تحرصا واحاديثا ملذمة	ليست بنبع اذا عدت ولا غرب ^(٥)
عجائبا زعموا الايام بحفلة	عنهن في صفر الاحفار او رجب
وغرّفوا الناس من دهباء مظلة	اذا بدا الكوكب القرني ذو الذنب ^(٦)
وصيروا الأبرج العلبا مرقبة	ما حكان منقلباً او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة	ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بيئت قطأ امراً قبل مرقبه	لم يخف ما حل بالاولان والصلب ^(٧)

(١) الفخري ١٧١

(٢) عمورية بلدة حصينة في الاناضول كانت بيد الروم

(٣) الحيين اي الحيين (٤) النبع شجر صلب يعمل منه القسي . والغرب شجر

عش . والمعنى ان اقوالهم ليست من الحقيقة بشيء

(٥) اشارة الى مذهب ظهر في تلك الايام ولعله مذهب « هاني » راجع المختطف مج ٣ ج ٦ - ١

(٦) كنى بالاولان والصلب عن الروم . ويريد جدا اليث انه لو كان التتجيم يفيد لعرف الروم

ما سيحل بهم قائمونه

نظم من الشعر او نثر من الخطب
وتبور الارض في اثوابها التَّشْبِيرُ
منك المني حَقْلًا معولة الحلب^(١)
والشركين ودار الشرك في صَب
فداءها كحل أمر برقر وأب
كسرى وصدت صدوداً عن الي كرب^(٢)
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
غض البخيلة كانت ذبدة الحلب^(٣)

منها وكان اسمها فواجة الكرب^(٤)
قاني الذوائب من آني دم سرب
لا سنة الدين والاسلام مختطب^(٥)
لنار يوماً ذليل الصخر والحطب
يشلُّه وسطها صبح من اللهب
عن لونها او كأن الشمس لم تلب
وظلمة من دخان في ضعي شعب
والشمس واجبة في ذا ولم تجب^(٦)
عن يوم هيجاء منها طاهر جنب^(٧)
بانر بأهل^(٨) ولم تقرب على عزب

فتح الفتح تعالى ان يحيط به
فتح تفتح ابواب السماء له
يا يوم وقمر عوردة أنصرفت
أبقيت جد بني الاسلام في صغر
أم لهم لو رجوا ان تفتدى جعلوا
وبرة الوجه قد اميت رياضتها
من عهد إسكندر او قبل ذلك قد
حتى اذا غض الله المنين لها

أنتهم الصكوبة السوداء سادرة
كم بين حيطانها من فارس بطل
بسنة السيف والخطي من دمه
لقد تركت امير المؤمنين بها
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضعي
حتى كأن جلايب الدجى رغبت
ضوء من النار والظلمة ما كفة
فالشمس طالعة من ذا وقد أقلت
تصرح الدهر تصریح الغلام لها
لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على

(١) شبه باروخ الاماني بحلب الفرج الملائن بالحلب اللذيق

(٢) شبه المدينة بامرأة باردة المعان رابا الماوك القاتعون فامتعت عليهم

(٣) اي كما ان الامراة الحريصة تغض الحليب لاستخراج زبدته هكذا منخضت الايام فكانت

هورية افضل ما خرج منها (٤) انتهم المصيبة من المدينة وكانوا مناعها يتوقعون الفرج منها

(٥) اي كم من فارس قتل قبيها فسال دمه قانياً حتى غضب شعره ولكن تحقيب السيف لا

التغضيب الذي تفتضيه السنة

(٦) في هذا البيت والايات الاربعة السابقة يذكر حريق المدينة ويثفن في وصف الدخان والغليب

(٧) جرب نجس اي طاهر لنا نجس لامدائنا - او طاهر بالمهاد نجس باستباحة الاعراض

(٨) بانر بأهل اي متزوج

ما ربيعُ بَيْتٍ معسوراً يُطيف به
ولا الحدود وقد أدمين من خيلهم
ساجدةً غيّبت منها الميرون بها
وحسنٌ منقلبٌ تبدو عواقبه

لو يعلم الكفر كم من أعصر كسنت
تدبير متصم، باقه منتقم.
ومطعم النصر لم تحكهم استه
لم يفتز قوماً ولم ينهد^(١) الى بلد
لو لم يثد جعلاً يوم الوفي لقرا
دمى بك الله برجيها فهدمها
من بعدما أشبوها وانقن بها
وقال ذو امرهم لا مرتع صدق
امانياً سلبتهم نفع حاجها
إن الحاميين من بيض ومن سمر

له المنيّة بين السمر والقضب
فه مرتقب في الله مرتقب^(٢)
يوماً ولا حجت عن روح محتجب^(٣)
الا تقدّمه جيش من الرعب
من نفسه وحدها في حمل جلب
ولو رمى بك غير الله لم نصب
واقه فتساح باب المقل الأثيب^(٤)
للسادحين وليس الورد من كسب^(٥)
ظلي السيوف واطراف القنا السلب
دلوا الخيانيين من مساء ومن مشب

لما رأى الحرب رأي العين توالس
غدا يصرف بالاموال جريتها
هيئات زعمت الارض الوقور به

والحرب مشتقة المعنى من الحرب
فنزّه البحر ذو الثيار والحرب
عن ذور محتسب لا غزو مكتسب^(٦)

- (١) غيلان هو الشاعر ذو الرمة وميّة فتاته . وفي هذا البيت وما بعده يقول ان النصر اجل
لدينا من كل الجبال وان خراب المدينة الدال في ظفونا ابي من كل منظر حسن
(٢) وفي رواية مرصع (٣) الضمير راجع الى الخليفة المنتصم . ونزكهم الاستة
اي نكل عن القمع (٤) ضد يعني تخص او ارتفع
(٥) في هذا البيت والبيتين التاليين يذكر ان الروم لما حصنوا المدينة وحيأوا للحصار قال اولو
الامر منهم ان يستطيع المسلمون حصرنا اذ ليس لهم خارجها مراتع ولا مياه . ولكن تلك الاماني
كذبها سبوتنا ورماعنا فكنا (اي السيوف والرمح) الوسيئين للوصول الى الماء والمشب
(٦) يريد هذا البيت وما سبقه ان قائد الروم « نيوفيلوس » لما رأى شدة الحرب عليه اراد ان
يحول مجراها عنه بارشاء الخليفة بالمال ولكن هيئات ذلك والخليفة « مجاوب حباً بالجهاد لا حباً بالمال

لم يُنفق الذهبَ المرثي يحككثنه
انَّ الاسودَّ اسودَّ القاب ههنا
وأى وقد أُلجمَ الحطبي منطقة
موكلاً ينفاع الارض يشرفه
تعون ألقا كآساد الثرى تضجت
يا ربَّ حواء^(١) لما اجتث دابرهم
ومغضب رجعت بيض السيوف به
والحرب قسافة في مأزق الخيم
كم نيل تحت سناها من سنى قر
كم كان في قطع اسباب الرقاب بها
كم احزنت قضى الهندي مصلة
بيض اذا انتضيت من حبها رجعت

على الحصى وبه فقر الى الذهب
يوم الكريمة في الملوب لا السلب
بمحكمة خلفها الاحشاء في صلب
من خفة الحرف لا من خفة الطرب
اعمارهم قبل نضج الثين والنب^(٢)
طابت ولو ضيقت بالمسك لم تطب
حي الرضى من ردام منبت الغضب
تجسرو السكة به ضمراً على الركب
وتحت عارضها من عارض شوب^(٣)
الى الخدرة العذراء من سبب
تهتر من غضب تهتر في كسب^(٤)
أحق بالبيض ابداناً من الحبيب^(٥)

خليفة الله جازى الله سميك من
بصرت بالراحة الكورى فلم ترها
ان كان بين صروف الدهر من رحم
فبين ايامك اللاتي نصرت بها
ابقت بني الاصغر المراض كاسهم

جرومة الدين والاسلام والحسب
نسال الاعلى جسر من التنب
موصولة او ذمام غير منقضب
وبين ايام بدر اقرب النسب^(٦)
صفر الوجوه وجاءت أوجه العرب^(٧)

- (١) يتصد جيش الروم وفيه اشارة الى أن منجسي الروم كانوا تدفواوا ان المدينة لا تؤخذ قبل الصيف ولكن المسلمين كذبوهم واخذوها قبل ذلك
(٢) الحواء النفس . اي كم من نفس لم تكن تطيب بالمسك طابت الآن ببناء الاعداء
(٣) يكنى بنى قمر وبالعارض الشنب من الحسان اللواتي سوهن . وبالغضب التي خسر في الكسب من قاتات اولئك الحسان
(٤) اي سيوف اذا سلئت من اغادها كانت احق بان تحتفظ بالحسان من شدورهن
(٥) اي اذا كان من قرابة بين الايام قيوماً هذا اشدها قرابة يوم بدر الذي انتصر فيه النبي على المشركين
(٦) بنو الاصغر اي الروم

وقال في أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

يذكر بعض وقائعه في الشمال

من سجايا الطلول ألا تجيبا فأسألتها واجعل بكك جوايا
 قد عهدت الرسوم وهي مكافئ أكثر الأرض زائراً ومزوراً
 وكعاباً حكاها أبستها بين البين فقدتها قلماً نعم
 أمية الشيب بالفارق بل جددت فابكي تماضراً ولعوا^(١)
 غصبت خذها إلى أوله العة بر دماً أن رأيت شوقي خضيباً^(٢)
 حكاها داء يرحى الدواء له إلا الفطيمين ميتة ومشيباً
 يانصيب الثغام ذنبك أبقي حساني عند الذوالي ذنوباً^(٣)
 ولئن عين ما رأيت لقد أنكرن مستكراً وعين معيباً
 أو تصدعن من قلى لكفى بالشيب وبينهن حليلاً
 لو رأى الله أن لا شيب خيراً جاورفة الأبرار في الخلد شيباً
 كل يوم تدي صروف الليالي خافاً من أبي سعيد عجيباً
 طاب فيه المديح والثناء حتى فات وصف الديار والتشيباً
 غربتة العلى على كثرة الأهل قاضى في الأقربين جنباً
 فليطل عمره فلو مات في مرور مقيماً بها لمات غريباً^(٤)
 سبق الدهر بالثلاد ولم يد تظير الثائبات حتى تنوباً^(٥)

(١) يريد بهذا البيت وما بعده أنه هذه الرسوم قد كانت قبلاً سوق الميا برنادها المشاق من

كل جانب (٢) تاضرو ولعوا فنانان

(٣) أي بكيت دماً إذ رأيت شعري مخضياً لظهور الشيب فيه

(٤) الثغام نبات يبيض إذا يبس ويريد بنصيب الثغام الشيب

(٥) مرو حاضرة خراسان وهي بلدة المدوح

(٦) أي سبق نواب الدهر بكمكارمه

وإذا ما الخطوب أغمته كانت راحتاهُ حوادثاً وخطوباً
 وعمرُ الدفن بالجلاد ولصكنُ وعمرُ العدو صارت سهوباً
 فدروب الأشرار تدعى قضاءً وقضاء الإسلام يدعى دروباً
 قد رأوه وهو القريب بعيداً ورأوه وهو البعيد قريباً
 سكن الكيد فيهم إن من اعظم إرب أن لا تسمى أربياً^(١)
 مكرهم عنده فصيح وإن هم خاطبوا مكره رأوا جليلاً^(٢)
 وأمرُ القنا التوارع قري من نلاع الطلى نجيعاً صيباً
 في مكره للروح كنت أكيلاً للنهايا في ظله وشريباً
 لقد انصمت والثناء له وجه يراه الرجال جهماً قطوباً
 طاعناً منعر الشال متجاً بلاد العدو موتاً جنوباً^(٣)
 في ليالٍ فكاد تبقي بجذ الشمس من ديجها الليل شعوباً
 فضربت الشتاء في اخديه ضربة فاددته قوداً ركوباً^(٤)
 لو اصغنا من بعدها لسمنا قلوب الأيام منك وجيباً
 غزوة متبع ولو كان رأي لم تفرّد به لك كانت سلوباً^(٥)
 يوم فتح سقى سواد الضواحي كذب الموت راثياً وحايياً
 فإذا ما الأيام اصبحن خرساً كظاً في الفخار قام خطيباً
 كان داء الأشرار سيفك واشتدت شكاة الهدى فكنت طيباً
 أنصرت أيسكتي مطايك حتى صار ساقاً عودي وكان قضيماً
 مطراً لي بالجاء والمال ما ألقاك إلا مستوهاً أو وهوباً
 باسطاً بالندى سمائب كفى بندها أسمى حبيب حبيباً^(٦)

(١) ان كيدوه لم يظهر لهم . واعظم الدعاء ان لا يعرف صاحبه به

(٢) الجليل القريب . ويريد بالبيت ان مكرهم ظاهر اما مكره فغير مفهوم لشدة دهائه . فشبه مكرهم بنصيح النطق ومكره بمن لا يفهم كلامه

(٣) إشارة انه غزا العدو (في الشمال) يعيش من الجنوب

(٤) هنا جعل الشتاء كالجلد وقال ضربته فافتاد لك

(٥) الغزوة المتبع التي تبها سواها والعلوب عكس ذلك

(٦) حبيب الاول اسم الشاعر . اي صرت محبوباً ومغترماً

وقال يمدح القاسم أبا دلف العجلي

واحفاً جوده وحسن دايه في الحرب

على مثلها من أربعم وملا مبر
أقول أنرحان من البين لم يصف
أعني الفرق شمل دمعي فأنني
وما صار يوم الدار فذلك كله
وما بك إركاني من الرشد مركبا
فكلني إلى شوقي وسر يسر الهوى

أذيلت مهورات الدموع الموابك^(١)
رئيس الهوى بين الحشا والقرائب^(٢)
أرى الشلل منهم ليس بالمتقارب
عدوني حتى صار جهلك صاحبي^(٣)
ألا انما حاولت رشداً الركائب
إلى حرقاتي بالدموع السوابك

أميدان لهوي من اتاح لك البلى
أصابك ابتكار الخطوب فشئت
إذا العيس لاقت في أبا دلف فقد
هنالك تلى الجدد حيث تقطعت
تصادم مطايا بجن جنونها
إذا حركته هزة الجدد غيرت
تصادم منابه نهش مراصها
إذا ما غدا أغدى كريمة ماله
يرى اتبع الأشياء أوبة أسل
وأحسن من نور فتحة الصبا

فاصبحت سيدان الصبا والجنائب
هوي بأبحكار الظباء الكوابك
تقطع ما بيني وبين النواشب
قائمة والجود حرجى الذواشب^(٤)
إذا لم يؤدها بنفحة طالب
مطايه اسماء الاماني الكواشب
فتركب من شوق إلى كل راكب
هدياً ولو زفت لألام خاطب
كسبه يد المأول حلة خائب
يباض الطلأ في سواد المطالب

(١) أي على مثل هذه الربوع خان الدموع فكتب من الآتي

(٢) أقول إن خلاقيه من ألم البعد وحرقة الهوى في الصدر

(٣) وفي نسخة وما صار في ذا اليوم وقد مر تفسير هذا البيت والذي بعده (راجع صفحة ١٧٨)

(٤) يريد بتقطع التباين وارتخاء الذواشب أن الجود الواحد قد نشأ وبنا أشدهما عند

إذا أُلجئت يوماً أجمعٌ وحولها
فانّ المنايا والصوامد والقنا
جفاف لا يتحركنّ ذا جبرية
يدون من أيدي عواصٍ عواصم
إذا الحيل جابت قسطل الحرب صدعوا
إذا افتخرت يوماً تجمّ بقوسها
فانتم بذوي قار امات سيوفكم
محاسن من مجد متى تقربوا بها
معالر قادت في العلو كأنها

وقد علم الأفشين وهو الذي به
باتك لما استخذل النصر واكتدى
تجملته بالرأي حتى أريته
بأرشق إذا سالت عليهم غامة
سللت لهم سيفين رأياً ومُصلاً
وكننت متى تهزّذ الخطير نفسيه
قد سورك في قلب الخليفة بعدها
فان نفسٌ يذكر أو يعل فيك حاسد
فانت لديه حاضر غير حاضر

(١) في هذا البيت وما بعده يقول إذا ركبت قوم الممدوح (اليم وبني الحسن) لعمل عظيم
فان المنايا والسيف هي أقاربهم التي تحارب حريم
(٢) إشارة إلى قوس حاجب بن زرارة التي استرعنها ملك الفرس وإلى وفاء حاجب وما ناله من
الفخر بذلك . يقول إذا افتخرت ثم مجابج فان سيوفكم في يوم ذي قار قد غابت الفرس الذين
استرهنوا قوس حاجب

(٣) الأفشين قائد تركي كبير كان انضم قد عند له لواء الحرب ضد يابك
(٤) لما اتخذ النصر واكتفى بما افسد عليه التجارب أي اظلمت في وجهه الامور
(٥) ارشق اسم مكان . وقوله سالت عليهم غامة الخ غمضاء غمرتهم الحرب بالرماح والسيوف الكريمة
(٦) نبهك هذا انت مذكور دائماً عند الخليفة ، وبه تقرب منه مهما ابتعدت وملك قول حاسدك

اليك ارحنا عازب الشعر بعد ما
غرائب لاقى في فنائك أنسها
ولو كان يفتى الشعر افتاء ما قوت
ولكنه صوب القول اذا أنجحت
أقول لاصحابي هو القاسم الذي
واني لارجو عاجلاً ان تردني

تَهَلَّ في روض المعاني الدجائب
من المجد فهي الآن غير غرائب
حياضك منه في الصور الذواهب
سحائب منه أعقت سحائب
به شرح الجود الثباس المذاهب
مواهبه بجرأ ترجى مواهي

وقال يمدح عبدالله بن طاهر

وكان قد قصده الى خراسان

أهن هراذي يوسف وهو اجه
اذا المرء لم تستخلص الخزم نفته
أعاذني ما اخشن الليل مركباً
ذريبي واهوال الزمان أظنهما
الم تلهي ان الزمان على السرى
دعني على اخلاقي الضم لقي
فان الحسام الهندواني إنما

فزعاً قدماً ادرك السؤل طالبه^(١)
فذرته للحادثات وغاربه
واخشن منه في الملمات راصبه^(٢)
فاهواك المظى قلبها دغاب
اخو النجح عند الحادثات وصاحبه
هي الوفرة او حرب تون نوادبه^(٣)
خشوته ما لم تقلل مضاربه^(٤)

وقلقل قاس من خراسان جاشها
وركب كاطراف الاسنة عرسوا
لامر عليهم ان تنم صدورهم
الى ملك لم يلق كلصكل بأسه
الى سالب الجياد بيضة ملكه
سما لللى من جانبها كليبها

فقلت اطمئني انضرو الروض عازبه
على مثلها والليل تسطو غياهبه^(٥)
وليس عليهم ان تنم عواقبه
على ملك الا والذل جانبه
وأملته فادر عليه فسالبه
سواء حباب المساء جاشت غواربه

(١) قد مر تفسير هذه الايات (راجع ص ١٧٧)

(٥) وركب كاطراف الرماح مضاء اقاموا على نيات مثلها مضاء وعزماً

فتولّ حتى لم يجد من ينلّه
وذو بقظات مستور مبرها
فوافّه لو لم يُلبس الدهر فعلمه
فيا أيها الساري أسر غير محاذير
فقد بثّ حيدافه خوف انتقامه
ويوم امام الموت دحضه وقفته
جاوت به وجه الخليفة ، والقسا
سقيت صداه والصنّيح من الطلي
فلو نطأت حرب لقات محمّة
ويا أيها السامي ليدرك شأوه
غيبك من نيل المراتب ان توي
إذا ما امروه التي بربك رحله

وحارب حتى لم يجد من يحاربه
إذا الخطب لاقاه اضمحأت نوابه (١)
لافسدت الماء القراح معائبه
جنان ظلام او ردى انت هائبه
على الليل حتى ما تدبّ عقارب
ولو خرّ فيه الدين لانهال كائبه
قد اتسمت بين الضالوع مذهب
وراء نواحيه عذاب (٢) مشارب
ألا هكذا فليكب المجد كائبه
تخرج قصياً أسوأ الظن كاذبه
عليماً بان ليست كئال مناقبه
فقد طالبته بالنجاح مطالبه

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات

دعة محمّة القيادة محكوب
لو سمّت بقمّة لا أعظم نعى
لذّ شؤبها وطاب فلو تسطيع قامت
فهي ماء يجري وماء يليه
كشف الروض رأسه واستقرّ المحل منها
فاذا الرئي بعد محل وجرجا
مستثيبها الذي المكروب
لحمي نحرها المكان الجديب
وعزالي تنثا واخرى تذب (٣)
كشفاً استقرّ المحل منها
نُ لديها يجرين او ملحوب (٤)

(١) مستور مبرها اي مستورة شدخا

(٢) اي سقيت القنا فاطقات عطشه واليف من الرقاب قد عذبت مشاربته ومالت نواحيه . وبروي « والصنّيح من الطلي وراء نواحيه »

(٣) اي كان من جراء هذه القامة المظفرة ان مالت المياه مجرى بعد مجرى . والعزالي مصاباً مياه المطر (٤) استقرّ اخذني . اي اخذني المحل كما يجتعب صاحب التهمة عن عين النظار

(٥) اصيبت جرجان وهي في الحصب كانها يجرين او ملحوب - وما محلان في بلاد العرب معروفان بوفرة مياههما وشجرهما

أيها النيثُ حيَّ أهلاً بحدادك وعند الشرى حين تؤوب^(١)
 لابي جعفر خلانقُ تحجبين^(٢) قد يشبه النجيب النجيب
 أنت فينا في ذا الاوان غريب وهو فينا في كل وقت غريب
 ضاحك في نوايب الدهر طلق وملوك^(٣) يهكون حين تنوب
 فاذا الخائب طال نال الندى والبذل منه ما لا تسال المطلوب
 خاق مشرق وراي حمام ووداد عذب وريح جنوب
 كل يوم له وكل اوان خاق ضاحك ومال كليل
 ان تقاربهُ او تباعدهُ ما لم تأت غشاء فهو منك قريب
 ما التي وفرهُ وثأله مذ كان الا وفرهُ المقلب^(٤)
 فهو مدبر للجود وهو بفيض وهو مقصر المال وهو حبيب^(٥)
 يأخذ المثنين قسراً ولو كفف دعائم اليه واد خصيب
 غير أن الرامي المدد يجتاط مع العلم انه سيصيب^(٦)

وقال في ابي سعيد محمد بن يوسف

ذاكراً بعض وقائمه في حروب بابك

غدت تستجير^(١) الدمع خوف نوى غدر
 وانقلها من غمرة الموت أنه
 فاجرى لها الاشفاق دماً مورداً
 هي البدر يفتيها تودد وجهها
 ولكنني لم أحر وفرأ مجتمعا
 ولم تعطني الايام يوماً مسكيناً
 وعاد قتاداً ملها كل مرقد
 صدود فراق لا صدود تمرد
 من الدم يجري فوق خدر مورداً
 الى كل من لاقت وان لم تودد
 ففزت به إلا بشل مبداً
 الذ به الأ بنوم مشرد

(١) ويروي حيلاً وهي بمن أهلاً وسهلاً

(٢) يصف شدة كرمه ويقول فهو مدبر الجود والجود بفيض من اصحاب المال وهو ملصق

للال والمال محبوب من الجميع

(٣) يجر المثنين الى نواله مع علمه باضم سيصدونه يقل ذلك احتياطاً كما يجتاط الرامي مع

علمه انه سيصيب

وطول مقام الموه في الحلي خلق
قاني رأيت الشمس زيدت عجة
لديا جيه فاعترى تنجد
الى الناس أن ليست عليهم برمد

حلفت برب البيض تدمي متونها
لقد كف سيف الصامتي محمد
رمي الله منه بابكاً وولاته
باحج من صوب الفهم ساحة
وفي «ارشى» الهيجا والحيل ترقى
عططت على رغم المدى مزم بابك
فان لم يكن دلي بشارة مقد
وقد كانت الارماح أبصر قلبه
وموقان كانت دار هجرته فقد
حططت بها يوم المروية عزه
راك سديد الرأي والرمح في الوفي
وليس يحلي الكرب رمح محمد
فر مطبعا للعوالي موعدا
وكان هو الجلد القوي غلبته
افادتك فيها المهنات مصكاراً

ورب القنا المتأد والمتقيد^(١)
تسارح نار الصامتي محمد^(٢)
بقاصحة الاصلاب في كل مشهد
واشجع من صرف الزمان وانجد
باطلها في جاحم متوقد
بزمك مط الاتحيمي المعصد^(٣)
هناك فقد ولي بزم مقد
فارمدها ستر القضاء المدد
تودتها بالحيل اي تود^(٤)
وكان مقيماً بين نسر وفرقد^(٥)
تأزر بالاقدام فيه وترندي
اذا هو لم يؤنس برأي مدد
من الخوف والاحجام ما لم يعود
بحسن الجلال المحض حسن التجلد
تمشع عمر الدهر ان لم تخلد

وليلة أبلت اليبات بلاء
عن الصبر في وقت من الصبر محمد^(٦)

- (١) حلفت برب الميوف الذابة والقنا المتوي او المتكسر
(٢) اي لقد تأر محمد «المدوح» لحمد بن حميد الطوسي الذي قتل قبلاً والصامتي لقب
(٣) شققت مزم بابك كما يشق الثوب المخطط
(٤) موقان اسم مكان كانت حصنه حصين حتى دخلتها بالحيل
(٥) يوم المروية اي يوم الجمعة يقول اقرئت عزه ذلك اليوم وكان بين هذين النجيين
(٦) محمد (ويزوي خطأ بجمد) اي قليل الخير حسواً

فيا جولة لا تجعديه وقصاده
ويا ليل لو أني مكانك بعدها
وقائع أصل النصر فيها وفرعة
فهما تكن من وقعة بعد لا تكن
بحسن اصناف الخزيين جمعة
جلوت الدجى عن اذريجان بعدما
وكانت وليس الصبح فيها بابيض
وأى بابك منك التي طلعت له
هزرت له سيفا من الكبد انما
يسر الذي يسطو به وهو مفد
تلافي جدالك المجتدين فاصبحوا
اذا ما رعى اذرت اذرت ساحة
اتبك لم أفرغ الى غير مفزع
ومن يرج معروف البعيد فانما

ويا سيف لا تكفر ويا ظلة اشهدي
لما بت في الدنيا يوم مسعد
اذا عدد الاحسان او لم يعدد
سوى حسن مما قلت مردد
وما قصبات السبق الا لمعد^(١)
تودت بلون كالقائمة اريد^(٢)
فامست وليس الليل فيها بأسود
بنحمر ولدين الحيف بأسود
تجوز به الاعناق ما لم تجرد^(٣)
ويفضح من يسطو به غير مفد
ولم يبق مذخور ولم يبق مجتد
رعى كل انجاس على كل موعد^(٤)
ولم أتد الحاجات في غير منشد
يدي عولت في الثائبات على يدي

وقال في المقتصم وبطشه بالافشين

وكان الافشين اولاً قائد جيشه ثم خرج عليه

الحق ابلج والسيوف حوار
ملك غدا جارة الخلافة منكم
يا رب فتنة أمة قد برها
جالت بجيدر جولة المقدار
كم نعمة لله كانت عنده

لخذار من اسد العرب خذار
والله قد اوصى بحفظ الجار
جبارها في طاعة الجبار
فاحله الطغيان دار يوار^(٥)
فكأنها في غربة وإسار

(١) مبد اسم مفعول مشهور

(٢) اذريجان مقاطعة في بلاد فارس

(٣) اي هزرت سيفاً من المكر والمكر انما يقع اذا لم يتضح يشير الى درايته وحسن سياسته

(٤) ساحة مفعول لاجله اي اذا رعى الشرائع اذرت من مباحثك رعى الوفاء والكرم

(٥) حيدر بن كاسر هو الافشين

- كسبت سائب لزومه فضاءات
 • وتودة طلب الاله بتأرها
 صادى امير المؤمنين بزواج
 مصكراً بنى ركنيه إلا أنه
 حتى اذا ما الله شق ضيمه
 ونحا لهذا الدين شفرته اثني
 ما كان لولا خش غدره جدير
 ما زال سر الكفر بين ضلوعه
 تاراً يساور جسمه من حرها
 طارت لها شمل يهزم انفعها
 لله من نار رأيت ضياءها
 مشوبة رفعت لاعظم شركه
 صالى لها حياً وكان وفودها
 وكذلك اهل الدار في الدنيا هم
 يا مشهداً صدرت بفرحت الى
 رمقوا أعالي جذعه فسكانا
 واستنشقوا منه قتاراً ثمره
 قد كان بوأه الخليفة جانباً
 فسقاه ماء الخفض غير مصرده
 فاذا أين كافرة يسر بسرهم
- كساول الحناء في الاطوار^(١)
 وكفى برب النار مدرك تار
 في طيه حمة الشجاع الضاري^(٢)
 وطلد الاساس على شفير هاور
 عن مستكن الكفر والاصرار
 والحق منه قاتل الاظفار^(٣)
 ليكون في الاسلام عام فجار^(٤)
 حتى اصطلى سر الزناد الواري
 لهب كما عصفت شق ازار^(٥)
 اركانها عدماً بغير غبار
 ضاق الفضاء به على النظر
 ما كان يرفع ضوءها للشاري
 ميتاً ويدخلها مع الفجار^(٦)
 يوم القيامة جل اهل النار
 امصارها انصرى بنو الامصار
 وجدوا الهلال مشبة الإفطار
 من عنبر ذفير وسك داري^(٧)
 من قلبه حرماً على الاقدار
 وانامه في الأمن غير غرار
 وجداً كوجد فوزدق بنوار^(٨)

- (١) سائب اللزوم اي اتوا به . والاطوار اكسية بالية
 (٢) تطاهر بطاعة نعمها سم الحية القتال
 (٣) اي بعد ان اعد شفرة الدردن عاد الدين قتلته به
 (٤) فجار من حروب الجاهلية سميت كذلك لانها كانت في الاشهر الحرم
 (٥) هذا البيت وما قبله اشارة الى احراق الافشين وهو مصلوب
 (٦) يشير الى ان الافشين كان مجوسياً يمد النار
 (٧) نسبة الى دارين لمدة في الشام مرووفة بطرها
 (٨) الضمير في بسرهم يرجع الى المجوس ونوار امرأة الفردق طلقها ثم ندم ووجد لذلك

واذا تذكروا بكاءكم كما بكى
 دلت زخارفه الخليفة أنه
 يا قابضاً يد آل كادس عادلاً
 أخلق جيناً دامياً ومكناً
 وأعلم بأذك إغنا تلقيم
 كادس النبوة والهدى فتقطعت
 جهلوا فلم يستكفروا من طاعة
 فاشدذ بهارون الخلافة إنه
 بفتى بني العباس والقمر الذي
 كرم الخوالة والسمومة مجه
 هو نؤمين فيهم وسعادة
 فاقع شياطين الفساد بمتهر
 ليسير في الآفاق سيرة رامة
 فالصين منظوم باندلس الى
 ولقد عدت بأن ذلك يصم
 فالارض دار افقوت ما لم يكن
 سورد القران الثرف فيكم أنزلت

كعب زمان رثي أبا المنوار^(١)
 ما كن هود قاضر بنظر
 أتبع عيشاً منهم بيسار
 بقفاً وصدرأ غائناً بضدار^(٢)
 في بعض ما حفروا من الآبار
 اعناقهم في ذلك المضمار
 معروفة بعبارة الاعمار
 سكن لوحشتها ودار قرار^(٣)
 حقه الحجم يعرب وتوار
 سلفا قریش فيه والانصار
 وسراج ليل فيهم ونهار
 ترضى البرية هديه والباري
 ويسوسها بسحينة ووقار
 حيطان رومية فلك ذمار^(٤)
 ما كنت تتركه بغير سواد
 من هاشم رب تلك الدار
 ولكم تصاغ محاسن الاشعار

ومن مدائحه في المعتصم

أجل ايها الربع الذي خف آله
 وقفت واحشائي منازل للأسي
 اسائلكم ما باله حكيم البلي
 لقد ادرست فيك التوى ما تحاوله
 به وهو قفر قد تعقت منازله
 عليه والآن فاتركوني اسائله

(١) كعب النخوي شاعر قديم . له شعر يرثي به اخاه ابا المنوار
 (٢) في هذا البيت وما قبله يقول ايما الخليفة قد قبضت على ابني آل كادس بقتله فاقبل من
 بلبي منهم (٣) هارون هو الواثق بن المعتصم
 (٤) يقصد بدمار اليمن . ويريد بما مر من الايات ان الواثق خير ولي للمهد فهو قد جمع شرف
 الخوالة والسمومة وقرن في نفسه الهداية وحسن الراي

دعا شرفه يا ناصر الشوق دعوة
بيوم يريك الموت في صورة الثوى

الى ان يقول

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله
من الناس المعروف والدين والتقى
جلا ظلمات الظلم من وجه أمته
ولادته بحقوقه الخلافة التقت
بمضمهر بالله قد عصمت به
رعى الله فيه للرعية رافة
وقام فقام العدل في حكل بلدته
يؤمن ابي اسحق طالت يد الهدى
هو البحر من اي النواحي انيته
تمرد بسط الكف حتى لو أنه
ولو لم يكن في كفه غير روحه
امام الهدى وابن الهدى اي فرقة
رجازك للباغي الغنى عاجل الثنى

فلما طلّ الدمع يجري ووابله
اواخره من حسرة واولائه

مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
عسال عليه رزقهم شائله
اضاء لها من كوكب الحق آفله
على خدرها اراحه ومناصله
عمرى الدين والتقت عليه وسائله
ودرحته فيهم تفيض وقاله
خطياً واضعى الملك قد شق بازله^(١)
وقامت قناة الملك واشتد كاهله^(٢)
فلجته المعروف والجود ساحله
ثناها لقبض لم تطعه انامله
جلاد بها هليق الله سائله
تسبها منك القريض وقاله
واول يوم من لقائك آجله

مرثاته في محمد بن حميد الطوسي

وكان المرنى من كبار القادة وقد قتل في حرب بابك ٢١٩ هـ

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
توفيت الآمال بعد محمد
وما كان الا مال من قل ماله
وما كان يدري مجتدي جوده كفيه
الا في سيل الله من عطلت له
فليس لمن لم يقض ماؤها هذر
واصبح في شغل عن السفر الشتر
وذخراً لمن امسى وليس له ذخ
اذا ما استهلّت أنه خلق الصر
رجساج سيل الله وانتشر الثمر

(١) شق بازله اي طلع ناب جملة والكلام مجاز يراد به قد اكتمل

(٢) ابو اسحق كنية المضمهر . اشتد كاهله اي امتنع جانيه

ففي كلفا فاضت عيون قبيلة
 فتي دهره شطران فيا ينوبه
 فتي مات بين الطمن والضرب مية
 وما مات حتى مات مضرب حينه
 وقد كان غوث الموت سهلاً فردّه
 ونفس تضاف السار حتى كأنا
 غائب في مستنقع الموت رجله
 غدا غدوة والحد نسج ردائه
 تردّي ثياب الموت حمراً فا دجا
 كأن بني نهبان يوم وفاته
 يعزّون عن ثاور تمزّي به العلي
 وأنى لهم صبر عليه وقد مضى
 فتي كان عذب الروح لا من غضاضة
 فتي سلته الخيل وهو حي لها
 وقد كانت البيض المآثر في الرمي
 أمن بمد طي الحاديات محمداً
 اذا شجرات العرف جذّت اصولها
 لكن أبض الدهر الحزون افقده
 لكن غدرت في الروح ايامه به
 كذلك ما تنفك تفقد هالكاً
 سقي النيث فينا وارت الارض شخصه
 وكيف احتمالي للنبوت صنيعة

دماً ضحككت عنه الاحاديث والذكر
 ففي يسه شطر وفي جوده شطر
 تقوم مقام النصر ان فاته النصر
 من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
 اليه الحفاظ المر والخلق الوعر
 هو الكفر يوم الروح او دونه الكفر
 وقال لها من تحت أخصك الحشر
 فلم ينصرف الا واحكفانه الاجر
 لها الليل الا وهي من سندس خضر^(١)
 نجوم سماء خر من بينها البدر
 ويسكن عليه البأس والجود والشمر
 الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
 ولكن كبراً أن يقال به كبر
 وزنه غار الحرب وهو لها جمر
 يواتر فهي الآن من بعده بتر^(٢)
 يحكون لاثواب الندي ابدأ نشر
 ففي اي قوع يوجد الورق النضر
 لهدي به من يحب له الدهر^(٣)
 فما زالت الايام شيتها الفدر
 يشاركتنا في فقده البدر والحضر
 وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر
 باستقامتها قبرا وفي لحده البحر^(٤)

(١) اي قتل في ساحة الجهاد فليس بعد الموت الثياب الحضر التي هي لباس أهل الجنة
 (٢) في هذا البيت وما قبله يقول قتل في الحرب وقد كان هو الذي يشعرا فاصبحت السيوف
 للفاطمة بعده مبنودة لا غير فيها (٣) اذا ابض الدهر لتفقد فقد كان يحمد سابقاً لكرمه وما أثره
 (٤) يطلب من النيث (المطر) ان يسقي حيث الجود (المرثي) ثم يقول وكيف اطلب من المطر
 ان يسقي قبراً فيه بحر الجود والعل

مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
ثوى في الثرى من كان يحيا به القى
عليك سلام الله وقفاً فاني
غداة ثوى الا اشتت انها قبر
ويسر صرف الدهر نائله الفجر
رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال من قصيدة يرثي بها ادريس بن بدر السامي

دموع اجابت دامي الحزن هتف
عناء على الدنيا طويل فاتها
تبدلت الاشياء حتى حللتها
لها صيغة في كل روح ومهجة
لادريس يوم ما تزال لذكره
ولما نضى ثوب الحياة وارقت
خدا ليس يدري كيف يصنع مدم
ومانت نفوس الغالبيين حكمهم
فدروا في زوايا نهشه وحكأنا
ولم انس سعي الجود خلف سريره
الم تلك ترماعا من الدهر ان طأ
وتلبس اخلاقاً كراماً كأنها
وتربط كفاً في الحقوق كأنها
وتربط جاشاً والعكامة قلوبها
الا إن في ظفر المنية مهجة
هي النفس ان تيك المكارم قدما

توصل منها من قلوب تقطع
تفرق من حيث ابتدئت تتجمع
سقي غروب الشمس من حيث تطلع
ولبت شي ما خلا القلب تسمع
دموعي وان سكنتها تنفزع
به ثابت الدهر ما يتوقع
ذرى دمه من وجده كيف يصنع
والأ فعبير الغالبيين اجمع^(١)
قويش قويش يوم مات مجتبع
باحكم قدر باله يستقيم ويطلع
وتحفظ من اموالنا ما يضع
على العرش من فرط الحصانة اذرع
اناملها في البأس والجود اذرع
ترمزع خوفاً من قنأ ترمزع
تظال لها عين العلى وهي تدمع
فن بين احشاء المكارم تنزع

(١) يريد بالغالبيين شيعته أي ماتوا بوفه او مات صهرهم اجمع

البحثري

ابو عبادة الوليد بن عبيد الله

٢٠٥ هـ — ٢٨٤ هـ

٨٢٢ م — ٨٩٨ م

مصادر دراسته - توطئة تاريخية - نظرة في ديوانه
مزبته الفنية - شعره النزلي

مصادر دراسته

- طبقات الشعراء لابن المقرّ (١٩٣٩) ص ١٨٦-١٨٧
 الأغاني ج ١٨ ص ١٦٢-١٧٥
 الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي (الاستانة ١٢٨٧)
 الموسّع للفرزباني ص ٣٣٠-٣٤٣
 الفهرست ص ١٦٥
 معجم الادباء لياقوت ج ٧ ص ١٢١-١٣٢
 وفيات الاميان ج ٢ تحت اسم الوليد (حرف الواو)
 مفتاح السعادة ص ج ١-١٩٣ (طبع الهند)
 ومتفرقات في مروج الذهب وتاريخ ابن عساكر والمعدة وغيرها .
 وتجد سيرته في كل الكتب الحديثة التي تتناول الآداب العربية وتاريخها نذكر منها
 دائرة المعارف الاسلامية
 مجلة الضياء المجلد السادس (ج ١-ج ١٥) سلسلة مقالات (لامين حداد)
 شعراء الشام تحليل مردم
 اعلام النبلاء للطباخ ج ١ ص ٦-١٤
 عبقريّة البحتري ابد الفريز سيد الاهل

توطئة تاريخية

يؤخذ من دراسة المصادر التاريخية ان البحري ولد في منبج مجوار حلب ، (وعلى رأي احدهم في قرية قريبة منها تدعى زردفنه) وهناك نشأ وقال الشعر . وتقع حياته الشعرية في ثلاثة اطوار —

(الاول) طور نشأته الادبية ومعظمه كان في منبج ، على انه زار بعض المدن السورية كحلب وحمص والمعرّة . وفي حمص على ما يقال بقي اياماً واطن واخذ عنه .

(الثاني) طور العراق — وهو طور شهرته وفيه اتصل بالخلفاء وكبار رجال الخلافة يندسهم ونال جوائزهم . وهذا الطور مهملان :

عهد المتوكل ووزيره الفتح بن حاقان ثم عهد من تبعه من الخلفاء . وبين المهديين فترة اقام فيها في منبج .

(الثالث) طور الرجوع الى ارض الوطن والاقامة فيه .

فالبصري نشأ في جوار حلب ، حتى اذا ادرك وحقق صناعة الشعر قصد العراق واتصل ببلاط المتوكل ولازمه . ولما حدثت الفتنه التي قتل فيها المتوكل ووزيره الفتح وذلك ٢٤٧ هـ كره البقاء فعاد الى وطنه . ولكنه على ما يظهر لم يقيم هناك طويلاً . نستنتج ذلك من قائمة ممدوحيه ومن قصائده فيهم . فعاد الى العراق والى سالف عهده من مدح الخلفاء والامراء هناك — ولا سيما المعتز — وبقي الى آخر حكم المعتز (١) ، ثم رجع الى سوريا واستقر في منبج حيث ادرسته الوفاة وهو يناهز الثمانين .

اتصل شاعراً بسيعة من كبار الخلفاء العباسيين وبعده وافر من رؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ، ولم يكن مسرفاً جليح مألأً وفيراً . قال ابن رشتي « وكان البحري ملياً فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده » (٢) . وفي شعره ما يشير الى

(١) ومن مرثياته في غلامه قيصر يظهر انه كان لا يزال بعيداً من وطنه وهو ابن ٦٦ سنة

(٢) العمدة ٢ - ١٢٥٠ - وفي ٦ - ١ يذكر انه كان له قهارة وكتاب

انه كان ذا عتار واسم ، كقوله لاحد الرؤساء في امر ضيعة له - والظاهر ان بعضهم اعتدى عليها واغتصب غلتها فقال مستجيذا به -

وقد غدت ضيعتي منوطة بحيث نيطت للناظر الزئفرة
اروم بالشعر ان تعود فسا اقطع فيها ارومه شره

وفي بعض قصائده للمعتر يتأذنه في الذهاب الى الشام لينظر في املاكه قال

هل اطلعن على الشام مبيحلا في عز دولتك الجديد المونق
فادم خلة ضيعة نصف امها والم تم بصيعة لي دروق^(١)
شهران ان بسرت اذني فيها حصفلا بالفة شملي المتفرق

ويذكر ابن خلكان انه كان يحتاج للترداد الى الوالي بسبب مصالح املاكه^(٢)

* * *

وفي ايام البحري كانت الخلافة العباسية في حال انتقال من طرد القوة الى طرد الضعف ، وكان المتوكل حلقة الاتصال بين هذين الطودين . وقد شهد الشاعر ايام عزه وبأسه كما شهد الفتنة عليه وما كان من مقتله واستبداد امراء الجند التركي بالذين جاؤوا بعده .

ومن الظواهر التاريخية التي تتجلى في شعره وشعر معاصره (كما سنرى في كلامنا عن ابن الرومي) اعتلاء العناصر الاعرجية في الدولة على النصر العربي (حتى كان الشاعر يثوه بفضل الموالي كما قال البحري من قصيدة للمعتر

يا من له اول الطيا وآخرها ومن يجود يديه بضرب المثل
امسا الموالي جند الله حثامهم ان ينصروك فقد قاموا بما احتملوا
بقاؤهم عصمة الدنيا وعزهم صقر على بيضة الاسلام منسدل

ومن قوله في ذلك يصف ما قام به قادة المعتر من قهر الاعداء والقائمين عليه

(١) اي اغتال (٢) وفيات الاميان ترجمة البحري في ج ٢ حرف الواو

سراة رجاله من مواليك اكدوا هوى الدين احكاماً وبشوا قوى الكفر
اذا فتحوا ارضاً اعدوا لملها كتاب تفري في اعادبك ما تقري
ففي الشرق افلاح لموسى ومفلح وفي الغرب نصر يرتجى لابي نصر^(٢)

واذا قابلت بمدوحيه (من غير الحلقاء) بمدوحى ابي تمام مثلاً ترى ان الاخير كانت
مدائح في العرب تفوق مدائح في سواهم اما البحري فعلى خلاف ذلك . وانك لتثبت
ذلك من مراجعة القائمة التالية ودرس رجالها واحداً واحداً . وقد اغفلنا فيها ذكر من لم
تبلغ مدائح القصيدة ، وجمعنا افراد الاسرة الواحدة تحت اسم واحد كآل سهل وآل
الدير وسواهم . ومع ذكرنا للحلقاء لم ندخلهم في هذه الموازنة الطصرة

الحلقاء

التوكل	٣٥	قصيدة	
المعز	٣٠	✓	
المعتد	٥	قصائد	
المتدي	٤	✓	
المتعين	٤	✓	
	٧٨		
من كبار العرب			
ابو سعيد محمد بن يوسف الثوري وآله	٢٣	(طي)	من كبار القادة
آل حميد الطوسي	١٨	نهبان (طي)	✓
احمد بن محمد الطائي	٧	طي	✓
ابو صالح بن همار	٥		
محمد بن القمي	٥	طلحة	
الحضر بن احمد	٥		
ابو نوح عيسى بن ابراهيم	٤		
ابو الحسن الهاشمي	٤	هشام	
علي بن سر	٤	طي	

(٢) موسى ومفلح وابو نصر من قادة الاثراك

مالك بن طروق	٢	من تغلب امير عرب الشام
محمد بن بدر	٢	من بني سعد هل ان اخواله من الموالي

ومن كبار المدوحين الذين لم نثبتهم في احدي القائتين اسماعيل بن بلبل ٢٠ قصيدة.
ونسبه في شيبان ولكن صاحب الفخري (١٨٧) يقول ان في نسبه ريباً

واسحق بن ابراهيم المصبي ٢ نائب بغداد وابن عم طاهر بن الحسين

من كبار الموالي

الفتح بن خاقان وآله	٢٦	وزير المتوكل	(من الاثراك)
الحسن بن مخدو وآله	٢٦	وزير المستند	(من الفرس) ^(١)
ابراهيم بن المدبر	١٥	من رجال الدولة اديباً وادارة	" "
آل سهل	١٢	وزراء	" "
علي وعبدالله بن يحيى بن خاقان	٩	من وزراء المتوكل	(من الاثراك)
ابو صالح بن يزداذ	٨	وزير المستعين	(من الفرس)
آل طاهر	٧	من اعيان الامراء	" "
ابو العباس بن بسطام	٦	من الاعيان	" "
الشاه ابن ميكال	٥	من امراء الفرس	" "
علي بن الفياض	٤	من الوجهاء والروساء	" "
احمد بن ثوابه	٤	وزير وكاتب ^(٢)	" "
وصيف وآله	٤	من امراء الترك	" "
اسحق بن كنداج	٣	من الاثراك وهو الذي رد المستند الى سامرا وصفي ذا السيفين ^(٣)	" "

(١) راجع ديوان البحري (عليه) ٥٧٩-٥٨٢ و ٣٢٠ و ٣٢٥ و ٤٧٢ و ٥٢٩ و ٣١٨

(٢) الديوان ٥٨٠ و ٥٩٥ و ٥٩٩ وفي معجم الادباء انه كان يدعي انه من سبه

(٣) ديوان السلطنة ١ - ١٢٨ و عليه ٩٠٦

(٤) في معجم الادباء ان اصلهم نضاري

(٥) راجع الطبري في اخبار ٢٦٩

اصمیل بن نوبخت ٣ من اعيان القادة
آل دينار ٣ من دوساء الفرس (١)

* * *

وكان البحري كاشف شعراء عصره مولماً بالخر . وفي الابيات التالية التي كتبها الى
المبرد (اللقي المشهور صاحب الكامل) ما يدل على شيء من احواله ونسق
مبشّته . قال

يوم سبت وعندنا ما كفى الحر طاماً والورد منا قروب
ولنا مجلس على النهر فيح فيح تفتح فيه القلوب
ودوام الدمام يدنيك من كنت تهوى وان جفاك الحبيب
فأنسا يا محمد بن يزيد في استنار كي لا يواله الرقيب
نظرد الهم باصطباح ثلاث مرقعات تنفي بين الكروب
ان في الراح راحة من جوى الحب وقلبي الى الاديب طروب
لا يرمك المشيب مني فاني ما تناني من التصالي المشيب

وفي ديوانه مواطن كثيرة يذكر فيها ولله بالخر واللهو تقتصر منها على ما يلي ، وفيه
يقترّب من روح الي نواس

كل ماض انساء غير ليال ماضيات لتسا يبارا وبناً (٢)
مفرم بالمدام اتزع حكاماً ساطعاً ضوءها وانسف دنأ
حيث لا اذهب الزمان ولا ألقى الى النازل المعكّر اذا
يزعم البر في التشدد والاصح اولى بان يُبر ويُدنى

اما مذهبه السياسي فن الطبيعي ان يكون عباسياً . وقد توهم الاستاذ مرفوليوت
في الابيات التالية

(١) ديوان البحري (عليه) ١٠٠ و ١٠١

(٢) بارا وبناً مكانان

يا ضيعة الدنيا وضیعة أهلها والمسلمین وضیعة الاسلام
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه يحزى على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه امة لو دعت بنينام

ان الشاعر يتعنى رجوع بني امة^(١) . والحقيقة ان هذه الايات قيلت وقد سلم محمد بن يوسف الثوري لكتاب نصراني وأمر بتفزيده ، فشق على الشاعر ان يرى ملاماً كبيراً تحت يد كاتب نصراني وقال هذه الايات بدافع الغيرة محاولاً ان يستغفر شعور القوم لتخليص الرجل . وليس في هذه الايات ادنى صبغة سياسية .

شعره في ديوانه

اجمع نقدة الشعر القدماء على وصف البحتري بسلاسة العبارة وحسن الديباجة واليك آراء بعض من كبار الاقدمين فيه -

قال الثعالبي « يضرب به المثل لان الاجماع واقع على انه في الشعر اطبع المحدثين واناؤدث وان كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة . ويقال ان شعره كتابة معقودة بالقوافي^(٢) » . وقال ابن رشي « واما البحتري فكان املح صنعة (من ابي تمام) واحسن مذهبا في الكلام ، يسلك فيه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة^(٣) » . ووصفه ابن الاثير بقوله « فان مكانه من الشعراء لا يحجل . وشعره هو السهل المستنع الذي تراه كالشمس قريبا ضواها بعيداً مكانها ، وكافتاة لبناً مسها خشناً سنانها . وهو على الحقيقة قبضة الشعراء في الاطراب ، ومعتازهم في الاغراب^(٤) » . ويصف الفاظه في موضع آخر فيقول

« وترى الفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحلین باصناف الحلبي^(٥) »

(١) راجع مقاله في دائرة المعارف الاسلامية تحت Buhturi

(٢) ثمار القلوب ١٧٩ (٣) المدة ١ - ٨٥

(٤) المثل السائر ٢٢٠ (٥) المثل السائر ١٠٦

ومن اقوال الامدي في الصنعتين الاولين من الموازنة: «البحري امراني الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل، ما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التقيد ومستكوره الالفاظ ووحشي الكلام». . . الى ان يقول: «فان كنت ممن يفجّل سهل الكلام وقويه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ فالبحري اشعر». وعلى هذا يفسرون ما يروونه عن ابني الملا: «المتنبى وابو تمام حكيمان والشاعر البحتري». ويذكره الباقلائي في «اعجازه» ويذكر تفضيله له بديباجة شعره على ابن الرومي وسواه، وتقدّمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة الفاظه وقلة تمثّد قوله^(١)

ولا تكبر ان الذي يرجع الى ديوانه فيدرسه يجد هذه الصفات العامة فيه . على انه لا يمتاز في ذلك عن بعض كبار الشعراء في العصر العباسي ، كابي نواس وابي العتاهية ومسلم وعباس بن الاحنف واضرابهم ، ممن افاضهم الالفاظ وسلس لهم المعاني . والذي نرجحه ان البحتري لم يوصف بما ذكرناه له الا لانه بالته بالشاعرين الكبيرين الى تمام والمتنبى . وذلك لما في شعره عموماً بالنسبة اليهما من السهولة والدمانة . فبينا هما يفوقانه بالنوص على المعاني وسداد الحكمة تراء يفوقهما في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك . واذا لم نجد في شعره ذلك الاغراب الذي في شعر ابني تمام او تلك الفخامة التي عرف بها المتنبى ، نجد فيه رشاقة وصفرة ودمانة اسلوب لا تجدوها عادة في شعريهما

• • •

اما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضعه عن اكثر الدواوين الشعرية في زمانه . فهو ، كسواه من الشعراء ، قد صرف اذنه في الترف الى رجال الدولة العباسية ، ولذلك كان جل شعره المديح . وليست طريقته غير الطريقة التي درج عليها الجمهور من مطلع فزلي يتخلص منه الشاعر الى الممدوح ، فيصف اعماله ويمدح اخلاقه ومكارمه ويفتن في ذلك ما شاء . فنه وادبه . وسدى ذلك في مختاراته .

• • •

وليس البحتري من المشهورين في الرثاء . وان يكن له فيه ما يستطاب كرقائده في طاهر بن عبدالله بن الحسين التي مطلعها

(١) اعجاز القرآن ١١٣

عذري من صرف الليالي الفوادير ووقع رزايا كالسيوف البواتر

ورثاته في المتوكل يوم قتله الاتراك ، وقد وصفها ابو العباس ثعلب بقوله * ما قيلت هاشية
احسن منها ، وقد صرح بها تصريح من اذهلت المصائب عن تحوُّف العواقب * (١) . فقال
فيها يصف شعوره بعد مقتل الخليفة ويشير الى ان ابنه المتصر كان من المتأثرين عليه

صريع تقاضاه السيوف حشاشة يهود يها والموت حر اظافره
حرام عليّ الراح بعدك او ادى دما بدم يجري على الارض مائه
وهل يرجي ان يطلب الدم طالب مدى الدهر والموتور بالدير واثره
فلا ملمي الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذلك الدعاء منابره
ولا وآل المشكوك فيه ولا نجبا من السيف قاضي السيف غدرأ وشاهره

ومن مراثيه التي قد تذكر له مراثيه في سليمان بن وهب ومطلعا

أنهي ننه دمعك المغرورا ان الحوادث يتصرمن وشيكنا
ما اذكرك بمفرح صرف الجوى الا ثنته بمفرح ينسبكنا

على انها ليست من الطبقة الاولى في هذا الباب وليس للبحتري فيه ما اصاحبه ابي تمام
والشبي . ولقد تراء احياناً ينف الى درجة الفاتنة كقوله لاني نهشل محمد بن حميد الطوسي
بماحول ان يعزبه من فقد ابنته ، فيذكر له انها غير جديدة بالكاء لانها فتاة * وطالما كانت
الفتيات سبياً في الشقاء ، ويضرب على ذلك الامثال السبعة ومنها

قد ولدن الاعداء قدماً وورثن البلاد الاقاصي البمداء
لم يند كثرهن قيس نعيم غيلة بل حيلة واباء
واسئل الشيطان آدم في الجنة لنا اغرى به حواء
ولصري ما العجز عندي الا ان تبليت الرجال تبكي النساء

واكثر القصيدة في هذه المعاني التي تدل على انحطاط المرأة يومئذ في نظر الرجل .
ومثلاً في الفاتنة ابيات بعري فيها موسى بن عبد الملك عن ابنة له . قال

أبا حسن أن حسن الغراء عند المعصيات والنائبات
يضاعف فيه الآله الثواب للصابرين والصابرات
ومن نعم الله لا شك فيه حياة البتین وموت البنات

• • •

أما الكتاب فله فيه يدٌ طويلة . ويرى ابن رشيقي أنه أحسن الناس طريقاً في كتاب
الأشراف ويلقبه بشيخ الصناعة الشعرية وسيد الجماعة ^(١) . وقد أصاب ابن رشيقي ففي
عنايه نعمة حريرية قلما تجدها في سواه . ومن أمثلة ذلك قصيدة يعتذر فيها إلى يعقوب بن
أحمد بن صالح . وهي تبدأ كالعادة بالقرول ثم ينتقل من ذلك إلى نفسه وذكر أخلاقه
ومن هنا يتقدم إلى المعتذر إليه فيقول بنفذة مقرة

ندمت على امر مضي لم يُشر به	نصيح ولم يجمع قواه نظام
وقد خبروا أن الندامة توبة	يصلى لها أن تقتني ويصام
وان جعودي سوء ظن بمنعم	ومذري مصاديري عليه خصام
يجرح أقوال الوشاة فريصتي	واكثر أقوال الوشاة سهام
ولما نيت في الأرض مدت اليكم	امت بجبل الود وهو رمام
وما كل ما يُلقم صدق قائل	وفي البعض أزراء علي ودام
ولا عذر إلا أن بدء إساءة	له من زيادات الوشاة تمام

وهذه النعومة لا تفارقه حتى عند معانته من إساءة إليه ، كالأبيات التالية من قصيدة
يخاطب فيها أبا عبد الله بن حمدون ويماثبه على محاورته أن يشر كراهة الخليفة له -

هل ابن حمدون مردود إلى كرم	عهدته مرة عند ابن حمدون
أخ شكرت له نعمي أخي ثقة	زكت لدي ومثاً غير ممنون
طاف الوشاة به يمدني وغيره	مماشر حكاكم بالسوء بعيني
أصبحت أرفعه حمداً ويخفضي	ذمماً وأمدحه طوراً وبهجوني
تدعو الإمام إلى شتمي ومنقصتي	بنس الجباء على مدحيك تحبوني

ابن الوداد الذي قد كنت تمنعني او الصفاء الذي قد كنت تصفوني
ان كان ذنب جاهل الصفح انت وان لم آت ذنباً فقيم الاوم يعرفني

. . .

ومن يديع المتاب قوله للحسن بن وهب من قصيدة واقد جفاء الحسن واعرض عنه

هل تصفين لآخ يقول بجاهه منتمياً اذ لم يقل بلسانه
ما كان غرواً ان يضيع ذمامه لو لم تكن في عصره وزمانه
هذا وانت الحجة العليسة في احكامه من وافد وهوانه
وقد آك الناس تجرمة اقتدوا بك غير مرتابين في حوامه
فتكون اول مانع من نفسه ما امل الساعي ومن جيرانه
والارض تبدل في الربيع نباتها وكذلك يذل الحر في سلطانه
واعلم بان النيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في ابانه

وفي ديوانه كثير من هذه الطرائف العنابية

. . .

وله في الفخر بضاعة جيدة . هلى أن اهم غره هو في مكارم قومه يبدد مناقبهم
ويذكر شرف اليمن وعزها مقابلاً ذلك بخشونة رب الشمال وسوء حالهم . وافضل ما
له في ذلك دالية مطلها

انما النفي ان يكون رشيدا فانقصا من ملامه او فريدا
وهي طويلة تجدد اكثرها في باب المختار من شعره

معر امسكت حاومهم الارض وكادت من خزها ان تميذا
تزلوا كاهل الحجاز فاضعى لهم ساكنوه طراً ميذا
ملكوا الارض قبل ان تملك الارض وقادوا في حافتيها الجنودا
فهم قوم تنبع خير قوم لهم الله بالفخر شبيدا

ومن بين ابياتها يلح الى ما كان في الصدور من كوامن العصية التي جعلت اليمنية
والمضرية حزبين متعادين ، والتي كان لها في تاريخ العرب تأثير شديد .

ومن امثلة غره قوله في معاتبة قوم من اهل بلده

وميتري بالدهر يعلم في قدر
ابني اني قد تضوت بطالتي
نظرت الي الاربعون فاصرحت
ومن الاقارب من يسر بيتي
ان ابق او اهلك فقد نلت التي
ان الحصاد وراء كل نبات
فتحسرت وصعوت من سكراني
شبي وهزئت للعنوة قتالي
سقباً وعزاً حياتهم بجاني
ملأت صدور اقاربي وعدائي

ثم يذكر فضله وسؤدد آبائه واجداده وما ترحم في منيح وتقدمهم هناك على سائر الناس

واقل بضاعة البحتري في ديوانه الهجاء . وهنا يختلف صاحب الاغاني عن المرزباني .
قالاويل يقص علينا سبباً لذلك القصة التالية ^(١) نقلاً عن الاخفش من ابني القوت (ابن
البحري) : ان الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شي . قلت في الهجاء
ففعل . فامر به باراقه ثم قال له يا بني هذا شي . قلته في وقت فشيت به غيظي ، وكافأت
به قبيحاً فعمل لي . وقد انقضى اربي في ذلك ، وان بقي روي . وللناس اعقاب يورثونهم
المدواة والمودة واخشى ان يعود عليك من هذا شي . في نفسك او معاشك لا فائدة لك
فيه . قال ففعلت انه نصحتني واشفق علي فاحرقته . ويغيب على ذلك الاصمغاني بان « اكثر
هجائه ساقط ركيت لا يشاكل طبعه ولا يليق بذهبه ، ولا يعرف له هجاء جيد الا
وصيدتين احدهما في ابن ابي فاش والثانية في يعقوب بن الفرج » .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ، ولكن الذي نعلمه ان الشاعر ترك لنا شيئاً
من هجائه وما تركه يجوز ■ القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعبل واضراهما
الى الهجاء ■ بل كان على ما يظهر يتجنبه ما امكن ، وانك التلح ذلك بما رواه ابن رشيق
قال « هجا ابن الرومي البحتري - وابن الرومي من علمت - قاهدي اليه (البحتري)
تحت متاع وكيس دراهم ■ وكتب اليه يتيقن ليعيه ان الهدية ليست تقية ولكن رافعة عليه
وانه لم يحمله على ما فعل الأ فقير والحسد المفرط ^(٢) .

وامسا المرزباني فينسب الى البحري سره العهد ونخب الطريقة في الهجاء . قال (١) « وكثير من أهل الادب ينكر نخب لسان علي بن عباس الرومي ويضربون عن اضافة البحري اليه والحاقه به - مع احسان ابن الرومي في اساءته وقصور البحري عن مداه فيه - وانه لم يبلغ في دقة معانيه وجودة الفاظه وبدائع اختراعاته . اعني الهجاء خاصة » .

ثم يذكر قلة وفاته لانه هجا نحرأ من اربعين رئيساً ممن مدحهم ، منهم خليفتان . ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو ولا شك ضئيل في ديوانه . ولا يمنع ذلك ان يكون الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر او الانتقام من كبير ، ولكن هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به ، والذي وصل اليه منه لا يدل على طموح كعب الشاعر فيه .

مزيمه الغيبة

على ان الناظر في شعر البحري المدق في فهم شاعريته يرى له مزية جديدة بالذكر هي رشاقة الوصف الذي طبع بها شعره فحرف بها وجعلت له بين الشعراء مقاماً عالياً . وقبل النظر في فن شاعرنا الوصفى نقول ان الوصف نوعان ، حسي وخيالي . ولنوضح الفرق بينهما ببعض الامثلة -

تقف الى نهر في واد كبير وترى تدفقت المياه بين تلك الشواهد العظيمة فتأخذك دومة ذلك المنظر ، وتستفز فيك الميل ان كنت شاعراً الى وصف ما تراه من جمال وجلال . فاذا انت تصف أسناد الوادي وما عليها من الاشجار والكروم ، وتصف تلك الصخور القافضة وانقضاض المياه من بينها . وقد ترسم ما يقرأى لك في ذلك الوادي من الوان تلقيا عليه ظلال السماء او اشعة الفجر ، وربما تعديت ذلك الى ما تراه من حيوان هناك - يقرأ رابضاً تحت الشجر ، او غنماً يرعى في المروج ، او ما عراً منتشراً فوق المنحدرات . ولعلك ترى الفلاح يحراث الحقل ، او تنظر الى السماء من اماكن الوادي فتري « قطمان النعم

يسوقها داعي الريح ، او قوافل الضباب تشيع فوق قم الهضاب . يؤثر كل ذلك فيك
فترسمه بأشكال خلابة تستفز في القارى عواطف الطرب ، وتحجب اليه رؤية ذلك الجمال
- كما فعل احدهم في وصف واد ظليل اذ قال

تولنا دوحه حننا علينا حنو المرضعات على الفطم
وارشفنا على ظمأ زلالا الذن من المدامة للنديم
تدوع حصاء حالية المذارى فتلس جانب المقعد للنظم

هذا هو الوصف الحلي الذي يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة وهو عين ما
يفعله الرسام الماهر الذي يقتبس بريشته جمال الطبيعة ويجسمها بالألوان على الورق ، فتبدو
فتاة تمل إليها النفوس الحساسة ، ويتفانى في اقتنائها أهل الذوق والخبرة .

وكذلك اذت تفعل اذا رقت مثلاً أمام البحر العظيم ورأيت امواجه المتلاطمة وهي
تشكسر مزبدة فوق الصخور ، او رأيت في يوم رائق وهو وهو مسنم وقد اندشرت فوقه
قوارب الصيادين والقت ظلالها فوق سطح الماء ، وخرج الناس مساه يتزهون على رمال
الشاطئ . وفي وسط البحر باخرة مظية تشق الماء بجيروزها وبمقد البخار سرادقاً فوق
مداخنها ، فتمر امامك محاذية لللال المنعدرة نحو البحر ، وتوى من ورائها القرى الجبلية
تتمازح عيونها عند غروب الشمس .

ولو وقفت اليوم تنظير الى معركة التحمت فيها الابطال بالابطال ، وقد برقت الاسنة
والسيوف ، وسالت الدماء من بين الصفوف . او الى حرب بين الحنادق وقد قصفت المدافع
فناقطت قذائفها على الصيد تنسف القراب والصخور ، وقطارت شظاياها فتك بالثبات
والالوف ، ثم ظهرت سعائب الغاز القتال تتقدم نحو مكامن العدو ، وتبع ذلك هجوم
عام . والطيارات تحوم فترشق العدو بالمتفجرات الجهنية ، ثم لا تلبث ان ترى سرباً مادياً
فتنهزم امامه او تصمد له في أوج الجور ، وهناك الهول الكبير . مناظر هائلة يأخذها
الشاعر فيوصيها كما يراها فتحرك النفوس وتلعب بالعواطف . وقس على ما ذكرنا من
الوصاف وصف المدن والآثار والقصور والجنان والصيد والحيوان والانسان وغير ذلك
بما يقع تحت حثك ويؤثر في نفسك ، فتجزه في حلة قشبية تحرك في سواك اوتار الطرب .

وقد اجاد العرب في هذا الفن من الوصف الطبي فانصرف الاقدمون منهم الى ما له علاقة بحياتهم البدوية كالجمل والصحراء والليف وآثار الجيب الزاحل وشكله وما الى ذلك . وبالقوا في بعضها مبالغة عظيمة كما فعل طرفة في وصف ناقته . وامثال طرفة كثيرون بين الشعراء الاقدمين . وجاء العصر العباسي فتحول الوصف الى الرياض والقصور ومجالس النهو والسرور ، ولولدين في ذلك بدائع لا يتسع المقام لذكرها هنا .

.....

اما الوصف الخيالي فنظروا في ما وراء المحسوسات . فاذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عند ما يراه ، بل يتعداه الى مناطق يفتحها امامه الخيال الواسع . فيجعل المراتب اساساً لغير المراتب ، ويولد من المحسوسات صوراً مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات . يقف في قلب الوادي مثلاً فيسمع فيه نبضات الحياة ، وقر امامه على صفحات الماء حوادث الايام ، فيذكر الاسم الغابرة والوقائع الماضية وقد يحمله ذلك الى النظر في الحياة والانسان ، وكم تنفع الحياة والانسان لخواطر يشربها ثرويته بهض المشاهد الطبيعية . فالوصف الخيالي هو وصف تأثرك من النظر الطبي وما يشعرك فيك من دحي داخلي . فف امام البحر تتجسم لك مظنة الكون وجلال الطبيعة ، وقد يحملك المنظر الى ذكر الاسفار والمهجرة في طلب العلى . ولعلك تذكر الامم التي كانت على شواطئ هذا البحر ، وكيف عظمت ثم سقطت ، وعلاقة ذلك بالبلاد التي انت فيها .

وفي الحرب مجال واسع للخيال ، هناك علاقة الانسان بالانسان وما يتفرع عنها من عوامل اساسية في بناء العمران . ومثله اذا وفقت امام الآثار كجعلك وتدرس ، او امام الانهار التاريخية كدجلة والفرات والنيل ، او امام غايبيل العظاء وما أثر العلماء . فاننت في كل ذلك تستخدم الحس توصلاً الى صور الخيال الجيدة ، وهذا هو الوصف الخيالي العالي الذي قلنا الشعر العربي قديماً عن الاهتمام به ، فلم يترك لنا السلف من آثارهم فيه الا النذر اليسير .

وشاعرنا البحري وصاف ماهر . وهو كسواء من شعراء العرب اميل الى الوصف الطبي : يتناول المحسوسات فيدقق في رسمها ، كقوله في دمشق يوم انتقل اليها المتوكل -
اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وثق لك مطربها بما وعدا

إذا اردت ملأت العين من بلد مستعصم وزمان يشبه البلاد
يسي السحاب على اجبالها فرقاً وبصبح التبت في صحرائها بددا
فليس تبصر الا واكفاً خيلاً او يائساً خضراً او طائراً غردا
كأنما القبط ولّى بعد جينته او الربيع دفا من بعد ما بعدا

على ان له احياناً ما يقرب ان يكون نظراً خيالياً . اعنه وقتته امام ايوان كسرى
ففيها يقف الشاعر لدى قصور الفرس العارسة بصفها وصفها حشياً رائماً ، ثم يحاول الانتقال
الى المعنويات - الى تاريخهم وعظمتهم ، ولكنه لا يكاد يقبل ذلك الا المأماً . وهذه
القصيدة من ميون الشعر العربي تقع في ٥٩ بيتاً ، عشرة منها في ذكر حاله وشكوى
دهره ، وستة في السبب التاريخي لهذه الوخة ، ثم خمسة اوستة في ذكر مظلة الفرس ،
وستة في احوال خاصة . وما بقي فوصف الايوان وقد تفتت فيه الشاعر ما شاء . واليك
شيئاً منها : قال في صورة معركة دامت على احد جدران القصر

لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو يثنيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمشايخ موائل وانوشروان يُزجي الصفوف تحت الدفء
في اخضرار من اللسار على اصفر يجتال في صيفه ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم واغراض جرس
من مشيح يهوي بعامل رمح وملبح من الشان بقرس

ثم يلتفت الى القصر ويرى ما اصابه من الزمان فيقول

يتفتش من الحكاية ان يبدو ليئي مصبح او عشي
عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو بيدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر موسي

فانظر الى هذا النمط النفيس الذي يشهد للبحري بالبراعة الفائقة في تصوير المراتب
وعرضها بالالوان الخلابه ، ولا سيما وصفه للمعركة انطاكية وصورة كسرى يدفع صفوفه
تحت العلم الكبير ، والرجال يتطاحنون امامه من مهاجم يهوي بسيفه على المدد ومدافع

يتقي الضربات بقرسه - وتأمل هذا التصوير الدقيق اذ يقول

تصف العين انهم يجد احياء لهم بينهم اشارة خرس
يقتلي فيهم ارقبالي حتى تنقر اثم يداي بلس

* * *

ومن قصائده البديعة التي يقرن فيها الحس بالخيال قرناً جميلاً قصيدته الفخرية في وصف
ذئب لقيه في القفر - وايت هذه القصيدة عند التحقيق الا وصف نفسه في سورة من
سورات الفرية - فقد ذكر فيها اعداءه وحرصهم على هلاكه ۞ فوقف امامهم وقفة الباسل
يصور نفسه لهم تصويراً تكاد تلس الشعور المتدفق فيه - ومن قوله

فقل لبني الضمك مهلاً فانني
متي هجوتوه لا تهيجوا سوى الردى
مهياً كنصل الحيف لو ضربت به
يود ورجال اني كنت بعض من
ولولا احتالي تغل كل ملقة
الافعوان الصل والضيغم الورد
وان كان خرقاً ما يحل له فقد
ذرى اجا ظلت واعلامها وهد^(١)
طوته الليالي لا اروح ولا اغدو
تسوه الاعادي لم يودوا الذي ودوا

ثم يأخذ في وصف صرامته وسيفه ، ويتقدم من ذلك الى وصف الذئب وحسين
هاججه ، ثم يعود الى نفسه وجور الدهر عليه وان عزمه يدفعه الى ركوب المشاق في طلب
الغنى - ويختم ذلك بقوله -

ساحل نفسي عند كل ملقة
فان عشت محمداً فلي بنى النني
وان مت لم اغفر فليس على امرى
على مثل حد الحيف اخلصه الهند
ليكسب مالاً او يُنث له حمد
غدا طالباً الا تقضيه والجهد

وبما يذكر للبحري في دقة الرسم واثافة العبارة قصيدته التي يصف بها موكب
التوكل وقد خرج في عيد الفطر الى المسجد ، وهي من افضل الامثلة على اسلوب البحري
الرشيق قال منها -

أظهرت عز الملك فيه بحفل
 خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
 فالجيل تصل والفوارس تدعى
 والارض خاشعة تخد بثقلها
 والشمس مائة توقد بالضحى
 حتى انتهت الى المصلى لائماً
 ومثبت مشية خاشع متواضع
 فلوان مشتاقاً تكلف غير ما

ومثل ذلك وصف القصر المعروف بالكامل . بناء الخليفة المعتز بالله ابن المتوكل .
 فقال البحتري من قصيدة يمدح بها المعتز ويذكر بناءه للقصر

دُعم الحام وقد ترنم فوقه
 رُفعت لفتن الرياح سموحه
 وسكان حيطان الزجاج بجوه
 وسكان قنويق الزخام اذا التقى
 حُبك القمام رصفن بين مشر
 ابست من الذهب الصقيل سقوفه
 فترى العيون يحلن في ذي رونق
 وكانا نشرت على بستانه
 اغتته دجلة اذ تلاحق فيضها
 ونفست فيه الصبا فتططفت
 مشي العذاري القيد رحن عشي

من منظر خطر الزلزلة هائل
 وزهت عجائب حسنه المتغايل
 لجح يحجن على جنوب سواحل
 تأليفه بالمنظر المتقابل
 ومسير ومقارب ومشاكل
 نوراً يعني على الظلام الخافل
 مثلثب العالي انيق السافل
 يتراء وشي اليمنة المتواصل
 عن صوب منجم الزباب الهاطل
 اشجاره من حصيل وحوامل
 من بين حالية اليدى وعامل

وكذلك وصفه الفرس من قصيدة في محمد بن علي القتي الكاتب ، والوصف يقع في
 نحو مشرين بيتاً نذكر منها هنا

واغرّ في الزمن البهيم مجلّـل
 كالمهيكل المبني الا انه
 يهوي كما تهوي القباب وقد رأيت
 جذلان يتفض عذرة في غرة
 كالرائح النشوان احقر مشيه
 هزج الصهيل كأن في نفساته
 ملك السيون فان بدا اعطينه
 قد رحت منه على اغرّ مجلّـل^(١)
 في الحمن جاء كصورة في هيكل
 صيداً ويتصب انتصاب الاجدل
 يقف تسيل حجوها في جندل
 عرضاً على السن البعيد الاطول
 نبوت مجد في الثقل الاول^(٢)
 نظر الحب الى الحبيب الاول

الى غير ذلك من الوشي الجليل الذي عرف به البحرّي . وسرى في باب المختار له كثيراً من ذلك .

غزل البحرّي

اذا قلنا غزل البحرّي قلنا هذا يصدق على كل شاعر من مذاهب العصر العباسي وهو على الغالب نوع من الفن الكلامي يصدر عن به تصاندهم قبيحاً لما يقصدون . ومع ما قد نجده فيه من رشاقة لا يتنظم عادة بشأ لوجد متقد او تصويراً لخواص شخصية صادقة ، على ان الشعراء يتفاوتون في ذلك . وفي غزل شاعرنا البحرّي حلالة ولطف يجيبانه الى النفوس .

كان الاقدمون يحطون لتصاندهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب والبكاء على آثارها ، ثم الرحيل عنها الى حيث يقصدون . فقول المرلدون ذلك الى مقدمات غزلية يصفون بها الحبيب ويذكرون اشواقهم ، ثم يتخلصون الى المدح او سواه . وقد لا يكون بين المقدمة الغزلية وسائر القصيدة من رابطة فكرية او حسن تخلص . وعلى هذا كثير من شعر البحرّي . وفيه يقول ابن الاثير * انه لم يوفق في التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضائياً ، ولقد حفظت شعره فلم اجد له من ذلك شيئاً مرضياً الا اليسير^(٣) .

(١) اي وكرم اغرّ ركبت من فضله جواداً اغرّ مجلّـل

(٢) المثل السائر ٢٢٠

(٣) مجد اسم من مشهور

وقد سبقه الى هذا النقد ابو بكر الباقلاني فقال (١) - «الا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه» حتى ان اهل الصناعة قد اتفقوا على تسمية البحري - مع جودة نظمه وحسن وصفه - في الخروج من النيب الى المديح ، واطبقوا على انه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشي . وانما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى وتنقل يستحسن .

ومن امثلة تقصيره قوله يخاطب الحبيب من قصيدة مطلعها «كنت الى وصل سعادى جذاً محتاج»

امسى ديارك والبقيا تقل لها	اغزار كل ملت الودق ثجاج
يلقي على الارض من حلي ومن حال	ما يجمع العين من حسن واهياج
فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق	وحاك ما حاك من وشي وديساج
الى علمي بني القباض بأفني	مراي من حيث لا يسرى وادلجي
الى فني يشع النسي نظائرها	كالبحر يتبع امواجاً بامواج

فانت ترى كيف ينتقل بشتة الى المديح مما يدل على ان الفزل لم يحسن الا الحاجة فنية متكلفة . ومثل ذلك قوله في قصيدة قالها في المتوكل وارها

عذري فيك من لاح اذا ما شكوت الحب حرقني ملاما

يتقدم فيها الى الحبيب فيخاطبه بايات وقيقة ويذكر هيامه واشواقه الى ان يقول

وقد علمت بانني لم اضيق	لها عهداً ولم اخفر ذماما
لئن اضمت محلتي حراماً	مشرقة وحلتها شاماً
فلم احدث لها الا وداً	ولم ازدد بها الا غراما

ثم يشب وثباً الى المديح فيقول

خلافة جمر عدل وامن

وفضل لم يزل يسع الافا

وقس على ذلك كثيراً من قصائده .

ويكثر في غزل البحري ذكر الطيف او الخيال حتى عرف به بين الشعراء . قال
الحصري « كان البحري اكثر الناس ابداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً فيقال له
خيال البحري ^(١) » . واكثر تشبيهه - على ما يقول ابن خلكان - في فتاة حلبية اسمها
علوة ، عرفها يوم كان في حلب قبل خروجه الى العراق .

وكان على عادة الشعراء يتاجن في شعره ويشب بالفلان . وكان له غلام اسمه نسيم
يقول صاحب الاغانى انه جعله باباً من ابواب الطيل على الناس فاذا حصل في ملك بعض
اهل المرات شب به وشوقه ومدح مولاه حتى يبه له ، فلم يزل ذلك دابه حتى مات
نسيم ^(٢) .

وفي شعر البحري حنين الى البلاد الشامية والى احيائه وبلدته منيج كقوله من
قصيدة مطلعها - خيال يعتريني في المنام

سلام الله كل صباح يوم	عليك ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي مقاماً	بما في مقتليك من السقام
لئن قل التواصل او تمادى	بنا المجران عاماً بعد عام
فكم من نظرة لي من بعيد	اليك وزودة لك باصتدام
أأخذ العراق هوى وداراً	ومن اهرام في ارض الشام

وهو يجيد في موقف الوداع والذكرى ومن ذلك قوله -

بنفسي ما ابدت لنا حين ودعت	وما كنت في الاتحمي المسير
ولما خاطرتا دجلة انصرم الهوى	فلم يبق الا لفتة المذكر
وخاطر شوق ما يزال يهيجنا	لبادى من اهل الشام وحضر

وقوله -

اراحة ليلى وفي الصدر حاجة	الام بها وجد فا يتوكل
وقفنا على دار البخيلة فانبرت	سواكب قد كانت بها العين تبخل

على دارس الآيات عاف تعاقبت عليه صَباً ما تتفيق وشأل
 فلم يدر رسم الدار كيف يحينا ولا نحن من فرط البكا كيف نأل
 أجذك هل تنسى المهود فينطوي بها الدهر أو ينسى الحبيب فيذهل
 أرى حباً ليسلى لا يبيد فينقضي ولا تلتوي أسبابه فتحلل

والغريب انه كان - برغم السنين الطوال التي اقامها في العراق - يحسب نفسه غريباً
 هناك . واكبر الفطن انه كان صادقاً في حنينه الى الوطن فانه كما ذكرنا سابقاً عاد بعد
 هجرة طويلة وقضى بقية حياته في وطنه .

المختار من شعر البحتري

غدير في روض يحوي فلا يعترضه جنادل يشب من فوقها هذاراً الى الامام ، ولا
يتغلغل في منطفات تضل في شعابها الاوهام : ينشد فيسمعك خيراً ناهياً تافه الآذان ،
ويصور فيريك المواتئ بسيطة ترقع اليها التواخر .

قال يمدح الفتح بن خاقان وبذكر مبارزته الاسد

اجدك ما ينفك بسري لزينبا	خيال اذا آب الظلام ثأوباً ^(١)
سرى من اعالي الشام يحلبه الكرى	حبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
وما زادني الا ولعت صباية	اليه والافات اهلاً ومرجبا
وليتنا بالخرع بات مساعفاً	يربني افاة الخطو ناعمة الصبا ^(٢)
اضرت بضوء البدر والبدر طالع	وقامت مقام البدر لما تغيبا
ولو كان حقاً ما اتته لأطفأت	غليلاً ولافتكت اسيراً معذباً ^(٣)
عطيتك ان منيت منيت موعداً	جهاماً وان ابوقت ابرقت خلجاً
وكنت ارى ان الصدود الذي مضى	دلال فما ان كان الا تجنباً
فوا اسفي حشام اسال مانعاً	وآمن خوأتنا وأعتب مذنباً ^(٤)
سأنتي فزادي عنك او اتبع الهوى	اليك ان استحي فزادي او الي

اقول لركب معتفين تدرعوا	على عجل راطماً من الليل غيباً
ردوا نائل الفتح بن خاقان انه	امم ندى فيحكمم واقرب مطلباً

(١) اجدك بمعنى جفتك للهم او التاكيد . وثأوب وآب رجع

(٢) الاثارة هنا المرأة الفاترة القيام دلالة

(٣) اي لو كانت زيادتها حقيقية لخصنتني من عذاب الوجد

(٤) أعتبه اي ارجع الي ما يرضيه

هو العارض الشجاع أخضل جوده
 اذا ما تطلّى في دغى اصق العدى
 رزين اذا ما القوم خفت حاومهم
 حيائك أن يلقاك بالجود راضياً
 تحرون اذا عاززته في ملّة
 فتي لم يضيع وجهه حزم ولم يبت
 اذا هم لم يقدم به العجز مقعدا
 أعير مودّات الصدور واطليت
 فلم تخل من فضل يبيّنك التي
 وما نغم الحساد الا أصالة
 وقد جرّوا بالامس منك عزبة
 غداة لقيت الليث والليث مخدر
 يحضنه من نهر نيزك مقل
 يرود مغاراً بالظواهر محكبا
 يلاعب فيه اقمراناً مفضّضاً
 اذا شاء غادى مائة او غدا على
 يجر الى اشباله حكال شارق
 ومن يسخّر ظلاماً في حريمك ينصرف
 شهدت لقد أنصفتك يوم تنبري

وطارت حراشي برقه فتلقبا^(١)
 وان خاض في أكرومة غمر الرئي
 وقور اذا ما حادث الدهر اجلبا^(٢)
 وموتك أن يلقاك بالباس مفضبا
 فان جتته من جانب الذل اصعبا^(٣)
 يلاحظ أعجاز الامور تمثبا
 وان كنت لم يذهب به التخرق مذهبا
 يداه على الاعداء نصرأ مرقبا
 تحب ومن رأي يريك المقيبا
 لديك وفلا اريحاً مهذا
 فضلت بها السيف الحسام المجربا
 يحدد ثاباً للقاء ومخالباً^(٤)
 منيع تسمى روضه وتأشبا
 ويحتل روضاً بالاباطح مشبا^(٥)
 يبعث وحوداناً على الماء مذهبا^(٦)
 عقائل سرب او تقتص رربا^(٧)
 مبيطاً مدنى او رميلاً عثبا^(٨)
 الى تلف او يشن خريان أخيبا
 له مصلاً مضباً من البيض مقضبا^(٩)

(١) هو كائنهم الماطر . جمع بين ماء الجود والحب البش

(٢) اصعب اي انقاد . ومما شديد العناد اذا عرقد ولكنه من الالقياد اذا جاء الطالب متواضعا

(٣) اخدر الليث اقام في غابته (٤) الظواهر اعالي الاودية . والاباطح حكامها

(٥) الخودان اسم نبات . ويصير اي يلمع

(٦) هكذا يروى ابن الاثير . وفي الديوان ان تقتص رربا ؟ ومعنى اليدين - يقتص
 الحمر او الطباء فيجر منها كل ذبيحة وقد تحضبت بالدماء وتلوت بالرمال

(٧) المضب المضب اي السيف القاطع

فلم ارَ ضرغامين اصدق منككاً
 هزبرُ مشى يبغى هزبراً واغلبُ
 ادلُ بشفب تم هاته صولة
 فاحجم لما لم يجد فيك مطعماً
 فلم يفته أن حكرُ نحوك مقبلاً
 حملت عليه السيف لا هزمك انتى
 وكنت متى تجمع عينيكَ^(١) تهك الضريبة او لا تبق للسيف مضرباً
 مراكاً اذا الهابة التكرس سكتاً^(٢)
 من القوم يقش باسل الوجه اغلباً
 رأك لها امضى جنائاً واشغباً
 واقدم لما لم يجد عنك مهرباً
 ولم يتجه ان حاد عنك منكباً
 ولا يدك ارتدت ولا حده نباً
 . . .

أنت لي الابام من بعد قرة
 والبستي النمى التي فبرت اخي
 فلا فزت من سر اللبالي براحة
 على ان افواف القواني ضوامن
 ثناء تقضى الارض نجداً وغائراً
 وعابت لي دهري المني فاعتباً^(٣)
 علي فامسى تازح الدار اجنباً^(٤)
 اذا انا لم اصبح بشكرك متعباً
 لشكرك ما ابدي دجى الليل كوكباً
 وسارت به الركب ان شرقاً ومغرباً

وقال بصف حاله وبصف الذب الذي لقيه

سلام عليكم لا وفاء ولا مهد
 احبابنا قد انجز البين وعده
 بنفسي من عذبت نفسي بحبه
 حبيب عن الاحباب شطت به النوى
 يود رجال أنني كنت بعض من
 ذريني واياهم غي صرامتي
 اما لكم من هجر احبابكم يد
 وشيكاً ولم يتجز لنا منكم وعد
 وان لم يكن منه وهال ولا ود
 واي حبيب ما اتى دونه البعد
 طوته اللبالي لا ازوح ولا اغدو^(٥)
 اذا الحرب لم يُقدح لمخدها زند

(١) فلم ارَ اسدين اثبت منكك في موقف لا يثبت فيه الجبان

(٢) بينيك اي ساعدك وسيفك (٣) اعتب اي رضي

(٤) لا يقصد اخاه هنا ولكن يقصد ان نعم المدحوح عليه اوجبت حمد الناس

(٥) اي يود بعضهم اني ميت

طويل فجاد ما يفل له حد
يادنها معاً كما انتثر القند
يتوق الى العلياء ليس له يد
ولليل من افاله والعكرى عبد

ولي صاحب مضب المضارب صارم
وباكية تشكو القراق بادع
رشادك لا يحزنك بين ابن حمة
فن كان حراً فهو للمزم والسرى

حشاشة فصل ضم وفرنده غمد
بعين ابن ليل ما له بالكوى عهد^(١)
ونأفني فيه الثعالب والرؤيد
بيداء لم تعرف بها ميثمة دغد
بصاحبه وأجلد بعه أجد^(٢)
فاقبل مثل البرق يتبعه الرمد
على كوكب ينقض والليل مسود^(٣)
وابقنت ان الامر منه هو الجلد
بحيث يكون اللب والربع والحد^(٤)
على ظلم لو انه مذنب الورود
طيه وللمضاه من تحته وقد

وليل كان الصبح في أخريته
تسربله والذئب وسنان هاجع
اثير القطا الكدوي من جحاته
مالي وبني من شدة الجوع ما به
كلانا بها ذنب يحدث نفسه
هوى ثم اقمى فارتجوز فهجته
فاوجرته خرقاء تحب ريشها
فما ازداد الا حراً وصرامة
فاتبعها اخرى فاضلت فصلها
نقر وقد اردنه منهل الردى
وقدت جفئت الحصى لاشتبوته

وحكم بنات الدهر ليس له قصه
وياخذ منها صفوها التعداد الوفه
فغزني لا يشبه نحس ولا سعد^(٥)
على مثل حد السيف اخلصه الهند^(٦)

لقد حكمت فيا الليالي مجورها
أفي العدل ان يشقى الكريم مجورها
ذريتي من ضرب القداح على السرى
ساحل نقبي عند كل ملته

(١) ابن الليل اللص

(٢) أي كل منا ذئب يحاول البطش بالآخر وذو الحظ الاوفر سينتصر

(٣) شبه نصالة السيف بكوكب ينقض

(٤) أي فأنبها مهماً آخر أصاب القلب

(٥) كانوا قديماً يضررون القداح قبل السفر ليستطلعوا ما سيكون

(٦) أي احسنت منه الهند

ليعلم من هاب السرى خشية الردى بان قضاء الله ليس له رد
فان عشت محمداً فثلي بنى القنى ليكسب مالاً او ينشأ له حمد^(١)
وان مت لم اظفر فليس على امرى غدا طالب الا تقضيه والحمد

وقل يفتخر بقومه

انما الغنى ان يكون ربيدا فانقصا من ملأه او فريدا
خليياه وجدة الله ما دا م رداء الشاب غصاً جديدا
ن اياه من البيض بيض^(٢) ما رأين الفسارق السود -ودا
ايها الدهر حيدا انت دهوراً قف حيداً ولا تولد حيدا
كل يوم تزداد حسناً فما تبعث يوماً الا حبيته حيدا
ان في السرب لو بساعدنا السر ب شحواً يشين مشياً وريدا^(٣)
يتدافن بالاكف - ويمرضن علينا عوارضاً وخدودا
يتبشرن عن شيت اواه اقحواناً مقصلاً او فريدا^(٤)
رحن والليل قد اقام رواقاً فاقمن الصباح فيه هودا
بهاة مثل المهابة ابت ان تصل الموصل او تصد الصدودا^(٥)
ذات حسن لو استراحت من الحسن اليه لما اصابته مزيدا
فهني الشمس بهجة والقضيب النض ليناً والريم طرفاً وحيدا

يا ابنة العامري كيف يرى قو ملك عدلاً ان قبلي واجودا
ان قومي قوم الشريف قديماً وحديداً ابوة وجدودا
لم ادع من مناقب المجد ما يقنع من هم ان يصكون مجيدا
مشر امسكت حلومهم الارض ض وكادت من عزهم ان تميدا

(١) ينشأ اي ينشأ (٢) البيض الاولى الحسن والثانية جمع ايض

(٣) كفى بالشوس من الحسن (٤) الشيت الثمر الاقلع

(٥) بهاة متعلق بما قبله اي رحن ساء فجلن الغلا مضيئاً بحال مهابة ابت الا الفراق

مزلًا قارعوا عليه المصاليق وعاداً في عزها وقرودا
 فاذا المقل جاء جاؤوا سيولاً واذا التفع ثار ثاروا اسودا
 يحسن الذكرك عنهم والاحاديث اذا حدث الحديد الحديد^(١)
 في مقام تحر من ضكه البيض على البيض ركعاً وسجودا^(٢)
 يفرجون الوغى اذا ما اثار الضرب من مصت الحديد صعيدا
 بوجوه تشي السيوف ضياء وسيوف تشي الوجوه وقودا
 هذكوا المصّب من تهامة احلا ما ثقلاً ورملاً نجد عديدا^(٣)
 ملكوا الارض قبل ان تلك الارض وقادوا في حافيتها الجنودا
 وجروا قبل مولد الشيخ ابراهيم في المكرمات شأراً ببيدا^(٤)
 فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا^(٥)
 بجار منظومة البستين اللآلي فلانداً وعقودا
 سائل الدهر مذ عرفناه هل يعرف منا الا النعال الحديد
 قد اصري رزاه كهلاً وشيخاً ورأينا قاشناً ووليدا
 وطوبىنا ايامه ولباليه على المكرمات بيضاً وسودا
 لم قول قط مذ ترعرع نكسو ه ندى ليناً وبأماً شديدا
 فهو من مجدنا يوح ويغدو في على لا تبديد حتى ببيدا
 نحن ابنا يعرب اعرب النسا من لساناً وانضر الناس هودا

وقال في المتوكل وموكبه الفخيم في عيد الفطر

أخفي هوى لك في الضاروع وأظهر والام في كد عليك وأعذر
 وارك خنت على التوى من لم يحسن عهد الهوى وهجرت من لا يهجر

(١) حدث الحديد الحديد اي عند تلاحم السيوف في الحرب ، والبيض السوف

(٢) اي وازنوا الجبال بقولهم والرمال بمددهم

(٣) يريد بالشيخ ابراهيم ابراهيم الخليل - اشارة الى قدم مجدهم

(٤) شهيداً اعرب هنا حالاً من الله

وطلبتُ منك مودةً لم اعطها
هل دين علوةٍ يتطاع فيقتضى
بيضاء يعطيك القضيب قوامها
تشمي فتحكم في القلوب بدنها
اني وان جانبك بعض يطالني
ليشوقني سحر الميون المجتلى

الله مكن للخليفة جعفر
نعسى من الله اصطفاة بفضلها
فاسلم امير المؤمنين ولا تول
عنت فواضلك البرية فالتقى
بالبر صمت وانت افضل صائم
فانعم بيوم الفطر ميثاً انه
اظهرت مكر الملك فيه بجعفر
خلنا الجبال تسير فيه وقد فدت
فالحيل تصول والفوارس تدعى^(١)
والارض خاشعة تقيد بقفلها
والشمس مسانة توقد بالضحى
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت
واقفت فيك النساظرون فاصبح
يجدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بظلمتك النبي فهلوا
حتى انتهت الى المصلى لابساً

ما كنا يحثه الخليفة جعفر
والله يوزق من يشاء ويقدر
تعلو الزيادة في البقاء وتشكر
فيها القل على الفنى والمكث^(٢)
ويسة الله الرضية تنظر
يوم افتر من الزمان مشهر
لجب يحاط الدين فيه وينصر
عدداً يسر بها العديد الاكثر
والبيض نلح والاسنة تهر
والجو متسكر الجوانب اغبر
طوراً ويطفئها المبحاج الاكدر^(٣)
تلك الدجى وانجاب ذاك الشير
يوماً اليك بها وعين تنظر
من انعم الله اثني لا تكفر
لا طلعت من الصقوف وكثروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر

(١) هل علوة مطالب يمكننا قضاؤها او هل يكف ظلمها فينتهي عن

(٢) فواضلك التي صمت الناس جعلت الفقراء والاختيار في حال واحدة من اليسار

(٣) ادعت الفوارس اي اعقروا بانساجم (٤) مائة اي مرتفعة

ومشيت مشية خاشع متواضع
 غلور ان مشتاقاً تحكف غير ما
 أيدت من فصل الخطاب بحكمة
 ووقفت في برد النبي مذكراً
 ومراعت شفت الصدور من الذي
 حتى لقد طم الجهول واخضت
 صلوا وراءك آخذين بعصمة
 فاسلم بغفرة الاله فلم يزل
 الله اعطاك الحبة في الوردى
 ولأنت املأ للميون لديهم
 له لا يزهى ولا يتكبر
 في رسمه لسى اليك المنبر
 تني عن الحق المين وتخير
 بالله قنذر تارة وتبشير^(١)
 يعتادها وشفاؤها معتبر
 نفس المروني واعتدى المنبر^(٢)
 من رجم وبذمة لا تحفر
 يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر
 وحبالك بالفضل الذي لا ينكر
 واجل قدراً في الصدور واكبر

وقال يمدح احمد بن دينار

وبصف مركباً له فراقه بلاد الروم

الم تر تغليس الربيع المبكر
 وسرعان ما ولى الشتاء ولم يقف
 مررنا على بطياس وهي كأنها
 كأن سقوط القطر فيها اذا انشئ
 وفي ارجواني من الثور احر
 اذا ما التدى وافاه صبحاً قابلت
 اذا قابلته الشمس رد ضياءها
 وما حاك من وشي الربيع المنكر^(١)
 تسل شخص الخائف المنكر
 سباب غضب او زلالي عقر^(٢)
 اليها سقوط اللؤلؤ المتحذر
 شباب بافرند من الروض اخضر
 اعاليه من در نثر وجوه
 عليها صقال الاقحوان المنور

(١) كان الخفاء في المواقف الرسمية يضعون على اكتافهم بردة النبي

(٢) جواعظك التي شنت الصدور من امراضها تلم الجاهل واعتدى التحجر واخضت له نفس المنكر

(٣) الم تر ورود الربيع الباكر وما حاك من وشي الازهار الربيعية

(٤) بطياس مكان قرب حلب . اي مررنا على هذا المكان وهو كأنه شفق برود مصبوغه ان

بسط عبقرية . وعبر عن حل ينهون اليه كل ما تعجبوا من حسن صنعه وقوته

اذا عطفته الريح قلت النفاتة
 ينفي ما ابدت لنا حين ودعت
 ولما خطونا دجلة انصرم الهوى
 وخاطر شوق ما يزال يهيجنا
 بأحمد أحمدا الزمان واسهات
 هو النيث يجري من قطاه وتائل
 ولما تولي البحر والجودُ صنوه
 اضاف الى التدبير فضل شجاعة
 قدوت على الميئون صبأ وانما
 اطل بوعطفه وصر كأننا
 اذا زحجر النوي فوق ملاته
 اذا عصفت فيه الجنوب اضلى له
 اذا ما انكفا في هبوة الماء خلته
 وحولك وسكان للهل طافوا
 تميل المنايا حيث مالت اكفهم
 اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم
 صدمت بهم صهب الثائين دونهم
 يسوقون اسطولا كأن سفينه
 كأن ضجيج البحر بين وماهم

لعلوة في جاذبها التعصفر^(١)
 وما سكتت في الاتحامي السير^(٢)
 فسلم يبق الا افقة المتذكر
 لبادين من اهل الشام وحضر
 لنا مضات المطلب المتويعر
 عليك نخذ من صنب النيث او ذر
 غدا البحر من اخلاقه بين البحر^(٣)
 ولا عزم الا للشجاع المدر
 غدا المركب الميئون تحت المظفر^(٤)
 كسرف من هادي حصان مشهر^(٥)
 رأيت خطيباً في ذؤابة منبر^(٦)
 جناحاً فتاب في السماء مهبتر
 تلعع في انشاء يرد محجر
 كؤوس الردي من دارعين وحسرت
 اذا اصلوا حد الحديد المذكر
 ليقلع الأ من شواء مقرر^(٧)
 ضراب كايقاد اللقي المتسعر^(٨)
 سحائب صيف من جهام ومطر
 اذا اختلفت ترجيع عود مجرير^(٩)

(١) اي اذا عطفت الريح النصف او الزهرة قلت تلك النفاتة علوة في ثوجا الزعفراني

(٢) الاتحامي المير اي الثوب المخطط

(٣) اي لما تولي البحر غدا البحر بين مجور من مكارمه

(٤ و ٥ و ٦) الميئون اسم مركب اي اطل علينا فكان مقدمه كفتى حصان مرفوح وكان النوي

في اعلاه كأنه خطيب على منبر (٧) الممر الساطع الرائحة

(٨) صهب الثائين اي الروم لان ملأهم شقرا

(٩) عود مجرير اي جمل تردد صوته

فأرمت حتى اجلت الحرب عن طلي^(١) مقطعة فيهم وهام مطير^(٢)
 وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبعده ملياً بأن توهم صفاء ابن قيس^(٣)
 جدحت له الموت الذعاف فنافه وطار على الواح شطب مستر^(٤)
 مضى وهو مولى الريح يشكر فضله عليه ومن يول الصليعة يشكر
 اذا الموج لم يبلغه ادراك مینه ثنى في الحدار الموج لحظة اخزر
 وكنا متى نصد بجذك ندرك المعالي ونستنصر بينك لنصر

وصف ابوان كسرى

(وآثاره اليوم قرب بغداد وتعرف بقات كسرى)

صنت نفسي ما يدنس نفسي وترقت من جداء كل جنس^(١)
 وقاسكت حين زغرعتي الدهر القسا منه تهمي ونكسي
 'بلغ من صباة العيش مندي طأمتها الايام تطيف بنجس
 وبعيد ما بين وارد رفه قليل شربه ووارد خمس^(٢)
 وحكان الزمان اصبح محو لا هواه مع الاخر الاخر
 واشتراني العراق خطه غبر بعد بيعي الشام بيعة وكس^(٣)
 لا تزني مزاولاً لاخباري عند هذي البلوى فتشكر مني
 وقديماً عهدتي ذا هنت آيات على الدنيات شمس
 فلقد رايتني نو ابن عمي بعد لين من جانيه وأنس
 واذا ما جفيت كنت حرباً ان أرى غير مصح حيث اهدي

(١) مارمت اي ما زلت . والطل الاثاق

(٢) اشارة الى اسل الممدوح الفارسي . اي كنت قادراً ان تهر ماك الروم (ابن قيس)

(٣) اي تجلب الموت فهرب على مركب

(٤) وترقت من عطية كل لثم

(٥) وارد رفه اي يرد الماء كل يوم حتى شاء . ووارد خمس اي يرد مرة كل اربعة ايام

(٦) انه حسارة هنيئة ان اترك الشام واستوطن العراق

حضرت رحلي الموم فرجيت الى ابيض المدائن غني^(١)
 انسل عن الخطوط وآسى لحل من آل ساسان درس
 ذكر تنبهم الخطوب الثوالي ولقد تذكر الخطوب وتلبي^(٢)
 وهم خافضون في ظلم عال مشرف بحجر العيون ويحسي^(٣)
 حل لم تكن كاطلال معدى في قفار من الداسيس ملئ^(٤)
 نقل الدهر عهدن عن الجدة حتى غدون انضاء ليس^(٥)
 فمكأن الجرماز من هدم الانس واخلاله بنية رمس^(٦)
 لو تراه علمت ان الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
 وهو بنيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
 فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارنمت بين روم وفرس^(٧)
 والنساي موائل والنشر وان يزجي الصفوف تحت الدرس
 في اخضرار من اللباس على اصفر يجتال في صبيغة درس
 وعراك الرجال بين يديه في حقوت منهم واماض بوس
 من مشيح يهوي بامل سيف وملح من النان بترس
 تصف المين أنهم يجد احياء لهم بينهم اشارة خوس
 يقتلي فيهم ارتبالي حتى تتقراهم يداي بلس
 وكان الاوان من تحب الصنعة جوب في جنب ارمن جلس^(٨)
 مكست خطه الليالي ويات المستقري فيه وهو كوكب نحس

- (١) في هذا البيت وما بعده قلت الموم بساقي فركبت جلي الى قصر المدائن الابيض
 لانسل عن خطي واسى درس مه تصور آل ساسان (وهم ملوك الفرس)
 (٢) خافضون نامو العيش
 (٣) اي هذه الآثار العظيمة ليست كاطلال البدو في القفار الخاوية
 (٤) انضاء ليس اي ثياب بالية
 (٥) الجرماز احد القصور في الاوان
 (٦) في هذا والايات الستة التابعة يصف صورة على جدار القصر كمل معركة دارت في انطاكية
 بين كسرى والروم ، والوصف دقيق وقد مرّ نفسه في كلامنا عن الشاعر
 (٧) اي كأنه مفتطم من جبل عال

غمر يدي تجلداً وعليه كل كل من كلاكل الدهر مرسي
 لم يعبه أن يز من بسط الديباج واحتل من مشور القدس^(١)
 مشمخر تلو له شرفات رفعت في دؤوس رضوى وقُدُس^(٢)
 لابات من البياض فما تبصر منها الا فلائل برس
 ليس يُدري أصنع إنس لمن مكنوه ام صنع جن لانس
 حمرت للسرور دهرأ فصارت لتغزي رباعهم والتأسي
 فلها ان أعينها بدموع موفقات على الصباية حبس
 ذاك عندي وليست الدار داري باقرب منها ولا الجنس جنس^(٣)
 غير نعمى لاهلها عند اهلي غرسوا من ذكاتها غير غرس
 أيّدوا ملحقنا وشدوا قواء بكافر تحت السنور حبس^(٤)
 وأعانوا على كئائب أرباط بطعن على النحور ودعس^(٥)
 واراني من بعد اكلف بالاشراف طراً من كل ينخ وباس^(٦)

وقال بمدح المخوكل ويذكر وفد الروم

قل للسحاب اذا حدثه السأل وسرى بليل دكبه التعمل
 عرج على حبيب غيبي محلة مانوسة فيها طموة مقل
 لمريرة ادنو وتبعد في الهوى واجود بالود المصون وتبخل
 وميلة الاطساظ ناعمة الصبي غري الوشاة بها ولج المذل
 لا تكذبن فانت اطف في الحشا جهداً واحسن في الضير واجل

(١) لم يعب من فيت ان الدهر عليه بسط الديباج وسترور القدس

(٢) رضوى وقدس جيلان

(٣) فهي جذيرة ان ابكيها وان كنت غريباً لا امس لا صبحاها بسبب جنس

(٤) الا اني اذل ذلك ليد كانت للفرس عند اهلي (اليسينيين) ثم ساعدوا ملكنا (سيف بن ذي

يزن) بابطال تحت الدروع شجمان

(٥) واعانوه على جيوش قائد الحبش (ارباط) بطعن في غور الاعداء

(٦) ولذا حمرت مولاً بمدح الاشراف واهل المروءة مما كان أصلهم

احنو اليك وفي فؤادي لوعة واحد منك ووجه ودي مقبل
واعز ثم اذل ذلة ماشق والحب فيه تمزق وتذلل

ان الرعية لم تزل في سيرة الله آثر بالخلافة جعفرأ
هي افضل الرتب التي جعلت له ملك اذا ماذ المسيء يعفوه
وعفا كما صفح السحاب ورعد شرف فخصت به ومجد يافخ
لا يعدمك الملون فانهم حصنت بيضتهم وحطت حريمهم
ورأيت وفد الروم بعد عنادهم لحظوك اول لحظة فاستصغروا
احضرتهم سحبا لو اجئبت بها وراوك وضاح الجين كما يري
نظروا اليك فقدسوا ولو أنهم حضروا الساطع كما داموا القرى
تهوي اكثهم الى افواههم متحيزون فباعت متعيب
ويود قومهم الاولى بعثوا بهم قد نافس السيب الحضور على الذي
اعجبت برؤسهم فافضل نائل قلته اسأل ان تعير صالحا
عترية مذ ساسها المتوكل^(١) وراه ناصرها الذي لا يخذل
دون البرية وهو منها افضل غفر الاساءة قادرا لا يستغل
قصص وبارقه حريق مشعل متمكن فوق النجوم مؤئل
في ظل ملكك اذكر كما ما املوا وحلت من ايمانهم ما استقلوا
عرفوا فضائلك التي لا تجهل^(٢) من كان بمظلم فيهم ويستغل
عصم الجبال لا قبلت تتوكل قمر السماء السمدة ليلة يكمل
نطقوا الفصحى لكبروا ولعلوا وانت بايديهم عقول ذهل
فتحيد من قصد السبيل وتعدل بما رأى او ناظر متأمل
لو ضنهم بالامس ذاك المحفل شهدوا وقد حمد الرسول المرسل
حي الوفود به المنى المستجل فدروا معرك خير شيء بدال

(١) عترية نسبة الى عمر بن الخطاب اي سيرة عدل وحزم

(٢) اشارة الى وفد ارسله ملك الروم الى المتوكل وفي الايات التالية يصف دهشة الوفد لما راوه من عظمة الخليفة ومجده وما احرعاهم من الذمول عندما حضروا المأدبة (الساطع)

ميلوا الى الدار من ليلي نحيها

يصنف فيها بركة بناها المتوكل

ميلوا الى الدار من ليلي نحيها
يا دمنة جاذبتها الريح بهجتها
لا زلت في حلق للخير ضافية
تروح بالوابل الداني روائحها
ان النعيلة لم تُنعم لائلها
يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
بجنتها انها في فضل رتبها
ما بال دجلة كالنهر تنافها
اما رأيت كالى. الاسلام يكلأها
كان جن سليمان الذين ولوا
فلو قرأ بها بلقيس من عرض
قنصب فيها وقود الماء مُعَبَّلَة
كأنها الفضة البيضاء سائلة
اذا علتها الصبا ابدت لها حُجُكاً
فاجاب الشمس احياناً بضاحكها
اذا النجوم تراءت في جوانبها
لا يبلغ السلك المحصور غايتها

نعم ونسألها عن بعض اهلها
ثبتت نشرها طوراً وتطوياً
ينزعها البرق احياناً ويسديها^(١)
على ربوعك او تقدر غواصها
يوم الكتيب ولم نسمع لداعها
والانسان اذا لاحت مغائرها^(٢)
تعدّ واحدة والبحر ثائها
في الحزن طورة واطواراً باها
من ان قطب وباني المجد بينها^(٣)
ابداها فاذقوا في مغائرها
قانت هي الصرح ثقيلاً وقشيتها^(٤)
كالحل خارجة من جبل مجربها
من السباتك تجري في مجاريها
مثل الجواشن مصقلاً حواشيتها^(٥)
وريق الغيث احياناً يباكيها
ليلا حبت سما ركبها فيها
بعد ما بين قاصيها ودانيها

- (١) انار الخلل واسداها نسج لحمتها وسداها والكلام مجازي. مناه لا زالت غيوم الخمر فوقك
يتلألاً فيها البرق (٢) في زمر الآداب ١ - ٣٣٠ البركة الحسناء ورونها. وفي حاية
الارب ١ - ٣٧٢ والانسان التي
(٣) كالى. الاسلام اي حابه ويصدق بذلك الحقيقة
(٤) اشارة الى قصة النبي سليمان وبلقيس ملكة سبا وما شاهدته عنده من جلال ممرجه العظيم
(٥) الجواشن الدروع

يؤمن فيها بأوساط مجنعة
 لمن صحن رحيب في أسافلها
 تفتي بساتينها القصور برؤيتها
 كأنها حين لجت في ندقها
 وزادها رقة من بعد رقتها
 محفوفة برياض لا تزال ترى
 كالطير تنقض في جور خرافها
 إذا انحططن وهو في أعاليها
 عن السعائب منحللاً عزاليها
 يد الخليفة لما سال واديا
 أن اسمه يوم يدعى من اسمها^(١)
 ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

إذا ماعى أمير المؤمنين بدت
 أن الخلافة لا اهتز متبرها
 أبدى التواضع لا فالها دعة
 إذا تجأت له الدنيا بجليتها
 يا ابن الأياط من أرض الأياطها
 ما ضيع الله في بدو وفي حضر
 وأمة كان فيح الجور بسخطها
 بثت فيها عطاء زاد في عدد الا
 ما زلت بجراً لما فينا فكيف وقد
 اعطاكم الله من حق رآك له
 للواصفين فلا وصف يدانها
 يحضر أعطيت أقصى إمانها
 عنها وثائقه فاختالت به قتها
 رأيت محاسنها الدنيا مساويها
 في قدوة المجد اعل من روايتها^(٢)
 رحمة انت بالاحسان راعيا
 دهرأ فاصبح حسن العدل يرضيا
 مليا ونوّهت باسم المجد تنويها^(٣)
 قابلتنا وإك الدنيا بما فيها
 اهلاً وانت بحق الله تعطيها

(١) اسم المتوكل جعفر ومعنى جعفر النهر أي أن البركة والخليفة متشابهان في المعنى

(٢) يا ابن الأياط قريش الذين إذا قبسوا بسواهم في الشرف فالقوم كبيراً كانت سهولهم

(٣) توه به رفع ذكره

أعلى من جبالهم

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف

أأذاق صبً من هوى فأيقنا
إن السلوة كما تقول لراحة
هذا العقيق وفيه مرأى موقن
أشقيقة العدين هل من نظرة
هل الخيلة أن تجود بها النوى
ماذا عليك لو اقتربت لمعد
أم خان مهداً أم أطاع شقيقنا
لو راح قلبي للسلوة مطيقنا
للعين لو كان العقيق عقيقاً^(١)
فقبل قلباً للجليل شقيقنا
والدار تجمع شائقاً ومشوقاً
يُنني الجوى وحقيقنا ترقيقاً

. . .

غدت الجزيرة في جناب محمد
برقت مخيلة لها وتخرقت
صفحت له منها الصنون وواجهت
رفع الامير الي سعيد ذكرها
يستطرون يداً يفيض نوالها
يقط إذا اعرض الخطوب برأيه
هلاً سألت محمداً بمعد
وسل الشراة فانهم اشقى به
جادوا برامعهم ليتخذوا به
طرحوا عباة والقاوا فوقه
مقدروا هامة برأس قناتيه

رباً الجباب مغاربا وشروفا
فيها عزالي جوده تحريقاً^(٢)
أطرافها وجه الزمان طليقا
ونقام فيها للسكادم سوقا
فيغرق المحروم والمزوقا
ترك الجليل من الخطوب دقيقا
تجد الحبير الصادق المصدوقا^(٣)
من أهل موقان الاوائل موقا^(٤)
مهداً الى قطع الطريق طريقا
ثوب الخلافة مشرباً راووقا^(٥)
ورأوه برأ فاستحال طوقا

(١) العقيق اسم وادي في بلاد العرب يتفق به الشعراء

(٢) اي برقت سجع وعوده فقامت سيول جوده . والمخايل هي السحب المنددة بالمطر

(٣) سأل به اي سأل عنه

(٤) في هذا البيت وما قبله يقول هل سألت عن المدوح محمداً (وهو قائد آخر) فينبش بالخير الصحيح بل اسأل الخواارج (الشراة) فقد نالهم منه أكثر مما نال اهل موقان قبلاً - والموقى الملاك

(٥) اي جمل الخواارج زعيمهم خليفة فاليسوه العبادة الجيدة النج

وأقام ينفذ في الجزيرة حكمة
حتى إذا ما الحبة الذكر انكفا
غضبان يلقي الشمس منه بهامة
أوفى عليه فظل من دهن يظن
فدوت أمانيه به وتمزقت
علامت جياذك من ربي الجودي قد
يطاين نار الله عند عصاة
يوسون خالقهم ما فجر فقام
فدعا قريفا من سيوفك حنهم

ويظن وعد الكاذبين صدوقا
من أذن حنقا عيج حريقا^(١)
تعني الديون تأقبا وريقا
البر بجرأ والفضاء مضيقا
عنه غيابة سحكرم غزيقا
حيتلن من دفع المذون وسوقا^(٢)
خلعوا الامام وخالفوا الترفيقا
ويجرفون قرانه المنسوقا^(٣)
وشددت في مفر الحديد غريقا

يا قلب ابنة قلب حتى متى
أوما علمت أن سبب محير
لا تمشوه بان تروموا خطة
خاوا الخلافة إن دون اقلها

تردون كفرة موبقا ومردقا^(٤)
أسمى عذابا بالظنات بحيقا
عصاة تعي الظالمين سارقا
قدرا بأخذ الظالمين خليقا

وقال يمدح مالك بن طوق

رحلوا غاية عجز لم تسكب
قد بين البين المفرق بيننا
صدق القراب لقد رأيت ثموسهم
لو كنت شاهدا وما صنع الهوى

أسفا وأي عزيز لم تغلب
عشق الذوى لريب ذاك الريب
بالأسر تقرب عن جوانب غرب^(٥)
بقلوبنا لحدت من لم يجيب

(١) أذن اسم مكان ويراد بالحبة الذكر هنا الداهية الفناك (وهو المدوح)

(٢) الجودي اسم جبل (وهو الذي استقرت عليه سفينة نوح)

(٣) القرن المنسوق القرآن المنقح

(٤) يا بني قلب حتى متى تردون الكفر المهلك بما مدحتكم للخارجين على الامام

(٥) غرب اسم جبل

شغل الرقيب واسعدتنا خلوة
فتلجلجت عباتها ثم انبرت
أشكو الفراق الى تميل صباقة
أطبع فيك الماذلات وكسوتي
واذا التفت الى بني رأيت
مشرون قصرها الصبي واطلمها
ما لي والأيام صرفت صرفها
فاكون طورا مشرقا للشرق الأقصى
واذا الزمان سكاك حلة مضمرة
ولقد أبيت مع الكواكب راكبا
والليل في لون التراب سكاك
والعين تفضل من دجاء كما انجلي
يطلبن مجتمع العلى من وائل
وبقية العرب الذي شهدت له
بالرحمة الخضراء ذات المنهل العذب
عطن الوفود فنجدة أو منهم
القوا بجانيها المصي وعوتوا
ملك له في كل يوم كربة
وتراه في ظلم الوغى فتخاله
يا مالك ابن المالكين الألى

في حجر حجر واجتنب تجنب
تصف الهوى بلسان دمع مغرب
شرق المدامع بالفراق مذهب
ورق الشباب وشرقي لم تذهب
كجبر حبل الخانع المنصب^(١)
ولع العتاب بهائم لم يُعقب
حالي واحكتر في البلاد ثقلي
وطورا منربا للغرب
فالبس لها حلل النوى وتقرّب
أعجازها بزعقة كالسكوكب
هو في حاوكتو وان لم يُنعب
صغ الشباب من القذال الاشيب^(٢)
في ذلك الاصل الركي الاطيب
أبناء اذ بالفغار ويعرب^(٣)
المشارب والجناب النعشب^(٤)
أو وافد من مشرق أو مغرب^(٥)
فيها على ملك اعز مذهب
اقدام لبث واعتزام مجرب
قمرأ يشد على الرجال بسكوكب^(٦)
ما للسكرام منهم من مذهب

(١) الخانع المنصب اي الجميل الضعيف

(٢) العيس التبراق البيض يقال لها شفرة وقامة خفية . ومنه البيت ان العيس تخرج من الليل كما يخرج القذال الاشيب من سواد الشباب

(٣) اد ويعرب من جدود العرب الاقدمين

(٤) اي هو وطن او مقصد الوافدين من شتى الامصار

(٥) وتراه وسط غبار الحرب مشرقا كالقمر وهو يتفنى على الرجال بسيف او رمح مثالي كالسكوكب

ألمي وأطلب جودك كفك مطلي^(١)
 نفسي وأرأف بي هنالك من الي
 أعطيتني وديعة لم توهب
 ودويت من أهل لديك ومرحب
 غير الحقائق والردى من مهرب^(٢)
 مثني العطاش الى برود المشرب
 كالصبح فاض على نجوم النسيم
 عتوت احكامهم بعامر مجدب
 نبالا أصبح ينتمي في تطلب

اني أتيك طالبا قبضت من
 وغدوت غير جياطة مني على
 أعطيتني حتى حببت جزيل ما
 فبعت من بر لديك ونائل
 قوم اذا قيل النجاء فاهم
 يشون تحت ظلي السيوف الى الردى
 يتركون على الأنة في الوغى
 ينسبك جود النيث جودهم اذا
 حتى لو ان الجود غير في الودى

(١) اطلبه أي اعطاه ما طلب

(٢) يريد بذلك قوم المسدوح بقي تطلب . النجاء المهرب

ابن الرومي

ابو الحسن علي بن العباس

٢٢١ هـ — ٢٨٣ هـ

٨٣٧ م — ٨٩٩ م

مصادر دراسته - منشأ و طرف من سيرته - محدوده
مقلبتنه و اخلاقه - فنه و مزاياه الشعريه

مصادر وراسته

الفهرست (المانيا) ١٦٥

المعدة لابن رشيق (امين هندية ١٩٢٥) ج ١ - ١٠ و ١٢ و ١٩١

ج ٢ - ١٣٦ و ١٤٠ و ١٨٩ - ١٨٥ و ١٩٠

زهر الآداب للمصري ج ١ - ٢٣٢ ذكر حياته

٢٤٨ كتابه لابي الصقر

١٧١

ج ٢ - ١٧٧ تطيره وخوفه من ركوب البحر

١٧٨

ج ٢ - ٩ نهجه

ج ٣ - ٩٩ و ١٠٢ داره وحنينه للوطن

ج ٣ - ١٠٥ مواليه

ج ١ - ٤١ تمليه من المصوم

وفيات الاعيان (يولات) ١ - ٤٩٩

شرح شواهد التلخيص للعباسي ص ٣٨ - ٤٢

وقد ذكر الميري في رسالة الغفران شيئاً من تشييعه وذكره الجرجاني في الوساطة ص ٥٠

وصفحات اخرى - وفي كتاب التصنيف والتعريف للسكري ج ١ - ٢٩ شيء من

سبب موته

ومن المراجع الحديثة غير دوائر المعارف وغير كتب التاريخ الادبي العامة

مختارات ابن الرومي (للكيلاني)

" " (للبارودي)

ديوان ابن الرومي ج ١ طبع محمد شريف سليم

حصاد الحشم المازني ٢٩٩ - ٤٢٧

ابن الرومي للعقاد وهو احدث وارقي ما كتب عنه

منشأه وحرف من سيرته

نشأ ابن الرومي في بغداد * وليس في شعره ما يدل على انه تركها طويلاً او جاب
الانقطاع كما فعل ابو تمام والمنتبي وسواهما من الشعراء . ودستدل من بعض اخباره انه
سافر مرة الى سامرا وطال مقامه فيها ^(١) ، فكان يتشوق الى ايام بغداد كقوله -

بلد صحبت به الشبية والحب * ولبت ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيت * وعليه اغصان الشباب قيد

والارجح انه قصدها - وكانت يومئذ دار الخلافة - طلباً للرزق ولكنه لم يوفق في
طلبه فلما ، وحمل على الغربة وطلب المال فقال

وفيم اجتاهدي في محاولة الفنى * وما لفتني عند الجواد به قدر
وما * الا محرز المجد والعلو * وذلك كثرني لا اللخبين ولا التبر
وان يقصر لي الله الرجوع فانه * علي له ان لا افارقكم نذر
ولا ابتغني عنكم شغوفاً ورحلة * يد الدهر، الا ان يفرقنا الدهر

فلم يكن لشامراً تلك الطبيعة المظاهرة المفاضلة في سبيل الحصول على الاماني . وقد
ترك لنا في ذلك قصيدة عصماء وصف فيها احوال السفر براً وبحراً * وستناولها في غير
هذا المقام .

وهو كما يتضح من لقبه ونسبه رومي الاصل واسم جدّه جويج الرومي (او
جورجوس) ^(٢) . ولا نعلم عن اسرته شيئاً يذكر * الا ان في بعض شعره تلميحاً الى ان
امه فارسية الاصل كقوله

كيف اغضي على الدنية والفرس خؤولي والروم اعلامي

(١) زمر الآداب ج ٣ - ١٠٠

(٢) معجم الادباء ج ٦ - ٢٧٦ تحت سيرة محمد بن حبيب

وكان جده ، كما ذكر ابن خلكان ، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور
فنشأ والده ، كما يستدل من اسمه ، مسلماً وولد صاحب الترجمة كذلك « وتثقف في بيئة
اسلامية محضة . ولم يتصل بنا ان والده كان يتكلم الرومية او يعرفها ، او انه هو مرفها ،
على اننا لا نشك في انه كان يعرف نسبه الى اليونان ويفخر به احياناً ، كقوله من قصيدة
في ابي سهل النوبختي

ونحن بنو اليونان قوم لنا حياءً ومجد وعيدان صلاب المطامع
وما تدهى في المرايا وجوهنا بل في صفاح المرفعات الصوارم
وقوله من قصيدة يذكر فيها بني العباس

انا منهم بقضاء من نخت رسل الاله به وهم اهلي
مولاهم وفدي نعمتهم والروم - حين تنضي - اهلي

وقوله في رجل طعن بشعره والظاهر انه وصفه بروميته

قد تحسن الروم شعرا ما احسنه هريب
يا منسحر المجد فيهم ليس منهم ضريب

ويظهر ان شاعرنا لم يكن موقفاً في حياته العائلية فقد مات والده على الاربع وهو
صغير ، ولم يبق له غير اخ اكبر كان يعول عليه في الشدائد . على ان هذا توفي والشاعر لم
يتجاوز الثلاثين كثيراً . وقد فقد ابناؤه الثلاثة وزوجته فخرج عليهم جداً « وكان لقدم
تأثير عميق في نفسه . وليس من الغريب ان يكون قد تزوج ثانية وهو شيخ كما يرجح
الاستاذ العقاد^(١) « على اننا لا نعلم شيئاً من امر هذا الزواج

عائلة محدودة

ولد ابن الرومي على رواية ابن خلكان سنة ٢٢١ هـ ، فلم يدرك المتصم والوائق الا
صبياً صغيراً . وقد ادرك سن البلوغ في زمن المثلث ، وعاش الى خلافة المستنجد . ومع

كل ذلك لا ترى في شعره ما يدل على تقربه من الخلفاء والحظوة عند الامراء . فاذا قابلناه بزميله البحتري (الذي ولد قبله بنحو ١٥ سنة) ترى ان هذا مدح خلفاء زمانه ، ولا سيما المتوكل والمعتز ، بمشرات من القصاصد ونال جوائزهم ، ومدح ما يقارب المنة من كبار الوزراء والقادة ، وحصل من ذلك مالا وجاهاً . اما ابن الرومي فليس له شيء يذكر في الخلفاء . ولعل السبب انه لم يدرك منهم غير المستضعفين كالمستمين والمعتز والمهتدي والمعتد ، وكلهم قتل او خلع او حكم وليس له من الامر شيء . على اننا لا نجزم في ذلك خالفه في ذلك حال البحتري ، وان يكن هذا ادراك المتوكل والخلافة لم تول في روثها وقد عاش ابن الرومي اربع سنين في خلافة المعتضد وله فيه بعض المديح . اما رجال الدولة الذين اتصل بهم جلهم من الامام ، وقد سر بنا ما كان لهم من النفوذ في الخلافة العباسية ، واليك اهم مدوحيه -

اسماعيل بن بلبل

كان من وزراء المعتضد وجمع له السيف والقلم وهو يرفع نسبه الى بني شيبان ويغتر بذلك على ان بعضاً عمزوه وقالوا هو دعي^(١) . وكان مادحوه كالبحتري وابن الرومي يذكرون نسبه الشيباني بالتسجيد والتنظيم ، على ان ابن الرومي انقلب عليه وصار يلقبه بالدعي كقولہ

هجبت من مشعر بمقوننا باتوا نيطا واصبحوا عربا
مثل الي الصقر إن فيه وفي دمواه شيبان آية حبيبا

آل طاهر

وقد سر^٢ معنا ذكرهم في الكلام من الي تمام والبحتري ، وهم من الفرس . كانوا من كبار رجال الدولة وقد تقلبوا منذ ايام المأمون في اعلى مراتبها . واخص مدوحي ابن الرومي منهم عبيد الله بن عبيد الله امير بغداد

(١) الفخري ١٨٧ (في باب خلافة المعتضد)

آل وهب

وزعيمهم في أيام الشاعر القاسم بن عبيد الله : كان علي ما نقله صاحب الفهرست من
دعاة العالم ومن افاضل الوزراء ، وكان شهيراً كريماً مهيباً جباراً . وقد لُزمه ابن الرومي ومدح
آله وعلى يده قتل

آل المنجم

وهم من الفرس وقد مدح شاعراً منهم علي بن يحيى . وكان ابو سولي المأمون
واتصل بالفضل بن سهل ، واتصل علي بن يحيى بمحمد بن اسحق المصعبي ثم بالفتح بن خاقان
وهمل له خزائن حكمة ^(١) . وآل المنجم من علماء الفلك الذين كان يشار اليهم بالبنان .

. . .

ومن محدوحيه احمد بن ثوبة وآل المدير والقاضي يوسف وآل غلغل وآل نوبخت
وابو القاسم التوزي وآل شيخ والباطلي ، ومعتلهم من اصحاب النفوذ والوجاهة . على
ان ابن الرومي لم يحط بشعره فلم يكن مُتَيَبِّرَ الحال . وفي شعره ما يدل على ذلك ، فهو
كثير التبرم من الزمان وسوء الحال وقلة ثواب المحدثين كقوله —

تأمل العيب عيبٌ وليس في الخلق ريبٌ
ان يملك الناس مني سيباً فله سيبٌ

وقوله

ذقت الطومر فا التذقت براحة من صعبة الاخيار والاشرار
اما الصديق فلا احب لقاءه حذر القلي وكراهة الإحوار
وارى العدو قذى فاكره قربه فهجرت هذا الخلق عن أعدار

ولكن ابن الرومي لم يهجر الدنيا وملذاتها ولم يستعد عن الناس وعطاياهم ، بل بعكس ذلك كان يتهاون على ما في الحياة بما يشبع شهوات نفسه ، ويسرف في ذلك كل الاسراف . وكان يرمي بنفسه على ابواب الكبراء والوجهاء طلياً وقد هم ، جنيباً نفسه بالحظوة عندهم . ومع كل ذلك تراه في شعره محروماً تافهاً ، او ساخراً عابثاً ، ليس له من منزلة توجب احترامه ، او صداقة تشفي ارامه . ولماذا ؟ لان في طبعه كما يستدل من شعره ما كان ينفّره من الناس وينفر الناس منه . - هذا الطبع هو الذي جنى عليه والزعم حالة الحاجة والحلول . وقد اصاب في وصف نفسه اذ قال

استنطت اخواني واخفق مطعبي فبقيت بين الدور والابواب

وبينا ترى زملاءه من كبار الشعراء قد فاض كسبهم تراه وهو في الحميين من عمره يشكو الزمان بقصيدة دفعها الى احميل بن بلبل وفيها يقول

ريح القوافي ما لها سففت	حظي كني كنت سففتها
الحت على حظي ببيرونها	شكراً لاني كنت ادهنتها
او كذفت دون الفنى سدها	حتى كالي كنت كفتها
حُرمت في سني وفي تبعي	قروي من دنيا قضيتها
فكُرت في حسين اماً خلت	كانت امامي ثم خلفتها
لا عذر لي في اسفي بعدها	على العطايا - مفتها مفتها

والقصيدة طويلة واكثرها على هذا النمط . ومثلها قصيدة يعاتب فيها صديقاً ومنها تبين شيئاً من حاله ونظر اخوانه اليه - قال

ايها الحاسدي على صحتي العسر وذمي الزمان والاخوانا
ليت شمري ماذا حدثت عليه
ايها الظالم اخائي عيافا
ايها الظالم اخائي عيافا
كل من كان صادياً رباناً
وام على انني امشي حبيراً
وام على انني شككت شقيبتي
وهدمت الثراء والارطانا

والبيت الاخير يشير الى فقد اخيه الاكبر الذي كان يعطف عليه ، والى دار ومقار

تركهما والده فاضاعهما (١) . وما يدل ذلك على سوء حاله بالنسبة الى زملائه قوله لمن عاب قريضة -

أبعد ما اقتطموا الاموال واتخذوا حدائقاً وكروماً ذات تعريش
يحاسدوني وبيتي بيت مسكنة قد عشت الفقر فيه اي تعيش

وكيفما قلت ديوانه نجد هذه النفقات الناضجة بروح التجرع والفيظ والالم . واذا رجعت الى حكمه التي هي عنوان عقله المفكر رايت اساسها تأثير يئسه . فقد ترك شاعراً كثيراً من الابيات الحكمية ومعظمها يدور على ما يلي -

رقم	الوصف	ابن الرومي	السكياتي	الشيخ
١٠٦	قباحة البخل وجمال الثواب	✓	✓	✓
	عدم منفعة الاخوان	✓	✓	✓
	نكسد الزمان	✓	✓	✓
٢٦	غرور الشباب	✓	✓	✓
٢٦	وجوب الحزم	✓	✓	✓
٢٠٢	نفع الشدائد	✓	✓	✓
١٠٩٩٩١	الحظ	✓	✓	✓
٩٦	الملل من الناس	✓	✓	✓
١٠٣	عدم المبالاة	✓	✓	✓
٣٩٢	فساد الذوق	✓	✓	✓
١٠٥	الرشاة	✓	✓	✓
٤٤١٤٣٧٧	عدم الثغوب	✓	✓	✓
٣١٦	الصبر	✓	✓	✓

الى غير ذلك من الافراض التي تشير الى ما كان يشعر به من وطأة الزمان ، وما كان يخلج في نفسه المنفعة من تأثير الحرمان .

(١) وفي بعض قصائده إشارة الى دار له غابت عنه ، وفيها ما يشير الى سوء حاله في أواخر أيامه

كالتي مطلعها - لا زلت تباع انفس السؤل والامل

هفتم و اثرها في شعره

لا ين الرومي مع فرط ادبه وتوقد قريحته عقلية غريبة . فهو في حال سكينة واطمئنانه ليب مفكر يأتيك بالحكم والافعال السارة ، ولكنه عصي المزاج شديد الانفعال : فاذا حاجته حاج اضاع له واندفع على وجهه لا يبالي ، حتى في مطابقة لكبار الرجال تجده مرأ اليه اللسان . ويتجلى لك مزاجه العصي في قوله يعاتب اسميل بن نوبخت (وهو احد محدثيه) يوازن اولاً بين نفسه وسواه من الشعراء فيصفهم بالجيف النذرة والفتا الطافي على وجه الم ، وانه احق منهم ببلوغ الاماني . ثم يخاطب اسميل فيقول -

واجبي ان اري جواني مُتَبَاكَ فلا تجعل السكوت جواني
ان في ان تعني بعض اغضائي وفي ان تبتني امضائي
كنت تأني الجليل ثم تنكّرت فعاتبته مُجَبَّلًا في الثياب
فانتدب توبة وراجع فمالاً ترضيه الاسلاف للاعقاب

ومثل ذلك قصيدة يعاتب بها اسميل بن بلبل وقد شعر بشيء من الجفاء منه :

قال فيها

لعلنايك اضعحت حمي	علي واضحت ليعري نهايا
قبلت مديحي وانشدته	اقاساً وامسكت مني الثرايا
فله انت وما جته	الي لقد جنت شيئاً هجايا
اتمتك سري عن خلتي	ونفلق دون عطايك بابا
حلفت لئن انت لم ترضني	لتنصرفن القواني غضايا

واقول ما يقال في هذا الثاب انه تهديد ، وان حاجته ممن اذا غضبوا لا ينظرون الى العواقب . ويجوز لنا ان نقول ان ما عرف به ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الانسان احياناً عن طور الرشاد . ومن هنا هذه الجرأة في مهاجمة الاعيان والحكام وهذا الافذاع في العطن بالناوئين ، مما كان - على ما يعتقد ابن رشي - سبباً في هلاكه ^(١) .

وقد غالى بعضهم في هجاء ابن الرومي وجعلوه فناً من فنون الشر، وهو كذلك لو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوى الشخصية او الاجتماعية « وعرضها بقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوى ». ولكن شعرنا العربي المبهطي في كل أطواره لم يصل الى تلك الدرجة الرافية الا نادراً . فالهجاء الفني يقتضي امرين الفكاهة او الدعابة ، وحسن التصوير ، الاول يرفعه عن الحشونة والاقذاع ، والثاني يضعه في صلب الفنون الجميلة . وانك لترى في بعض الهجاء العربي شيئاً من ذلك ، ولكن اكثره من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الخلط من كرامة الشخص او كرامة اهله ، لا قصد اصلاحه بل تشيئاً او تغافراً . هكذا كانت نقائص جرير والاخلط والفزذق ، وعلى هذا النمط جرى اكثر الهجائن عند العرب . ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القاعدة — قال ابن رشيق وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال اعجبى من ابن الرومي « وليس هجاء ابن الرومي باجود من مدحه ولا اكثر ولكن قليل الشر كثير ^(١) » .

ولا ينكر ان في هجاء صاحبنا شيئاً من الدعابة وحسن التصوير ، ولكن معظمه فاحش لا يرتفع الى ما نسيه فناً ادبياً .

ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة : كان يتشائم من بعض الانقاط او الحوادث ، وكان لهذا الطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله - بحرية في عين العقلاء . ولا نستطيع ان نعلل هذه الظاهرة العقلية التي تضعف ارادة الانسان وتحملها على ربط الحوادث بغير اسبابها الا بقولنا ان صاحبها شاذ في عقله وان في جهازه العصبي ضعفاً خاصاً . وقد تناول امر العلاء الممرى تطير ابن الرومي في رسالة القفران وانتقده ، ولم يشعذ دائرة الصواب اذ قال منه « ان ادبه اكثر من عقله » .

وقال ابن رشيق كان ابن الرومي كثير الطيرة ربما اقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بحسب ما يراه او يسمعه ، حتى ان بعض اخوانه من الامراء انتقده فأعلم بحاله في الطيرة ، فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاهل به . فلما اخذ اهله للركوب قال للخادم انصرف الى مولاك فانت فاقص ، ومنكوس امحك لايقا . وابن الرومي هو القائل : الفأل لسان المؤمن والطيرة عنوان الخلدان « وله فيه احتجاجات وشر كثير ^(٢) » . ومن ذلك

قصيدة قالها وهو في السابعة والخمسين وقد رأى مجزاً في إحدى عينيها نكتة وجارية
حولاء ، فتعطر من ذلك . واتفق بعد مدة بكرة ان جفاء القاسم بن عبيد الله ، وسقطت
ابنة بعض اصدقائه من بعض السطوح فانت ، فكتب الى صديقه قصيدة يقول فيها

لا تهاون بطيرة ايها النظار واعلم بانها عنوان
قف اذا طيرة تلتفتك وانظر واستمع ثم ما يقول الزمان
فتحك المهرجان بالخول والامور اربابا ما اعقب المهرجان
كان من ذاك فقد ابتك الحرة مصبوبة بها الاحكامان
وتجاني مؤمل لي خليل ليج منه الجفاء والمهران

عقبة كهذه لا تستطيع ربط الاسباب بسبباتها بل قيل الى الوم والذمر لا ينتظر
ان يكون صاحبها ذا اقدام وعزيمة صادقة . ورغم ما تقرأه في شعر ابن الرومي من ذكر
المجد والاعلى فانه لم يمتد في ذلك حد الكلام . كان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضعف
عصبي حاد ، وقد تولد من امتزاجها ذلك الحرف الصياني وتلك الغيرة الشاذة التي كانت
توممه انه فوق العالمين ، وانه جدير بكل اكرام وتكريم ، وان من لا بكرمه فقد نقص
قدره وحق عليه ان يهجو ويحط من كرامته ايا كان ومهما كانت منزلته . واننا لنوافق
الاستاذ العقاد في ان شاعرنا كان « حسن النية رقيق القلب لم يخلق شريراً مطويماً على
الشكس والعداوة »^(١) ، ولكن الرجل كان على ما يظهر يجمع في نفسه تقاض من الاخلاق
فهو مسالم شديد العدا ، رقيق القلب الى البغض ، وفي سائر ، شعاع جبان ، الى آخر
هذه الصفات النربية التي يقف المنتقد الاخلاقي لديها حائراً ، والتي لا يمكن لنا الا ان
نعزوها الى اختلال في جهازه العصبي جعله غريب الاطوار شاذ الاخلاق ، ميالاً الى الاسراف
في كل شيء .

ومن ظواهر اسرافه نهمة في المآكل والمشرب ، حتى ان الحصري يعزو موته الى
شدة نهمة^(٢) . ولا شك ان ما تجده في شعره من كثرة وصفه لاصناف الطعام والشراب

(١) ابن الرومي للعقاد ٢٢٣

(٢) زهر الآداب ٢ - ٩ . وفي كتاب التصحيح والتحريف (لالي احمد العسكري) ج ١ - ٢٩
(مطبعة الطاهر مصر ١٣٢٩) يعزى سبب موته الى قصيدة هجائية قالها في جفاء القاسم بن عبيد الله
وكان فيهم رجل يقال له ابو فراس يكرهه فسمه في خشكناجه فاضت نفسه فيها

راجع الى هذا الميل فيه . واليك وصفه لآلذ المذات عنه .

يا سائلني عن مجمع الذوات . ساءلت عنه انعت الذعات
خذ يا مريد الما كل اللذ . جرداقتي خبز من السميد
لم تر عين ناظر منليها . فقشّر الخرقين عن وجهيها

ثم يصف ما يضاف الى ذلك من لحم فروج ولوز وجبن وبيض ودمنع وملح وكيفية
تحضيرها وطبخها ويختم القصيدة بقوله

ومشع العين به ملياً . واطبق الخبز به هنيئاً
املاً ثنائيك واكدم كدماً . قسرع نيا قد بنيت هدماً
فهي عليها وانا الزمعي . بمدة شيطانها رجعي

وكثيراً ما كان يدفعه نهجه الى ذم رمضان والصيام لما فيها من كمح الشهوات
والمذات كقوله

اذا برسكت في صوم لقوم . دهوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل . يطاول يومه يوم الحساب
فليت الليل فيه كان شهراً . وصرّ نهاره من السحاب
فلا اهلاً ياتع حكل خير . واهلاً بالطعام وبالشراب

وقوله من قصيدة -

شهر يصد المرء عن مشروبه . ■ يحلّ له ومن مأسكوله
لا استتيب على قبول صيامه . حتى تصرّمه ثواب قبوله

وله في الحرشيء كثير ، وكان من مدمنيها المتسلين بها عن الهوم حتى في ايام مشيبه
كقوله

ساعرض عن امراض الدهر دونه . واشربها صرفاً وان لام لوم
فاني رايت السكاس اكرم خلّة . وقت لي وراعي بالمشيب معتم
ومن صادم اللذات ان حان بعضها . ليرغم دهرأ ساءه فهو ارقم

وقال من قصيدة بعث بها الى زميله ابن السيب

ادرك ثقاتك انهم وقعوا في نرجس مع ابنة الغيب
فهم يحال لو بصرت بها سبعت من عجب ومن عجب
ديخانهم ذهب على درد وشرابهم درد على ذهب

ثم يصف مجاسهم في الروضة الضياء ويطلب اليهم القدوم ليتم انهم به . ومن
خبرياته قوله يصف الخمر ويصف حسنا . تشرب

ومدامة كخشاة النفس لطف من الادراك بالفس
انسيها في قلب شاربها روح الرجاء وراحة اليأس
وقد في امل ابن نشوتها حتى يؤمل موجه الامس
ومنهف كلت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
ابصرته والسكران بين فم منه وبين اقل خمس
فصكانها وكان شاربها قمر يقبل طارض الشمس

واليك هذه المداينة الساخرة التي تذكرنا بشعر ابي نواس

احل المراقبي النيزد وشربه وقال « الحرمان المدامة والسكر »
وقال الحجازي الشرابان واحد خلقت لنا بين اختلافها الخمر
ساخذ من قولها طرفيها وشربها لافادق الوارد الزرد

وفي ديوانه كما ذكرنا آنفاً شعر كثير في الخمر وانواع المآكل . فاذا قرنت ذلك
الى وله بالشباب ، وشغفه بكل ما يقدمه من اطياب الحياة - كما ستري في قصائده
التي يصف بها الشيب باسماً ايام الشباب ، نادياً اوقات اللهو والمخاطبات - تعرف ما كان في
نفس شاعرنا من نهم بالذائد الطيمية ، وكيف كان مفتوناً بما تقدمه لحواسه من نشوة
جسدية .

ومن الانصاف ان نقول ان شاعرنا لم يكن فريداً بين شعراء العرب في ذلك فقله
كان ابو نواس واضرابه ، ومثله كثيرون من محبي الحياة الدنيا في كل عصر . على ان له
على ما يظهر منزلة خاصة : فهو شغوف بالحياة لاجل الحياة - يجب ان يعيش وان يعيش
قوياً ليتمتع بجمالها واطايبها ، وقد وهبته الطبيعة حساً دقيقاً فكان يرى فيها ادق الالوان
واخفى الاصوات والحركات . ولعل شعوره بالحرمان وبمر الحال كان يزيد فيه هذا الشغف

وهذه الشهوة الحيوانية القوية : نقول الشهوة الحيوانية لاننا لا نرى في شعره ما يدل على غير ذلك - لا نرى فيه ذلك الميل الى لباس الطبيعة حلة دوحانية ترتفع به عن التسرع بالفتنة . فالمرأة والحمة والطعام والربيع والشباب والرياض كلها في نظره ادوات للسرور ووسائل للتسرع ، وبقدر ما يستطيع الانسان ان يستخدمها يكون حظه في الحياة .

شعره وشاهريته

قال ابن خلكان « هو صاحب النظم المعجيب والتوليد الغريب يفوق على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقى فيه بقية » (١) . وقد سبقه ابن رشيق فقال « كان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني حرباً عليها يأخذ المعنى الواحد ويؤلفه ، فلا يزال يقلبها ظهراً ابطن ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية ، حتى يميتته ويعلم انه لا مطمع منه لاحد » (٢) .

ومع ان شعره في الشعر لم يذكره صاحب الاغانى ولا ياقوت ولا الانباري ، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وجيزة ذكر فيها ان شعره كان على غير الخروف رواه عنه المسيبي ثم عمده الصولي على الخروف « وجهه ابو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ » (٣) . وتابعه ابن خلكان في ذلك ولكنه جعل رايه المتنبى لا المسيبي (٤) وهو على ما يقرأى لنا خطأ فسخي فان المتنبى ولد بعد موت ابن الرومي بشهرين سنة فلا يصح ان يقال انه رواه عنه ، ولم ينتبه الى هذا الخطأ اكثر المؤرخين والمثاقدين الحديثين فنقلوا كلام ابن خلكان على علته .

وييل نقاد العصر الى القول بالوحدة في قصائد ابن الرومي كقولهم « قصيدته قطعة مؤلفة تأليفاً منطقياً قتيلاً لا عوج فيها ولا ضعف ولا ميل الى الاستطراد » (٥) ، او كقولهم « خلف ابن الرومي هذه السنة (اي سنة الذين جعلوا البيت وحدة النظم) وجعل القصيدة

(١) وفیات الاعيان ١ - ٢٩٩

(٢) الفهرست ١٦٥

(٣) السبعة ٢ - ١٨٥

(٤) المعجم ١٣٨

(٥) كما في الطبعة المجرية

كلاً واحداً لا يتم بغير تمام المعنى الذي اراده على النحو الذي نجاه - قصائده موضوعات كاملة تقبل المناوئ وتقتصر فيها الأغراض ، ولا تنتهي حتى ينتهي مؤدأها « (١) » .

والذين يقولون بالوحدة يحلون أساسها طبيعة شاعرت اليونانية ، واختلافها في الاسترسال والتوحيد عن الطبيعة العربية . والمدقق في درس شعره يجد هذا الحكم العام صحيحاً في بعض قطع خاصة ، أو بعض اجزاء من القصائد لا في القصائد حوماً ، كروحه للشيب أو للحزن أو لمسقة السفر أو الهواة في لعب الشطرنج وما شاكل . وليس من الضروري ان يكون ذلك راجعاً الى « يونانية » تبرز عن سائر الشعراء ، ففي الشعر العربي قديماً وحديثاً امثلة كثيرة على اتصال الفكر في قطع تطول أو تقصر بالنسبة الى الاحوال . خذ قصيدة عمر بن ابي ربيعة « امن آل نعم » ، او مرثاة ابي ذؤيب « أمن المنون » ، او وصف الايوان للبحتري ، او وليمة ابن الواسي : بل خذ كثيراً من غزليات ابي نواس وما اشبهها من الكلام المتصل الفكر الذي تجده في كل العصر الادبية . ولا سيما في عصرنا الحاضر ، تجد ان ابن الرومي لم ينفرد في ذلك ، وليس في شعره ما يدقمنا الى القول بطبيعة مخالف طبائع معاصريه . واليك مثلاً قصيدته في علي بن يحيى المنجم ومطلعا

شاب رأسي ولات حين مشيب وعجيب الزمان غير عجيب

فهي ١١٧ بيتاً . منها ثلاثون في وصف الشيب والحضاب وتظفر القواني اليأساً وبقيّة القصيدة في المدح يعدد فضائله من كرم ودهاء وسمو وشجاعة وما شاكل من المناقب الرفيعة . واذا دوستها لا تراها تختلف من مدائح عصره من حيث الاسلوب والتفنن في ضروب الوصف والمدح ، بل تستطيع ان تقطع منها ما شئت من الابيات وتبقى القصيدة تامة المعنى . وما يصدق على هذه القصيدة يصدق على قصيدته في عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر

صبا من شاب مفرقه تصالي . وان طلب الصبا والقلب صاب

وهي ١٧٥ بيتاً خصص منها نحو ٧٠ بيتاً للشيب وتذكارات الشباب ، وساق الباقي في مدح المدح على الطريقة المتبعة عند الشعراء . وكذلك القصيدة التي يهنته فيها بعيد المهرجان وهي تقرب من ١٣٠ بيتاً وتختلف بين وصف يوم العيد وتعداد فضائل المدح والاه ،

(١) ابن الرومي للمقاد ٣٠٨

وغير ذلك من مائر مطولاته كرماته لابي الحسين يحيى بن عمر العلوي وهي ١٠٩ ابيات ومطلعها

امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شقي مستقيم واعوج

وقصيدته في احمد بن ثوبة - دح اللوم ان اللوم عون النوائب - وهي ١٨٢ بيتاً ، ورنثؤه لاهل البصرة - زاد عن مقلتي لذيق المنام - وهو ٨٣ بيتاً ، وعتابه لابي القاسم التوزي - يا اخي اين ربيع ذلك اللقاء - في ١١٨ بيتاً ، وقصيدته في القاسم بن عبيدالله - ايها القاسم القسم رواء - وتبلغ ٢١٦ بيتاً - ، وغير ذلك من ميون قصائده . في كل هذه القصائد تجد بعض القطع التي تستقل بوحدة فكرة ولكنها لا تجد القصائد موحدة تختلف من امثالها في دواوين الشعراء ، لا من حيث استقلال الابيات ، ولا من حيث اتساق الافكار . ولا نرى طلياً ما يؤيد القول بتأثير الزمة اليونانية في ادبه . وقد حاول الاستاذ العقاد ان يجمع بين النظريتين لجميل المبررة اليونانية فيه ادبية لانسبية ، او كما قال « انها كلمة مفهومة في لغة الاداب وان لم تكن مفهومة في لغة الانساب ^(١) » .

مزاياء الفقيه

واقفا يتناز شعره بما يلي -

١ - طول النفس مع المحافظة على السلاسة موحداً

٢ - احتفاء المعنى وتقصي كل ما يقال فيه

٣ - دقة الاحساس بالمؤثرات الطبيعية

٤ - ميله الى تشخيص ما لا يعقل

اما طول النفس فقد اشرنا اليه سابقاً ، وزيد به مقدرة الشاعر على الاسهاب في النسخ دون تعب او تكلف ظاهر . فأنك لا ترى لشاعر عربي ما تراه لابن الرومي من كثرة المطولات التي تتجاوز المئة والمئة والحسين بيتاً « واكثرها حن البك كثير الالوان

(١) ابن الرومي للعقاد ٣٠٩ - ٣٠٢

المنقوة . وبديهي ان نجد في مطولات كهذه بعض الحشو والتكرار وشيئا من السفه ، ولكنها هوما تدل على غزارة مادته اللغوية وعلى مهارته في استخدام الالفاظ لمعانيه . فهو فياض كثير الاطناب والمراجعة بعيد المدى في ميدان النظم ، ولكنه لا يصل الى آخر مداه منهوكتا مقطوع النفس ، ولا نشعر في شعره بتكلف مضمحل او جواد عنيف .

على ان الاطالة لا تؤمن احيانا ، فقد تضطر صاحبا الى استعمال غرائب الصيغ والالفاظ محافظة على وزن او معنى ، ولا سيما اذا كان واسع الاطلاع في اللغة كشاعرنا ابن الرومي . وثباتا لذلك نذكر هنا بعض ما اخترنا من غرائب ديوانه مع الاشارة الى مواطن كل لفظة ليسهل الرجوع اليها ، وليس الذي نثبته هنا الا قليلا من كثير مما يرد في ديوانه

مؤذجرهمي	ديوان ابن الرومي	لشريف حسن ج ١ - ١١
حظي دون الفاء (الحيس)	✓ ✓ ✓	٢٧ -
مربخو نداه (طابوه)	✓ ✓ ✓	١١٠ -
لازب الجرب (لازم العيب)	✓ ✓ ✓	٢٠٢ -
خريثب (قديمة)	✓ ✓ ✓	٢٣٧ -
كروب وذبابذ (اضطرابات)	✓ ✓ ✓	٢٩١ -
مقتل الرواجب (متشجج الاصابع)	✓ ✓ ✓	٢٧٥ -
نعمه ترئب (مقببة)	✓ ✓ ✓	٣١٧ -
مريث (حام)	✓ ✓ ✓	٣٢١ -
عسل اللصاب (عسل الجبال)	✓ ✓ ✓	٣٧٨ -
التقد (صفح التقا)	✓ ✓ ✓	٤١٠ -
السخاب (القلادة)	✓ ✓ ✓	٤١٥ -
شميم الوجه (كريمة)	اختارات الكيلاني	٥٨ -
يومان ارومان (عحيان)	✓ ✓ ✓	٨٥ -
لدهر منجنون (درلاب)	✓ ✓ ✓	١٢٠ -
اكف ضوايث (نواشب)	✓ ✓ ✓	١٧١ -
الزوش (العبد)	✓ ✓ ✓	٢٠٤ -

٢٥١ -	أليك الالب (جملك المختند)	مختارات الكيلاني
٣٩١ -	ابريق ردوم (سائل)	" "
٣٩٢ -	كدنني قنغد (محني يزل)	" "
٣٩٣ -	هل من مند (لي بد)	" "

وبكثير في مطولاته الروابط الكلامية يأتي بها ليربط ما تقدم بما تأخر ، ولا يستحسن ذلك في الشعر . ومن هذه الروابط ما يلي -

مع انه - لم لا - لا سيا - بل - كيا - غير ان - وظني انه - لذلك هذا - على انني - مع - واعلم - هكذا - يرهان ذلك - وذلك ان - الغ (١) .

. . .

ومع تمكن ابن الرومي من شوارد اللغة لا يأنف احياناً من استعمال بعض الالفاظ الاعجمية . وهي ان جاز استعمالها في المباحث العلمية لا تستحسن في الشعر وما اليه من الكلام الفني ، كاستعماله الالفاظ التالية

آيين - في قوله « اعجمي آيينه عربي » اي عاداته ودأبه
 شير " " " اعني سليمان الذي في رسمه قر وشير « وهي الاسد في الفارسية
 زرياب (٢) " " " ونهاويل من سندس ومن زرياب « اي ماء الذهب
 الدوشاب (٣) " " " علي احمد من الدوشاب « اي الثيبد الاسود
 الكوش " " " يا اصلم الكوش هالك ضامنة جدع انوف وحلم اكوش «
 والكوش هي الاذن في الفارسية

وامثال ذلك من الالفاظ التي كان يتسلح بها على عادة بعض الشعراء في ذلك الزمان (٤)

(١) راجع شرح محمد شريف ج ١ - ١٥١ - ١٦٥ - ١٧٢ - ١٨٥ - ١٩٩ - ٢٥١ - ٢٧٥

- ٢٢٨ - ٣٢٦ - ٣٨٦ - ٤١٩ - ٤٦٢ ومختارات الكيلاني ٨٤ - ٤٧١ - ٤٨٥

(٢) وهو استعمال مذين اللطين اذا اصبحا حلساً - كالكنياك مثلاً

(٣) البيان والبيان ١ - ٦١

استيفاء المعنى وتقضي الأغراض

« ياخذ المعنى فلا يزال يعالجه حتى لا يبقى فيه بقية » ذلك رأي ابن خلكان فيه وهو رأي مصيب ، وإليك بعض الأدلة على ذلك من شعره

١ - في معانيه لا يي القاسم التوزي الشطرنجي يذكر هنوات ذلك الصديق ، وإن الحاجة كشفت له عنهن ، ويجري بينه وبينهن عاورة لطيفة بقول فيها

ليتني ما هتكت منكن سقراً فشريرٌ تحت ذلك النطش
قلن لولا انكشافنا ما تجلت عنك ظلماء شبه قتاش
قلت اعجب بكن من كاشفات كاشفات فواشي الظلماء
قد افدتني مع الخبر بالصاحب ان رب كاسف مشطاء
قلن اعجب بهتدر يتنى انه لم يزل على عياء
كنت في شبه فزالت بنا منك فاورستنا من الأزرار
وعنيت ان تكون على الخوة تحت العاية الطغياء
قلت تالله ليس مثلي من ود ضللاً وحيرة باهتداء
غير اني رددت سقر صديقي بدلا باستفادة الانبياء
قلن هذا هوى فمرج على الحق واخل الهوى قلب هوا
ليس في الحق ان تود الخلق أنه الدهر كامن الادواء
بل من الحق ان تنقر عنهن والأف فانت كالبعداء
ان بحث الطبيب من داء ذي الداء لأس الشفاء قبل الشفاء
دونك الكشف والعتاب فقوم بهما كل خلة عوجاء

وهذه العاورة تكشف لك عن فن ابن الرومي وميله الى البحث المستفيض وتقضي كل معنى من الغرض الذي يرمي اليه . وفي هذه القصيدة نفها يمدح صديقه بالمهارة في الشطرنج فيذهب في الوصف كل مذهب كقوله

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس اللبلاء
لك مسكر يدب في القوم اخفى من ديبب الغذاء في الاعضاء

او مسير القضاء في ظلم السب الى من يريد به بالتواء

وعلى هذا النحو يصف له في نحو عشرين بيتاً يتفنن في معانيها ما شاء ، وكلها شاهد على تدقيقه في اغراضه ومحاولته بلوغ الغاية منها .

— ذكر السفر ومشاقه وما لاقاه من ذلك برأً وبحراً في قصيدة يمدح بها احمد بن ثوبة وقد اجاد فيها كل الاجادة . واليك شيئاً منها مثلاً لما نحن بصدد من تدقيقه وتقصيه قال

اذ اقتني الاسفار ما كره الفتي الي واغراني برفض المطالب
ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة رهبت اعتساف الارض ذات المناقب
وصبري على الانتصار ايسر محلاً علي من التفرير بعد التجارب

ثم يصف ما لاقاه من احوال البر ابان الشتاء من مطر وبرد وثلج وصفاً في غاية الدقة ، نذكر منه هنا وصف حاله وقد اضطر الى المبيت في خان

فلت الى خان مُرثٍ بناؤه مسيل غريقة الثوب لفان لاغيب
فلم اتق فيه مستراحاً لثعب ولا تُولاً ايان ذاك لداغيب؟
فما زلت في خوف وجوع ووحشة وفي سهر يستغرق الليل واصب
بؤرقي سقت حكايني تحته من الوكف تحت المدججات المراضب
تراه اذا ما العطين اتقل مشته تصر نواحيه صرير الجفاديب

وبعد ان يستوفي وصف الخان وهول السفر في الشتاء يصف متاعب القبط في الصحراء في اثني عشر بيتاً ، ثم يتناول احوال البحر (يقصد دجلة) اذا هبت الريح وطلعت غوارب الماء ، ويحك ذلك حوكماً دقيقاً في ستة وعشرين بيتاً نذكر منها ثلاثة يرد بها على من لا يرى في دجلة ما يراه المسافر في البحر من خطر او متاعب فيقول —

لدجلة خب ليس للبحر انها تراني بحلم تحته جبل وائب
تطامن حتى تطمئن قلوبنا وتنضب من مزح الرياح اللواعب
للازل موج في غمار زواجر وهوات خسف في شطوط خوارب
وليم اهدار بعرض متونه وما فيه من آذيه المتراصب
ولست تراه في الرياح مزلولاً بما فيه الا في الشداد النوالب

٣ - وصف الشيب وإيام العيا وذلك كثير في ديوانه ، فنجزيه هنا : يا جاء منه في قصيدة تبلغ ١٧٥ بيتاً قالها في عبيد الله بن مبدائه بن طاهر وعصص منها نحو سبعين بيتاً في هذا الفرض الخاص - من هذه السبعين ١٩ بيتاً في وصف الشيب ووجوب الترحيب به لانه ييسر بلعاق الماضي كقوله

وقلت مسلماً للشيب اهلاً	بهادي المخطئين الى الصواب
المت مبشري في كل يوم	يوشك ترجلي اثر الشباب
لقد بشرتني بلعاق ماض	احب الي من يرد الشراب
فلست متباً بمرآك نعيماً	وان اوعدت نفسي بالذهاب
وانت وان فتكت بحب نفسي	وحاحب لفتي دون الصواب
فقد اغتبتني وامت حقدني	بجوك خلفه مجلاً وكاني

و ١١ بيتاً في ذكر ايام الحداثة وموقف القانيات بين اس واليوم
و ١٠ بيتاً يصف فيها ما يذكره بالشباب من جمال الحسان ومن جمال الطبيعة - ما فيها من مياه وجنان وسحاب وبرق ورياح - وصفاً لا يترك فيه زيادة لمستزيد يحشمه بقوله

فيا اسفاً ويا جزماً عليه	ويا حزناً الى يوم الحساب
أألجم بالشباب ولا اعزى	لقد غفل المعزى من مصالي
تفرقنا على صكره جيماً	ولم يك عن قلى طول اصطحاب
وكانت ابكتي ليد اجتناء	فادت بعده ليد احتطاب

ثم يقول

ابستك برهة ليس ابتذال على علمي بفضلك في الشباب

ومن يراجع هذه السبعين بيتاً ويتأمل توأم الشاعر على تقصي المألني وتدقيقه في رسم ظلالها ، يتكشف له ما قصد اليه ابن خالكان اذ قال « لا يبق في المعنى بقية » -

ولما كان ابن الرومي بطبيعته دقيق الاحساس كان من الطبيعي ان تراه يجيد في وصف الالوان والاصوات ويفتخ بها ما شاءت قريحته ، وله في ذلك لطائف تمد من اجل ما في هذا الباب من الشعر العربي .

وعتاز بالباسه الجاد حياة وينقل غير العاقل الى مصاف العقلاء، وهو ما يسونه بالتشخيص
 او المجاز المرسل - ومن ذلك حديثه مع هنوت صديقه (وقد مر في كلامنا على قصيدته
 « ايها القاسم القسيم رواء ») ، ومحاطبه الشيب والشباب والين والكساء ، وانطاقه
 الطيور والنسائم ، ونسبته التفكير الى الشمس والندى والاغصان ، مما سقى الامثلة عليه
 في المختار من شعره - ولم ينفرد ابن الرومي بذلك ، ولكن له فيه ما يلفت النظر ويجعله
 في مقدمة الوصفين - وما يلفت النظر ايضاً في شعره حسن اختراعه ، وقد نحس له ابن
 رشيقي فقال « اما ابن الرومي فاوى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن اقتنائه ^(١) » ،
 وفي موضع آخر يقرنه بالي عام ويقول « انهما اكثر المولدين اختراعاً فيما يقول الحدائق ^(٢) » .
 ويزاد بالاختراع كما ذكرنا في غير هذا المقام بدائع التشبيه والتشيل والاستعارة ،
 كقوله وقد رأى رجلاً يقلبي الزلاية فوصفه ووصف عمله

دايته سعراً يقلبي زلاية	في رقة القشر والتجريف كالقصب
كانها زينة القلبي حين بدا	كالكييا التي قالوا ولم تصب
يُلقي المبعين لجيناً من ائامه	فيستحيل شبابه صكاً من الذهب

وقال يصف قوس السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارقاً	على الجبوء ذكناً والحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باخضر	على احمر في اصفر إثر مبيض
كاذيال اخود اقبلت في غلائل	مصبة والبعض اقصر من بعض

ومن اقواله الجميلة يذكر ايام الشباب واننا لا نعرف قيمتها الا متى ولت

لنا نراها حق رؤيتها	الأ زمان الشيب والمهرم
كالشمس لا تبدو فضيلتها	حتى تنفى الارض بالظلم
ولرب شيء لا يبينه	وجدانه الا مع العدم

ومثل ذلك قوله في خم الدهر وانه يقلبي الاسافل

دهرٌ علا قدر الوضع به وترى الشريف يحمله شرفه
كالبخر يسب فيه أواؤه سفلاً وتعلو فوقه جيفه

وله في الحكم باع طويلة ، فان دقة نظره لا تنحصر في الوان الطبيعة والحياة بل
تتناول ايضاً العواطف وعلاقات الناس بعضهم ببعض * وهو يجاري في ذلك كبار الشعراء ،
كقوله

اذا ما كساك الله مربال صفة ولم تحل من قوت يحل ويعذب
فلا تبطن المترفين قانهم على حسب ما يكسروهم الدهر يسلب
وقوله -

خيلني قد مللتني بالاسى فانعتا لو انني اتعلل
وما راحة المرزوء في رزء غيره يحمل عنه بعض ما يتحمل ؟

وقوله -

فلا تتسكل الا على ما فطته ولا تحب المجد يورث بالثعب
فليس يبرد المرء الا بنفسه وان عد آباء كراماً ذوي حسب
وحكمه كثيرة وهي تعكس لنا في الغالب حياته وتأثير بيئته فيه .

* * *

اما اكثر ديوان ابن الرومي ففي المديح والهجاء والنتاب والوصف ، على ان له في باب
الرناء بضع قصائد جيدة . منها مرثاة في ابنه الاوسط هي من ارق ما فاضت به عواطف
والد على ولد مرزوء . قال في مطلعها يخاطب عينيه

بكأوكما يشقي وان كان لا يحدي فجودا فقد اودى نظيركا عندي
توشى حمام الموت اوسط حبيتي فله كيف اختار واسطة المقدي
طواه الردى عني فاضحي مراره بعيداً على قرب قريباً على بعد

ثم ياخذ بوصف الداء الذي اصاب ولده ، وما كان له من التأثير فيه ، وشرح لنا

المواطف الالهية المثالة شرحاً بحرك اوتار القلوب : وانك ترى شدة اله ودقة تصويره في
قوله يخاطب الفقيد

محمد ما شيء تُوعِم سلوة	قلبي الا زاد قلبي من الوجد
ادى اخويك الباقيين كليهما	يكونان للاحزان اوردى من الزند
اذا لعبا في ملعب لك لذنا	فؤادي يثل النار عن غير ما قصد

والقصيدة كلها من هذا النمط البليغ الذي يشهد لشاعرنا برقة الشعور ودقة الفن .
وتجدها معظمتها في باب المختارات .

* * *

والخلاصة ان ابن الرومي دقيق شديد الانفعال ، صبي المزاج الى حد الخروج من
جادة الرشاد . ومن هنا غرابة اطواره ، وفشله في الحصول على رفائه « وعدم قدر جيله
لقننه ومواهبه .

المختار من شعر ابن الرومي

طبيعة شديدة الانفعال في شعر بعيد المدى كثير الألوان : تقرأ فيروثم لك ما في
نفس ناظمه من ولع في الحياة وحرارة لفقد اطلالها ، مقرونين باسراف في العاطفة يدفعه
أحياناً الى درجة الشذوذ .

ذكرى الشباب

من قصيدة في حبيب الله بن عبد الله

على كرم ومن داع حجاب	كفى بالشيب من ناور مطاع
مطية باطلي بعد الهباب ^(١)	حططت الى النهى رحلي وكنت
بهادي الخطئين الى الصواب	وللت' مسلماً لاشيب : اهلاً
بوشك ترألي اثر الشباب ؟	الست مبثري في كل يوم
احب الي من ورد الشراب	لقد بشرتني بلعاق ماض
وان اومدت نفسي بالذهاب	فلست مستياً بشراك نعيأ
سوى ترفيع وهيك بالخطاب	لك البشري وما بشراك مندي
وصاحب لذتي دون الصواب ^(٢)	وانت وان فتكت بحب نفسي
بحبك خلفه قهلاً رحكالي ^(٣)	فقد اعتبتني ، وامت حقدني
فقد وفيتني فيه ثواني	اذا الحقتني بشقيق عيشي
راياه فتوب الى مسأب	وحسي من ثواني فيه أني
اذا فقد الشباب سوى عذاب	لعمرك ما الحياة اكمل حي
اذا ولئى ، باسهما الضباب	قل لبتات دمري فلتصني

(١) الحجاب النشاط والسرعة

(٢) وانت وان ذهبت بمحبي او صاحبي فقد ارضيتني بانك تدفعني الى اللعاق = عاجلاً

سقى عهد الشيبة كل فيشر
ليالي لم اقل : سقياً لهد
اغر مجلجل داني الرباب^(١)
ولم ارغب الى سقيا سحاب^(٢)

يذكرني الشباب هوان عتي
يذكرني الشباب سهام حنفر
رمت قلبي بهن فاقصدته
فراحت وهي في باله دغني
وكل مبارز بالشيب قرنا
وصد الغايات لدى عتالي^(٣)
يصن مقاتلي دون الاهداب
طلوح النبل من خلل النقاب^(٤)
ورحت بلوعة مثل الشباب
فسي لمحرك غير سباب

يذكرني الشباب جنان حذر
تفني ظلمها نفحات ربح
اذا ماست ذوائها تداخت
يلذكرني الشباب وميض برق
فيا اسفا ويا جزماً عليه
أأفجع بالشباب ولا امرئى ؟
تفرقنا على صكوه جيماً
وكانت ابيكتي ليد اجتناء
على جنات انهار عذاب
تهز متون اقصان رطاب^(٥)
بواكي الطير فيها بانتعاب
وسجع حمامة وحنين ناب^(٦)
ويا خزناً الى يوم الحساب
لقد غفل المزي عن مصابي
ولم يك عن غلى طول اصطحاب
فما دت بعده ليد احتطاب^(٧)

ايا بُرد الشباب، لكنت عندي من الحسات والقسَم الرَّغاب

(١ و ٢) سقى عهد الشيبة كل مطر كثير الرعد داني السحاب - ذلك العهد الذي لم أكن اهتم بسواه ولم اشرفه بحاجة ما

(٣) يذكرني ايام الشباب عدم اهتمام الغايات ليوم في

(٤) طلوح النبل الخ اي حساه نكثري رمي النبال من وراء النقاب

(٥) تفني ظلمها اي تحركه (٦) الناب الناقة

(٧) الابكة الشجرة كنى بها من الحياة فقال وكانت حياتي شجرة فاصبحت الان يابسة

بليت على الزمان ، وكلُّ يرد
وعزّ طي ان تبلى وابقى
لبستك برهة لبس ابتدال
ولو ملّحت صونك فاعلته
ولم ألبسك الا يوم غفر
عبيداته قمر بني زريق
فبين بلى وبين يد استلاب
ولكن الحوادث لا تحالي
على طي بفضلك في الثياب
اصتكت في الحرير من الثياب^(١)
ويوم زيادة الملك اللباب
وحبك باسمه فصل الخطاب
الى ان يقول فيه

اظنّ سحاب عرفت كل شيء
سواي فاني منه بظهر
تشير اليّ بالمحروم ابدي
تطاول لي انتظار الوعد جداً
ودرّ على البلاد بلا عصاب^(٢)
كافي خاف منقطع القراب^(٣)
كايدي الناس في يوم الحصاب^(٤)
وريب الدهر يؤذن بالخصاب

افكر في نصاب انت منه
الست المرة لا مزّم كهام
فمن في غبطة ونعم بال
فيتلق دون مذكّر حكل باب
ولا بخل اليه بذى انتاب
وملك لا يخاف يد اغتصاب

ومنها

وليس لاني سدت سيلي
تعالت عضبتي عن كل سيل
ولا عجز اصطرافي واصطحابي
وقاتت نبعتي نضج الذئاب^(٥)

(١) الثياب خزان الثياب

(٢) بلا عصاب اي غوا دون ان يطلب . والعرف المروق

(٣) لم يصني غيث مروقك كافي كنت في الطرف الذي ينقطع هذه المطر

(٤) اي يشير الى الناسم باليدوم ويقولون « محروم » من الحظ . وقد شبه كثرة المشيرين اليه

بايدي الناس يوم رمي الحجارة بمنى (في الحج)

(٥) اقصاك لالانه قد سدت في وجهي سيل الرزق فاني كرم النفس اتالي عن الاسافل وقد عبر

عن ذلك بقوله (تعالت عضبتي عن السيل ونبتني عن رش الدلاء)

فليس يتأني الأ مثيل^١ يُطلّ عليّ اطلال السحاب
ولو اني قطعت الارض طولاً لكان اليك من بعد انقلائي

وقال مادحاً طلي بن المنجهم

شاب رأسي ولات حين مشيب^٢ وعجيب^٣ أوسان غير عجيب
قد يشيب الفتى وليس عجيباً ان يرى النور في القضيبي الرطيب
ساءها ان رأت حبيباً اليها ضاحك الرأس عن مفارق يشيب
قدمته الى الحضاب وقالت ان دفن الثميب غير تميب
خضبت رأسه فبات بشريح واضعى قفلاً في تأنيب
ليس ينفك من ملامة زار قائل بعد نظركي مستريب
ضلة ضلة لن وفطته غير الدهر وهو غير متيب
هاجر رامن القوي يتحاطى صفة الله في قناع المشيب^(١)
رام اعجاب حكل بيضاء خور بسواد الحضاب ذي التمجيب
فتضاحكن هازقات وماذا يؤرق البيض من سواد جليب^(٢)
يا حليف الحضاب لا تمخدع النفس فانت احببا بنسب
فاتخذته على الشباب حداً وابك فيه بعبدة وعجب

وفتافه رأت خضائي وقالت مر داء المشيب طبع الطيب
خاضب^٤ الشيب في بياض ميعين حين يبدو وفي سواد حريب
ليس تنقاد عادة لهواه وهو يتقاد كاتقياد الجنيب^(٣)
ظلمتني الحطوب حتى كآني ليس بيني وبينها من حبيب
سلبتني سواد رأسي ولحكنت موضعتني رياش حكل سليب

(١) أي ضيف يتناول الصفة يسترجعها مثبته مقهراً أما اللون الطبيعي الذي خلقه الله

(٢) جليب أي مجلوب مصطنع

(٣) الجنيب ما يناد من الركاب

عوضتني اخا المعالي علياً عرض فيه سألوه للعريب
 يستغيث اللبيب منه بمدهور لدى كل حكمة مستجيب
 يتلقى المدد من الابواب بالبشر منه والترحيب
 غريبه الخلائق الزهر في النسا من وما اوحته بالتقريب
 ما سمى والساعة للمجد الا سبق التحذير بالتقريب^(١)
 من رآه رأى شواهد تقني عن سماع الشاء والتجريب
 لودمي له فؤاد ذهبي ما له في ذكائه من ضريب
 يقط في الهبات ذو حركات لكون القلوب ذات الوجيب^(٢)
 ألمي يرى بارئ ظن آخر الامر من وراء الخيب
 ثابت الحال في الزلازل منهبال لسؤاله انهبال العكيب
 لين عطفه فان ريم منه محكم المود كان جد صليب
 احنت وصفه مسامحه حتى احنت كل شاعر وخطيب
 يسته بنا المطايا فافضت من فضاء الى فضاء رحيب
 بائي انت من جليل مهيب مطلب الأرف منه غير مهيب
 اعجز الطالبيك شأراً بعيد لك ادركته بعرف قريب
 هاكم مدحة تقني بها الرحبان ما اوزمت روائع نيب^(٣)
 نظم الفسكور درها غير متقو بر اذا الفرشين بالتقيب
 يطرب السامعين ايسر ما فيها وان أنشدت بلا تطريب
 منك جاءت اليك يحذر بها الود على رغبة بلا ترغيب

رثاء ابنه الاوسط

بكاؤكم^(١) يشفي وان كان لا يجدي جودا فقد اودى نظيركما عندي
 ألا قاتل الله المتايا ودمها من القوم حبات القلوب على عمد

(١) اي ما سمى هو وواحد الى المجد الاوسط بتقريبه جرحم المريع

(٢) اي انه لدى الخطوب يقط تنحرك حمة بما يسكن اضطراب القلوب

(٣) اي ما احنت النياق الى اولادها (٤) يخاطب عينه

توخى حمام الموت اوسط صيني
على حين رشت الخيد من لحياته
طواه الردي عني فاضعى مزاره
لقد انجزت فيه المنايا وعيدها
لقد قل بين الهد واللحد لبثه
البح عليه التذف حتى احاله
وظل على الايدي تساقط نفسه
فيالك من نفس تساقط انفسا^(١)

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له
وما سرني ان بعته بثوابه
ولا بعته طوعاً، ولحكن قصبته

والى وان مُتت بابني بعده
واولادنا مثل الجوارح^(٢) ، ائبنا
لكل مكان لا يسد اختلاله
هل العين بعد السمع تكفي مكانه
لمسري لقد حالت بي الحال بعده
تكلت سروري كله اذ تكلته

لذاكره ما حثت النيب في نجد^(٣)
فقدناه كان الفاجع البين الفقد
مكان اخيه من جزوع ولا جلد
ام السمع بعد العين يهدي كما تهدي
فيا ليت شعري كيف حالت به بعدي
واصبحت في لذات عيشي أخا زهد

(١) اي انه مات صغيراً

(٢) كثر عليه نزع الدم حتى احال لونه الوردي الى اصفرار الزعفران

(٣) فيا لك من نفس تذوي فتذوي منها نفوس كثيرة

(٤) النيب النياق . اي وان كان لي باخوته ملوة فاني ساذكره دائماً وساتوابع لذكره

(٥) الجوارح اعضاء الجسم

أرجحانة العيين والاتف والحشا
سأحقيق ماء العين ما اسعدت به
أهني جردا لي ، فقد جدت هذي
كأنني ما استمتعت منك بضئ
ألام لما أبدي عليك من الاسى
الا ليت شعري هل تغيرت من جهدي ؟
وان كانت السقا من الدمع لا تجدي
بانفس مما تُألان من الرغد^(١)
ولا شقة في ملب لك او مهد
واني لأخفي منه اضفاف ما أبدي

محمد ما شئ : تؤفهم سلوة
أرى اخوبك الباقين حكيهما
اذا لعبا في ملب لك لذما
فما فيهما لي سلوة بل حارة
وانت وان أغردت في دار وحشة
عليك سلام الله مني نجبة
لقلبي ، الا زاد قلبي من الرغد^(٢)
يكفونان للاحزان اودي من الرغد
فؤادي يشل النار عن غير ما قصد
بيجانها دوني واشقى بها وحدي
فاني بدار الانس في وحشة الفرد
ومن كل غيث صادق البرق والرعد

من رثائه لابي الحسين يحيى بن عمر العلوي^(٣)

امامك فانظر اي نهجيك تنهج
ألا أئيدا الناس طال ضرورك
أحسك أنان للنبي محمد
طريقان شتى ، مستقيم واهوج
بآل رسول الله فاحشوا او ارتجوا
قتيل زحكي بالدماء مضرع^(٤)

(١) الرغد الطاء

(٢) في هذه الايات وما بعدها يقول يا محمد ما من شيء يحبونه سلوة الا ويزيدني حزنا على
حزون . انظر الى اخوبك الباقين فاذا ذكرك في كل حركة من حركاتها ويشند لذلك انظر
الاسى في نفسي فانت وان كنت وحيدا في القبر فاني بين الناس وحيد بالاسى

(٣) وهو حفيد حفيد الامام علي وكان قد قام على المهبيين فظفوه . وفي هذه القصيدة يظهر
تشيع الشاعر لآل البيت

(٤) إشارة الى ان القتل من بيت الرسول

بني المصطفى كم يأكل الناس ثلومكم
 اما فيهم راع خلق نيتهم
 ابعد المعصية بالحقين شهيدكم
 لنا وعلينا، لا عليه ولا له
 وكنا زجيه لكشف عاية
 لبواكم - ما قليل - مُفْرَج
 ولا خائف من ربه يتفرج
 تضي مصايح السماء فتُفْرَج^(١)
 تمسح اسراب الدموع وتلج
 بامثالها امثالها تتلج

أبجي الذي لعني لذكراك خفة
 لمن تستجد الأرض بعدك زينة
 سلام وريحان وروح ورحمة
 ولا يرح القاع الذي انت جاره
 ويا أسفي ألا ترد تحية
 مفاء على دار ظننت لنورها
 مباشر مكواها الفؤاد فينضج
 فتصبح في اثوابها تتبرج
 عليك، ومعدود من الظل سيجج^(٢)
 يوف طيه الاخوان المفلج^(٣)
 سوى أرج من طيب رملك يارج
 فليس بها الصالحين مرج

الا ايها المبشرون بيومه
 كلحكم امسى اطمأن مهاده
 كآني به كالليث يجمي مريته
 كدأب علي في المواطن قبله
 كآني اراده - والرماح تنوشه
 كآني اراده اذ هوى من جواده
 فحب به جسماً الى الارض اذ هوى
 اظلت عليكم نعمة لا تفرج
 بان رسول الله في القبر مزعج^(٤)
 واشباله لا يزدهيه المجهج^(٥)
 الي حسن والفن من حيث يخرج^(٦)
 شوارع كالاشطان تدلى وتخلج^(٧)
 وتجر بالقرب الجبين المشجج
 وحب بها روحاً الى الله تفرج

(١) نمرج نعمن ظلمتها (٢) سيجج اي لا حر فيه ولا قر

(٣) اي لا يرح مدقته يتألق عليه الاتحوان

(٤) كآني به في ساحة الحرب كالليث لا يشتغفه زجر زاجر

(٥) اي حر في شجاعته كجده الامام علي

(٦) تنوشه تطلبه والاشطان الخبال . وتدلى وتخلج اي غد وتقرق او ترمل وتجذب

اجنوا بني العباس من شنائكم
واكوا على ما في العياب وأشرجوا^(١)
فاحر بهم ان يفرقوا حيث لججوا
الى اهل يوماً فتشجوا كما شجوا
نظار لكم ان يرجع الحق راجع

بني مصب^(٢) ما للنبي واهله
واني على الاسلام منكم لحائف
وفي الحزم ان يستدرك الناس امركم
مدد سواكم أفصحوا، او فلبجوا
وجلهم مستحکم القعد مدمج
ستظفر منكم بالشفاء فتشليج

البصرة وما حل بها يوم دخلها الزنج

وذلك ٢٥٧ هـ^(٣)

ذاد من مقلتي لذينة المنام
شظها عنه بالدموع الشمام
اي نوم من بعد ما حل بالبصرة، ما حل من هنات عظام
اي نوم من بعد ما انتهك الزنج جهاراً محارم الاسلام
ان هذا من الامور لامر كاد ان لا يقوم في الاوهام

لهف نفسي عليك ايها البص
لهف نفسي عليك يا قبة الاله
لهف نفسي عليك يا فرضة البص
لهف نفسي لجمك المتفاني
لهف لهفاً كمثل آهيب الضرام
لام لهفاً بطول منه غرامي
دان لهفاً يبقى على الاعوام
لهف نفسي لترك المستقام

(١) استروا يا بني العباس بنضكم وشدوا على ما في داخلكم من الخدد

(٢) بنو مصب من رجال العباسيين

(٣) نشبت هذه الثورة بزعامة علي بن محمد احد المدعين لقب المهدي وكان قيامه في ايام
المكثفي فتفاقم امره واكتفح البصرة وما اليها ولم يتمكن الباسيون ان يخضروه الا بعد مشقة
طويلة

بينما اهلها باحسن حال
دخلوها كأنهم قطع اليب
اي هول رأوا بهم ، اي هول
اذ رموهم بنارهم من بين
كم اغصوا من شارب بشراب
صبرهم فصكايد القوم منهم
ما تذكرت ما الى الزنج الا

اذ دماهم عبيدهم باضطلام
ل اذا راح مدلم الظلام
حق منه يشيب رأس الغلام
وشال - من خلفهم وامام
كم اغصوا من طاعم بطعام
طول يوم حكاية الف عام
أضرم القلب ايسا اضرام

عرجا صاحبي بالبصرة الزم
فاسألاها - ولا جواب لديها
اين ضرواء ذلك الخلق فيها
اين فلك فيها ، وفلك اليها ،
اين فلك القصور والدور فيها
بذلت ناكم القصور تلالا
وخلت من حلولا ، فهم قفر ،
غير أيد وادجل بئسات
ووجود قد رملتها دماء
وطئت بالهوان والذل قسرا
فقرأها تسفي الرياح عليها
خاشعات ، كأنها باكيات

راه تعريج مدنف ذي سقام
نؤال - ومن لها بالكلام ؟
اين اسواقها ذوات الزحام ؟
مشتات في البحر كالأعلام ^(١)
اين ذاك البنيان ذو الأحكام
من دمار ومن تراب ركام
لا ترى العين بين تلك الأكام
نبئت بينهن أفلاق همام
يألي نكصكم الوجوه الدرامي
بعد طول التبعيل والاعظام
جاديات جهوة وقنام
باديات الثغور ، لا لا بتسام

اي خطب ، واي رزم جليل
ثالثا في اولئك الاعمال

(١) إشارة الى انها كانت قروية عظيمة

واحيائي منهم - اذا ما انتقينا
اي مذر لنا ، واي جواب
« يا عبادي؟ اما غضبت لوجهي
اخذتكم اخوانكم ، وقدمتم
وهم ، عند حاكم الحكام (١)
حين تدعى على رؤوس الاقام
ذي الجلال العظيم والاكرام
منهم - ويحكم - قعود اللتام (٢)

بأبي تلکم العظام عظاما
وعليها من المليك صلاة
انفروا ايها العسكرام خفافا
أبرموا امرهم ، وانتم نيام ،
صدقوا ظن أخوة أملوكم
ادركوا ثأرهم « فذاك لديهم
لم تقرؤا العيون منهم بنصر
انقدوا سبيهم - وقل لهم ذا
حارهم لازم لكم ، ايها ■
ان قدمت من اللعين فانت
بادروه قبل الرؤية بالحرز
لا تطيلوا المقام عن جنة الخ
فاشترؤا الباقيات بالعرض الاد

وسقها السماء صوب النمام
وسلام مؤكّد بسلام
وتقالا الى المييد الطمام
سوءة سوءة لنوم النيام (٣)
ورجوكم لنوبة الاقام
مثل ردّ الارواح في الاجسام
فاقرؤا ميونهم بانتقام
ك - حفاظاً ودية للذمام
س لان الاديان كالارحام
محرّكاه اللعين في الآقام
م ، وقبل الاسراج بالالجام
لدا ، فانتهم في غير دار مقام
في ، ويبروا انقطاعه بالدوام

(١) اي يرم الحساب امام الله

(٢) هذا البيت وما قبله خطاب من الله للمسلمين ثم يعود الشاعر في كل الايات التالية بمريضهم

على مساعدة اهل البصرة والاعتناء لهم من عدوهم

(٣) قضا امرهم واتم في غفلة عنهم

عتابه لابي القاسم التوزي الشطرنجي

يا اخي اين ربيعُ ذاك اللقاء ؟ اين ما كان بيننا من صفاء ؟
 ان مصداق شاهدٍ كان يحكي أُنْكَ الخلف الصريح الاناء ؟
 كشفت منك حاجتي هَنَواتٍ غُطيت برمة بحسن اللقاء
 تركتني - ولم اكن سبي الظن - اسيء الظنون بالأصدقاء (١)

. . .

يا اخي اهلك لم تهب لي من سه يك حظاً حكاثر البخل
 أفلا كان منك رد جميل فيه لنفس راحة من حنا ؟
 يا أبا القاسم الذي كنت ارجو له لدعري قطعت من الرجاء
 لا اجازيك عن غرورك اياً ي غروراً - وقيت سوء الجزاء
 انت عيني وليس من حق عيني غصُ اجفانها على الاقضاء
 ما بأمثال ما أنيت من الاء ر يحلُ الفتى ذرى العلياء
 لا ، ولا يكسب الحماد في الناء س ولا يشترى جميل الشاء
 ليس من حل بالحل الذي اذ ت به من سعاة ووفاء
 بذل الوعد للأخلاء ممحاً واني بعد ذاك بذل الفناء
 فقد اكل خلاف (٢) يروق للبر ن وبأبي الإغفار كل الإباء
 ليس يرضى الصديق منك بيشير تحت مخبئه دفين جفاء
 يا اخي ا يا اخا الدمان والرقعة والظرف والخباء والدعاء
 رجا هالتي وحير عقلي اخذك اللابيع بالأساء
 عن تدابيرك اللطاف اللولي هن أخى من مستير الهباء
 بل من السر في ضمير حبيب اذبه عقوبة الافشاء
 غلط الناس تست قلب بالسط رفح ليكن بانفس اللباء

(١) اي ان حاجتي اليك كشفت لي فيك عن سيئات جعلتني بدها اسيء الظن بالأصدقاء.

(٢) نوح من شجر الصنماف

لك مكر يدب في القوم اخفى من ديب الذئب في الاعضاء
او مع القضاء في ظلم الغي ب الى من يريده بالتواء
او سرى الشيب تحت ليل شباب مشعر في لثة سحاب
دب فيها لها ومنها اليها فاكتست لون رقة شطاب

ضلة لامرئ يشتر في الج مع ليش مشتر للفناء
دائماً يكتر القناطير الوا رث ، والعمر دائب في انقضاء
يحسب الحظ كله في يديه وهو منه على مدى الجوزاء
ليس في آجل النعم له حظ وما ذاق عاجل النعماء
ذلك الحائب الشقي ، وإن كا ن يرى انه من السماء
حسب ذي إربة ورأي جلي نظرت مینه بلا فلوآء
صحة الدين والجوارح والبر ض وإحراز مصكة الجواب^(١)

يا ابا القاسم الذي ايس يخفى منه ممكنون خطاة عوصاء
اترى كل ما ذكرت جلياً وسواه من غامض الانحاء
ثم يخفى عليك اني صديق رجاء عز مثله بالفلأء؟
لا لعمر الاله ! لكن تماثي ت بصيراً في ليلة قراء
بل تماثيت ، غير اعمى عن الحق نهاراً في ضحوة غراء
ظالماً لي مع الزمان الذي ابت حقوق الحكرام للؤماء
تقلت حاجتي عليك فاضحت وهي حب من فادح الأعباء

ظلمت حاجتي فلاذت بحقوقك فاسلمتها لكف القضاء^(٢)

(١) اي حبه صحة الدين وان يمرر ما يحفظ لنفسه

(٢) ظلمت حاجتي فظلمت بك ولكنك نبذتها وتركناها للقضاء

وقضاه الله احوطاً للناس من الأثمهات والآباء.
غير ان اليقين اضحى مريضاً مَرَضاً بائناً شديد الخفا.

كنتُ مستوحشاً فظهرتَ نجسا زادني وحشة من الخاطا.^(١)
وعزّيتُ عليّ مَضيكَ باللو م ، ولكن أصبتُ صدري بداء
انت أدويت صدر خلك فاعذر ه على الثفت ، انه كاللدوا.^(٢)
ان تكن لفتة اصابتك من مذ لي ، فسا قدحت في الاحشاء.
والذي اطلق اللسان فصاير ثك مذك أول الفها.^(٣)
لم أخف منك غلطة حين طاب تلك تدعو العتاب باسم الفها.
وانا المرء لا اسوم قتالي صاحباً غير صفوة الاصفاء.
ذا الحبا منهم وذا الحلم والط م - وجهل ملامة الجلاء.
ان من لام جاهلاً لطيب يتعاطى علاج داء عفاء
لست بمن يظل ربيع باللو م على منزل خلاء قواء

في وحيد المغنية

وكان الشاعر يتمناها ويتمن غناءها

يا خليلي ! تبتني وحيد ففزادي بها معنى هيد
خادة زائها من النصن قد ومن الطي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الحدين بن ذاك السواد والتوريد
فهي بردٌ بخذها وسلام وهي للماشقين جهد جهيد
ما لما تصطليه من وجنتيها غير ترشاف ريقها تعريد

(١) كنت انا مستوحشاً من الناس فظهرت لي من جس حقي ما زادني نفوراً منهم

(٢) أدويت اي امرضت

(٣) والذي اطلق لساني بشاك لي اعدك انهم الفها

مثل ذلك الرضاب أظناً ذاك الـ
وغرير مجنبا قال : صفها
يسهل القول انها احسن الاشـ
تجلى للناظرين اليها
ظبية تسكن القلوب وترعا
تنفسي حسانها لا تنفي
لا تراها - هناك - تحفظ عين
من هذر وليس فيه انقطاع
مدني شأو صوتها نفس كا
وارق الدلال والنج منه
فتراه يموت طوراً ويحيى
فيه وشي وفيه حلي من النـ
في هوى مثلها يخف حليم
ما تما على القلوب الا اصاب
وتر العزف في يديها مضاو
حيها أنها - اذا غنت الاء
واستأذنت قلوبهم من هواها

وجد ، لولا الاياه والتصريد (١)
قلت : أمران ، بين وشديد (٢)
ياه طراً ، ويصبب التعديد
فشقي مجنبا وسعيد
ها ، وقصرية لها توريد
من سكون الارحال ، وهي تجيد
لك منها ، ولا يدر رويد (٣)
وسجور ، وما به تليد
فـ ، كأنفاس عاشقها مديد
وراء الشجا ، فصكاد بيد
مستلـ ببطه والنشيد
م مصوغ يختال فيه القصيد
راجح حله ، وينوي رشيد
هواها منهن حيث تويد
وتر الرجف ، فيه سهم شديد
دار - ظلوا وهم لديها عبيد
يرقاها ، وما لديهم مزيد

وحسان مرئني لي ، قلت : مهلاً
حسنا في العيون حسن جديد

من وحيد ، خلفها التوحيد
فلها في القلوب حب جديد

(١) ان مثل ذلك الرضاب يظفره نادر الوجد لولا المنع . والتصريد التقليل

(٢) الشرير المفرور

(٣) لا تراها تشكف وتجد نفسها حتى تحفظ منها ما وتقتله . اوردها فتستغ

خَلَقْتَ فَتْنَةً ، غِنَاءً وَحَسَنًا مَا لَهَا فِيهَا جَمِيعًا نَدِيدٌ
 فِي نَفْسِي ، عَيْدٌ مِنْهَا كَبِيرٌ وَهِيَ بِلَوِي ، يَشِيبُ مِنْهَا وَلِيدٌ
 لِي - حَيْثُ انْصَرَفَتْ مِنْهَا سَرِيقٌ مِنْ هَوَاهَا وَحَيْثُ حَلَّتْ قَعِيدٌ
 عَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، وَقَدْ مَيَّ ، وَخَلْفِي ، فَأَيْنَ مِنْهُ أَحِيدٌ؟

بعض مقطعات الحكيم

١

في الناس

حَدَّثَكَ مِنْ صَدِيقِكَ مَسْخَافَ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّعَابِ
 فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
 إِذَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدًا عَدُوًّا مُبِينًا ، وَالْأُمُورَ إِلَى انْقِلَابِ
 وَلَوْ كَانَ الْكَثِيرُ يَطِيبُ كَانَتْ مَصَاحِبَةُ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّوَابِ
 وَلَكِنْ قَلْبًا اسْتَكْثَرْتَ الْإِلَا سَقَطَتْ عَلَى ذُنُوبٍ فِي ثِيَابِ
 فَدَعْ عَنْكَ الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٌ يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٌ مُسْتَطَابِ
 وَمَا اللَّجَجُ إِلَّا بِسُرُودِيَاتِهِ وَتَلْقَى الرِّيَّ فِي الثُّغَابِ الْمَذَابِ^(١)

٢

في الحياة

إِنَّ السَّعِيدَ لَمَدْرَكٌ دَرَكَا وَآخِرُ السَّعَادَةِ هُوَ فِي الدَّرَكِ
 وَالشَّرُّ بَيْنَ النَّاسِ مَشْتَرِكٌ وَالْخَيْرُ فِيهِمْ غَيْرُ مَشْتَرِكِ

(١) إِنَّ لَجَجَ الْبَحْرِ مَعَ كَثَرَتِهَا لَا تَرَوِي وَتَلْقَى الرِّيَّ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْمَاءِ الْمَذْبَةِ

والى الخرد مآل ذي لب والى السكون نحر ذي حرك
وغدا الرجال على مكانتهم - يتبادرون مطارح الشبك
والعين تبصر ابن حبتها لكنها تسمى عن الشرك

٣

في نفع الشدائد

عرفتُ مقادير الرجال بتسكية أفدتُ بها قُشاً وان عُدَّ مغرماً
كفاني لسري أيها الناس خبرني بكم بعد جهلي واغتراري مغناً
ألا طال ما حملت قلبي ظالماً فكأيف من إعظام من ليس مُعظماً
فقد حطها في الآله بجمعة أراني بها رشدي ، وما زال منها

٤

في قصر العمر

دهر يشبع سبته أحده متابع ، ما ينتضي أمده
والحال من سعد يساعدها طوراً ، ونحس مقبر نكده
يوم يُسْكِننا وآونة يوم يبْكِننا عليه غده
نسكي على زمن ومن زمن فبصكاؤنا موصولة مُدَّه
ونرى مكارها مخلدة ، والعمر يذهب فانياً عدده
أفلا سبيل الى تبجينا في سمر لا ينتضي أبده
سكري شباب لا يعاقبه حرماً ، وعيش دائم رفده
لا خير في عيش نُحْمَرنا اوقاته ونقولنا مُدَّه
يُعطى الفتي الايام ينقها وقصاها ان يقتوى جلده

القناعة بالصحة

إذا ما سالك الله سربال صحة ^٦ ولم تخل من قوت يحل ويفرب
فلا تقبلن المترفين فانهم على حسب ما يكسبهم الدهر يسلب

انما المرء بنفسه

وما الحبيب المودود لا حرّ حره
إذا المود لم يشمر — وإن كان شبة
وافقت لصري شبة من ذوي الملا
وللنجد قوم سادروه بانفس
فلا تتشكل الا على ما فطته
فليس يسود المرء الا بنفسه
بمعتسب الا بآخر مكتسب
من المشرات — اعتده الناس في الخطب ^(١)
فلا ترض ان تمتد من اوضع الشب
كرامه ولم يرضوا بأم ولا بأب
ولا تحسن المجد يورث بالنسب
وان عد آباء كراماً ذوي حمب

حب الوطن

وحب اوطان الرجال اليهم
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
مآدب قضاهما الشباب هنالك
جهود الصبي فيها لحقوا لذلك

(١) إذا الفصح لم يشمر هذه الناس خطياً ولو كان أصله من شجرة مشرة

المتني

ابو الطيب احمد بن حسين

٥٣٥٤ — ٥٣٠٣

٩١٦ م — ٩٦٦ م

مصادر دراسته - نشأته - في حلقة سيف الملوثة - في بلاط مصر -
 بين العراق وبلاد فارس - نزاهة الحلقة - عصيته -
 شهرته الادبية - شخصيته في شعره
 اطوار شعره

مصادر دراسته

الوساطة للجرجاني

الفهرست (لیدن) ١٩٩

يتيمة النهر للشهابي ج ١ ص ٧٨ - ١٩٤

العمدة لابن رشتي ج ١ ص ٨٧ - ١٣٣ - ١٩٤ ومواضع شتي

تذهة الالباء الانباري ٣٦٦

وفيات الاعيان ١ - ٦٢ والرسالة الخاقية فيه (في سيرة الخاقمي)

مفتاح السعادة (لطاش كبري زاده) طبع الهند ج ١ ص ١٩٢

الصبح المنبي للبديعي الدمشقي على هامش شرح المكبري

خزانة الادب للبغدادي (مصر ١٢٩٩) ج ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٩

ومن الشروح شرح الواحدي والمكبري واليازمي

ومما كتب فيه حديثاً

رسالة ابراهيم اليازمي في فيل شرحه للمتني

ابو الطيب المتني لمحمد كمال حفي

حصاد المشيم للمازني ١٨٤ - ٢٢٧

المتني لشفيق جبري مجلة الجمع العلمي مج ١٠ ج ٥ - ١٢

ذكرى ابي الطيب لعبد الوهاب عزام

مع المتني لطفه حين

الانس المفيد ٣٣٠ - ٣٩٣

المتنطف - مج ١٧ - ٣٦١

العدد الخاص بيوبيله الاثني من مجلات المتنطف ، والمجلد ، والحديث ، والعصبة

غير ما كتب في كتب التاريخ او دوائر المعارف لكتاب عرب ومستشرقين

نشأته الأولى

لم يسكد ينصف القرن الرابع الهجري حتى كانت الدولة العباسية تتنازعها عوامل الانحلال . فكانت دار الخلافة بغداد بين مولد المتني ووفاته ، اي ايام المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي والطيع تحت نفوذ بني بويه اصحاب السيادة في فارس ، وكانت حلب والموصل وما اليها في يد بني حمدان - ومصر واكثر الشام والجزائر في يد بني طنج ، وسائر الاقطار لغيرهم من الامراء المستقلين . ولم يبق للخلافة من رونق ، وكثر الادعياء والثائرون حتى مئت الفوضى السياسية . بين هذه الاضطرابات السياسية القومية نشأ شاعراً ، وكان مولده في مدينة الكوفة بالمراق ، وفيها نشأ نشأته الاولى . وكان يتردد بين البادية والحضر^(١) ، فاكسب من الاولى صلابتها وتوهمتها البدوية ومن الثانية علومها وثقافتها الادبية . ولا نعلم من صباه كثيراً ، ولكن التالي الذي ولد قبل وفاة المتني باربعة سنوات والذي دون في كتابه الشهير « بشيعة الدهر » اخبار شعراء عصره ومن تقدمهم قليلاً ذكر ان اياه سلمه الى المكاتب ودّعه في القبائل ، وانه توفي وقد تهرع ابو الطيب وشعر وبرخ^(٢) . ونقل البغدادي من الي القاسم الاصفهاني انه كان يختلف الى كتاب فيه اولاد اشراف الكوفة فكان يتعلم دروس الملوك لغة وشعراً واعراباً الخ^(٣) . ويذكر البديعي الدمشقي في الصبح المتني انه تعلم القراءة والكتابة وانه اخذ اكثر علمه من ملازمة الوراقين^(٤) (بامه الكتب) . وفي مقدمة شرح اليازجي للديوان انه اتي كتبتين من اكابر علماء الادب منهم الرجّاج وابن السراج والافضل وابن دريد وابو علي الفارسي وغيرهم ، وتخرج عليهم فخرج فاددة الزمان في صناعة الشعر . فيستدل من هذا ان شاعراً تعلم القراءة في المكاتب على عادة الصبيان ، وكان ذكياً محباً للاستزادة فلزم الوراقين بطالع دفائهم وحضر حلقات العلماء في زمانه .

وهناك امر آخر نعلم عن صباه ، وهو تردّده الى بادية الحارة واقامته زمناً بين اهلها . ويستنتج من مختلف الروايات ان تردّده كان أولاً الى بادية الكوفة ، ثم انتقل وهو

(١) البيهقي ج ١ - ٧٨ (٢) البيهقي ج ١ - ٧٩

(٣) خزائن الادب ١ - ٣٨٢

(٤) الصبح المتني (عن هاشم الصكيري ١ - ٩)

حوالي السابعة عشرة من عمره الى بلاد الشام . وفي هذا الطور من حياته شيء من الغموض
اذلا تراه مستقراً في مكان خاص ، فتارة في المدن ، وطوراً بين قبائل البادية ، يدح
بعضاً من ذوي النفوذ ، ولكنه لا يوجد في مدحهم ما يروي ظمأ نفسه التزامة الى العلى .

وهكذا يمس له الدهر فيشب ناعماً ثائراً ، ويتاح له ان يتصل في البادية بقبائل
بني كلب ، ويدرك نزعاتهم الى التمرّد ، فيتمكن ببلاغته وحماسة الشباب فيه من
تحريكهم تحريكاً يلفت نظر الحكّام ، فيقبض عليه باسم والي حمص ويلقى في السجن
وهو في نحو التاسعة عشرة .

ولم نتحقق حكم بقي فيه تماماً ، ولكننا نستنتج انه بقي فيه مدة غير بعيدة (نحو
سنتين) . وكان اول دخوله السجن يظهر الاستخفاف باحواله - ومن اقواله في ذلك الحين
ايات كتبها الى صديق له يدعى ابا دلف كان يتهدده وهو في السجن (١) .

كن ايها السجن كيف شئت فقد ^(٢) وطئت للموت نفس معترف
لو كان سكتاني فيك منقصة لم يكن الدرّ ساكن الصدف
على انه لقي في السجن عذاباً شديداً ، فقد وضعوا القيود في رجليه وعنقه (٣) . ولما
طال اعتقاله نفذ صبره فادرس الى الوالي قصيدة يستطع ويستند اليه بصغر سنه قال منها -

اهلك رقي ومن شأنه	هابت اللعين وعنت العبيد
دهوتك عند انقطاع الرجاء	والموت مني كعجل الوريد
دهوتك لما براني البلاء	واوهن رجائي ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النعال	فقد صار مشيها في القيود
تعجل في وجوب الحدود	وحدي قبل وجوب السجود
وقيل عدوت على المالمين	بين ولادي وبين المقود
فالك تقبل زور الكلام	وقدر الشهادة قدر الشهود

وهذه الايات نفتات رجل متضايق نفذ صبره وخاف منية الامر . ثم راح يستشير
عواطف الوالي ورجحه فقال

(٢) الصبح المتني ١ - ٢٤

(١) شرح الواحدي (برلين) ٨٠

بيدي ايها الامير الارببُ لا شيء الا لاني قريب
او لامر لها اذا ذكرتني دم قلبي بدمع عين يذوب
ان اكن قبل ان رأيتك اخطأت فاني على يدك اتوب

قال ابن خلكان ثم استأنبه الوالي واطلقه ^(١) . ولكن من اي شيء استأنبه ؟ هنا
تضارب آراء المؤرخين . فابن خلكان يجعل ادعاء النبوة سبب سجنه وقد تبين في ذلك
كثيرون ، وهو قول يحتمل الشك . فان بين معاصري ابن خلكان او من تقدمهم من
يزعم غير ذلك مدليل قوله « وقيل غير ذلك » ^(٢) . اما الثعالي فيجعل السبب انه دعا الى
بيعته قوماً من رائي تبلى ولما ذكر النبوة قال : ويحكى انه تنبأ في صباه وفن شرفة
بقوة اذبه وحسن كلامه ^(٣) . وفي كلام الثعالي إشعار بالشك في الحكاية ، وقد نقل
تعزيزاً لهذا الشك ما رواه ابن حنبل في تليد المتني وشاوح ديوانه اذ قال سمعت ابا الطيب
يقول انما ثبت بالمتني اقولي ^(٤)

ترب الندى ورب القواني وسام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثود

ومن المدة ^(٥) ، زعم ابو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي ان الطيب متني
متنبياً لفطنته

ويتناول البديعي صاحب الصبح المتني المتوفى ١٠٧٣ هـ ، اي بعد المتني بكثير من
سبعة قرون « هذه المسألة وينقل لنا بعض حكايات من نبوته لا يسع التأمل الا ان يقرده
في قبرها على علقتها ، اولاً لقراخي المدة بينه وبين الشاعر ، وثانياً لما فيها من الاضطراب ،
وثالثاً لانه ليس في ما ذكره معاصروه ما يشبهها . والذي يصح ان نستنتج عليه من
الروايات المختلفة ان المتني وهو في اوائل شبابه ظهر في البادية على راس فئة من الاعراب

(١) وفیات الاعيان ١ - ٦٤

(٢) « « « « (٣)

(٣) البیئة ١ - ٨٠

(٤) البیئة ١ - ٨٠ وشرح المكبري ٢٠١ ج ١

(٥) السدة ١ - ٤٥

فاقعة على اولي الامر^(١) ، وانه كان بفضته وفصاحته يستهزئهم الى غاياته من حب الظهور
والرئاسة . ولكن امره لم يتم فالقي القبض عليه واودع السجن ثم خرج منه ، وما عثم ان
انصق به اسم المتني^(٢)

بعد السجن الى اتصاله بسيف الدولة (٣٢٣ - ٣٣٧)

ولما اطلق سراحه اخذ يحول في اقطار البلاد الشامية مادحاً اعيانها . بقي على هذه
الحال بضع سنوات^(٣) ، حتى اتصل سنة ٣٢٨ بالامير العربي بدر بن هار وكان يتولى
الجيش في طبريا ، فازمه ومدحه ، وقد رأى فيه ضالته المشردة من حكرهم ورجولة ومجد
قومي . ولكن اتصاله به لم يطل^(٤) ، فقد دخلت بينهما مكاييد الحساد والمناوئين حتى
اضطر الى تركه والرجوع الى ما كان عليه من التثقل في الاقطار . وله في هذه المدة من
الشعر ما يكاد يبلغ نصف ديوانه واهم بمدوحه فيها -

بدر بن هار ٦ قصائد . آل اسحق التتويحي ٧ . ابنا يحيى البحراني ٣ . عبدالله بن
خلكان ١ . شجاع الطائي ٢ . مساور الرومي ٢ . الخيث السجلي ٢ . علي بن محمد التميمي*
الامير محمد بن طنج وابو العشار الحمداني ٦ ونحو ٢٥ بمدوحاً قصيدة قصيدة

وشعره في بعض هؤلاء من الطبقة الاولى - كقصائده التالية

في الحد ان عزم الخليلط رحيلاً

بقائي شاء ليس هم ارتحالاً

لا افتخار الا لمن لا يضام

(١) راجع الواحدي ٨٣ وتعليقه على حمزه واجتماع القصائد اليه

(٢) تلفت النظر هنا الى رأي المستشرق بلاشير الذي يرى ان اولي الامر توجهوا الى ابياته في
بني كلب علاقة بمركبة القرامطة (راجع دائرة المعارف الاسلامية - تحت المتني)
وتحقيق الاستاذ محمود شاكر اخذاً برواية الانباري ٣٦٩ ان المتني لم يدع النبوة بل ادعى
للنفس العلوي وانه لاجل ذلك حبس ثم استنقذ (المقتطف مج ٨٨ ج ١ ص ٦٩)

(٣) زارني اثناها الكوفة وبقي فيها مدة بغرب جدته

(٤) لعله لم يكن اكثر من سنتين الى ثلاث

افاضل الناس اقراض لذا الزمن
لك يا منازل في القلوب منازل
اطاعن خيلاً من فوادها الدهر
بالي الشمس الجانحات غواربا

وغير ذلك من القصائد العائرة التي يرددها الخاص والعام في كل مكان

على انه لم ينل في هذه السنوات ما يستحق الذكر . وما زال هذا دأبه ينتقل من مكان الى آخر حتى القته المقادير اله انطاكية « وكان فيها ابوالمشار الحمداني والياً من قبل سيف الدولة ، فدحه المتني . ولحسن حظه قدم انطاكية في تلك الاثناء سيف الدولة ، فقدم ابوالمشار المتني اليه واثني عليه ، وكان ذلك بدء اتصاله بهذا الامير الشهير ، وبدء سعادته من جاوره مال وغيره .

في حلقه سيف الدولة (٣٣٧ - ٣٤٦)

كانت حلب ايام المتني عاصمة لامارة مربية تشمل الجزيرة وشالي سوريا ، اميرها علي ابن حمدان الملقب بسيف الدولة . وقد اشتهر هذا الامير بمجده في محاربة الروم حتى بلغت غزواته نحو اربعين ^(١) . وكانت ساحة جهاده منطقة الثغور - اي المدن والحصون الواقعة على حدود الروم (الاناضول) ، ومنها انطاكية وزبطره وملطيه والحدث وغوشنه ومرعش وغيرها ، مما يرد ذكره كثيراً في شعر المتني . ولم يكن سيف الدولة موقفاً في كل غزواته الرومية ، ولكنه احرز في تاريخ العرب مجد المجاهد الكبير . والذي بلغت النظر تنازع امراء المسلمين انفسهم يومئذ وتناحروا على السيادة - فبنو حمدان في حلب ، وامراء مصر الاخشيديين « وبتتويبه في بغداد كانوا في تواح مستمر وعداوة مستحكمة . وقد تمكن سيف الدولة بسخائه وعطفه على الادب ولكونه امارته موئل الروح العربية في ذلك العصر ، ان يجمع حوله حلقة من كبار الادباء والعلماء ممن كان يجزل لهم العطايا ،

(١) البيهقي ١ - ١٧

تلقوا اسمه في سماء الادب. ومن هؤلاء ابن عمه ابو فراس ، ومطلبه ابن خالويه ، وابو الفرج
البيهقي ، وابو عبد الله الخليل ، والوارث الدمشقي ، وابو بكر وابو عثمان الخالديان ،
وابو الطيب اللقوي ، والسري الرقاء ، وابو علي الفارسي ، وابن نباتة ، ثم ابو الطيب
المتني ، والصوري ، والفارابي ، والاصفهاني صاحب الاغاني واسناده .

ولما اتصل به شاعرنا قال الخطوة عنده والرعاية الخاصة : جاء في الصبح المتني ان
سيف الدولة قرّبه واجازته الجوائز السنية ، وعالت نفسه اليه واجبه ، فسلمه للروض فعملوه
الفرسية والطراد والمثاقفة ^(١) وقد صعب المتني اميره في بعض غزواته وظهر من
الفرسية والشجاعة ما يذكر له : روى انه في إحدى تلك الغزوات تراجع الخيش ولم
يثبت غير سيف الدولة وستة رجال احدهم المتني ^(٢) . وقد يشك في هذه الرواية ولكن
ما لا شك فيه ان شعره يفيض بروح الشجاعة والاقدام ، ولا زى في حياته ما يناقض
ذلك .

. . .

دخل المتني حافة سيف الدولة ، وفيها من ذكرنا من كبار الشعراء والادباء ، فظم
على البعض منهم ان ينال ما ناله من الامير ، وزاد غيبتهم منه وكرههم له ما في نفسه من
صلابة وتعاضل . وانك التلح في شعره ما كان يقاسيه منهم ، وقد اضطر ان يطنهم
بقوافيه كقوله -

ازل حسد الحساد عني بكيتهم كانت الذي صبرتهم لي حمدا
وقوله -

اني كل يوم تحت ضربي شومر ضيف يثاويني قصير بطاول
وقوله -

باي افظ تقول الشعر زعفة تجوز حنك لا عرب ولا عجم

(١) راجع الصبح المتني ١ - ٥٤

(٢) « « « « ١ - ٥٥

الى غير ذلك من سجات التحقير التي قلما تخلو منها قصيدة من قصائده في سيف الدولة . ولم يكن حساده يسكتوا عنه ، فخذوا يسيكيدون له ويحارلون الايقاع به ، ولا سيما يوفراس الشاعر المشهور ^(١) . فن ذلك ما نقله البيهقي عن ابن الدعان في المسأله الكنديه : « قال يوفراس لسيف الدولة ان هذا المنسيحي كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ^(٢) » . وفي خزانه الادب ان ما قاله في اربع سنين ٣٥ الف دينار ^(٣) - فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل به .

سيف الدولة بعد ان خص الشاعر بالمطف « وبعد ان نظم فيه نحو ٤٨ قصيدة مامرة (وهي لا تقل عن ثلث ديوانه) تولاها الخراف عنه واصفى الى اقوال خصومه فيه . ولم يحذر الشاعر استعطافه وتثنييه بالرجيل عنه ، فتجبرأوا عليه حتى كان ما كان من ضرب ابن خالويه له بالفتاح في حضرة سيف الدولة . ورأى المتني انه لا يستطيع دعاماً وانتقاماً في حضرة امير نافر منه ، وخصوم يتربصون به ، فترك حاب بدوى السير الى اقطاع له ^(٤) ، وفي نفسه ما فيها من الفيط ، وقصد الشام فالرملة . ثم طلبه كافور الى مصر فملكاً اولاً ، ثم رحل اليه ونفسه تسول له انه سيلبغ هناك من الجود ما يفيظ الحاسدين - وقد صرح بذلك اذ قال

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدى وآمل عزاً ينخضب البيض بالدم
ويوماً يفيظ الحاسدين وحالة اقم الشفا فيها مقام الشعم

ولكنه لم يبلغ ما كان يروم

في مصر (٣٥٦ - ٣٥٠)

مر معنا ان مصر كانت في يد الاخشيدية بني طنج ، وهم امراء يرجع نسبهم الى

(١) يرى الاستاذ محمود شاكر ان المتني كان يجب خروقه اخذ سيف الدولة وان سيف الدولة وعده مراً بما فاضل ذلك بلم اي فراس وكان سبباً في المداوة بين الرجاين المتطف مع ٨٨

ج ١ ص ١٣٤ (٢) راجع الصبح المتني ١ - ٦٥

(٣) خزانه الادب ١ - ٣٨٤

(٤) خزانه الادب ١ - ٣٨٤

«لوك فرغانة» - ولا هبط المتني مصر كان أميرها الحفقي قاصراً «وقيم المملكة الاستاذ
كافور» وهو عبد اسود كان مولى لني ملنج «ولكنه كان - على ما يظهر - داهية فاستبد
بامور مصر واصبح هو الأمر الناهي» او كما قال شاعرنا فيه

يدبر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فالنوب

قال ابن خلكان وكان يدعى له على المنابر بحكمة والحجاز جميعه والديار المصرية
وببلاد الشام (١).

قصده شاعرنا كافوراً فتنازعه عاطفتان - الاولى ما كان يشعر به من الغيظ لما اصابه
في حلب « والثانية رغبة ان يحصل بواسطة كافور على ولاية . اما فيظه من سيف الدولة
فلم يصل الى حد البغض ، اذ بقيت في نفسه بقية من الحب والوفاء له . وقد صرح بذلك
في بعض قصائده لكافور كقوله

فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معتم
رعى راتقي ومي ومن دون ما اتقي هوى كاسر كفي وقوسي واسهمي

ولذا وصف الشامي شعره «بجمال الرمز والاشارة كجسمه بين مدح سيف الدولة
حين فارقه ومدحه لكافور (٢)» . واما رغبته في الولاية والامارة فكان بلنج اليها
قلبيحاً لم يخف على احد كقوله -

وما رغبتي في مسجد استفيده ولكنها في مفخر استجده
وقوله

وفير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا
وقوله

قالوا هجرت اليه الفيت قلت لهم الى غيوت يديه والشايب
الى الذي تهب الدولات راحته ولا ين على آثار موهوب

(١) وفيات الاميان ٢ - ١٨٨ . راجع سيرته في خطط القرزي ٢ - ٢٦

(٢) البتية ١ - ١٨٨

الى غير ذلك من الايات التي تُشعر بما كان يتطاول اليه او ما كان يحدث نفسه به .
وقد نقل البديعي انه طلب ان يوليه صيدا من بلاد الشام ، او غيرها من بلاد
الصيد (١) .

وبين هاتين العاطفتين - الفيظ والطبع - مدح كافور بـمشر قصائد هن من انخر ما
نظفه وسياتي ذكرها .

على ان اتصاله بهذا الامير لم ينله مراده . نعم قال منه كثيراً من الخلع والجوائز
والاموال ، ولكن الامر الذي كان يصبر اليه ، تلك الامنية التي شغلت عقله - ولا سيما
بعد ان وعده كافور بان يبلفه جميع ما في نفسه (٢) - لم يأنس في وجه ممدوحه غير الاعراض
عنها ، فاضطربت روحه حتى صار يستغل وجوده في مصر ويشتي الخروج منها .

ولخط ذلك منه كافور غشاف ان هو اطلقه ان ينقلب عليه بالطن ، وهو المستبد
بحكم مصر دون ملكها الحقيقي ، فتمعه من الرحيل . وظل على هذه الحالة المزعجة سنته
الاخيرة في مصر لا يلقى كافوراً الا ان يركب فيلج معه في الطريق لتلا يومه (٣) . وله
في ذلك قصيدة قراء يصف بها حانه ويصف حبي اصابته ، مطلعها

ملومكما يحل من الملام ووقع فماله فوق الكلام

وهي من بدائمه وسيرد ذكرها . وكان في اثناء ذلك يعد العدة للهروب حتى تمكن
منه يوم عرفة سنة ٥٣٥٠ هـ ، ففقد العراق ووصف مسيره بقصيدة مطلعها

الا حكل ماشية الحيزلي فدى كل ماشية الهيدلي

وفيهما بعدد الاماكن التي سُر بها ، ويصف شجاعته واقدامه بايات تنضح بالصعبر
كقوله

تطم مصر ومن بالعراق ومن بالمرام اني الفتي

(١) المسج المتني ١ - ١١٥

(٢) ع ١ - ١١٣ وفيات الايمان ١ - ٦٤ وفي السدة ١٠ - ٢٥ انه وعده

بولاية بعض اماله (٣) شرح البازيحي ٥٤٨

واني وفيت واني آبيت
ومن بك قلب كقلبي له يشق الى العز قلب الثرى

ثم يحتسبها بهجاء كافور ، وله في هجائه بضع قصائد اوحاها اليه حب التنشي والفشل

بين المراق وبهجة فارسي - خاتمة حياته (٣٥٠ - ٣٥٤)

ترك مصر في اواخر ٣٥٠ هـ قاصداً الكوفة فوصلها في جمادى ٣٥١ واقام فيها ^(١) ، ثم ام بغداد . ولا نعلم متى كان ذلك بالضبط ، ولكننا نعلم انه بقي في المراق نحو ثلاث سنوات - والارجح انه قضى منها سنتين في الكوفة . وكانت بغداد يومئذ بيد مصر الدولة البويهية ، وكان وزيره المهلبى يأمل ان يقصده المنشي ويعدده اسوة بالكبراء الذين مدحهم ، ولكن الشاعر ترفع عنه ذهاباً لنفسه كما قال النعماني عن مدح غير الملوك ^(٢) ، او كفوره من سخافة المهلبى واستهتاره بالهزل ^(٣) ، فنقم الوزير ذلك منه وحرض عليه شعراء بغداد حتى قالوا منه وتباروا في هجائه وقاجنوا وتنادروا ، فلم يجيبهم ولم يفتكر فيهم ^(٤) . وقيل له في ذلك ، فقال اني فرغت من اصابهم بقولي لمن هم ارفع طبقة منهم في الشعراء -

ارى المشاعرين قُفروا بدمي ومن ذا يحمد الداء المضاللا
ومن بك ذا فم سر مريض يحمد مراً به الماء الزلالا
وبقولي -

واذا اتتكَ مذمتي من نقص فهي الشهادة لي باني كامل

قال ابن رشيق ان المنشي حين بلي بحجقات ابن حبيب البغدادي سكنت عنه اطراحاً واحتقاراً ، ولو اجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر ، لانه ليس من انداده ولا من طبقة ^(٥) .

(٢) البقية ١ - ٨٥

(٣) البقية ١ - ٨٥

(١) الصبح المنشي ١ - ١٢٢

(٣) خزنة الادب ١ - ٣٨٦

(٥) الصبغة ١ - ٧١

وحدث له مع أبي علي الخفقي حادثة ذكرها ابن خلكان في سيرة الخفقي وذكرها
البيهقي في الصبح المتنبي ، وسرد ذكرها في كلامنا على اخلاقه .

ولا لم يطلب مقامه في بغداد فارتها ليلاً متوجهاً الى أبي الفضل ابن المييد مراعاةً
للوزير المهدي ، فردد أرباب ومدح ابن المييد بأربع قصائد ، واحمد ، وورده عنده .

وكان صاحب بن عباد يطعم في زيارة المتنبي اياه في اصبهان ، واجازته مجرى مقصوده
من رؤسا الزمان ، وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن قد استور بعد ، فكتب
اليه يلاطفه ، لكن المتنبي لم يقم له وزناً ولم يجبه من مراده ^(١) فكان ذلك سبب عداوة
الصاحب له والظمن فيه وانثائه رسالة في مساري شعره .

وسار شاعرنا الى شيراز قاصداً ضد الدولة فتلقاه بالترحيب . ونظم المتنبي فيه ثمانين
قصائد ، فاجزل له الطاء ثم رجع من شيراز بثروة كبيرة تبلغ مئتي الف درهم ، ما عدا
الخلع والمدايا والتمتع ^(٢) . وفي طريقه الى الكوفة خرج عليه فانك الاسدي في نحو
عشرين من رجاله وكان مع المتنبي ابنه محمد ونفر من غلخانه وجمال تحمل امواله وتحفه ،
فجرت بينهم موقعة انتهت بقتل الشاعر وابنه وبعض اتباعه . هكذا قضى ابو الطيب .
وعلى مقربة من سواد بغداد وفي رمضان من سنة ٣٥١ خمدت تلك النفس التي نشأت
تزعجة الى المجد ، حريصة على غرور الدنيا ، حملت صاحبها ثارة على فحش الاحوال والضرب
في الآفاق ، وطوراً على الوقوف في ابواب الملوك والامراء طمعاً ، في « مفتر يستجده »
او جاء يناله . ولكنه آب بالفشل وترك لنا بفشله من الحكم الباقية ما لا تزال السنة
الزمان تردده في كل مكان .

مزاياه الخلقية

برغم ما كان يظهر في شعر المتنبي من التزلف والاستجداء وبرغم بعض مساوئه التي
قلنا يخلو منها انسان ، نرى له صفة عامة تتغلغل جميع صفاته وتجلى لنا عند التأمل في ذاته ،
واهم ظواهرها - التعاطف والطمع بالمجد مقرونين بشي . من عدم الكياسة . واليك بيان
ذلك :

تعاطفه او اعتدائه بنفسه

لم يكن المتنبي وحيداً بين الشعراء في هذه المزية ، ولكنه بلغ منها ما لم يبلغه سواه حتى ولا اوراق . وفي اخباره شواهد لا تترك للشك مجالاً - منها ما يلي

١ - انه لما اتصل بسيف الدولة اشترط عليه ان لا يشده الا وهو قاعد وان لا يقبل الارض بين يديه ^(١) . وقد ذكر ابن خلكان انه لما انشد قصيدته « لكل امرئ من دهره ما تعودا » قال بعض الحاضرين يريد ان يكيد به : لو انشدها قائماً لأسمع ، فقال ابو الطيب اما سمعت اولها : لكل امرئ من دهره ما تعودا ^(٢)

ويظهر مما نقله البديعي ان سيف الدولة كان حينئذ يفتاخ من تعاطفه ويخفو عليه اذا كلفه ^(٣) . وامل لذلك علاقة بشجاع اعدائه في تنفير الامير منه ، كما ان نفسه في مصر علاقة بما كان يراه كافور من تعاليه في شعره ^(٤) .

٢ - سوء سياسته وعدم مداراته . فانه بعد ان كان ايام نحوله يمدح القريب والبعيد ويصطاد كما قال الثعالي ما بين الكركي والعنديل ^(٥) ، اخذت نزعة الكبر تشتد فيه حتى صار في ايان شهرته يرفع عن غير الملوك والامراء ، وينظر الى سواه نظر الكبير الى الصغير . وكان ابو علي الفارسي يستغله لا يأخذ به نفسه من الكبر ^(٦) : ومن شواهد ذلك ما جرى له مع وزير كافور ومع الوزير المهلبى والصاحب بن عباد وسواهم .

ومن رسالة الخاقاني يلح ما كان يرى فيه زملاؤه من روح التشامخ . وهذه الرسالة كتبت في مسامحة المتنبي ، وكتبها من ادياء بغداد الذين اغرام المهلبى به . قال صاحبها : لما ورد احمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير ابي محمد المهلبى التحف رداء الكبر واذا في قول التيه ، ونأى بجناحه استكباراً ، وثنى عطفيه جبرية وازوداراً ، فكان لا يلاقي احداً الا اعرض عنه تيهاً ، وزخرف القول عليه قوياً - يخيّل

(٢) وفيات الاعيان ١ - ٦٦

(٣) وفيات الاعيان ١ - ٦٥

(٤) الصبح لمتنبي ١ - ٢١٠

(١) الصبح لمتنبي ١ - ٤٢

(٣) الصبح لمتنبي ١ - ٧٣

(٥) البنية ١ - ٨٢

عجباً إليه ان الأدب مقصور عليه ، وان الشعر بحر لم يود غير مائه غيره . . . فنجد جازياً على هذه الوثيقة مدة مديدة - الى ان يقول : وتقلت وطأته على كثير من وسم نفسه بجسم الأدب . وساء منزل الدولة احمد بن يونس ان يود حضرة ، وهي دار الخلافة ومستقر العزيز وببضة الملك ، رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان - وكان عدواً مهابتاً لعر الدولة - فلا يلقي احداً بملكته يساويه في صناعته . وتخلل الوزير المهلب رجلاً بالغيب ان احداً لا يستطيع مساجته ولا يرى نفسه كفواً له . . . فنهدت له متبهماً عواره ومقلماً اظفاره .

ثم يذكر انه قصده على بطة سفراء في مركب رائع ، وان المتنبي لا رآه داخلاً وارى شخصه لكي لا يفت له . ثم يصف كيف قوبل هو بالترحيب والتكريم ، وان المتنبي لما دخل جالس في صدر المكان ، وامرض عن الخاتمي والى الا ازورراً واستكباراً ، حتى كان ما كان يمشي من المناشة والمناجاة . والرسالة طويلة قد دخل في نحو ١٢ كراسة وقد نقل ابن خالكان قسماً منها ، وكذلك البديعي في الصبح المبني ^(١) .

وقال البديعي : كان الرجل سي . الرأي وسرو . رأيه اخرجته من حضرة سيف الدولة ، وشدة تمرضه لعداوة الناس ^(٢) .

ولا شك ان الحمد وحده لم يكن السبب في عداوة اديباء حلب او بغداد له ، ولو كان المتنبي على شيء من اللطف لما وصل الى ما وصل اليه ، فقي طبعه كما قال ابن رشيق غلظة ^(٣) ، وفي شعره ترى هذا الخلق ظاهراً في كل ادوار حياته .

٣ - شعره بالتفوق

ومن رسالة الخاتمي المار ذكرها يظهر لك اثر هذا الشعور في نفوس البغداديين - قال الشاعري كان يخاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبوب ، وهو مذهب تفرّد به رفقا لنفسه عن درجة الشعراء ^(٤) . فمن قوله في صباه -

(١) وفيات الاعيان ٢ - ٣٣٢ وعامش شرح المكبري ١ ص ١٥٤ - ١٧٣

(٢) الصمد ١٣٣

(٣) الصبح المتنبي ١ - ١٢٣

(٤) البتية ١ - ١٣٩

أعطى عنك تشييعي يا وكنا
فأحد فوق ولا أحد مثلي
وقوله -

ان اكن معيأ فمجب حبيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
كبرياء ولدت فيه وظهرت في صباه فراقته الى آخر حياته . وديوانه مشع بهذه
الروح - ماتت جدته فاضطرب لموتها وراثتها فلم يتالك عن ان يصيح في وجه الزمان

لأن لذي يوم الثامنين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغبنا
تقرب لا مستظماً غير نفسه ولا قابلاً الا حلقه حركنا
يقولون لي ما انت في كل بلدة وما تبغني؟ ما ابغني جل ان يسى
كان بنهم عالون بانني جلوب اليهم من مصادنه اليما
واني لمن قوم كان نفوسهم بها أنف ان تسكن اللحم والمظنا
كذا انا يادنيا اذا شئت فاذهبي ويا نفس زبدي في كراحتها قدما
فلا هبت لي ساعة لا تغزني ولا صحتني بهجة تقبل الظلما

ومدح ابا سهل الانطاكى فلم يلبث حتى تقل عليه طبعه فقال

ابدو فيسجد من بالسوء بذكرتي فلا اعاتبه صفحاً واهوا
وهكذا كنت في اهلي وفي وطني ان النفس غريب اينما كانا
محمد الفضل مكذوب على اثرى القى الكسي ويلقاني اذا حانا

وهذا الشعور بالفوق كثيراً ما يظهر في شاعرنا بظهور الشجاعة البالغة حد التهور .
انظر اليه في مجلس سيف الدولة - في جو مشع بروح الداء له وحوله خصوم الداء
كأبي فراس وابن خالوه واضراهما ، وقد حملوا سيف الدولة على الاعراض عنه وسوء الظن
به ، فلم ينخفض له جناح ، ولم تستولر عليه رعدة بل عاتب الامير ثم اشار الى من حوله
وقال بنفس تفيض كبراً

سيعلم الجمع من ضم جلستا بانني خير من تسعى به قدم
الذي نظر الاعى الى ادبي واسمت كلاني من به صمم
وجاهل مدته في جهله ضحكى حتى اتته يد فراسة وقم

إذا رايت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث ينم
 كم تطالبون لنا عيباً فيمجزكم ويصكره الله ما تاتون والكرم
 ما ابعد العيب والتقصان من شرفي انا الثريا وذان الشيب والمهرم
 ومنها يلتح بعزمه على الرحيل —

لئن تركنا ضحيراً عن ميامننا ليعثن لمن ودعته قدم
 وهذه القصيدة شهيرة وفيها تتجلى نفسية هذا الرجل القوية .

ومن أدلة شجاعته بل تهوده ما ذكره ابو نصر الجليبي الخالدي عن مقتلته ، والرجل شاهد ميان رأى الشاعر قبيل مقتله وحادثه وقد حذره من فاتهك الاسدي ورجاله ونصح له ان يستصحب معه من يخفوه ، فاجابه المتنبي والله لا ارضى ان يتحدث الناس الى سرت في خفارة احد غير سيفي - معاذ الله ان اشغل فكري بهم لحظة عين . قال فقلت له قل : ان شاء الله . فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ، ثم ركب فكان آخر العهد به . ذكر ذلك البديعي في حديث طويل ^(١) . وقد حاول بعضهم ان ينسب اليه الحواف والحذر ولكن سيرته لا تدل على ذلك ، وقد صدق الباقلاني اذ قال « وكان المتنبي من اهل الشجاعة » ^(٢)

طموحه الى المجد

خلق المتنبي طموحاً الى المراتب العالية طامعاً بالحصول على مجد الدنيا .

اهم شيء والليالي كأنها تطاردني من كونه وأطارد
 وحيد من الحلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

صفة ظاهرة في كل حركاته واقواله — فنذ كان فتى في السابعة عشرة من عمره يجدنسا شاهد حيان بهذيانه في ذلك ^(٣) . وما الحركة التي سجن لاجلها الأ دليل على هذه النزعة

(١) الصبح المتنبي ج ١ من ٢٢٨ - ٢٣٩

(٢) الصبح المتنبي ١ - ٣٥

(٣) اعجاز القرآن ١٣٦

في نفسه . ولا فشل في أول عهده تحول نظره الى المال ، والى وجوب حشده لا بخلًا او حبًا بالمال لنفسه . ولكن توصلاً به الى غايته . ولطه تذكر حادثة جرت له في الكوفة وهو غلام رواها البديعي في الصبح المتنبي ^(١) . وخلاصتها انه اراد ان يشتري بطيخاً من بائع فلما ماومه على الثمن جيبه البائع واحتقره ، ثم جاء تاجر غني فرحب به البائع وباعه البطيخ محمولاً الى البيت بالجس . عرض عليه المتنبي . ولا رجع كلمه المتنبي في ذلك فقال اسكت — هذا يك مثه الف دينار . فوقع في نفس شاعرنا منذ ذلك الحين حب المال والحرص عليه ، وان الناس لا يحقرمون غير صاحبه . وفي شعره ما يدل على ما كان في نفسه من ذلك كقولہ —

واتمب خلق الله من زاد هته	وقصّر عما تشتهي النفس وجده
فلا ينحل في الجود مالك كله	فينحل مجد كان بالمال مقدمه
ودبره تدبير الذي المجد كنه	اذا حارب الاعداء والموت زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله	ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقد ذكروا بعض حكايات من حرصه وحشده ^(٢) ، ولكنها عند التدقيق لا تدل إلا على حزمه وحسن تقديره للمال ومعرفته بأحوال الدنيا . ولعل بعضها من تلقين حساده كقصته مع سيف الدولة ، رويت عن أبي الفرج البينا وصور فيها المتنبي أولاً رجلاً ذا كبر وإباء لا يدريه كما فعل سائر الشعراء ، ثم تتغير الصورة بفته فيظهر فيها دنيئاً جشماً — كل ذلك في مدة لا تتجاوز الدقائق القليلة .

كلام المتنبي حشاداً للمال غفافة الفقر ، وقد قال

ومن يتفق الساعات في جمع ماله غفافة فقر فالذي فعل الفقر

ولكنه كان يعرف قيمته وقائمه في اكرام الناس له . كان شاعرنا معجباً بنفسه حريصاً ان يعجب الناس بها ايضاً . وراى في المال وسيلة لبوغ ذلك فصار بعد خروجه من السجن محبوب الافطار للحصول عليه ، ولكنه بقي حتى اتصاله بسيف الدولة لا ينال من ممدوحيه

(١) الصبح المتنبي ١ - ٨٣

(٢) القيمة ١ - ٨٥ والصبح المتنبي ١ من ٧٣ - ٨٣

الا شيء . اليسير . ورأى سني شبابه تطوى على الفقر والفشل فقلب عليه الكدر من الناس ولا سياً اولى الامر منهم ، وكثر تشكيكه من الزمان واشتداده عليه ، فظهر ذلك في شعره كما سيحي .

ولما اتصل بسيف الدولة اخذت الدنيا قينم له ، وقال عند مدوحه ما كان يصبو اليه من كرامة ومال ، فطابت نفسه وقصر شعره على ذلك الامير العربي بصف عزرائته ويدح اخلاقه . وباقبال الدنيا عليه لم يخذل في نفسه ذلك الكبر الذي طبع عليه فكثر حساده ومبغضوه . ولم يكن دمثاً او لين العريكة بل غلبت عليه صلابة الرأي ، مما ادى الى فتور الامير فخره واشتداد الحساد عليه ، فاضطر كما ذكرنا الى ترك حلب وقصد مصر طامعاً بالجد من طريق الامارة — وقد مرت بنا ما كان من امره في مصر ثم بالمرات وفارس ولم يكن فشله في مصر كافياً للقضاء على آماله قضاءً مبرماً ، ولكنه شلّ مطامعه الى حين ، ودفعه الى استعظام القوى في الكوفة وبغداد نحرّاً من ثلاث سنوات .

ثم تراءت له فارس ورأى الفرصة السانحة فتصد عضد الدولة ورأى في حضرته ما جدد آماله . ولا نعم ما كان يدور في خلده يومئذ ، وقد نال الغنى الوافر واصبحت شهرته قلا الخافقين . يحدثنا المؤرخون انه ترك بلاط الدولة فاصداً الكوفة — لاي غرض ؟ لا ندري . ولكن البديهي يوري في الصبح المنبي^(١) انه استأذن عضد الدولة في المسير ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود اليه فاذن له . فما الذي كانت تسول له نفسه ؟ وما كان يؤمل ان يلبثه على يد هذا الملك البويهبي الكبير ؟ ذلك ما اسدل عليه الحسام حجاباً لا سبيل الى نفاذه .

عصيفر ونسبه

في نفس المنبي وفي شعره توعة عربية شديدة . ولا غرابة فهو عربي بني ينسبي الى قبيلة جُمَني من جهة الاب وعمدان من جهة الام . زد على ذلك انه كان في عصر ضفت فيه شوكة العرب واصبحت اكثر البلدان الاسلامية في ايدي امراء من الفرس والترك ،

فأوقد ذلك في نفوس العرب غيرة قومية زادهما اضطراباً تلك المشادة بين الشعوبية والعربية ، وما كان يرسي إليه الفريقان من الانفراد بالذكر والفخر ، ولا تعلم هل كان شاعراً من الذين اشتبكوا في هذه الحركة الكلامية أم لا ، ولكننا نعلم انه حكيم متعصباً للعرب والحياة العربية . وقد ثوى هذا التعصب فيه اقامته في البادية مدة طويلة ، وتعود عاداتها ثم اتصاله بسيف الدولة زعيم العرب في عصره . ولذا يكثر في شعره الفخر بأصله العربي ودم الاعاجم ، كقوله وقد جرى ذكر ما بين العرب والاكرواد من الفضل ، فقال مخاطباً سيف الدولة

ان كنت عن خير الانام سائلاً غفرهم اكثرهم فضائلاً
من كنت منهم يا هيام وائلاً الطاعين في الوعى اوائلاً
والعاذلين في الندى العواذلاً قد فضلوا بقضلك القبايلاً

وفي قصائده لسيف الدولة تراءى يكرر كثيراً ذكر العرب مفاخراتهم كقوله

رفعت بك العرب العباد وصيرت قم الملوك موافق النيران
الحاب غفرهم اليك وانما اناب اصلهم الى عدنان

ومثل ذلك كثير في شعره . ومن امثلة تعصبه للعرب قوله يمدح علي بن ابراهيم التنوخي

احق طاف بدمك الحميم احدث شيء عهداً بها القدم
وانما الناس بالملوك وما تصاح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا جهود لهم ولا ذمم
لكل ارض وطنها امم ثوى بعد كأنها غمم

وتظهر نزعة البدوية في مدحه للاعرابيات ومقابلتهن بالحضریات ، وله في ذلك ابيات مشهورة تذكر بعضها هنا وهي من قصيدته « من الجأذر في زي الارابي »

ما اوجه الحضر المستعصبات به كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بنظرة وفي البداوة حسن غير مجلوب
لئن المعيز من الآرام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب

فندي طلبه فلاة ما عرفني بها مضغ الكلام ولا صنع الحواجيب
وقوله -

ان الذين اقت واخجلوا ايلهم بديارهم دول
الحن يرمل حيثما رحلوا معهم ويترل حيثما تولوا
في مقاتي رشاً قديرها بدوية فتنت بها الحلال
تشكو المطامير طول هجرتها وصدورها ومن الذي تصل ؟
ما اسأرت في القعب من لبن نوحكته وهو المسك والعمل

فالمتنبي يمثل في شعره عواطف العرب وخيالهم ، وهو كثير التحنان الى معيشتهم
فقد بنسبه اليهم (وقد دعا نفسه في قصيدته - مغاني التنب - « الفتى العربي ») . يرى
في فرسانهم منتهى الشجاعة وفي رحبانهم غاية الجلال . فقرأه من هذا القبيل . يخالف
ابا نواس وسواه من الذين عاشروا الجوارى الامعيات وانفسوا في اللهو معهن .

وعلى ذكر الجوارى واللهو نقول انك لا تجد في حياة المتنبي او شعره ما يدل على
ميل الى ترف او عيش ، فقد عاش منذ صباه جاداً رزياً لا يهتم بما كان يهتم به اكثر
الشعراء من شرب مدام او مغازلة حسان ، او انصراف الى المطربات من الاطعان :
كقوله -

وغير فؤادي للغواني رمية وغير بنائي للزجاج ركاب^(١)
تركنا لاطراف القنا كل شهرة فليس لنا الا بين احاب
اعز مسكان في الدنى سرج سابح وغير جليس في الزمان كتاب

وخلاصة المعنى اني غير غزل بالنساء او عجب للخمر قد قصرت نفسي على الجد في طمان
الاعداء وتركنت ما تشبه الانفس من الملهي .

وكان جده مقروناً بالصدق والصراحة . قال ابن جني ما عرفت المتنبي الا صادقاً^(٢)

(١) وروجا ابن جني للرخاخ (من ادوات الشطرنج)

(٢) الخصائص ١ - ٢٤٨

وهنا لا يد من القول ان بعض المؤرخين يزعمون ان اياه كان سقاء في الكوفة ^(١) .
ومما قيل فيه

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكثرة ومشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء . وحيناً يبيع ماء الحيا

على اننا اذا دققنا في ذلك نجد ان اهم الثقات الذين دونوا سيرة المتنبي يرون بهذا
الزعم مرور المشكك . فالشاعبي مثلاً ، وهو كما مرّ بنا قريب العهد بالشاعر (بل
يكاد يكون معاصراً له) لم يزد على ان قال « وبلغ ابا الحسين ابن لئلك بالبصرة ما
جرى على المتنبي من وقعة شعراء بغداد فيه واستحقارهم له ، وكان حاسداً له طاعناً عليه
زاعماً ان اياه كان سقاء بالكوفة ^(٢) . وفي رواية الشعابي ما يُشعر بشكك في صحته .
ومثل الشعابي ابن خلكان فانه لما اورد هذا الخبر قال ويقال ان ابا المتنبي كان سقاء
بالكوفة ثم انتقل الى الشام بولده ^(٣) . ويقول اليدبي وكان والده الحسين يعرف بعدان
السقاء ، ثم ينقل عن ابن خلكان ما ذكره عن ابن لئلك وطمته على المتنبي ^(٤) . وفي
ايضاح المشكل للاصبهاني انه كان في الكوفة يختلف الى كتاب فيه اولاد الاشراف ^(٥) .
فاذا دقت في هذه الروايات لم نجد فيها خيراً عزوماً فيه ، بل لا تجد الا اقوالاً يصح ان
نشكك فيها ، ويزيدنا تشكيكاً ان سقاء بالكوفة لا يحظى عادة بوضع ولده في مكاتب
الاشراف ، ولا ينتقل به الى بلد بعيد ، فوجدته بين المدن والقبائل . ولنا هنا بمعرض
الدفاع عن والده وتذنيه عن تعاطي مهنة كالتساقية ، ولكننا لا نستطيع الا ان نظهر
شككنا بذلك اعتماداً على الروايات التي بين ايدينا .

على ان الرجل كان على ما يظهر فقير الحال مضروب الذكر ، ومع ذلك لم يتأخر عن
تسهيل وسائل العلم لولده ، فنشأ الولد (شاعراً) بين المكاتب والوراقين . ولما ترمح
وقال من الادب قسطاً ظهرت عليه بوادر الطموح الى العلى ، ورأى تطاول المائليك والموالي

(١) وفيات الاعيان ١ - ٦٥ والبيبة ٨٦

(٢) البيبة ١ - ٧٦ (٣) وفيات الاعيان ١ - ٦٥

(٤) الصيغ المتنبي ١ - ٦ و١٧٨

(٥) راجع خزائن الادب ج ١ - ٣٨٢

على اسياهم ، وكثرة القافين بالدعوات في المملكة العباسية والامارات المختلفة ، حدثت نفسه ان يقوم باعراب البادية ، ومملكه هذا الوهم حتى حبس وثلب . ولكن حب الرياسة والولاية بقي بدور في راسه ^(١) ، وهو القائل من قصيدة لكافور : -

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يروي من الشعراء

شهرته الشعرية

لم ينل شعر عربي من الشهرة ما قاله شعر المتنبي ، فهو بعيد الاثر في حلقات الادب شائع بين جميع الطبقات . ولم يكن حظه في عصره باقل من حظه اليوم . قال الثعالبى : « فليس اليوم مجالس المدرس اعر بشعر ابى الطيب من مجالس الانس ، ولا اقلام كتّاب الرسائل ابوى به من السن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده وردينه ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصاح من ابكار كلامه وتُحرقه ، وتفرّقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه ، والنضع عنه والتعصب له وعليه . وذلك اول دليل دل على وفور فضله وتقدم قدمه ، وتفرد من اهل زمانه بملك رقاب القوافي ورقى المعاني » ^(٢) . وبعد موت المتنبي باكثر من قرن ترى الواحدى يقول في مقدمة شرحه : « وان الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الاشعار صفحة الاعراض مقتصرين منها على شعر ابى الطيب فاثبت عما يروى لسواه » .

ومن دلائل شهرته ان كبار المفسرين في زمانه وبعده كانوا يستعينون بالفاظه ومعانيه ، ومنهم خصمه ابن عباد ، وابو بكر الخوارزمي ، وابو اسحق الصائغ ، وابو العباس ابراهيم الضبي ^(٣) . وقال ابن خلكان « واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه ، وقال لي احد المشايخ الذين اخذت عنهم : «وقفت على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره » ^(٤) .

(١) البيضة ١ - ٨١ (٢) البيضة ١ : ٧٨

(٣) راجع اسئلة ذلك في البيضة ١ : ٨٧

(٤) وفيات الاعيان ١ - ٦٣

ولما تناول البديعي شهرته نقل ما أورده من كلام الثعالبي وزاد عليه اسماء شراحه
ونقاه (مثبتاً بذلك كلام ابن خلكان) ومنهم

ابن جنى — وهو تلميذه واول من شرحه

ابو العلاء المعري — وله في ذلك اللامع الغرزي وسبج احمد ، وكان من المعجزين
بالمتنبي

الواحدي — المتوفى ١٦٨ — صاحب الشرح المشهور

ابو زكريا التبريزي — ٥٠٢ — تلميذ المعري وشارح المطلق والحاسة

القاضي ابو الحسن الجرجاني — ٣٦٦ — صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه

المكبري — ٦٦٦ — صاحب الشرح المشهور

ومنهم ابن فورجه البروجردي ، والصاحب بن عباد ، والمغربي صاحب الانتصار ،
والخاقاني ، والسيدي صاحب الايانة ، وابن الانبار صاحب الاستدراك علي ابن الدهان .
ويسوق البديعي اسماءهم الي آخر القافيه ثم يقول « سوى الشروح التي لم نسمع بذكرها .
ولم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الاسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة ولا
تداول في السنة الادب » من نظم ونثر اكثر من شعر المتنبي (١).

ولابن رشيقي القيرواني صاحب العمدة جملة مشهورة في المتنبي وهي « ثم جاء المتنبي
فلا الدنيا وشغل الناس » . وطبعي انه لم يشغل الناس علي غير طائل ، وما تصدق له
خصومه او دافع عنه مريدوه الا لملو مكائنه وابعده صيته ، حتي اصبح غرضاً لاقتلاهم
وفاية تقسابق اليها جيادهم

واذا رجعت الي قائمة شراحه ونقاده العديدين تجدهم ثلاث فرق

١ — الذين تحاملوا عليه وراموا الخط من قدره « ومنهم اصحاب ابن عباد والخاقاني
والسيدي وابو هلال العسكري وابو الفرج الاصفهاني ، ولعل ذلك كان سبباً
لاغفال ذكره في كتابه الاغانى

٢ - الذين لهجوا بفضله وبألقابهم ، ومنهم ابن جني وابن رشيق والواحدي
والمعري وابن وكيع والمكبري وابن خلكان والبيهقي

٣ - المعتدون الذين راموا التوفيق بين الطرفين ومنهم الجرجاني والتمالي وابن الاثير
وهم الى قائمة مدّاحه اميل .

تناول هؤلاء العلماء شعر المتنبي واسهبوا في ذكر حسناته وسبّحاته - والقالب فيهم
ان يجذو المتأخر حذو المتقدم - حتى لم يتركوا زيادة لمستزيد ، على انهم قصرُوا عنهم على
النقد اللغوي والبياني ولا سيما على السرفات الشعرية ، ولهم في هذه الاخيرة خط وادغام
لا طائل تحتهما . وقد اجاد البيهقي في التمييز بين المدح والمذموم من ذلك وبجث في
هذه المسألة بجث المنطقي المحقق (١) . وخلاصة ما ذكره ان المتنبي حسنات وسيئات
وان حسناته تنحصر فيما يلي -

(١) دقة الاشارة (٢) حسن التخلص (٣) حسن اختراع المعاني (التشبيه
والاستعارات) (٤) وصف القتال وادواته (٥) حسن ضرب المثل

ويقابلها من السيئات

(١) التسمية او الالهام في الكثير من ابياته (٢) شذوذ اللغوي (٣) تكلفه
وتعسف (٤) جمعه بين البليغ والسفاه في القصيدة الواحدة

وامثلة الوجهين كثيرة تجدها في الينيسة والوساطة والصبح المتنبي وسواها . وللبازجي
رسالة وافية في ذيل شرحه (العرف الطيب) تناول فيها اقوال النقدة وعرضها عرضاً بليغاً
وقد اشتهرت اقوالهم في ذلك فلترجع في مظانها ، على انه لا بد من القول ان ما
ذكره من حسنات وسيئات يصدق على كل شاعر تقريباً وقد ورد معنا امثلة ذلك في
الكلام على ابي تمام والبيهقي مما يمدد المورد اليه الآن تكراراً لا فائدة منه .

(١) الصبح المبني ٢٧٨:١ - ٣١٩

(٢) راجع قول ابن رشيق العمدة ١ - ٨٧ . وقال السكري في الصناعتين ١١٩ : لا اعرف
احداً كان يتقبع البيوت فيأتيها غير مكترث لها الا المتنبي

شخصية الشعرية

بقي علينا ان ننظر في شعر المتنبي من حيث انه معاصر لشخصية تاريخية تتأثر بالمؤثرات الخارجية .

وهو عند التحقيق اربعة اطوار -

الطور الاول - يمثل عواطف الشباب ونفثات الالم من الزمان ، وقد نظم في انحاء مختلفة من بلاد الشام وفلسطين والعراق ، ويمتد من زمن الحداثة الى الرابعة والثلاثين من عمره .

الطور الثاني - شعره في حلب ، نظمه وهو بين الرابعة والثلاثين والثالثة والاربعين ، وهو يمثل (١) عواطف العظمة والجهاد القومي كما يظهرون في سيف الدولة (٢) عواطف الفوز بالدنيا والقلق من الحساد كما تظهر في نفسه الطور الثالث - شعره في مصر ، نظمه بين الثالثة والاربعين والسابعة والاربعين ، وهو يمثل غيظه من الماضي وآماله الكبيرة بالمستقبل ثم مرارته انفسه .

الطور الرابع - شعره في العراق وفارس . نظمه بين السابعة والاربعين والحادية والخمسين ، أما في العراق فذكريات سيف الدولة ، وأما في فارس فانتعاش ابل لم يلبث ان يجتده الحمام . واليك بيان ما تقدم والتدليل عليه من شعره .

عواطف الشباب ونفثات الالم من الزمان

رأينا في سيرته انه ولد طموحاً متهوساً بالمجد وانه ظل بعد خروجه من السجن حتى الرابعة والثلاثين من عمره فقير الحال يحبوب الانظار معرّضاً نفسه للاخطار والاهوال ، فلم ينل من الدنيا حراماً . في هذا الطور يكثر في شعره ذكر المجاهدة والاقدام والفخر بالرجولة ويقرن ذلك بدم الزمان واهله والمخط على اولي الامر من رؤساء وامراء ، حتى جل ابن رشيق اعم مزاياء الامثال ودم الزمان ^(١) . وفيه زى الكثير من الحكم البالغة التي تنهيب بالشباب الى طلب العلى وتحمل المشاق والبعد عن مواطن الدل والضم . فن قوله في الاقدام وتحمل المشاق .

ومهد جثته على قدمي
بصارمي مرتد بجفري
إذا صديق نكرت جانبه
في سمة الحافقين مضطرب

تعبز منه العراس الذل
مجدى بالظلام مشتل
لم يُصني في فراقه الخيل
وفي بلاد من اختها بدل

ومن هذا القبيل يذكر سيره في البوادي ويصف مرة نفسه وشجاعته ويندم الزمان

أواناً في بيوت البدو رحلى
اعرض للرماح الصم نخري
واسري في ظلام الليل وحدي
فقل في حاجة لم اقض منها
ونفس لا تجيب الى خيس
وقلة فاصر - جوزيت هي

وأونة على قتد البحر
وانصب حر وجهي للبحر
كأنني منه في قمر منير
على شفهي بها شروى نقي
وعين لا تدور على نظير
بشر منك يا دهر الدهور

ومثل ذلك قوله يصف جلده ومضاء عزمه

محاذري حثني كأي حثفه
طوال الزدينيات يقصفها دمي
برتني السرى بري المدي فرددني
وابصر من زرقاء جور لاني
كأنني دحوت الارض من خبثي بها

وتحكزني الافعى فيقتلها سني
وبيض الشريجات يقطعها لحي
اخف على المركوب من تقسي جومي
متى نظرت عينا ساواها علمي
كأنني بني الاسكندر المد من عزمي

وقال في اهل زمانه مستخفاً بهم وبارانهم وهو في هذا الطور يكثر اللوح بذلك
وينظر فيه

فؤاد ما تليبه مدام
وما انا منهم باليش فيهم
ارانب غير انهم ملوك
خليك انت - لا من قلت خلي
وشبه التي منجذب اليه

وهو مثل ما تهب الشام
ولكن معدن الذهب الرام
مشفة عيونهم نيام
وان كثرت التجمل والحكام
ولشبهنا بدنينا الطغام

وعلى هذا الوتر يضرب في قصيدته الشهيرة «يا بني الشمس الجانحات غواريا» فيذكر
الزمان ونحوه عليه ويقول -

كيف الرجاء من الخطوب تخلصاً من بعد ما انشبن في غلابا
اوحدني ووجدن حزناً واحداً متاهياً جفطته لي صاحباً
ونصبتني غرض الرماة تصيبي محن احدٌ من السيوف مضارباً
اغلقتي الدنيا فلما جتها مستقيماً مطرت علي مصائبها

والمتنبي ثلاث قصائد مثل خوالج نفسه في هذا الطور افضل تشيل - الاول في علي بن
احمد المري ومطلعها - لا افنتار الا لمن لا يضام - نقتطف منها هنا الايات التالية

ليس عزمًا ما مرض المرء فيه ليس لها ما عاق منه الظلام (١)
واحتال الاذى وروية جانبه غذاء تضي به الاجسام
ذل من يبط الذليل بعيش رب هيش اخف منه الحمام
من بين يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت ايلام
ضاق ذرعاً بان اضيق به ذرعاً زمانى واستكرمتني العكرام
واقفاً تحت اخصي قدو نفسي واقفاً تحت اخصي الانام
اقراراً الذُّ فوق شرار ومراماً ابني وظلمي بام
دون ان يشرق الحجاز ونجد والعراقان بالقفا والشام

والثانية في ابي مبيداته الخصي قاضي انطاكية - مطلعها افاضل الناس اغراض لدا
الزمن - يذم فيها الناس وامراءهم ، ويصف عزمه ودعائه وصحبته للاعراب ومضاهه في
طلب العلى ومنها

لا اقترى بلداً الا على غور ولا امرئ مجلق غير مضطن
ولا اعاشر من املاكهم ملكاً الا احق بضرب الراس من وثن
قد هون الصعد عندي كل فائز ولئن العزم جد المركب الحشن
كم تخلص وعلى في خوض هلكة وقتلة قومت بالذمر في الجبن

لا يعجبني مضيماً حسن برّته وهل تروق دفيناً جودة الكفن
قد حال ارتجيباً وتحلفني واقتضي ككونها دهري وبطلني
مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم قصائدأ من اثاث الخيل والحصن

والثالثة في علي بن احمد بن عامر الانطاكي - وفيها تتجلى خوالج الشباب باجله
ظواهرها : ترى نفسه تنتفض كبراً وتيباً ، ويتجسم لديك ما فيها من مطامع وآمال .
والقصيدة مشهورة نذكر منها على سبيل المثال الثانية الاولى

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
واشجع مني حكل يوم سلامتي وما تبنت الا ولي نفسي امر
تمرس بالافات حتى تركتها تقول امات المرات ام دُعر الدهر
واقدمت اقدام الأقي كان لي سوى مهجتي او كان لي عندها وتو
ذر النفس تأخذ وسماً قبل بينها ففترق جاران دارهما العمر
ولا تحبب الجود زقناً وقينة فاالمجد الا السيف والفتكة البكر
وتضرب اعناق الملوك وإن تُرى لك الهبات الدود والمسكر الحجر
وتركك في الدنيا دويلاً كعافاً تداول جمع المود اغسله العشر

. . .

وما يلاحظ هنا تلك المرادة التي صحت كل ايام حياته ، وكان منشأها طمعه وما
تسببه من المشاق على غير طائل ، ولا سيما في هذا الطور من حياته . فكان شعره
الوجداني الحقيقي اعني الذي يمتد عن مواطن نفسه مظهرأ لما في نفسه من كبرياء حوّلها
الفشل الى نقمة وسوء ظن . كقوله

فأني ولدتيا طلائي فخرها ومسامي منها في شقوق الارام
ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس رؤى رحمة غير راحم
فليس بحرّم اذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم بأثم

شعره في حلب

وهو كما ذكرنا يظهر في مظهرين كبيرين - (١) الجهاد القومي والشجاعة الحربية
(٢) شعور الشاعر بالفوز وحمله على الحساد .

ترى روح الجهاد القومي والحربي في أكثر مدائح سيف الدولة ، ولا بدع فقد كان
سيف الدولة مجاهداً شجاعاً وكانت حياته حرباً متواصلاً على الروم . وقد صلبه المتنبي
واختبر بنفسه عظام الحرب واهوال الوقائع : وأى الجيوش في ساحة الحرب وخاض غمار
القتال مع المجاهدين ، فشهد الإبطال تشبك بالإبطال والفرسان تطارد الفرسان ، والسيوف
والرماح تسيل بدماء الأعداء - هبط الأودية وصعد في التيجود وذاق مرارة الهزيمة ولذة
الظفر فأبدع في وصف ذلك غاية الإبداع . وقد مدق ابن الأثير إذ قال في الحكم على
شعره « أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من قضاها واشجع من أبطلها »
وقامت أقواله للأسماع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والصلحين قد تواصلوا -
فطريقه في ذلك تفضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع
سيف الدولة بن حمدان فيصف لسانه ، « أدنى ميانه »^(١) . وقال ابن رشد في ترجمة
كتاب الشعر لارسطو ذاكراً وصف الحروب والوقائع « المتنبي أفضل من يوجد له هذا
الصف من التخيل . وذلك كتبه في أشعاره ، ولذلك يحكى عنه أنه كان لا يريد أن
يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة »^(٢) .

وقد ترك لنا من شعره الحربي كثيراً من القصائد الخالدة : يقف فيها معنناً عظيمة
الاسلام في شخص الممدوح ، حاملاً على أعداء الخلافة « مثيراً للعباسة القومية ويشغل
كل ذلك من الحكم البليغة ما يناسب المقام وينفذ الى اعماق النفوس . ولولا شهرة هذه
القصائد وتوفر طالاب الأدب على تدارسها وحفظها لا كنا بالأمثلة الكثيرة على شعر المتنبي
في هذا الطور ، ولكننا نجتزئ هنا بالإشارة الى القصائد التي مطلناها :

(١) المثل للسان ٢٧١

(٢) راجع مقالات على علم الادب لشيخو ٢ - ٢٨٠

غيري بأكثر هذا الناس يتخذ
فدينك من ربيع وأن زدنا كروبا
ليالي بعد الظاعين شكور
لكل امرئ من دهره ما تعودا
دروع الملك الروم هذي الرسائل
على قدر أهل العزم تأتي العزائم
الرأي قبل شجاعة الشجعان
عقبى اليمين على عقبى الونى ندم
ذي المعالي فليعلمون من تعالى

وكلمها بما يجب على المتأدب درسه وحفظه والتأمل في روائع معانيه
أما شعور الشاعر بالتميز والتفوق وحده لذلك على الحساد فيظهر في مثل قوله سيف
الدولة -

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله
أعادي على ما يوجب الحب لافتي
سوى وجع الحساد داور فانه
ولا قطع من حاسد في مودتي
وأنا لنلقى الحادثات بأنفس
أذا القول قبل القائلين مقول
وأهدأ والافكار في تحول
إذا حل في قلب فليس يحول
وإن كنت فديها له وتنبيل
كثير الرزايا عندهن قليل

وقوله -

أزل حسد الحساد مني بكبتهم
إذا شد زندي حسن رايك فيهم
وما الدهر إلا من رواة قصائدي
فأنت الذي صيرتهم لي حسدا
ضربت سيف يقطع الغلام منهدا
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

واقواله في ذلك كثيرة ، وأشدّها قصيدته الميمية وا حرق قلبه - وقد نشأ هذا الشعور
مع المتنبي ورافقه كل أيام حياته ، ولكنه يظهر على أشده في هذا الطور ، وفيه أكثر ما
تركه المتنبي من هذه التفات الالية .

شعره في مصر

وهو يمثل لنا عواطف النبط من الماضي والأمل بالمستقبل ، وفيه تنجلي عبقرية المتنبي على أتمها - من دقة في الإشارة ودروعة في المعاني وجمال في التوقيع .

فيما ترى شعره في الطور الأول ويكثر فيه التقيد اللفظي والمعنوي ، وفي حلب يشكف أحياناً استعمال الغريب للدلالة على غزارة علمه ، تراه في مصر صقيلاً خالصاً من هذه الشوائب جارياً على الطبيعة . فهو يمثل غاية ما بلغه المتنبي من البلاغة . وقد اخطأ البديهي إذ قال « ان احسن شعره في سيف الدولة وقد تراجع شعره بعد ذلك » (١) ، فان المدقق يرى في « كاندرياته » من جلال المعنى وجمال الصياغة ما يشهد انه بلغ به كمال النضج . وانا نجاري في ذلك اليازجي إذ قال « على انك اذا تفقدت تلك المعجبات من ابائنا فاكثرت ما تجدناها في اوائل شعره حين لم تسحكم فيه ملصكة النظم ولم تطرد له وجوه التبعية . وما احسب المتنبي الا كان في صدر امره يتوخى طريقة ابي تمام ، فكان ينحو نحوه في الحوم على موارد الاغراب والتنقيب عن الوحشي من حكم الجاهلية ، والتورك على الصيغ الشاذة والتعذلق في اسلوب الخطاب » - الى ان يقول من شعره في حضرة سيف الدولة « انه كان هناك في محفل حافل بالطاء والشعراء والمنقذين » ولذلك لم يحسن بدء من حشد القرينة في مدح سيف الدولة والاكتثار من التنطس في الفاظه ومعانيه . ثم اذا انتقلت الى شعره في كافور وجدته قد عاد الى السهولة والرشاقة (٢) .

ويكفي للدلالة على ذلك ان تراجع القصائد التالية

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا
فراق ومن فارقت غير مذم
من الجأذر في ذي الاعارب
لودة من الايام ما لا تودة

(١) الصبح المنبي ١ - ٨٧

(٢) ينصرف عن رسالته في ذيل شرحه للديوان ٩٦٦ - ٩٧١

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
مضى كمن لي ان اليباض خضاب

فان هذه القصائد «الكافورية» من لسل قصائده واملاها معنى واجملها ايقاعاً .
ومن بدائعه في هذا الطور ميبته المشهورة في وصف حاله في مصر ووصف حى اصابته ،
نظمها وهو في الخامسة والاربعين خلعت غاية النيات من حسن الانسجام ودقة التعبير
وحسن الاختراع ، وقد ادرجت في باب المختارات من شعره فلتراجع هناك .

الطور الرابع

ويملك شعره في العراق وفارس ، وهو عموماً اعط من شعره في حلب وفي مصر . يشعر
فيه التأمل بقراخي نفسه الشعري ورجوعه احساناً الى النصف والشكف ، فكأنه بلغ
اوجه الشعري في الخامسة والاربعين من عمره ثم اخذ بالانقلاب البطي . قد يكون للسنة
تأثيرها في ذلك ولكن بما لا شك فيه انه كان نفسه في مصر ، ثم ما لاقاه في بغداد اثر
في خضه شوكته ، وتخفيف تلك النائرة الشعرية فيه .

خاتمة في شعره المكسي

اجاد المتنبي في كل انواع الشعر العربي من مدح وغزل ونثر ورتاء ووصف وهجاء ،
وله في الرثاء خاصة مكانة سامية تشهد له بذلك مرثيه التي تعد من افضل المرثي في
الادب العربي — ومنها

نعد المشرفة والعوالي

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب

الحزن يقلق والتجمل يردع

وكلاهما مشهورة فبحري اكثر ابياتها على السنة الادباء .

على ان المتنبي الحقيقي انما هو تلك الصورة التي نرسمها من قراءة حكمه ، وفهم علاقتها
بالزمان — تلك الحقائق الادبية والاجتماعية الناصعة المفقودة في ارشق الالفاظ والسلس

التماييز - نعم انها منتشرة في تصاعيف قصائده ، متفرقة بين اغراضه المختلفة ، ولكن لها علاقة حيوية بكل مقام يكون فيه الشاعر - واذا القينا عليها نظرة عامة وحاولنا ان نختلص منها صورة لشاعرة الكبير نجد فيها الواناً مختلفة تنعكس عن شيء واحد وهو " نزعة الفطرة " - تلك الطبيعة التي كانت تحاول التحالي والحصول على القوة ، ثم لا تلبث ان تعود وفيها شيء من المروءة والالم -

كان المتنبي غرض كبير في الحياة - المجد - لاجله ظهر غروره صغيراً « ولاجله جاب للاقطار كبيراً » ولاجله صعب الملوك وحشد المال حتى تعالى عن طبقة الشراء ، وسأوى نفسه بمددوحيه من الامراء - ولكنه فشل ، وفي سعيه وفشله عرف الحياة واختبر حقيقة المجتمع البشري ، فنظم ذلك « حكماً غالية ادرك الناس صحتها ، فتداولتها الحسن الزمان في كل مكان » واصبحت على كثر الايام امثالاً يرددونها الخاص والعام -

فرّ المتنبي سراب الدنيا فسمى وراه ، وطوى في ذلك السعي شبابه ورجوليته - فاذا الدنيا سراب واذا السعي وراء الباطل باطل - على اننا لنحمد الاقدار على هذا السراب وهذا الباطل ، فلولاها لما كان لنا شاعر الحكمة الكبير ، ولما تحدّر الينا منه ذلك الميراث الادي الخالد -

المختار من شعر المتنبي

نفس عزيزة شديدة المطامع تدفعها شهوة الدنيا الى طلب المجد والقوة ، فتندفع اليها
بغزم الفارس المقدام . ثم لا تلبث ان تصطدم بالفشل فتدع على اعقابها دقيقة المعرفة
بمحوادث الزمان ، صائبة النظر في عواطف الانسان - تلك هي حكم المتنبي البليغة وخراليج
نفسه الكبيرة .

تزعجات شيا به

كم قتيل. كما قتلت شهيد. لبياض الطلى وورد الجودود
وهيون المهي ولا كميون فتصكت بالتميم المعمود
در در الصباء - ايام تجرير ذيولي بدار اثة عودي (١)
عمرك الله هل رأيت بدورا طلعت في براقع وعقود
رايات باهم ريشها الهد ب تنق القلوب قبل الجلود
يترففن من في رشفات هن فيه حلاوة التوحيد (٢)
كل خصمانه ارق من الحمر بقلب اقسى من الجلود (٣)
ذات فرع كافا ضرب العنبر فيه بباء ورد وعود
حالك كانداف جثل دجوجي اثبت جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غداؤها الريح وتفت عن شبيب برود (٤)

(١) ايام منادى اي ايتها الايام التي سكنت اجرت فيها ذيولي سرحا في دار اثة عودي الي

(٢) التوحيد نوع من النسر

(٣) الخصمانه الضامرة او النحيلة . والفرع الشر . والانداف الغراب

(٤) شبيب برود اي ثمر لطيف مذهب الماء

جئت بين جسم احمَد والشعر وبين الجفون والتهد^(١)

هذه مهجتي لديك لئني
كل شيء من الدماء حرام
فاسقنيها فدى لعينك نفسي
شيب رأسي وذلتني ونحوي
اي يوم مررتني بوصال
لم ترعني ثلاثة بصدود
فانقصي من عذابها او فزيري
شربه ما خلا ابنة المنقود
من فزاله وطارفي وتليدي
ودموعي على هواك شهودي
لم ترعني ثلاثة بصدود

ما مقامي بارض غلظة الأ^(٢) كنعان المسيح بين اليهود^(٣)
مفرشي صهوة الحصان والكن قبيضي مسرودة من حديد
اين فضلي اذا قمت من الدهر بعيش معجل التبييد
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه تعودي
ابداً اقطع البلاد ونجسي في نخوس وعمي في سمود
عش عزيزا اومت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للفيظ واشني لنسلك صدر الخنود
لا كما قد حيت غير حميد واذا مت مت غير فقيد
فاطلب الغز في اظي ودع الذل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يميز من قطع^(٤) البخني^(٥) المولود
ويوقى الفتى الخش وقد خوض في ماء كبة الصنديد^(٦)
لا بقومي شرفت بل شرفوا لي وبنضي غرت لا مجدودي
وبهم نكر كل من نطق الضاد وعود الجاني وغوث الطريد
ان اكن مجتبا فمجب عجب لم يجد فرق نفسه من مزيد

(١) احمد اسم الشاعر

(٢) ارض غلظة قرية لبني كلب

(٣) البخني خرقه يفتنح جا الراس

(٤) اي يوقى الشجاع الماخر وقد خاض في دماء الابطال

■ قرب الندى ورب القواني وسلم العدى وغيظ الحود
انا في امة - تداركها الله - غريب كصالح في غود^(١)

وصف الاسد

وكيف صرعه بدر بن عمار ، وذلك على ضفاف الاردن قرب طبريا

في الحذر أن عزم الخليلط رحبلا مطر تريد به الحدود مولا^(٢)
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ما حيت فلولاً
كانت من السكعلا. سولي انا اجلي قتل في فؤادي سولا^(٣)
أجد الحفاء على سواك مروءة والصبر الأ في نواك جيبلا
واري تدألك الحكيث حيباً واري قليل تدأل مولا
حدق الحسان من القواني هجن لي يوم الفراق صابة وفيللا
حدق يذم من القوانل غيرها بدر بن عمار بن اساميللا^(٤)
الفارج الكرب النظام بثلها والتارك الملك العزيز ذيللا
دقت مضاربه فغن كافلا يبدن من عشق الرقاب محولا

اممقر التليث المزير بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الاردن منه بيلة فطست بها هام الرفاق قولا
وزد اذا ورد البعيرة شاربا ورد الفرات زبوعه والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدته فيلا^(٥)

(١) صالح نبي ارسل الى غود فلم يؤمنوا به ولم يسموا الى اقراله

(٢) لان المشراء عزموا على الرحيل مطلق مطر الدموع على خدي فزاده محولا (يمكن مطر

السماء الذي يزيد غصب الارض)

(٣) كانت هذه النظرة كل ما اسأله ولكن ما اسأله كان السبب في هلاكه

(٤) يذم بغير - اي ان المذبح بغيرنا من كل قاتل سوى تقورات الحسان

(٥) هذا الاسد فلك بالناس وتخضب بدماء الفرسان وكنت تراه في غابه كافا عليه غابه من شعره

ما قوبلت حينئذ الا طئسا
في وحدة الرهبان الا انه
يطأ الثرى مترقفاً من تبه
ويؤد عفرته الى يافوخه
وتظنه - مما يزجر - نفة
قصرت مخافته الخطي فكانا
التي فريسته ويرور دونها
فتشابه الخلقان في إقدامه
اسد يرى عضويه فيك كليهما
ما زال يجمع نفسه في زوره
ويدق بالصدر الطير كأنه
وكانه غرته عين قاذي
أنف الكرم من الدنية تارك
والعار مضاض وليس بخائف
سبق التقاض حكة بوثة عاجم
خذلته قوته وقد كلفته
قبضت منبه يديه ومنقه
جمع ابن عمته به وبجأله
وامر مما فر منه فراه
تلف الذي اتخذ الجراءة خلفه

تحت الدجى نار الفريق حلولا
لا يعرف التحريم والتعديلا
فكانه آس يحس عليلا
حتى تصير لرأسه اكليل
عنها لشدة غيظه مشغولا^(١)
ركب الكمي جواده مشكولا^(٢)
وقربت قرباً خاله تطفيل
وتحافا في بذك المأكولا^(٣)
متناً ازل وساعداً وقتولا
حتى حسبت العرض منه الطولا
يغني الى ما في الخضيض سبيلا
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
في ميه العدد الكثير قليلا
من حنقه من خاف مما قتيلا
لو لم تصادمه لجازك ميلا
فاستنصر النملع والتجديلا
فكانا صادته مظلولا
فتجها يهرول اس منك مهولا^(٤)
وصكفته ان لا يموت قتيلا
وحظ الذي اتخذ الفرار خيلا

نطقت بسوددك الحمام نغياً
ماكل من طاب العالي نافذاً

وبما تجيشها الجياد صبيلا
فيها ولا حكل الرجال حلولا

(١) وظنه نفسه لكثرة زجرته انه مشغول منها

(٢) من شدة الخوف أصبح الجواد غير قادر على الجري

(٣) تشابها في الإقدام وتحالفا في تلك كرم نبذل ما تعيده لواء

(٤) يشير الى اسد آخر هرب منه بعد هذه المصادمة

بعض مرانهم في سيف الدولة

وهو يصوره في شعره بصورة البطل القومي والمجاهد الاكبر ضد الروم

قال يذكر بنائه مرعش سنة ٣٤١

فدينك من دبع. وان زدتنا كروبا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا
قولنا عن الاكوار غشي كرامة
نذم السحاب الغر في فطها به
ومن صعب الدنيا طويلا تقلبت
وكيف التذاذي بالاصائل والضمي
ذكرت به وصلا كان لم أقر به
وفشانة العينين فتالة الهوى
فيا شوق ما أبقى ويا لي من الهوى
لقد لعب البين المشت بها وبي
ومن تسكن الاسد الضوازي جدوده
ولست أهلي بعد ادراكي العلي
فرب غلام علم المجد نفة
اذا الدولة استحكفت به في ملئة
شباب سيوف الهند وهي حدائد
ويوهب قاب الليث والليث وحده
ويخشى غباب البحر وهو مكانه

فانك كنت الشرق للشمس والقربا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبسا
ان بان عنه ان نلم به ركبنا
ونعرض منها كلما طلعت مشا
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا
وعيثا حكاكي كنت اقطعه وثبا
اذا نفحت شيئا روائحها شيئا
ويا دمع ما اجري ويا قلب ما اصي
وزودني في السير ما زود الضبا^(١)
يمكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
أكان ترالا ما تناولت أم كسبا
كتعلم سيف الدولة الطعن والضربا
كفاه فكان السيف والكف والقلبا
فكيف اذا كانت قارئة عرابا^(٢)
فكيف اذا كان الليث له صعبا
فكيف بن يثى البلاد اذا هبنا

(١) الضب حيوان معروف ويضرب به الكل في الهجرة ، اي ان البين الذي فرقنا جعلني حائرا

(٢) فكيف لا تحاب وهي عربية كريمة الاصل (اشارة الى سيف الدولة)

هنبأ لاهل الثغر رأيتك فيهم
وأنتك رعت الدهر فيها وريه
فيوماً بجبل تطرد الروم عنهم
سراياك تدرى والد المستق هارب
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقللاً
كذا يترك الاعداء من يسكره القنا
وهل رد عنه باللقان وقوفه
مضى بعد ما التفت الرماحان ساعة
ولصقته وكى ولطعن سورة

وأنتك حزب الله صرت لهم حزباً^(١)
فان شك فليحدث بإحبتها خطبا
ويوماً بجود تطرد الفقر والجلبا
واصحابه قتلى وأمواله نهب^(٢)
وادبر اذ أقبلت يستبعد القربا
ويقتل من كانت غنيته رعبا
صدر العوالي والمطهمة الثبا^(٣)
كما يتلقى الهدب في الرقة الهدا^(٤)
اذا ذكرتها نفه لمس الجنبا

أرى كلنا يبني الحياة لنفسه
غيب الجبان النفس أورده البقا
ويختلف الرزقان والفصل واحد

حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
وحب الشجاع الحرب أورده الحربا
الى ان توى إحسان هذا لذا ذنباً^(٥)

فاضحت كأن السور من فوق بدته
تصد الرياح الموج منها مخافة
كفى عجباً أن يمجب الناس أنه
وما الفرق ما بين الانام وبينه
لأمر أعدته الخلافة للمدى
ولم تفرق منه الاسنة رحمة

الى الارض قد شق الكواكب والقربا^(٦)
وقترع فيها الطير أن تلتقط الحبا
بنى مرعشاً ثباً لأرائهم ثباً
اذا حذر المخدور واستعصب الصبا
وسنته دون العالم العارم المضبا
ولم تترك الشام الاعادي له حبا

(١) ليهنا اهل الثغر بمن رأيتك وانتك يا حزب الله قد صرت حزباً لهم

(٢) المستق زعم الروم

(٣) اللقان اسم مكان . والرماحان اي رماح الفريقين

(٤) الحكيمه يشير الى حرب المستق واقدام سيف الدولة فيقول ان حب الحياة يدفع الشجاع الى الحرب والجبان الى الحرب . فائتها واحدة ولكن فعل الجبان ذم وفعل الشجاع حميد

(٥) اضحت اي مرعش وسورها والمطح النجوم طوا وهو راسخ في احشاء الارض .

(٦) في هذه الايات

ولكن تفاهها عنه غير كريمة
وجيشٌ يشتبي كل طودٍ مكانه
كان نجوم الليل خافت مُفارة
فمن كان يرضي اللؤم والكفر ملكه
كريمُ الثنا ما سب قط ولا سباً
خريقُ رياح واجهت غصناً رطباً
فدَّت عليها من عجابه حُبياً
فهذا الذي يرضي المكارم والربا

وقال بذكر فوزه على الروم

في قلعة الحدث (بالاضولي) وكان المتني قد صحبه في هذه المعركة

على قدر اهل العزم تأتي الغزائم
وتعظم في عين الصغير صغارها
يكتف سيف الدولة الجيش همة
ويطلب عند الناس ما عند نفسه
يفدني أتم الطير عمراً سلاحه
وما ضرها خلقٌ بغير مخالف
ونأى على قدر الكرام المكارم
وتصغر في عين العظيم العظام
وقد عجزت عنه الجيوش الخضام
وذلك ما لا تدعيه الضراغم
نسور القلا أحداثها والقشاعم
وقد خلقت أسبغة والقوائم^(١)

هل الحدث الجراء تعرف لونها
سقتها النمام الفر قبل تولد
بناها فاعلى والقنا بقرع القنا
وكان بها مثل الجنون فاصبحت
طريدة دهر ساقها فرددتها
قفيت الليالي حكل شيء أخذته
وتعلم أي الساقين الغمام^(٢)
فلما دعا منها سقتها الجاجم
وموج المنايا حولها متلاطم
ومن جث القتلى عليها قمام^(٣)
على الدين بالخطي والدهر راغم^(٤)
وهن لما يأخذن منك قوارم^(٥)

(١) لم أن النامور بغير مخالف لما ضرها ذلك لأن سيوفه تقنيها يثث القتل

(٢) وصفها بالجبراء لما تلاخت به من دماء القتلى وكانت قد امتيت بطل قبل ذلك

(٣) النمام هي الترابيزة التي كانوا يتوقفون بها من الجن

(٤) أي كان الدهر قد سلط الروم عليها فرددها برماحك رغم انه

(٥) تبيت الليالي أي تكرها على تركها وغوارم أي ملزمة بدفع غرامه

إذا كان ما تنويه فعلاً مضاداً
وكيف ترجي الروم والروس هدمها
وقد حاكوها والمنايا حواصم^(١)
مضى قبل أن تلتقي عليه الجوازم
وذا الطعن أساس لها ودعائم^(٢)
فسمات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرئون الحديد ككافا
إذا برقوا لم تعرف البيض^(٣) منهم
خيس يشرق الأرض والغرب زخفاً
تجتمع فيه كل عين وأمع
فلله وقت ذوب النش تارة
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا
وقفت وما في الموت شك لو اتفكر
تقر بك الإبطال كلهم هزيمة
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي
ضمنت جناحيهم على القلب ضمة
بضرب أتي الهامات والنصر غائب
حقرت أرونيات حتى طارحتها
ومن طلب الفتح الجليل فاعسا
سروا يجياد ما لمن قوائم
ثيابهم من مثلها والهاشم^(٤)
وفي أذن الجوزاء منه ذمازم
فما يفهم الحداث إلا القواجم^(٥)
فلم يبق إلا صارم أو ضارم^(٦)
وفر من الفرسان من لا يصادم
كأنك في جفن الردى وهو قائم
ورجحك وضاح ونفرك باسم
إلى قول قوم أنت بالنيب عالم
تموت الخواي تحتها والقواجم^(٧)
وصار إلى اللبث والنصر قادم
وحق كأن السيف للرمح شاتم
مفاتيحه البيض الخفاف الصوامم^(٨)

فأنتهم فوق الأحديب حكا
قدوس بك الحيل الكور على الذوى
أفي كل يوم ذا الدمشق مقم^(٩)
أين صكر ربح الليث حتى يذوقه
وقد لجته بابنه وابن صهره
كما نعت فوق العروس الدرهم^(١٠)
وقد كثرت حول الكور المطاعم
قفاء على الاقدام للوجه لاثم
وقد عرفت ربح الليث البهاشم^(١١)
وبالنصر حملات الأمير النواشم^(١٢)

(١) البيض البوش . أي مدرعون بالحديد وعلى رؤوسهم خوذ الحرب

(٢) أي اهلكك الجيش جميعه

(٣) ضارم شجاع

(٤) إشارة إلى فوز سابق للمدوح على هؤلاء

(٥) الأحديب اسم جبل

حفي يشكر اصحاب في قوته الظبي
ويقيم صوت الشرف فيهم
يسر بما اطاعك لا عن جهالة

تسرف عدنان به لا ربيعة
لك الحمد في الدر الذي لي لفظه
واني تعدو لي عطاياك في الوعى
على صكل طيار اليها برجله
الا ايها السيف الذي ليس مضدا
هنيئا لضرب الهام والمجد والعلو
ولهم لا يبقى الرحمن حذبك ما وقى
وتفتخر الدنيا به لا العواصم (١)
فانك مطية واني ناظم (٢)
فلا انا مذموم ولا انت قادم (٣)
اذا وقعت في مسميه الفساقم
ولا فيه مراتب ولا منه عاصم
وراجيك والاسلام انك سالم
وتفليقه هام العدى بك دائم

وقال يمدحه ويعاتبه

على حيف لحقه منه ويظهر ما كان في نفسه من تحمل حاده عليه

واحر قلباه بمن قلبه شيم
ما لي اكنتم حيا قد برى جسدي
ان كان يحبنا حب لفرته
قد زرته وسيرف الهند مضدة
فمكنا احسن خلق الله كلهم
قوت المدور الذي يمتته ظفر
قد ناب عنك شديد الحوف واصطنعت
ومن يحسني وحالي عنده سقم (٤)
وتدعي حب سيف الدولة الامم
فليت انا بقدر الحب نقسم
وقد نظرت اليه والسيوف دم
وكان احسن ما في الاحسن الشيم
في طيه اسف في طيه ريم
لك الهابة ما لا تصنع البهم (٥)

(١) حفي يشكر اصحابه لانهم شغلوا برووسهم السيوف فلم تله

(٢) ريمة قبيلة سيف الدولة والعواصم هي البلاد الناجية للروم وعاصمتها انطاكية

(٣) اشارة الى عطايا من الخيول

(٤) شيم بارود (٥) اليوم الخيوش

ألمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
أكلها رمت جيشاً فانتشى حرباً
أما ترى ظفراً حارواً سوى ظفر
أن لا يوارى بهم أرض ولا علم
تصرفت بك في آثاره المسم
تصالح في بيض الهند واللبم

يا أعدل الناس الا في معاملتي
أعيد لها نظرات منك صادقة
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
سيعلم الجلع من ضم مجلسنا
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
فيك الخصام وانت الخصم والحكم
أن تحسب الشعب فيمن شعبه ورم
اذا استوت منده الانوار والظلم
بانني خير من تسمى به قدم
واسحت كلساني من به صمم

وجاهل مدته في جهله ضحككي
اذا رأيت ليوب الليث بارزة
وهجته مهجتي من هم صاحبها
ومرهقه مررت بين الجحافل به
الحيل والليل والبيداء تعرفني
حتى اتته يد فراسة وفهم
فلا تظن ان الليث يبتسم
ادركتها بجواد ظهري حرم
حتى ضربت وموج الموت ياتظم
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

يا من يمز علينا ان نفادهم
ما كان اخلفنا منكم بتكرم
ان كان سركم ما قال حاسداً
وينسا لو رعيتم ذلك معرفة
كم تطلبون لنا هيباً فيعجزكم
ما ابعد العيب والنقصان من شرقي
وجدنا كل شيء بعدكم عدم
لو أن امركم من امرنا أمم
فما جرح اذا ارضاكم ألم
ان الماكر في اهل النعم ذمم
ويكره الله ما تأتون والكرم
الا القربا وذان الشيب والمهرم

(١) اي ورب مهجة هم صاحبتنا اطلاق مهجتي ادركتها بجوادني ففضبت عليها

(٢) امم . قريب

ليت الغمام الذي عندي صواقه
أرى النوى يقتضي كل مرحلة
لئن تركن ضيقاً عن ميامنا
إذا ترحلت من قوم وقد قدروا
شر البلاد مكان لا حديق به
وشر ما قنصته راحتي قنص
بأي لفظ تقول الشر زعفة
هذا كتابك إلا أنه يفة

يزينون إلى من عنده الذم^(١)
لا تشغل بها الوخادة الرثم^(٢)
ليحدثن لئن ودعهم ندم^(٣)
أن لا تقارقه فالراحلون هم
وشر ما يعكب الأيام ما يصم^(٤)
شبه الزلق مو فيه والرخم^(٥)
تجوز عندك لا عوب ولا عجم^(٦)
قد ضين الدر إلا أنه عجم^(٧)

بعض مدائح في كافور

قال سنة ٣١٦ وهي أولى قصائده في مصر وكان كافور قد تلقاه بمغاوة

وحل إليه آلافاً من الدراهم

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
حسب المنايا أن يكون أمانيا^(١)
صديقاً فأما أو مدواً مداحياً^(٢)
فلا تستجيدن المشاق المذاكيا^(٣)
ولا تنقئ حتى تكون ضارياً^(٤)
وقد كان فداًراً فكأن انت وافيأ^(٥)

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
تحياتها لما قتلت أن ترى
إذا كنت ترضي أن تعيش بذفاً
فا ينفع الأسد الحياء من الطوى
حيثك قلبي قبل حبك من نأى

(١) يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالمواقف ، والدغم ببطايا - أي ليت غضبه يكون على من قهرهم ببطايا وهم لا يستحقونها

(٢) صديق جليل وهو يشير إلى سفره وإلى أن المدح سيندم على ذلك

(٣) يشير إلى أن سيف الدولة سوى عنده بين المتنبي وسواه من مداحيك الشعراء

(٤) دقة من فعل وقع ومنها الحب

(٥) يخاطب الشاعر نفسه ويقول الشدة التي ما وراءها شدة أن تكون في حالة تحسب الموت

شافياً لك أو أمنية تمنهاها (٦) أيك ذلك أي اعجزك . ومداحي أي مداري

(٧) المذاكي المذاكي أي القبول الكريمة (٨) الطوى الجوع

(٩) أي أي أحييتك يا قلبي قبل حبك لمن في حطب فلا تكن غير وفي لي

واعلم أن العين يشكيك بعده
 فان دموع العين غدت بها
 إذا الجود لم يوزق خلاصاً من الأذى
 وللنفس اخلاق تدل على الفقى
 أقل اشتياهاً إليها القلب وبها
 خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبي
 ولعنكن بالفسطاط مجراً أوزنة
 أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تألفها
 أبا كل طيب لا أبا المسك وحده
 يدل معنى واحد لكل فاجر
 إذا سب الناس المعالي بالندى
 ونيد كثير أن يزورك راجل
 فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً
 وتحقر الدنيا احتقار مجرب
 وما كنت بمن أدرك الملك بالمنى
 مدى بلغ الأستاذ اقضاء وثبة
 دمت فلأبها إلى المجد والعلى
 فأصبح فوق العالمين يورثه

قلت فؤادي إن رأيتك شاكياً
 إذا حكن إثر الفادرين جوارياً
 فلا الحمد مكسوباً ولا المال هالياً
 أكان سخاء ما إلى أم تساخياً
 رأيتك تصفي الرد من ليس صافياً
 لفارقت شبي مودع القلب باكياً
 حياقي ونصحي والهدى والقوافي^(١)
 إليه وذا اليوم الذي كنت راجياً^(٢)
 وكل صاحب لا اخضر الفؤاديا
 وقد جمع الرحمن فيك المعاني
 فانك تعطي في ندادك المعالي
 فيجمع ماضك للعراقين واليا
 لسانك الفرد الذي جاء عافياً^(٣)
 يرى كل ما فيها وحاشاك فانياً
 ولعنك بأيام اسين النواصيا
 ونفس له لم ترض الأ التناهي
 وقد خالف الناس النفوس الدواعيا
 وإن كان بدنيته التحكروم نالياً

وقال أيضاً مدحه

أود من الأيام ما لا تودّه
 ياعدن رجباً يجتمعن ووصله
 واشكر إليها بيننا وهي جندّه
 فكيف جرب يجتمعن وصدّه

(١) الفسطاط مصر. ويريد بالبحر كافور

(٢) أبو المسك كنية كافور

(٣) قد تهب الجيش التاري لسائل واحد يأتيك طالباً لمروفاً

إلى خالق الدنيا حبيباً تدعى
 واسرع مفعول. فقلت تنيراً
 رعى الله عيلاً فارقتنا وفوقها
 يواد به ما بالقلوب كأنه
 إذا سادت الاحداج فوق تباته
 وحال كاحداهن رمت بلوغها
 واتمب خلق الله من زاد هئ
 فلا ينحل في الجهد مالك كله
 وذبره تدبير الذي الجهد كله
 فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
 وفي الناس من يرضى بمسور عينه
 ولحسن قلباً بين جنبي ماله
 يرى جسمه يكسى شفوفاً ترثيه
 وامضى سلاح فأن المرء نفسه
 لها ناصراً من خانه كل قاصر
 أنا اليوم من غلغله في عشيرة
 فن ماله مال العكبر ونفسي
 تجر ألقنا الخطي حول قبابه
 أبو المسك لا يفنى بذنبك صفوه
 فيا أيها المنصور بأجلد صعيه
 تولى النصي عني فاخلفت طيبة

فما طلي منها حبيباً ترد
 تكلف شيء في طابعك ضد
 معي كلها يولي مجنبه خد^(١)
 وقد رحلوا جيد تنائر عقد^(٢)
 تفادح مك الغنايات ورنده
 ومن دونها غول الطريق وبعده^(٣)
 وقصر عما تشتهي النفس وجده^(٤)
 فينحل مجد كان بالمال عقد
 إذا حارب الاحدا والمال وند
 ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
 ومركوبه وجلاه والثوب جلده
 مدى يشتهي بي في مرادر احده
 فيختار ان يكسى دروعاً تهده^(٥)
 رجا. إلى المسك الكريم وقصده
 وأسر من لم يكتر النسل جد
 لنا والد منه بقدية ولده
 ومن ماله ذر الصغير وسده
 وتردي بنا قب الرباط وجده^(٦)
 ولحسنه يفنى بعذك حقد
 ويا أيها المنصور بالسعي جد^(٧)
 وما ضرني لما رأيتك فقد

(١) رعى الله نافعاً فارقتنا وفوقها تبار (حسان) نسقي حدودها من دروعها

(٢) يواد به من الجوى ما يلقوب المعين

(٣) وحال صفة المثال كاحدى هذه الحسان

(٤) همه أي همه ووجده ماله أي اتب الناس من عظمت مطامعه وقصر ماله عن ادراكها

(٥) يرى جسمه يكسى بالحرير فيفضل ان يكسوه الدروع بدل الحرير

(٦) وتجري بنا الجبول (٧) الجدة الخط

لقد شبَّ في هذا الزمان كهوله
ألا ليت يوم السير يجبر حوله
وليتك ترعاني وحيران معرض
واني إذا يشرت امرأ أريدُه
وما زال اهل الدهر يشبهون لي
يقال إذا ابصرت جيشاً ورية
والتقى الفم الضحك اعلم انه
فزارك مني من اليك امتياقه
فان نلت ما أملت منك فوئبما
وومدك فعل قبل وعد لأنه
فكن في اصطنامي محناً كجرب
إذا كنت في شك من السيف قابله
وما الصادم الهندي الا كغيره
وانك للشكور في كل حاتره
فكل نوال كان او هو كان
واني لفي بحر من الخير اصله
وما رغبت في عجد استفيده
يخود به من يفضح الجود جوده
فانك ما مر النحوس بكوكب

لديك وشابت عند غيرك مرده
فتسأله والليل يجبر برده
فتسلم اتي من حسانك حده^(١)
قدانت اقاصيه وهران اشده
اليك فلما حلت لي لاح فردُه
امامك رب رب ذا الجيش عبده^(٢)
قريب بذني الكف المفداة مهده^(٣)
وفي الناس الا فيك وحدك زهده
شريت بماء يعجز الطير ورده
نظير فقال الصادق القول ومده
وين لك تقرب الجواد وشده^(٤)
فاما نثييه واما تعدُه
اذا لم يفارقه النجاد وغدُه
ولو لم يكن الا البشاشة رفدُه
فلحظة طرف منك عندي ندُه
عطايك ارجو مدّها وهي مدُه
ولكنها في مفخر استجده
ويحمده من يفضح الحمد حمده
وقابله الا ووجهك سعدُه

(١) حيران اسم جبل اي ليك كنت تراني وانا امير مقابل حيران لتعلم مضاني وعزمي
(٢) وكلنا ابصرت جيشاً على الطريق كان يقال لي اترى هذا الجيش ان قائد هذ من
انت تعصده ، وكلنا رايت قسماً ضاعاً كما اعلم انه قريب المهدي بتبديل يدك المفداة
(٣) التقريب نوع من عدو الفرس
(٤)

ومن مدائح

من الجأذر في زي الأعراب
 إن كنت نال شحاً في مارقها
 ما أوجه الحضرة المستعجلات به
 حسن الحضرة محبوباً بتطوية
 ابن المير من الأدم ناطرة
 أفدي ظباء فلاته ما عرفنا بها
 ومن هوى كل من ليست موهبة
 ومن هوى الصدور في قلبي وعادته

ليت الحوادث باعني الذي اخذت
 فما الحداثة من حاكم بانه
 ترعرع الملك الاستاذ مكتولاً
 يدير الملك من مصر الى عدن
 بصرف الاسرى فيها طين خافو
 قالوا هجرت اليه النيت قلت لهم
 الى الذي تهب الدولت راحته

- (١) الجأذر اولاد بحر الوحش تشبه بها النساء لجمال هجوعه يقول من هؤلاء البدويات الحسان
 حمر الحلى والثياب والراكبات على النياق الحمر (هي اكرم النياق)
 (٢) الراعيب العلويات المستعجلات الجسم
 (٣) التطرية التكلف والصنعة
 (٤) يقصد بالمير نساء الحضرة والارام « القباء » للبدويات
 (٥) التمويه اي الطلي ويراد به التزيين
 (٦) ليت الحوادث ترجع لي ما سلبتني من الشباب وتأخذ ما اعطيتني من العقل والتجربة
 (٧) اي نشأ حاصلاً على عقل الكحول قبل ان يكون كهلان
 (٨) يدير الامور بطين خافه الذي يختم به رسائله ولو يحى لتقش الذي فيه
 (٩) قالوا هجرت المنظر بركك سيف الدولة فقلت الى انظار يدي كافور الساكبة

ولا يروغ بحدود به اهدأ
وجدت انفع مال كنت اذخره
لما رأيت صروف الدهر تقدر بي
وكيف اكفر يا كافور نعمتها
انت الحبيب ولكنني اعوذ به
ولا يفرغ موفوراً بنكوب^(١)
ما في الرابح من جري وتقريب^(٢)
وفين لي وفت صم الاثايب^(٣)
وقد بلغتني يا حكل مطاوي
من ان احكون محباً غير محبوب

وقال بملحه سنة ٣٤٧

فراق ومن فارقت غير مذموم
وما مزل اللذات عندي بقل
سجئة نفس ما توال مليحة
رحلت فكمم بك باجنان شادن
وما ربة القوط المليح مكانه
فلو كان ما لي من حبيب مقنع
رسي واتقي رمي ومن دون ما اتقي
وأمن يثبت خير مينم
اذا لم أبجل عنده واحكم
من الضم مرمياً بها كل مخرم^(٤)
علي وكم بك باجنان ضيف^(٥)
باجزع من رب الحسام المصنم
عذرت ولكن من حبيب مضم^(٦)
هو تي كاسر كفي وقوسي واسهمي

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنون
وعادى حبيبه بقول عدائه
أصادق نفس المرء من قبل جسمه
واعلم من خلعي واعلم انه
وصدق ما يقصده من توهم
واصبح في ليل من الشك مظلم
واعرفها في فعله والتحكلم
مقي اجزير حلساً من الجاهل يندم

- (١) اي لا يتدر باحد ليروح به غيره ولا يلب احدًا لينزع غير المطلوب
(٢) وجدت انفع مال جري الحبول
(٣) النون في رأيت راجعة الى الحبل اي لما رأيت الحبل غدر الدهر في وقت لي بعمل من مواطن
النذر وكذلك وقت لي الرماح
(٤) مليحة من الضم اي خائفة منه . مخرم طريق في الجبال
(٥) رحلت فكمم حياء تبكي علي وكم بطل
(٦) الحبيب المقنع كناية عن المرأة والحبيب المضم عن الرجل (يقصد سيف الدولة)

جزيتُ مجود التارك المتبسم
 نجيب كصدر السميري المقوم
 به الخيل كبسات الخيل العرمم
 ولكنها في الكف والطرف والفم
 ولا كلُّ فَعَالٍ له بفتح
 سوابق خيل يتدين بآدم^(١)
 الى خالق رحب وخالق مطعم
 فقف وقفة قدامة تتسلم^(٢)
 ضيف الساعي او قليل الشكر^(٣)
 وكان قليلاً من يقول لها اقدمي
 الى هواثر الفارس المتشم^(٤)

وأمل عزاً ينجذب البيض بالدم
 أقم الشقا فيها مقام التنعم
 مواطن من غير السعاف يظلم
 بقلب الشوق المشام المتبسم^(٥)
 كأنها في الليل حملات ديلم^(٦)
 فلم تر الا حافراً فوق منسم^(٧)
 من النيل واستندت بظل المقطم

وان بذل الافان في جرد مابس
 واهوى من الفتيان كل سبيذ^(١)
 خطت تحتها العيس الفلاة وخاطت
 ولا عفة في سيفه وسنانه
 وما كل هاور للجميل بفاعل
 قدى لاني المسك الكرام فانها
 اغر بجدر قد شخص وراءه
 اذا منعت منك السياسة نفسها
 يضيق على من رآه العذر ان يرى
 ومن مثل كافور اذا الخيل احبت
 شديد ثبات الطرف والنعم واصل

ابا المسك ارجو منك نصراً على الهدى
 ويوماً يفيظ الحاسدين وحالة
 ولم ارج الا اهل ذاك ومن يرد
 فلم تكن في مصر ما سرت نحوها
 ولا نبعت خيلي كلاب قبائل
 ولا اتبعت آثارنا عين قائف
 ومناها البيداء حتى نفثرت

وابلج يصي باختصاصي مشيرة
 عصيت بقصديه مشيري ولومي

(١) السبيذ . الشريف الشعاع

(٢) ابو المسك اي كافور . جعل الكرام جياداً وهو الادعم في مقدمتهم

(٣) رآه بمعنى رآه (٤) الطرف المهر اي شديد الثبات حين اشتداد الوغى

(٥) اي ولولاك لما قدمت الفمار حتى نبعت خيلي كلاب النياثل كآني من بعض عصابات الديلم

(٦) القائف هو الذي يتبع الاثر ليعرف صاحبه

غساق الياء المرف غير مكدر
قد اختزلت الأملاك فاختر لهم بنا
فاحسن وجه في الوردى وجه محسن
واشرفهم من كان اشرف همه
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها
وسقت اليه الشكر غير مجهم
حديثاً وقد حكمت رايتك فاحكم^(١)
وايمن كفت منهم كفت منعم
واحكم اقداما على كل مظلم
سرور محبة او مائة مجرم

ولو كنت ادري كم حياتي قصتها
ولكن ما يضي من الدهر فائت
رضيت بما ترضى به لي محبة
ومثلك من حكان الوسيط فواده
وصيرت ثلثها انتظارك فاعلم
فجد لي بخط البادر المشتم
وقدت اليك النفس قود المليم
فحكته عني ولم انكلم

مرثاته في ابي شجاع فانك الرومي

وكان من المشهورين بالكمال وقد توفي بمصر سنة ٢٥٠

الحنن يلقى والتجمل يردع
يتنازعان دموع عين مسهر
النوم بعد الي شجاع نافر
اني لاجين عن فراق احبي
ويؤيدني غضب الاعادي قسوة
تصفو الحياة لجاهل او غافل
ولن يخالط في الحقائق نفسه
اين الذي الممران من بنيانه
تخاف الآثار عن اصحابها
والدمع بينهما عصي طبع
هذا يحيا بها وهذا يرجع
والليل معي والكواكب ظلم^(٢)
وتنفس نفسي بالحمام فاشجع
ويلم لي عيب الصديق فاجزع
هما مضى منها وما يتوقع
ويسوما طلب الحال فتطمع
ما قومه ما يومه ما المصرع^٣
حيناً ويدركها الفناء فتنبع

(١) اي قد اختزلت واستغنيت بك عن كل الملوك فاحسن الي احساناً يلجئون به

(٢) النوم بعده لا يالغ العين والليل يقول كانه منهوك من التعب والكواكب مرجاء لا تحسن

لم يرضه قلب أي شجاع مبلغ
 حكتنا نظن دياره مملوءة
 وإذا المكارم والصورم والقنا
 المجد اخسر والمكارم صفقة
 والناس ازل في زمانك مقللاً
 برّد حشاي أن امتطعت بلفظة
 ما كان منك إلى خليل قبلها
 ولقد اراك وما تلم ملّة
 ويد حكان نوالها وقتالها
 يا من بيدل كل يوم حلة
 ما زلت تحفها على من شأها
 فظالت تنظرو لا رماحك شرع
 بالي الوحيد وجيشه مشكائر
 وإذا حصلت من السلاح على البسكا
 وصلت إليك بد سواء عندها
 من المحافل والجحافل والثرى
 ومن اتخذت على الضيوف خليفة
 قبحاً لوجهك يا زمان فانه
 ايموت مثل أي شجاع فانتك
 ايقيت اكذب كاذب ابقية
 ولأي وكل عظام ومنادم
 من كان فيه لكل قوم ملجأ

قبل المات ولم يسه موضع
 ذهابات وكل دار بلقع
 وبنات اعوج كل شيء مجمع (١)
 من ان يعيش لها الهائم الاروع
 من ان تعيشهم وقدرك ارفع (٢)
 فلقد قضر اذا تشاء وتنفع
 ما يستراب به ولا ما يرجع
 الا نقاه منك قلب اصبع
 فرض يحق عليك وهو تبرع
 اقمى رضىت بحلة لا تنزع
 حتى لبست اليوم ما لا تخلع
 فبا عراك ولا سيوفك قطع
 يبكي ومن شر السلاح الادمع (٣)
 حشاك دمت به وغدك تقزع
 يازي الاشيب والغراب الابقع (٤)
 فقدت بققدك نيراً لا بطلع
 ضاموا ومثلك لا يسكاد بضيع
 وجه له من كل قبح يوقع
 ويعيش حاسده الحمي الاركم (٥)
 واخذت اصدق من يقول ويسمع
 بعد اللزوم مشيع ومودع
 وليسف في كل قوم مرتع

- (١) كتنا نظن دياره ملائ بالذهب والاموال ولكنه لجوده لم يترك فيها شيئاً ولم يجمع في حياته خير المكارم والسلاح والخيول (٢) الناس في زمانك اقل قدراً من ان تعيش بينهم (٣) يقصد بالوحيد الفقير وقوله بالي للتفدية (٤) وصلت إليك بد الموت التي يتساوى بها المظلم والحفيظ (٥) الحمي الاركم يقصد به كافر أو

ان حلّ في فارس ففيها ربيها
او حلّ في روم ففيها قيصر
قد كان اسرع فارس في طمعة
لا قلبت ايدي الفوارس بعده
كسرى قدول له الرقاب ونخضع
او حلّ في عرب ففيها تبع^(١)
فرساً ولعنّ المنيّة اسرع
رحاً ولا حملت جواداً اربع

وقال يرثي والده سيف الدولة وبمعزبه عنها

سنة ٣٣٧

نعدّ المشرفة والموالي
وزبط السوابق مقرراته
ومن لم يعشق الدنيا قدماً
تصيبك في حياتك من حبيب
رماني الدهر بالارزاء حتى
فصرت اذا اصابتي سهام
وهان فسا ابالي بالرزايا
وهذا اول الناعين طراً
كان الموت لم يجمع بنفس
صلاة الله خالقنا خنوط
على المدفون قبل القرب صوناً
أطاب النفس أذكمت موقناً
وزلت ولم ترمي يوماً كريباً
دواق العز فوقك مسبطاً
سقى مشواك غادي في النوادي

وتقتلنا المنون بلا قتال
وما ينجين من خبير الليالي
ولكن لا سبيل الى الموصل
نصيبك في منامك من خيال
فزادي في غشاء من نبال
فكثرت النصال على النصال
لاني ما انتفعت بان ابالي
لاول ميتة في ذا الجلال
ولم يحظر لخلق يبسال
على الوجه المعكّن بالجمال
وقبل اللحد في كرم الحلال
تمتبه البواقي والحوالي
تسرّ النفس فيه بالزوال
وملك عليّ ابنتك في كمال^(٢)
تظير نوال كيفك في النوال^(٣)

(١) اي انه عليم تظهر عظمته ايما حلّ في الفرس او في الروم او العرب

(٢) عليّ اي سيف الدولة

(٣) معنى قبرك معاب حامل يشبه جودك فكفك

يرُ بقبرك الماني فيصكي
وما اهداك للجدوى عليه
بعيشك هل سارت قان قلبي
تزلت على الكراهة في مكان
تجيب منك وانحة الحرامي
بدار كل ساكنها غريب
حصان مثل ماء الزن فيه
يعلبها نطاسي الشكيا
اذا وصفوا له داء بشر
وليست كلالاث ولا اللواني
ولا من في جنازتها تجار
مضى الأمراء حولها حفاة
ولو كان النساء كن فقدا
والجع من فقدا من وجدا
يدفن بعضا بعضاً وتشي
وكم من مقبرة النواحي
ومض كان لا بفضي الحطبي
أسيف الدولة استجد بصري
وانت تعلم الناس التحزي
وحالات الزمان عليك شني
رأيتك في الدين اري ملوكاً

ويشفه البكاء من السؤال
لو أنك تقدرين على قتال
وان جانبك ارضك غير سال
بعثت عن النعام والسؤال^(١)
وتجمع منك انداء الطلال
بعيد الدار مثبت الحبال
كثوم السر صادقة المقال
وراحدها نطاسي العالي^(٢)
سقاء اسنة الاسل الطوال
تعد لها القبور من الحبال
يكون وداعها تنفض النعال
كان المرو من زف الزال^(٣)
لنضلت النساء على الرجال
قيل فقد مفقود المثال
اوانحنا على هام الاواني
كحيل بالجنادل والرمال
وبال كان يفكر في الهزال^(٤)
وكيف يمثل صبرك للجبال
وخوض الموت في الحرب السجال
وحالك واحد في كل حال
كانك مستقيم في محال

(١) تزلت في مكان بدت فيه عن ربح الشمال وريح الجنوب (يعني القبر)

(٢) يدأوجا طيب الامراض ولكن ابنها طيب العالي

(٣) لم تكن من العامة فيسهر وراها اهل السوق والتجار ولكن الامراء مشوا حفاة وراها

كثافا الحجارة كانت من وبر النعام

(٤) وكم من كانت ذميلة دلالة اصبحت مكشحة بالقراب وكم رجل كان لا ينكس واسه

لحطب اصبح منكس في القبر . وكم من كان يفكر كثيراً في صحته اصبح الآن بالياً بتأثير الحمام

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال (١)

وقال بصف حتى اصابته ويعرض بالرجل عن مصر

مأموكما يحل من السلام
ذرائق والقلاة بلا دليل
فاني استريح بذي وهذا
ولا امسي لأهل البخل ضيفاً
ولما صار ود الناس خيلاً
وصرت أشك فيمن أصفيه
يحب العالمون على التصافي
وأنف من أخي لاني وأمي
أرى الاجداد تغلبها كثيراً
ولست بقانع من كل فضل
عجبت لمن له قد واحد
ومن يجد الطريق الى العالي
ولم أر في عيوب الناس شيئاً

ورفع فعاله فوق الكلام (٢)
ووجهي والمجير بلا تسام
وأتمب بالاناقة والاقسام
وليس قري سوى منغ النعام (٣)
جزيت على اقسام باقسام (٤)
للمي انه بعض الانام
وحب الجاهلين على الوسام (٥)
إذا ما لم اجده من الكرام
على الاولاد اخلاق النعام (٦)
بان أعزى الى جد همام (٧)
وينبر نبوة القضم الكهام (٨)
فلا يذر المعطي بلا سنام (٩)
كنقص القادرين على النعام

...

(١) ليس من الغريب ان تفوق الناس وانت منهم فان المسك وهو من دم الغزال يفضل كغيره

(٢) يخاطب صاحبه فيقول ان من قومائه على ركوب الاسوار هو اهل من ان يصل اليه اللام

(٣) وليس لي زاد البتة . اشارة الى ان النعام لا يخ له (٤) خيلاً اي خداعاً

(٥) الوسام حسن المنظر . يقول العاقل يجب لاجل تصافي الود بينه وبين محبوبه اما الجاهل فيهم

بالهيئة الخارجة (٦) اي ان الاخلاق اللثيمة قد تغلب الاصل الكريم فيجني الولد لثيماً

(٧) اي لا اتمتع ان أنسب الى جد كرم بل ادرك الفضل بنفسه

(٨) اي عجبت من الشاب القوي الذي اذا مرض له الامر العظيم رجع عنه رجوع السيف الذي

(٩) من لا يذيق أسمة الابل بمهاده في سبيل العالي لا يقطع

أقمت بارض مصر فلا ورائي
وملئت الفراش وحكّان جنبي
قليل عائدي سقم فؤادي
حليل الجسم تمتع القيام
تحب في الركاب ولا اداامي^(١)
على لقائه في كل عام
كثير حاسدي صنب مرامي
شديد السكر من غير المدام

وزائقي كأن بها حياء
بذلت لها المطارف والحشايا
يضيق الجلد من قضي وعنها
كأن الصبح يطردها فتجري
أراقب وقتها من غير شوق
ويصدق وعدّها والصدق شر
أبنت الدهر عندي كل ينثر
بحرمت بحرّاً لم يبق فيه
يقول لي الطيب اكات شيئاً
ومسا في طيّب لقي جواد
تعود أن يُفخر في السرايا
فأمسك لا يطال له فخرى
فليس تروى إلا في الظلام^(٢)
فما فتتها وبانت في عظامي^(٣)
فتوسمه بأنواع السقام
مدامها بأربعة سجام
مراقبة المشوق المستهام
إذا التاك في الكرب العظيم
فكريف وصلت انت من الزحام^(٤)
مكأن لليوسف ولا السهام
وداؤك في شرايك والطعام
أضرب بحسه طول الجاه^(٥)
ويدخل من ققام في ققام^(٦)
ولا هو في العليق ولا اللجام^(٧)

(١) تحب في الركاب أي تسير في الليل ، ويريد بهذا البيت أنه أزم الإقامة بها

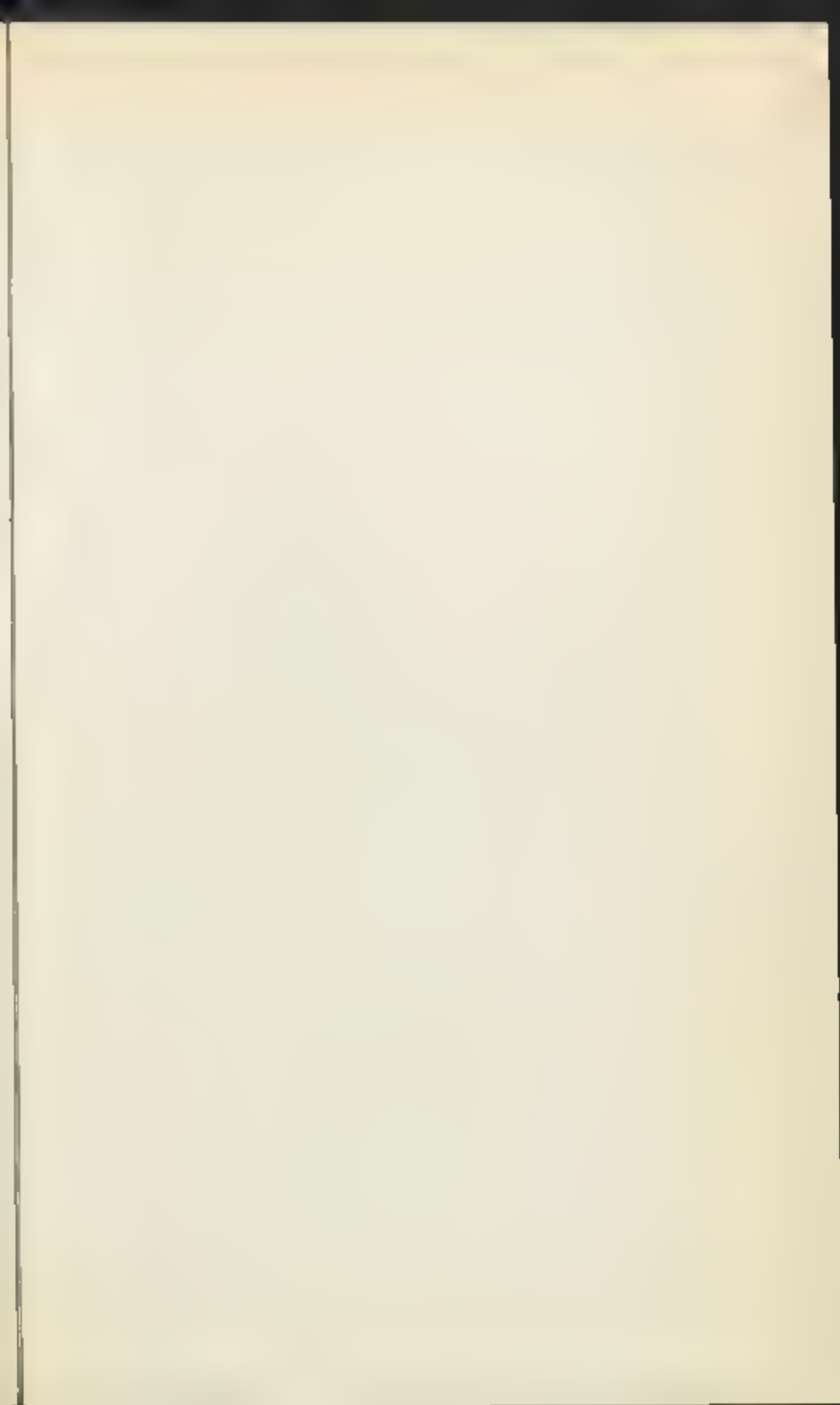
(٢) إشارة إلى الحمى (٣) المطارف أدوية الحزن والحشايا الفرس

(٤) يريد بيت الدهر الحمى وبانت الدهر شدائده فيقول : اجسا الحمى عندي كل نوع من أنواع الشدائد فكيف لم يترك ألدعاهن من الوصول الي^(٥) الجاه الراحة

(٦) تعود أن يثير الفبار بين الجيوش ويخرج من غيرة إلى غيرة أي من معركة إلى أخرى

(٧) فأمسك لا يرعى له الخيل فيعرض ولم يقدم له المطبق فيأكل ونم يكن تحت اللجام في السفر

وقد شبه حالته مع كفافور بمالة هذا الجواد



المعري

أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان

٣٦٣ - ٤٤٩ هـ

٩٧٤ - ١٠٥٨ م



مصادر دراسته

ترجمة الألباء للاتباري ٤٢٥

كتاب الانصاف والتعري - لسكّال الدين ابن العديم

وهو منشور ضمن كتاب اعلام النبلاء للطباخ ج ١ من ص ٧٨

معجم الادباء اياقوت ج ١ ص ١٦٢-٢١٦

وفيه ما دار من المراسلات بين المعري وداعي الدعاء

وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٧ (تحت حرف احمد)

ترجمة المعري للذهبي منشورة في ذيل رسائل المعري (اكفورد)

مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ١ ص ١٩١-١٩٢

رسائل المعري (طبع اكفورد)

اللزوميات مطبعة المحروسة (مصر ١٨٩١) ويومياي ١٣٠٣ هـ

مصر ١٢٢٤

شرح التنوير على سقط الزند مطبعة الاسلام (مصر) ١٣٣٤ هـ

ومما كتب عنه حديثاً

ترجمة مسببة بالانكليزية للاستاذ مرغوليوث في مقدمة رسائل المعري

ترجمة الاستاذ نكلسون في دائرة المعارف الاسلامية

ذاكري الي الملاء الدكتور طه حسين

اعلام النبلاء للطباخ ج ١ ص ١٢٥-١٨٠

المهرجان الافقي المعري شرح المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩١٥

ورسائل وترجمات شتى في كتب الادب والتاريخ لعرب ومستشرقين منها

ترجمة وشرح بعض اللزوميات لقون كزير في Z. M. D. G. المجلد ٣٠ و ٣١ و ٣٨

توطئة تاريخية

ذكرنا في فصل سابق ان اماره بني حمدان كانت ايام سيف الدولة في حروب متواصلة وان هذا الامير كان كثير السخاء على الادباء والاعلاء ، وقد اضطره كل ذلك الى الانفاق والتشديد في جمع الاموال من رعيته . ولما مات خلفه ابنه ابو المعالي ثم ابنه ابو الفضائل ، وفي ايامهما تفاقمت الخطوب واصبحت اماره حلب يوم نشأ شاعرنا معترسكاً لاربع قوى رئيسية -

الاولى - الحمدانية وكانوا قد ضعف امرهم واتلفت السيطرة تخرج من ايديهم

الثانية - الفاطمية اصحاب الامر في مصر وكان هؤلاء مطامع في حلب ، فلم يألو جهداً في دس الدسائس وارسال الجيوش لفتحها

الثالثة - قبائل البادية ، ومنهم المرداسية التي كان لها شأن يذكر في هذا الاضطراب السياسي

الرابعة - الروم ، وغاراتهم على اماره بني حمدان معروفة . على انهم بينما كانوا ايام سيف الدولة يُعدّون اعداء المسلمين عموماً ، اصبحوا ايام المري - بسبب تطاحن امراء المسلمين - عوناً لبعض هؤلاء الامراء على بعض وسبياً في توسيع شقة الخلاف بينهم . فمن ذلك انهم ناصروا ابا الفضل ابن حمدان على الفاطميين ، وكان هؤلاء يحاصرون حلب^(١) . وبهم استنجد حمدان بن مقرئ ولواؤهم الى الفضل . فكان بين المسلمين حروب داخلية ادت الى تدخل الروم وانحيازهم الى احد الفريقين ، مما زاد الطين بلة في تلك الفوضى السياسية . وانك تلمع في شعر المري شيئاً من ذلك فقد قال في مدحة له لاحد الامراء

ايومدنا بالروم ناس وانما هم التبت والبيض الرقيق سوام

(١) ذيل نجارب الامم للروذواوري (استدور ١٩١٦) حوادث سنة ٣٨١

كأن لم يكن بين الفاض وخادم كتائب يُشجين الفلا ونخيام^(١)
 كتائب من شرق وغرب تأليت فرادي اتها الموت وهو توام

ويؤخذ من هذه الايات ان بلدة الشاعر كانت في يد امير معاذ الروم ، والارجح انها كانت قد استقلت يومئذ من حلب ، وان اعداء ذلك الامير كانوا يتوعدونه باستنجاد الروم عليه ، فنظم الشاعر قصيدته مشيراً الى بأس الامير والى انهزام كتائب الروم بين هذين المكانين ، وانهم لذلك لا يخشون باسهم ولا يبالون بومعدهم .

فاذا نظرنا الى الاحوال السياسية التي نشأ فيها ابو العلاء زاعها كثيرة الاضطراب والفتن والاهوال ، ولا شك ان ذلك كان شديداً التأثير في احوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية ، فاشتدت فيها الضائقة والفساد وبرزت في الرؤساء الروح الاشمية ، روح الشكاك على المال والامارة مما يُعكس لنا جلياً في شعر شاعرنا الكبير .

مُلّ المقام فكهم اعاشر أمة امرت بغير صلاحها امرؤها
 ظلموا الرعية واستجازوا كبدها فعدوا مصالحها وهم اجرؤها

. . .

ولد المعري في المرة وفيها نشأ . والمعروف من كتب التاريخ انه اصيب بجذري وهو في الرابعة من عمره ذهب ينظره . على ان ماء لم يكن في اول الامر كثيراً ، فان النصوص كلها تشير الى ان الجذري ذهب يندسرى عينيه وغشي بيناهها بياض . ويقول الانباري انه كان ضريراً اعمى ولم يكن اكله كما تؤفهم من لا علم له^(٢) . وقد روى ابن المديم من بعض اهل الادب حكاية نقلها عن رجل اسمه ابو منقذ انه رأى ابا العلاء وهو صبي دون البلوغ فقال في وصفه - وهو صبي دمحم الحلق مجدور الوجه وعلى عينه بياض من الجذري وكأنه ينظر باحدى عينيه قليلاً^(٣) .

(١) الفاض خر قرب المرة ، وحادم بلدة قرب انطاكية . يشجين الفلا اي ينس بهم الفلا لكثرتهم

(٢) طبقات الادباء ٤٢٥

(٣) الانصاف والشعري (في اعلام النبلاء ج ٤ - ١٠٤)

والذي يرجع لدينا من ذلك ان الشاعر لم يفقد بصره تماماً الا بعد بضع سنوات من مرضه . على ان ما فقدته من بصرته استعاض عنه بمجدة بصيرته ، فقد اجمع المؤرخون على شدة ذكائه وقوة حافظته ، ولهم في ذلك اقاويص وروايات معروفة ^(١) .

والمري من بيت علم ورئاسة ^(٢) — فابوه من العلماء ، وجدّه وابو جدّه وجدّه كلهم تولوا قضاء المرة . وقد بقي القضاء في بني اخيه الى ان دخلها الاقرنج سنة ١٩٢٠ ^(٣) . اي الى ما بعد موت الشاعر باكثر من اربعين سنة .

ومن آله (آل سليمان) فضلاء وعلماء وشعراء ، لا يتسع المقام لذكرهم ، وكانت الفتاوى (على ما يستفاد من ياقوت وابن المديم) في يشهم على المذهب الشافعي اكثر من مئتي سنة .

في وسط علمي ديني كهذا الوسط نشأ شاعراً فاعذ العلم والادب أولاً عن اخيه ثم عن جماعة من علماء المرة ، وزار في حدائقه بعض المدن الشامية المعروفة بالعلم كانطاطكية واللاذقية وطرابلس ، فاعذ العلم من علمائها ومما وجدّه في مكاتبتها . وبوخذ من رسالته الى خاله الي القاسم ابن سبيكة انه لم يقصد بعد الشرفين احداً اجتداء اعلم ^(٤) . بقي في ذلك بضع سنوات ثم عاد الى المرة ، والظاهر انه بدأ حياته العملية كسائر العلماء والشعراء . (في قرض الشعر للامراء) ، ولكنه لم يكسد بفعل ذلك حتى عدل عنه . فليس له في سقط الزند الا بضع مدائح فيمن يرجي عطاؤهم « كسد الدولة بن حمدان وسواه » . وهذه المدائح من اوائل شعره « اما سائر مديحه ففهي فقهاء او ادباء من طبقة اختصاصهم بالوداد والاطراء » .

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره (اي سنة ٣٩٨) قام برحلة اولى الى بغداد ، ولا نعرف كثيراً عن هذه الرحلة . ثم رحل اليها ثانية سنة ٣٩٩ واقام فيها سنة وسبعة اشهر ^(٥) . وهنا لا بد من ان نقاءل لماذا رحل الى بغداد ولماذا لم يقيم فيها طويلاً ؟ والذي

(١) راجع ترجمته في معجم الادباء ، وفي الانصاف والتعري (طباط ١ - ١٠٠)

(٢) مفتاح السعادة ١ - ١٩١ (٣) معجم الادباء ١ - ١٩٦

(٤) رسائل المري (اكسفورد) ٣٢ (٥) ابن خلكان ١ - ٦١

يؤخذ من مراجعة شعره ورسائله ومقابلتها بأقوال المؤرخين ان الاضطرابات السياسية في حلب والمرة اهابت به الى ترك وطنه وقصد بغداد^(١) . وكان ينوي الاقامة فيها واستخدام مواهبه في سبيل العلم ، ولما لم يوفق الى امنيته . ففي رسالته الى خاله ابي القاسم التي كتبها الى اثر رجوعه من بغداد يقول : « وكنت ظننت ان الايام تسبح لي بالاقامة ، فاذا الضارية احباً يعرقها ، والعبد اشح بكراعه ، والغراب اضن بشمرته » . الى ان يقول : « فلما زينت الضروس الطالب ، وتوت العنود تحت الزاكب ، ومنعت الفلوع النازع ، وخيب رائد السحاب ، وكذب شائماً برق ، عادت ايتها كليس^(٢) وذكر وجاهة ثمالة » . ثم يقول : « ولما فاتني المقام بحيث اخفقت ، اجملت على افراد يحفظني كالظلي في الكناس الخ »^(٣) .

ولعل ما في طبع المري من الأنفة منه من ان يحضل رزقه في بغداد على طريقة المدّاحين المستجدين من الشعراء ، فكان ذلك من الاسباب التي عجلت في رجوعه . فقد ذكر في الرسالة الأنفة الذكر ان اهل بغداد قابلوه بالاكرام وانهم لما احبوا بتأهبه الرحيل اظهروا كسوف بال ، ثم يقول : « وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سروب » ما ادرت منه قطرة في طلب ادب ولا مال . وتظهر انفته الشديدة ايضاً في ما جرى له في مجلس الشريف المرتضى ، وكان هذا بينض المثني ، وكان المري يتصب له . فجرى يوماً بحضرته ذكر المثني فتعصه المرتضى ، فقال المري لو لم يكن المثني من الشعر الا قوله « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وامر فحسب برجله وأخرج من مجلسه^(٤) ، وقال لمن بحضرته اراد هذا الاعى قوله

واذا انتك مذمتي من ناقص فعمي الشهادة لي بالي كامل

وفي شعره كثير مما يشير الى هذا الطبع فيه ، كقوله من قصيدة كتب بها الى الفقيه ابي حامد الاسفراييني عند دخوله بغداد

(١) ويروي الذهبي انه ذهب الى بغداد منتظلاً من امير حلب لمعارضته اياه في وفده له

(٢) مثل يضرب لمن يرجع الى ما كان عليه ويشير هنا الى رجوعه الى وطنه

(٣) راجع رسائل المري (اكسورد ٣٠ - ٣٢)

(٤) حجوم الادباء ١ - ١٧٠

ولا اثقل في جام ولا تشب
ولو غدت الخادع والافتناع
وما كتبه في بغداد يخاطب اهل بلده
المخوانا بين الفرات وجلقه
انبتكم اني على الهدم سالم
فاصبحت محسودا بفضلتي وحده
يد الله لا اخبركم بحال
ورجعي لما يبتذل يسؤال
على بعد اقصادي وقلة مالي

رجل عزيز النفس ماله يأنف من السؤال ومن الترتل الى كبار القوم في مصر كان الترتل هو جادة الاديب الى الرزق، لا يستغرب ان تضيق به الحال في عاصمة الخلافة حتى تحمله الى ان يقول

تمنيت ان الحمر حلت لنشوة
تجهاني كيف اطمانت بي الحال
فاذهل اني بالعراق على شفا
رزقي الاماني لا انيس ولا مال
مقل من الاهلين يسر واسرة
كفى حزنا بين مشيت واقبال
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم
له بارقا والمرء كالمرز هطال
سيطابني رزقي الذي لو طلبته
لما زاد والدنيا حظوظ واقبال

وبرغم ما في قصيدته التي ودع فيها بغداد من مدح لاهل تلك المدينة ، فان في قصائده الاخرى التي قالها في بغداد ما يشتم على ما كان يشمر به من ضيق ومن تحنان الى وطنه . (١) وفي قصيدة بحث بها الى القاضي التنوخي يذكر ان الذي اهاب به الى تركها رجاؤه ببقاء والدته ونفاد ماله

اناري عنكم امران ، والدته
لم القها وثرا . عاد مسفوتا

اما والدته فانت قبل وصوله الى المعرة فجزع لذلك ووثاها رثاء ابن مغبوع .

ولما عاد الى المعرة لزم منزله وعاش فيه على طريقة الفلاسفة المتشغفين . ويظهر من بعض رسائله انه فسر كثيرا في ذلك ، فقد قال من رسالته لاهل المعرة : فوجدت اوفى ما احسنه في ايام الحياة منزلة فيجملني من الناس كبار اروي من سائح النعام . وما

(١) ولا يستبعد ان يكون اكثر ذلك في اثناء رحلته الاولى

أَكوت نصيحةً لنفسي . فاجعت على ذلك واستغفرت الله فيه بعد صلاته على نفر يوثق
بخصائلهم ، فكلمهم رآه حزماً « وعده إذا تمَّ رشداً » وهو امر ليس بنتيج الساعة ولا
رييب الشهر والسنة ولكنه غذي الحلقب المتقدمة ، وسيل الفكر الطويل الخ ^(١) .

على ان زهد المري لا يعني انقطاعاً عن العمل ، بل ترفعاً عن حطام الدنيا وغرورها .
فالرجل كان كثير العمل حريصاً على التلميم والتأليف — وفي هذا الطور من حياته نظم
لزومياته وصنف أكثر كتبه ورسائله ^(٢) . وكان مثله محبة الطلاب يقصدونه من كل
الآفاق ^(٣) ، وإلى ذلك يشير في اللزوميات

يؤروني الناس هذا ارضه إنَّ من البلاد وهذا داره الطَّيْس

وقد خرج منهم اثنة وقضاة ورؤساء في العلم : منهم الخطيب ابو زحكوريا التبريزي
وابو المكارم الابهري وابو قاسم ابن عيسى الانصاري وابو طاهر الانباري وابو القاسم التنوخي
وسواهم .

وبرقم نقشفه ولزومه مثله كان له من الوجاهة اسمى مقام : قال ابن الدديم * وما
زالت حوقة ابني الملاة في علاء ويحز فضله مورداً للوزراء والامراء . وما علمت ان وزيراً
مذكوراً وقاضياً مشهوراً سرَّ بجمرة الثمان في ذلك العصر الا وقصده واستفاد منه ^(٤) .
ومما يدلُّك على وجاهته ما نقله ياقوت والذهبي ^(٥) من ان اهل المرة لما اشتد عليهم صالح
ابن مرداس لم يجدوا بداً من ايفاد المري مستشفئاً فيهم ، فقصده الامير ولما دخل عليه
قال الامير انت ابو الملاة ؟ فقال انا ذاك . فرغمه الى جانبه ، وبعد ان خاطبه المري
بامرهم قال له اني قد وهبتها لك ايها الشيخ .

ولما اصبحت المرة وحلب فحمت سطوة الفاطميين بذل له المستنصر الفاطمي ما يبيت

(١) رسائل المري (اكسفورد) ١٢

(٢) من ايراد ان يبرف عدد مؤلفاته فليراجع معجم الادباء والانصاف والتعري وما نقله الذهبي

عن القنطري (٣) ابن خلكان ١ - ٤١

(٤) اعلام النبلاء ٤ - ٣٤٤

(٥) معجم الادباء ١ - ٢١٦ ورسائل المري (اكسفورد) ١٣٠

المال بالمعزة فلم يقبل منه شيئاً ، وكذلك داعي الدعاء لما عرف ترعد المري وغلة دخله كتب الى نائب الفاطميين بجلب بان يجري ما تدعو اليه حاجته وان يضاعف حرمته ويرفع منزلته عند الخاص والعام ، فامتنع من قبول ذلك ^(١) . وبين المري وداعي الدعاء رسائل ومكاتبات تستدل منها على ما كان لشاعرها من المقلّة الرفيعة عند زعماء ذلك العصر .

ويؤيد كل ذلك ما ذكره الشاعر الفارسي ناصر خسرو الذي زار المعزة سنة ٤٣٦ اي قبل موت المري بعشر سنوات ، فوصفه بقوله « انه رجل ذو نفوذ عظيم في بلده وذو فني ، ينفق على الفقراء والموزين ، مع انه هو (اي المري) حكان يعيش عيشة الزهد والتقشف » ^(٢) .

وفي شعر المري ورسائله ما قد يذكركم شهادة ناصر خسرو ، كقوله في اللزوميات مشيراً الى ما يعتقدّه الناس من حسن حاله

من لي ان لا اقيم في بلد اذكر فيه بغير ما يحب
يظن لي اليسر والديانة والعلم وبيني وبينها حجب
ومن قصيدته

تفهم يا صريع البين بشري ات من مستقل مستقيل
يستدل انه ارسل قدراً من المال الى اديب اسمه صريع البين ، ويسأله المذرة هل قلة ما ارسل اليه .

وكذلك في قصيدته

ايستعذري منكم ام يخضني بما هو حظي من الخ متاب
يمتدّر لقيه من ان الهدية التي ارسلها اليه اقل من قدره وكان المري يومئذ في الحسين من عمره فقال —
فيا ليتني اهديت خمسين حبة مضت لي فيها صحي وشبابي

(١) الانصاف والشعري ٢ - ١٤٤

(٢) نقلاً من Encyc. Islam من فصل للاستاذ نكلسون

وقلت له - فاترك ثلاثين اسرداً متى ما تكشفت ثلث غير اباب
 لعل الذي انفذت بكفيه اية لاسباع طهر حان او الشراب
 وفي البيت الثاني اشارة الى ان الهدية ثلاثين درهماً فقط

ومثلها قوله في رسالة ارسلها الى علي « وقد بعثت بشي . من النفقة ، نفسي من قلته
 كل المشقة » (١)

وما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العديم بما قرأه بخط ابي الفرج محمد بن احمد بن الحسن
 الكاتب الوزير « روزنامج » انشاء لولده الحسن يذكر فيه رحلته سنة ٦٢٨ الى الحج
 ومبوره بمرة النهران ، ويذكر اجتماعه بابي الملا . ومن قوله فيه « وقهرهم على ادب
 يفيدهم وتصنيف بحيدهم ، ومتعلم بفضل عليه . واستفد صملوك بحسن اليه » . قال وله دار
 حسنة يأويها ومماش بكفيه ومبونه ، والولاد اخ يخدمونه ويقرأون بين يديه ويدرسون
 عليه ويكتبون له ، وورثان برحمه مستأجر ، ثم ينفق على نفسه من دخل مماشه نفقة
 طفيفة ، وما يفضل عنه بفرقة على اخيه واولاده واللائقين به وللفقراء والفاصلين له من
 الغرباء (٢)

ولما قصده الخطيب الثعري ليقرا عليه دفع اليه صرة فيها ذهب ، وقال اوثر من
 الشيخ ان يدفعها الى بعض من يراه ليشتري لي ما تدعو اليه الحاجة مدة مقامي للقراءة
 واتوفر بذلك على الاشتغال . وعلم المري ان هذا الطالب كان فقيراً فآخذ الصرة وخباها
 وتقدم الى وكيله ان يجري للخطيب ما تدعو اليه الحاجة مدة اقامته بالمرة . ولما اتم دروسه
 وهمم بالانصراف ودع الشيخ ، فدفع اليه صرته بمبها . ولما اصر عليه الخطيب قال
 المري لا سبيل الى رد الصرة علي ، وهذا ذهبك بعينه (٣)

وهناك قصة نقلها الصدقي في نكت الهيمان عن ابن سبط الجوزي عن رجل دخل
 المرأة ايام المري وقد وشي بشاعرنا الى محمود بن صالح انه زنديق — قال : فامر محمود

(١) رسائل المري (اكسفورد) ٣٥

(٢) الانصاف والتحري ٢ - ١٥٢

(٣) ٢ - ١٥٢

بجمله اليه وبعت خمسين فارساً ليصلوه ، فأتواهم أبو الملا - دار الضيافة .

ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ولكنها اذا قرئت بما ذكرناه عن جاء أبي الملا وحسن حاله في المرة - عما لا سبيل الى الشك فيه - ترجح لدينا تصديقها .

ومع كل ذلك فاحككثير الذين يترجمون للمعري من قدماء ومحدثين يذهبون الى فقر شاعرنا ، وأنه كان يمشي من وقف له لا يتجاوز الثلاثين ديناراً يعطي نصفه لحادسه . فكيف تجمع بين القولين - بين وجاعة المعري وكرمه من جهة ، وفقره وزهده من جهة اخرى ؟ - والجواب : ان المعري بعد ان استقر في المعرة وعكف على العلم والتأليف قصد الطلاب من الآفاق وكانت له الكثرة والامراء ، فعظم شأنه وحسنت حاله . ولكنه لم يكن يستعمل من ماله الا للزور اليسير ، وينفق الباقي في سبيل اللاتئين والمؤثرين . وهنا سر العظمة في حياة المعري الزهدية . عاش عيشة الحكماء المتورعين عن الدنيا ، ولكنه لم يكن في ذلك كافي المتابعة واضرابه من الحريصين على المسال المقبلين على حطام الحياة ، بل قنع باليسير اعتقاداً بحكمة القناعة ، وأحسن بما كان يفضل منه اقتناعاً بشرف الاحسان .

زندقته وإيمانه

اختلف الناس في المعري فمن نامت اياه بالتي وحسن العقيدة ، ومن ناسب اليه الضلال والاحاد . وسبب ذلك ما يجدونه في لزومياته من النقد الموجّه الى الزعماء والرؤساء ، وما يهاجم به أحياناً بعض المذاهب والمقائد الدينية . فمن اتهمه في دينه ياقوت وابن الجوزي والصلاح الصقدي وجارهم الذهبي فقال « مات مشعيراً لم يحتم بدین من الاديان نساء الله ان يحفظ علينا ايماننا بكرمه » .

ومن ذهب الى انه صحيح العقيدة ابو الحسن الهكاري وابن العديم صاحب « الانصاف والتعري في دفع التجري عن المعري » . ومنهم السلفي فقد لحص اقوال الناس فيه ثم ختم ذلك بقوله - ففي الجنة كان من اهل الفضل الوافر ، قرأ القرآن بروايات وصحح الحديث بالشام على ثقات . وله في التوحيد واثبات النبوة وما يخص على الزهد

واحياء طرق الفتوة والمروءة شعر سجع (١).

• • •

ولا يزال الناس الى اليوم مختلفين في هذا الامر ، على انه لا بد قبل الحكم على المعري من ان نلقي نظرة على عصره وعلى ما كان له من الاثر في نفسه . فقد عاش شاعراً ما بين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس الهجري - اي في أبان الحرسكة الفكرية عند العرب . في ذلك العصر تم نقل العلوم اليونانية وتبع بين المسلمين كثيرون من العلماء والمفكرين والنقاد ، فكانت بغداد وكثير من المدن الشرقية الأخرى مراكز علمية احتسكت فيها « الروحانية » السامية التي حلت الى الناس الايمان بالتوحيد والمعاد والآداب الدينية ، « بالعقلية » اليونانية التي حلت اليهم البحث المنطقي والنظريات العلمية . وكان من جراء ذلك الاحتكاك اشتداد الفرق الكلامية وتعدد المنازع الفكرية بين مناصر للنصوص الدينية او مضار . ومن الانصاف هنا ان نقول ان هذا النزاع بين النقل والعقل كان يضاف او يشتد بالنسبة الى الاحوال الاجتماعية او السياسية - على ان العصور الوسطى مدينة لآفة العربية في انها (اي العربية) اتسمت يومئذ بالتفكير العلمي ، فكانت المنزل الذي حفظت فيه نثار العقول القديمة .

ولا شك ان هذا النزاع الفكري احدث في العقول ميلاً الى النظر النقدي في الكون والحياة والدين والمعاد ، فتمزج الشك الى عقول بعض المفكرين ، واستولى عليهم روح الانكار « فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم وسنن » وفادوا بازجوع الى المبادئ الأولية في الحياة الروحية والاجتماعية . ومن هؤلاء - شاعرنا - فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب توافاً الى المعرفة والى بلوغ الحقائق ، وفي نفسه اصطدمت « تقاليد » الدين بأحكام العقل « فاضطرب وصار يتلمس طريقه توصلاً الى ما يشفي اوامه » فلم يوفق تمام التوفيق : كان الايمان اساس حياته ولكنه قضى الحياة حائراً تتقاذفه لجج الشك والتشازم . ومن هنا هذا الاختلاف في الحكم عليه .

(١) راجع القول في عقيدة المعري واختلاف الناس فيه : اعلام النبلاء ص ١٦٣ الى ١٦٧ والذهبي في رسائل الكوفيين ص ١٣٠ - ١٣٥ وراجع محتاج السادة ج ١ - ١٩١ و١٩٢

على أننا إذا دققنا في حياته وشعره وحاولنا أن نخترق الضباب الذي يحيط به رأينا
يظهر لنا في طورين مختلفين تفصل بينهما مدة القامة في بغداد .

فالطور الأول طور الشباب ويمتد الى سنة ١٩٠٠ هـ . وفي هذا الطور زاه مسلماً
حقيقياً ، ورغم ما قد تنم عليه بعض اشعاره من روح التفكير ، لا زاه يختلف في تعرفه
العادي عن سائر المؤمنين .

والطور الثاني طور العزلة . يتبدى . حجب وجوهه من بغداد ، ويمتد الى آخر حياته
وفي هذا الطور يقف موقفين رئيسيين

١ - تجاه الآخرة . وهو هنا حائر يجمع في نفسه التفكير الفلسفي والعاطفة الدينية
الموروثة جماعاً غير محكم - فتارة تراه مؤمناً وطوراً مشككاً - ولهذا نجد في
شعره بعض المتناقضات ، وسيأتي معنا تفصيل ذلك

٢ - تجاه الحياة والانسان . وهو هنا صريح ثابت الرأي يذلل عليه التناقض والمرارة ،
ويلخص هذا الموقف بالمبادئ التالية

ان الطبيعة ثابتة لا تتحول (وهو مذهب الفلاسفة الطبيعيين)

ان الانسان فاسد بطبيعته ولا يمكن اصلاحه

ان الطمع اساس كل تصرفاته ومعتقداته

ان الدين انا هو حسن الاخلاق وشرف المعاملة (لا مجرد الفروض والسنن
والايمان)

ان حقيقة الحياة هي القناعة والبساطة

ان الوجود آلة الشقاء فالأفضل ان نتخلص منه بعدم التنازل

وله في المرأة آراء لا تخرج عن آراء عصره ، وسيظهر لنا كل ذلك في تحليلنا لشعره

سأهريته وشعره

للمري مقام فريد بين شعراء العربية - لا من حيث أسلوبه وفنه - ولعلكن من
حيث روحه ونظيره الى الدنيا . وقد رأينا ان حياته الفكرية تظهر في طورين مختلفين .

وفي هذين الطورين تظهر حياته الشعرية ايضاً - الاول يتناول شعر الشاب منذ بدء عهده بالنظم الى اعتزاله ، ويدخل فيه ايضاً بعض ما نظمه بعد ذلك . وقد دون لنا هذا الشعر في سقط الزند - والثاني شعر العزلة ويشمل لنا في ثروياته او ديوانه المعروف بلزوم ما لا يلزم . ولنتقدم الى تحليل كل من هذين الطورين

الطور الاول - سقط الزند

في هذا الطور نجد المري جاريماً في سنن الاقدمين من الشعراء ، فيكثر في شعره ذكر النياق والرحيل والاحبة . ولكي تعرف مقدار ذلك نقول خذ الجزء الاول من سقط الزند فهو يشتمل على اكثر من ثلاثين قصيدة ، وفي اكثر من ثلثها نجد للقصيدة مقدمة يصف بها المطايا او يتكلف النزول على الطريقة القديمة . اما الجزء الثاني من الديوان فاذا استثبتت « درميته » رأيت نصفه على هذا المنوال القديم

ومن امثلة وصفه للمطايا قوله يذكر سربها في الليل

واسود لم تعرف له الانس والقدأ كسافي منه حلة وخارا
سرت في فيه ناهيات مياها تجم اذا ماء الرصكائب غارا
نقرتم ثوب الليل حتى كاني اطرت بها في جانيبه شرارا

الى ان يقول -

اذا قيدت في منزل بتوقه حببت مناهاً اوطنته ماثرا
تظن غطيظ النوم نهمة زاجر فتقطع قيدا او تبت هجارا

ثم يقول -

وليمت نحس الارض منها موطاة فتزع سرباً او تروع صوارا
قدوس افاحيص القطا وهو هاجد فتضي ولم تقطع عليه غرارا

وينسج مقدمته على هذا النسق البدوي في نحو عشرين بيتاً ، ثم يتقدم الى المدح ويصف بأسه في الحرب ، ثم يتناول وصف خيله وركبها في اثني عشر بيتاً لا تقول اذا قرأتها

الا ان ناظمها فارس من فرسان البادية (١) .

وقس على ذلك عشرات من قصائده . وقد بلغت النظر متابعته لاني تمام في وصف المركب الذي حمله الى الأنبار ، وتشبيهه اياه بالناقة السريعة ، كقوله من قصيدة مطلعها « يا باق جدي فقد اذنت اناك لي »

على نجاة من الفرصاد اُردها رب القدوم باوصال واضلاع
تطلى بقرار ولم تجرب كأن طليت يسائل من ذفاري العيس منباع (٢)
ولا تبالي بعلى ان الم يسا ولا تهش لاختصاب وامراع

اما غزله فظاهر الصناعة قليل الرونق ولا ينتظر بمن كان كليري غزل خارج من قلب متأثر بحال الحبيب . فمن قوله في ذلك

له ايامنا المواضي لو ان شيئاً مضى يعود
ابلى ودادي لكم زمان الين احداثه حديد
لم يبل من بذلة ولكن يبلى على طيه الجديد

فانظر الى هذا الحب الذي يلي لتفادام العهد عليه وقابله بشعور محب صادق الحب متم القلب . ومن غزله

ما يوم وصلك وهو اقصر من نفس باطل ميثه غالي
هلقت حبال الشمس منك يدي وجديدها في الضم كالبالي
واردت ورد الرصل من قر فصدرت عنه كورد الآل
وطلبت عندك راحة وعلى قدر اعتادي كان ادلاي
وظللت في البرى مناي ولم تكن المنية لي على مال
ما ذات ابلغ ما اتم به حتى هممت بكوكب مال
ان فات سلوان الحياة فكل الناس بعد مما انه سال

(١) راجع هذه القصيدة في سطر الزند ١ - ١٧٥

(٢) تطلى بقرار كأنه لسواده غرق سائل من ذفاري الابل (الذفاري مؤخر الاذن) وعرق الابل اسود . ورب القدوم اي التجار . ناقة سريعة

الى آخر الايات واكثرها على هذا النسق من قلة الطلاوة . وليس غزل المري بقليل في شعره ، ولكنه فتيّاً دون غزل المتنبي او البحتري او الى تمام - تاهيك بشراء الحب المعروفين . ولا زى الا ان المري كان يحري فيه جرياً صناعياً متبعاً فيه طريقة من تقدمه في النظم .

ومما يلازم ذكر المطايا والحبيب ذكر السيف والرمح والدرع « وله في ذلك اقوال كثيرة تدل على مهارته اللغوية في الوصف كقوله

وكل ابيض هندي به شطَب	مثل التكرُّر في جابر بمنحدور
تفاوت فيه ارواح تموت به	من الضراغم والفرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به	وان تخالفن ابدالاً من الزهر
ما كنت احب جفناً قبل مسكنه	في الجفن بطوى على ثار ولا نهو
ولا قلنت صفار النمل يمكنها	شيء على اللج او - مي على السمر

ومما يبرز في شعره ذكر الضواري والطيور ، فهو كثير التمثيل بالذئب والضبع والاسد والارم والقطا والحمام والنعام والنسر والوعل والغراب .

ومثل ذلك كثرة ذكره للنجوم والافلاك والصبح والظلام ، ونجدي منه بما يلي وهو من قصيدته « ارى النقاء تكبر ان تصادا »

لي الشرف الذي بطأ الثريا	مع الفضل الذي بهر العبادا
ولو ملأ النهمى ميني	ابر على مدى زحل وزادا
وقد اثبت رجلي في ركاب	جلت من الزواع له بدادا
اذا اوطنتها قدمي سهيل	فلا سقيت خناصرة المهاد ^(١)
كان ظلامهن بنات نسر	يرون اذا وردن بنا الامدادا

. . .

ومما يلاحظ في شعر المري هو ما كثرة استشهاده بالحوادث الماضية ورجالها . ففي

(١) خناصرة محل بالشام

الجزء الثاني من سقط الزند مثلاً فهو ثلاثين شاهداً من هذا القبيل^(١).

وفي هذا الطور من شعر المعري نراه شديد الشعور بالعمية نفسه كثير التفاخر بها ، يستلذ مدح المادحين ويؤلمه جِد الحاد .

— گفتگو

تطاولوا مكاني وقد فُتِم
فأدركوا غداً ملح البصر
وقد نبهوني وما هجهم
كما تبع الكلب ضوء القمر

وله كثير من الشعر الفخري ، وهو بذلك غير المعري في اللزوميات حيث تعدى طور الشباب وانضج به اختبار الدنيا ، فإزيم التواضع والزهده وصار يعتمد عن السخايف والظواهر (٢) .

اما أسلوبه فيكثر فيه الغريب من الاقفاظ وغموض المؤلف من المصطلحات ، وهو كثير الالوان بانواع البديع والمجاز ولا سيما الحواس والتمثيل وصنرى ذات في كلمات عن لروميانه.

وإذا نظرنا إلى الرجل نفسه فأننا نراه في قطع الزند متمسكا بعتاد دينه كما هو
أهل زمانه . وإذا كنت تلح فيه شيئا من روح الشك والتأمل الفلسفي كقواه في مرآة
والده —

طلبت يقينا يا جهنمة عنهم
ولن تخدعيني يا جوهن سري الظن
لان تعهدي لا ازال مائلا
فاني لم اعط الصحيح فاستني

فذلك ضئيل جداً لا يكاد يظهر اذا ما يظهر فيه من روح الاسلام والتمسك له والذود من تعاليمه . وقد كان قبل سفره الى بغداد وقبل عزته يناضل عن وجود الله وحدوث

(1) راجع من ذلك الصفحات التالية ٥٣، ٥٤، ٦٧، ٩٩، ٩٧، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٩.

YTB CBYL CPBW CPWY EP+H CBYL CBYP CBYV CBYI CBYO CBOL CBOT

(٢) راجع فتره في الجزء الاول ٨٧ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٨٢ - ومقابلة لذلك راجع من

امثلة نواضع في الترويات ١ - ١٥ و ٢٤٢ و ٢٤٢ و ١٣ - ١٠٠ و ٩٢ و ٩٣

الكون والبعث ، وكلامه في ذلك ثابت صريح ، كقوله يود على الدهريين القائلين ان العالم قديم وانه لا بعث ولا حساب

ضل الذي قال البلاد قديمة
والطبع كانت والاثام كتبها
وامامنا يوم تقوم هجوده
من بعد ابلاده العظام ورفتها

وعلى كل فان التأمل والتشكيك ايضا الطامعين اللذين طبع بهما شوه قبل رجوعه
من بغداد .

بقي علينا هنا ان نذكر درعيه وهما قصائد في وصف الدرع يصفها على لسان رجل
اسن فترك اسن او على لسان رجل رهنها ، وقد يصفها على لسان درع تخاطب سيفاً ، او
رجل يبيع درعاً او رجل خانه آخر في درع ، او فارس سأل عن درع ابيه الى غير ذلك
محاله خلافة بهذا الموضوع .

وان الذي يطالع هذه الدرعات يعجب من رجل كافي الملاء ينصرف الى موضوع
كهذا الموضوع ، فيبذل جهده ويكدر نفسه في اوصاف ومجازات ومبارات لا طائل
تحتها ، وليس لها اقل علاقة بنفسه او حياته . ولا بسمنا ان نقول فيها الا انها في الاربع
اداة استعمالها لافهار مقدرة اللغوية .

اللزومات

ينفرد هذا الديوان بزميتين - خالوة من ابواب الشعر المطروقة (المديح والثناء والفض
وما عليها) - وانصرف فاطمه الى تقد الحياة . وقد نظم كله ، كما عرفنا سابقاً ، بعد
رجوع المعري من بغداد ولزومه منزله في المعرة ، ولذا فهو يمثل لنا نضج القوة الشعرية في
الشاعر ونظراته الفلاسفية في الكون وال عمران . على انه مع ذلك قلما يختلف من حيث
الصناعة عن شعره السابق ، فانك ترى الشاعر هنا - في هذا الجو التفكيرى الانتقادي -
شديد الكلف بالصناعة وقد قيد نفسه قييداً شديداً يلزوم ما لا يلزم ، فاضطر الى كثير
من المقوفا في العربية والالفاظ الغامضة . وقد يستغرب الذي يطالع ديوانه من جمعه بين
النضج : حيناً تراه يتعجب كد النفس ويسلس له اطفة القياد فيأتي شعره من الطبقة
الاولى مثانة وعذوبة كقوله

يرتجي الناس ان يقوم امام^١ ناطق^٢ في الصكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سرى العقل مشيراً في صبحه والمساء

وقوله -

قالوا فلان^٣ جند لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيد
فاميرهم نال الامارة بالحناء وتقيم بصلاته متصيد

وقوله

يا محلي عليك مني سلام سوف امضي وينجز الموعد
ايحجون ان اعود اليهم لا ترجوا فاني لا اعود
ولرجعي الى القرباء هبوط ولرجوعي الى الهوى صعود
وعنى حالها تدوم الليالي فنحوس^٤ لمشر وسعود

وهذا الضرب من شعره كثير . ومنه ما لا يحاربه فيه الا القليلون كقوله

رويدك قد غررت وانت حر^٥ بصاحب حيلة يعط النساء
يجرم فيكم الصباء صباحاً ويشربها على عهد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن العكساء
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فن جهتين لا جهة اسماء

وقوله -

يسوسون الامور بتقدير عقل فينفذ امرهم ويقال ساسه^٦
فاف^٧ من الحياة واف^٨ متي ومن زهره وناسته خراسه

وحيناً يهيم في اودية الغرائب اللفظية فيتمصف وياتيكم بالمكدود المتكلف كقوله

تري الهم لا شيء سوى الاكل ههنا له جسد ما استطاع حراً ولا يردا
يقول^٩ النسا مستقل الطير بعد ما هلا فرساً واجتاب ماذية سردا
ولا تترك الايام مردى لظبية من الأدم تختار الكباث ولا المردا

ولم يلف منها فارد الثمر خلاصاً وقد بلغت احداثها القمر الفرداء^(١)
وقوله

لعمري ابيك ما خالي بخال
فان اطلى القليل يكن هنثاً
محيي. المسيح بغير شفة
اذا ورد الفقير على احتياجي
اغت لطيفه بالمتدف
ولو كان الكثير لقل مندي
واهون بالضيف المستطف^(٢)

وقوله

فقد لاحت مخايل صادقات
فن لك بالفريريت سارت
تروق العين بالدمع الزلاف
باشباو نسين الى علاف

واذا علمت ان الزلاف هو البرق اللامع لمعتين وان علاف اسم رجل من قضاة تنسب
اليه الرجال ، علمت ما جاء عليه تقيده ولا سيما في قوله اشياء نسبت الى علاف
ومن هذا القيل قوله

فامنع ضعيفك ان عراك ولو
وارفع له شقواء ترمح في
توراً ولا تصرفه بالكهر
دماء مثل تارت المهر
اي امنح الضيف ولا تصرفه بوجه عبوس وارفع له ناراً تتأجج في الظلام
وقوله

فبقنا الأذى والجاشرة هتنا
انكتب سطرأ ليس فيه تخوف
ونعادي ظلام لا سبيل الى الجسر
لربك ما اولى بنائك بالاشر
وان بتسكت عشر فن بعد ما جنت
بكل فيسطر قص أكثر من عشر^(٣)

(١) الهم الشيخ الحرم. الطمر الثوب البالي. الماذية الرد الدرع. مردى مهلك. الكبسات
والرد من غر الاراك. فارد القمر اخاذ في بطنه ياض
(٢) المتدف القليل. والمستطف المستقل
(٣) الشوق الشرب ساء. والجاشرية شرب السحر. الاشر القطع. بتسكت اي قطعت. فيسط
قلامة ظفر

وقوله

كبرت فاصبحت للراشدين كبرت بعد لهدى دليلاً
كبرت فما زال هذا الزمان كبرت يحذ قليلاً قليلاً

واذا تأملت هذين البيتين لا تجد فيهما إلا تكلفه الجناس بين كبرت الفعل وكبرت الجار والمجرور (أي كدليل) في البيت الأول «وبين الفعل أيضاً ولفظة بورت (بمعنى الفاس) في البيت الثاني» .

وامثال هذا الكلام المصنوع كثير جداً في شعر شاعرنا «فلا جرم إذا جاء القسم الوافر منه صعباً مبهماً حتى على أهل الأدب» . وإذا أردنا التدقيق في أسباب صعوبة وإبهامه وجدناها ترجع إلى ما يلي -

- ١ - شغفه بالمحسنات البيانية ولا سيما الجناس والطباق والتورية
- ٢ - كثرة الإشارات إلى الحوادث التاريخية وإلى رجال التاريخ - المشهور منهم وغير المشهور .

٣ - استمالة لأرواب الكلام وشراذه

٤ - اضطرابه إلى القوافي القريبة الزومه ما لا يلزم .

فاذا أضفت إلى ذلك ما في مواضعه الفطرية الاخلاقية من معان مجردة هي بطبيعتها صعبة المتناول ، علمت السر في هذا الإبهام العام من معانيه .

ولا نذهب إلى ما ذهب إليه بعض اعلام الباحثين من أن المري كان يقصد ذلك ليخفي أغراضه ^(١) عن العامة . فإن شاعرنا كان صريحاً ، وله في لزومياته كثير من النقد المر الذي بلغت به الصراحة أبعد مدى كبعض ما ذكرنا له آنفاً ، وكتوبه

افيقوا افيقوا يا غواة فاعفا ديانتكم مكر من القداء .

او قوله

(١) راجع ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين ص ٢٦٧

قد حُجب النور والضياء واقفا ديننا رياء
يا عالم السوء ما طمنا ان مصليك اتقياء

وقوله

هفت الحنيفة والنصارى ما اهدت ويهود حادت والمجوس مضلة
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

وقوله

في البدو خراب اذواد مسومة وفي الجوامع والاسواق خراب
فهؤلاء قسوا بالدول او التجار واسم اولئك القوم اعراب

وقوله

ملء المقام فكلم اعشراة امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كبدها فعدوا مصالحها وهم ابرؤها
وقس على ذلك مئات الايات في ديوانه

ويمتاز المعري في لزومياته بدقة تشابيه ودروعة حكمه ، اما دقة التشبيه فيه فننتج الخيال وحسن التعبير ، من النفس ، واما الحكم فلما في طبعه من صدق التأمل في الحياة والموت ، ويختلف عن المتنبي ان حكم المتنبي ناشئة من نفس رجل خاض غمرات الحياة سعياً وراءها ، اما حكم المعري فناشئة من نفس حكيم مفكر عرف الحياة فزهدا . وليس من الانصاف ان نقرنه من هذا القليل بالي العاتية ، فان للمعري من دقة التأمل وصدق التضحية ومعرفة الكون ما لا زاء لشاعر القبور والنشور : كان ابو العاتية واعظ بالموت ، والمتنبي خطيب الحياة ، اما للمعري حكم الموت والحياة .

المواقف الشعرية في اللزوميات

تتناول اللزوميات منشأ الانسان ومصيره وما بينهما . ولشاعر فيها موقفان رئيسيان (١) تجاه النيبات (الله والبعث والحساب) . (٢) تجاه الانسان والطبيعة . واليك بيان ذلك -

الغيبات

هنا ترى موقفه مضطرباً ، وانكسر اضطرابه اضطراب مؤمن يحاول ان يجمع بين العقل والنقل ، فيقع في شيء من الارتباك . ومن الخطأ ان نحكم عليه من شعره بالجهود فان الشواهد فيه على ايمانه بافه وبشكل من اشكال الخلود كثيرة ، بل هي اكثر من اضدادها . ويتضح ذلك من الامثلة التالية

قال مستهزئاً بالتنجيم ومثبتاً قوة الله

متى يزل الأمر الماوي لا يُفد
سوى شبح ربح الكسبي المناجد
وان خلق الاسلام خطب يقضه
فا وجدت مثلاً له نفس واحد
اذا عظموا كيوان عظمت واحداً
يكون له كيوان اول ساجد

وقال

والله حق وابن آدم جاهل
من شأنه التفریط والتكذيب

وقال

الله لا ريب فيه وهو محتجب
بأمر وكل الى طبع له جذبا

وقال

فلك يدور بمحكمة
وله بلا ريب مدير

وقال

اما الحياة فلا ارجو نوافها
لكنني لاهمي خائف راجي
رب المالك ورب الشمس طالعة
وكل أزهر في الظلواء خراج

وفي الحشر يقول -

اذا كنت من فرط السقاء معطلاً
فيا جاحد اشهد انني غير جاحد
اخاف من الله العقوبة آجلاً
وازعم ان الامر في يد واحد

ويقول

ان ادخل النار فلي خالي
يقدر ان يسكنني روضة
ومن ذلك هذان البيتان المشهوران

قال المنجم والطبيب كلاهما
ان صح قولكما فليست بخاسر
ويلي هذين البيتين خمسة ابيات كلها على هذا النمط .
وله مثل ذلك قصيدة مطلوها

عجي لطبيب يلحد في الخالق من بعد درسه التمرجما .

وليس الذي ذكرناه الا تروا مما في انشاء الديوان من هذه المعاني الابدائية . ولعلكم
شاعرا في هذا الموقف كما قلنا مضطرب متعبد - تراه آونة مؤمناً صريح الايمان - ثم
تراه وقد غشيت الشكوك والارهام . فهو بين مد وجذر لا يستقر على حال واحدة
ومن شبهه هذه الامثلة القليلة ، وهي قل من كثر

اما الجسوم ففقدت ما لها
وعيت بالارواح انى تسلك

دفنهم في الارض دفن قبور
ولا علم بالارواح غير ظنون
وروم الفتي ما قد طوى افع طله
بعد جنونا او شبه جنون

قد قيل ان الروح تأسف بعدما
ان كان يصحبها الحبا فلعلها
او لا فكم هذان قوم غابر
تتأى عن الجسد الذي غنيت به
تدري وقأبه للزمان وغيبه
في الكتب طاع مداده في كتبه

تقدم الناس فيا شوقنا
ما اطيب الموت لشرا به
الى اتباع الاهل والاصدقاء
ان صح للامرات وشك الثقاء

اما اليقين فلا يقين وانما اتقصي اجتهادي ان اظن واحدا

اما القيامة فالتنازع شائع فيها وما لحيتها اصار
ومما يسكاد يكون انكاراً قوله

قلتم لنا خالق حكيم زعموه بلا مكان ولا
قلنا صدقم كذا نقول معناه ليت لنا عقول
هذا كلام فيه غي

وقوله

ضحكتنا وكان الضحك منا سفاقة
وحيث لسان البسيطة ان يسكوا
يخطئنا صرف الزمان كأننا
زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله

خذ المرأة واستنجد نجوماً
تدل على الحياة بلا ارباب
تبرأ بحطيم الأري النشور
ولكن لا تدل على النشور

على اننا اذا دقنا في هذه الحيرة وهذا التناقض ، وراجعنا كل ما قاله المعري بهذا
العدد ، ثم «ارضنا» بسيرته واقوال الناس فيه ، ترجع لدينا ان شاعرنا لم ينتطع من
الايان بالله وما لاخرة . ولكن صورة الله في نفسه لم تكن صورته في نفس المؤمن
العادي ، وانما كان نظره الى ما وراء الطبيعة نظرياً « لا ادرياً » متأثراً بالاسلام .

الطبيعة والحياة البشرية

ويتلخص ذلك بما يلي :

الاديان وروساها - الشعب وزعماءه - الانسان وطبيعته ومصيره

وفي كل ذلك تراء ثابت النظر مستقر الراي مقتناً بصحة ما يقول ، والى القارى .

زبدة هذه النظريات .

الاديان

اذا قوبل الاسلام بسائر الاديان فهو عند المري مفضل على الجميع . وانك ترى المري في بعض مواقفه يتعرض للجدل ، فيهاجم اليهود والنصارى والفرق الاسلامية المختلفة (كالمعتزلة والمرجئة وبعض الشيعة والصوفية) ، وله فيها اشعار كثيرة لا يتسع لها المقام ^(١) ومع كل ذلك فله في الدين نظر عام يشمل كل الاديان على السواء . وهو يتناول الدين من وجهتين (١) العقائد والفروض او هيكل الدين (٢) الفضائل والاعمال او روح الدين . اما الاولى فيعمل عليها حملة شعواء . فيحذر الناس من الدين والمذاهب ، ويرغم ان الدين من هذه الوجهة اداة يستعملها الرؤساء . لجذب الدنيا اليهم

اذا هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء

واقواله في ذلك لا تحصى فنكتفي بالإشارة اليها والى ما ذكر منها في غير هذا المقام .

واما الوجهة الثانية فهي الدين الحق عنده . وعلى قدر استهزائه بخرافات الاقدمين واوهامهم المذهبية ترى تعظيمه للروح الدينية التي يراى بها التنزه عن الجشع والظلم والشهوات ، وبذلك يشارك المصلحين الروحيين في كل مكان وزمان . ومن اقواله في هذا الباب

الدين حبر الفتى الذات عن يسر في صخر واقتدار منه ما عجزوا

.....

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف من الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحة وتفضك الصدر من غل ومن حسد

.....

الدين انصافك الاقوام كلهم واي دين لا ياتي الحق ان وجبا

(١) راجع من ذلك الزوايات ١ - ١٢٩ و ٢ - ١٧٢

قالدين عنده ترك الشر وانصاف الجميع ، ولا دين لمن يرفض الحق . وقد كرر هذا
المعنى كثيراً في رؤوسياته ، ونجده في هنا بقوله التهامي فيه

توهمت يا مغرور انك ديني طيبي بين الله ما لك دين
تسير الى البيت الحرام فتسكنا ويشكوك جار بانس وخدين

وقوله

سبح وصل وطاف بككة زائراً سبعين لا سبياً قلت بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطاعه لم يلف بالمناك

الشعب وزعماءه

ولا يختلف نظره هنا عن نظره الى الدين ورؤسائه ، فهو يهاجم الامراء والحكام
واصحاب الرعامة السياسية متهماً اياهم بالجهل والجشع والاستبداد

فشان ملوكهم عزف وتزف واصحاب الامور جبهة خرج

ول المقام فكهم اعشر امة امرت بغير صلاحها ابرازها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم ابرازها

ساس الانام شياطين مسطرة في كل مصر من الوالين شيطان
مضى يقوم امام يستقيد لنا فتعرف العدل اقبال وغيطان

ومع اشفاقه على الشعب لا يرى فيه غير الفساد العام كقوله

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
وكل حي فوقها ظالم وما بها اظلم من ناسها

كلنا غادر يميل الى الظلم وصغر الايام للتمكين
ورجال الانام مثل التواني غير فرق التانيث والتذكير

عش مجيلاً كأهل مصرك هذا . وقبالة فان دهرك أبه
قوم سوء فاشبل منهم يقول الليث فرساً والليث يأكل يبله

وقس على هذا القول كثيراً من الامثلة التي تمكس لنا بينته او نظره الاسود الى اهل
زه انه عموماً ، لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم او غني وفقير

هم السباع اذا عت فوانسها . وان دعوت لخير حولت حمرها

وكما انه يهاجم الرجال فينقمهم بالجشع والفدر واللؤم كذلك يهاجم النساء فينقمهن
بالضعف والرياء والحيانة والمكر ، ولا يرى لمن الا الاحتجاب التام والقيام المنزل
والانصراف الى شؤونه . وانك ترى سوء ظنه بين اذ يقول

فوارس فتشع اعلام غير لقيتك بالأساور معلّات

ودفن - والحوادث فاجبات - لاحداهن إحدى المكرمات

وهذان البيتان من قصيدة تنيف على التسعين بيتاً في كل بيت منها ذم للمرأة وتحقير
لشأنها . ومثلها في التروميات كثير . ولا ندري ما الذي حمل المري على الازدراء بالمرأة
ورحمها بكل الشوائب ، ولكنه ولا شك جاري عصره ، بل غادى في هذه الآراء الى الحد
الاقصى - على انه مطلق على الرائدات واوصى بين خيراً .

الطبيعة البشرية

اما الطبيعة البشرية فغائبة منه لا امل باصلاحها ، والانسان مسير بقوتين قوة
داخلية هي الغريزة الوحشية التي لا يمكن تهذيبها

واللب حاول ان يهذب اهل فاذا البرية ما لها تهذيب

لم يقدر الله تهذيباً لطنسها فلا ترومن للاقوام تهذيباً

ولا تصدق يا البرهان بطله فتستفيد من التصديق تكذيباً

وجيلة الناس الفساد فضل من يسر بحكمته الى تهذيبها

وقوة خارجية هي قضاء جبار يدفع الانسان امامه فلا اذاعة له ولا اختيار . لكن كيف
 نجتمع بين « حكمة الله » كما نراها في شر المري وبين جبروت القضاء ؟ وكيف نوفق
 بين القدر والحساب ؟ مسألة فلسفية دقيقة لا تزي الشاعر بوضوحها او يتم بتطبيقها تطبيقاً
 صحيحاً ، وانما هنه من ذلك ان يصف ما يشعر به او يشوهمه ، ولذا لا ينتظر ان نراه
 هنا مثقبي الحواطر مطرد الفكر .

ومن هذا القبيل ذكره للعقل والنقل ، فانك تراه يهيب بالناس الى رفض الشرائع
 ناسياً اليها كل اسباب الفتى والاضطراب كقوله

ان الشرائع القت بيننا إحناً وادومتنا افانين العداوات

ولا يرى من هادر غير العقل

كذب الظن لا امام سوى العقل مشجراً في صبحه والمساء

تستروا بامور في ديانتهم وانما دينهم دين الزناديق
 نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باحكامهم وتصديق

اذا رجع الحضيف الى حجاب نهان بالشرائع وازدراها

ولكن اي عقل تتبع واي عقل زفرض ؟ هنا لا بد من الحذر ، فالمري يندفع بتأثير
 التأمل الفلسفي الى تقديس العقل دون النظر الى عاقبة ذلك التقديس ، وهو بذلك هدأه
 ونعم المعول العقل ، على شرط ان يستخدمه فيما يفيد - في تهذيب الشرائع ورفضها
 الى مستوى الكمال الممكن ، لا في التخلص منها تبعاً لتزعمات الفوضى . والذي يلوح لنا
 ان المري لم يكن فوضوياً ، ولم يقصد الهدم المطلق بل قصد الاصلاح الاجتماعي . على
 انه اندفع الى ذلك متأثراً من طبيعته ومن الفساد الذي حوله ، فلم يسلك طريقاً يصح
 ان نسميها طريق الهداية العملية .

وليس من اثر واضح للفوضى في شعره الا حله على النسل ، ودعوته الناس الى الفناء
 واقواله في ذلك معروفة نذكر منها هذين البيتين

لو ان كل نفوس الناس واثية كأي نفسي قناعت من خزاياها
وعطّلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

كلمة ختامية

وهنا لا بد ان نسأل: ما العوامل التي أحلت المعري هذا المحل الرفيع في تاريخ الادب
المعري وخلّدت له هذا الاحترام في نفوس المتأديين؟ والجواب عن ذلك

- ١ - صراحته في مهاجمة ما كان يراء فاسداً
- ٢ - صرفه الشعر الى مواضيع عمرانية اخلاقية لم يسبق اليها
- ٣ - تطبيقه الحكمة على نفسه واظهاره مبادءها في حياته
- ٤ - زعمه الحقيقي وتروعه عن اغراض الدنيا .

نعم قد يؤخف عليه بعض شذوذه الفكري الذي حمله احياناً الى اقصى التطرف وجعله
هداماً لا يحسن البناء، وتحرجه اللغوي الذي دفعه موارد الى ركوب اخشن المراكب توصلاً
الى ممانيه . على ان المعري برغم ذلك الشذوذ وذلك التعرج هو تلك الشخصية التي
تجمع بين الاخلاص والشدة - الاخلاص في خدمة الحقيقة كما تتراءى له ، والشدة في
مهاجمة اهل الفساد . وهو بذلك يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا في تاريخ الادب
المعري اذ ليس لاحدهم مها تسانت مسكنته الفتية ما للمعري من النظر الى الحياة التي تسج
حوله ومحاوله نقدها . كان الشعراء قبله لا يرون في الحياة الا انفسهم ولا يرون في الادب
الا ما يوصل الى اغراضهم ، فجاء المعري ينظر الى البيئة التي تحويه محاولاً رفعها واصلاح
شؤونها . على انه لم يرف فيها غير اوجه الفساد والظلام ولم يفت - الى مجالي الجلال التي
ترين وجه الطبيعة والحياة - لجاء شعره قائم اللون كأنما هو مصباح تنفذ اشته البنا من
وراء زجاجة سوداء .

المختار من شعر المعري

قارب في خضم مضطرب تتقاذفه الرياح وتقرى به الامواج - ذلك هو المعري في نظره الى الحياة .

خلدات من كل جانب ، وعقل مفكر يحاول ان يرى من وراءها ما لا يرى ، فيرتد خائباً قائماً على الدهر وجوده ، قائماً على الحياة مسراتها ، مهيباً بالناس : الى الفناء الى الفناء ، فما الوجود الا شقاء في شقاء .

نقبة من سقط الزند

في المراثي

قال يرثي والده

نقمتُ الرضا حتى على ضاحك المزني	فلا جادني الا مبوس من الدجني
فليت فمن ان شام حتي تيسمي	فم الطعنة التجلد قدسي بلا سن
سكانُ تناياه اوانس يستفي	لها حسن ذكر بالصيانة والسجن ^(١)

• • •

اي حكمت فيه الليالي ولم تزل	رماح المنايا قادات على الطعن
مضى طاهر الجمان والنفس والكبرى	وسد المنى والجيب والذليل والرؤن
فيا ليت شعري هل يجف وقاد ^(٢)	اذا صار أحد في القيامة كالبهن ^(٣)
وهل يرد الخوض الروي مبادراً	مع الناس ام يأبى الرحام فيستأني

(١) كرهت الرضا حتى على السحاب الناقب - فسوف يبقى فمي مطبقاً كأن اسنانه نساء مصونات في غدورهن^(٢)

(٣) أحد اسم جيل . والعن القطن

حجاً زاده من جرأت و ساحتی و بعض الحجاج داع الى البخل والجبن^(١)

على ام دفر غضبة الله انها لا جدر أني ان تخون وأن تخني^(٢)
كسابق دياها فرعها ونهارها بحيا لها قامت له الشمس بالطن
رأها سليل الطين والشيب شامل لها بالثريا والماكين والوزن^(٣)
زمان تولت وأد حراً بنتها وكم وأدت في إثر حراً من قرن

جهلنا فلم نعلم على الخرص ما الذي يراد بنا والعلم لله ذي المن
إذا غيب المرء استر حديثه ولم تخبر الافكار عنه بما ينبغي
تضل العقول المبرزيات رشدها ولم يسلم الرأي القوي من الآفن^(٤)
وما قارنت شخصاً من الخلق ساعة من الدهر الا وهي افتك من قرن
وجدنا اذى الدنيا لفيذا كأنها جنى النمل اصناف الشقاء الذي نخني
فما رغبت في الموت كدر ميعها الى الورد خمس ثم يشرين من أجبن^(٥)
يصادفن صقراً سكل يوم ويلق ويلقين شراً من محابه النجبن
وخوف الردى آوى الى الكهف امله وكلف نوحاً وابنه عمل السفن^(٦)
وما استعذبت روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

أسولى القوافي كم اراك انقيادها لك الفصحاء العرب كالعجم الأصكن
هنيئاً لك البيت الجديد مؤسداً عينك فيه بالسعادة واليمن

(١) في هذا البيت وما قبله يصف اباء بالوقار ويقول : هل يغت وقاره يوم القيامة (يوم يصبح جبل أحد كالقطن) وهل يتسارع مع الناس ويراجهم الى الخوض . ان ههنا قد زاده جرأة وساحة في حين ان النمل يدعو اصحابه الى الخدر الشديد

(٢) ام دفر كناية عن الدنيا . وتخني غلث

(٣) شبه الدنيا بالحناء في قلة الوفاء وقال إنما قديعة رآها آدم وهي شابة وعلامات شبيها هذه الشجوم — الثريا والماكان والوزن

(٤) المبرزيات الثوية . والآفن النقص والضعف

(٥) فما رغبت في الموت قط تسير خسة أيام حتى تصل الماء فتشربه فاسداً آسناً

(٦) إشارة الى قصة اصحاب الكهف وقصة نوح

مجاورة سُكُنْ في ديار بصبتم
طلبتُ يقيناً من جهينة عنهم
فان تمهيدني لا ازال مسائلًا
من الحني سقياً للديار وللسكن
ولن تحبيني يا جهين سوى الفتن
فاني لم أعط الصحيح فاستغني

أمرًا برجع كنت فيه كالنار
وما استقر المني عليك ديانة
يوافيك من رب العلا الصدق بارضا
غياقور وامر من ترابك لنا
لا طقت اطباق التجارة فاحفظ
سأبكي اذا غنى ابن ورقاء بهجة
وفادبة في مسمي كل قبعة
وأحل فيك الحزن حياً فان امت
وبعدك لا يهوى الفؤاد مرة
امرأ من الاكرام بالجعر والرأسن^(١)
لو ان حماماً كان يشفيه من ينني
بشراً وتلقاك الامانة بالامن
عليه وآمر من جنادرلك الحسن
بلؤلؤ المجد الحقيقة بالحزن^(٢)
وان كان ما يصبه ضد الذي اعني
تفرّد باللعن البري عن اللعن^(٣)
وأهلك لم اسلك طريقاً الى الحزن
وان كان في وصل السرور فلا ينني

دالته المشهورة

يوثي صديقه | الخطاب الجلي وكان ادبياً وقيماً وقد مات شاباً

غير مجرب في ملئي واعتقادي
وشية صوت النعير اذا قيل بصوت البشير في
أبكت تلحكهم الحمامة ام غنت على فرع عصنها المياد
صاح هذي قبورنا قلاً الرحب فان القبور من مهد عاد
خفف الوطء ما أظن اديم الـ أرض إلا من هذه الاجساد

(١) الحجر ما حول الخطم في مكة . والركن ركن البيت الحرام

(٢) انك ايجا القبر كالصدقة وهو فيك كاللؤلؤة

(٣) اللعن اهلالي من الحسن

وقبيح بنا وان قدم الصد هوان الآباء والاجداد
 سر ان اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
 ربّ طير قد صار لحداً مراداً ضاحك من تراحم الاضداد
 ودفين على بقايا دفين في طويل الازمان والآباد
 فاسأل الفرقدن عن احسا من قبيل وآنا من بلاد^(١)
 كم اقاما على زوال نهار واتارا للندج في سواد
 تعب سكلها الحيلة فما اعجب الا من رغب في ازدياد
 إن حزناً في ساعة الموت اضنا ف سرور في ساعة الميلاد
 خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحبونهم للتضاد
 إما ينقلون من دار أحسا لى الى دار شقرة او رشاد
 ضجة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

أثبت المدبيل^(٢) أسيدن او يدن ن قليل الغراء بالإسعاد
 ايه لله در احسن فانتن اللواتي نحن حفظ الوداد
 ما نسينا هالكاً في الاوان الحال اودى من قبل هلك إباد^(٣)
 بيد انى لا ارتضي ما فعلتن واطواقككن في الاجياد
 فلتأين واستمرن جميعاً من قيص الدجى ثياب حداد
 ثم غردن في المآتم وأنسدين بشجو مع الغواني الخراد

قصده الدهر من الى حمزة الأروا بد مولى حبيب وخذن اقتصاد^(٤)
 وفقهاً افكاره شذن للنعمان ما لم يشده شعر زياد^(٥)

(١) فاسأل هذين الكوكبين عما عرفاه وشهداه من احوال الناس

(٢) بنات المدبيل الحام

(٣) إشارة الى المرافقة ان الحسام لا تزال تيكى على هداياها الذي ظلك قديماً

(٤) أبو حمزة اسم القنبر الرشي . قصد الدهر منه رجلاً صالحاً عاقلاً

(٥) في لفظة نعمان هنا تورية فالتعان ملك الخيرة ، والتعان الامام أبو الخليفة وهو المراد . وزياد

هو النابتة المشهور وكان شاعر ملك الخيرة

فالمعري بعده للحجازي قليل الخلاف سهل التباد
انفق العمر تاسكاً يطلب العلم بكشفه عن اصله وانتقاد
ذا بنان لا تلمس الذهب الاحمر زهداً في المسجد المستنار

ودعا اليها الحفيان ذاك الشخص ان الوداع أسر زاد
واضلاء بالدمع ان كان طهراً وادفناه بين الحشى والفؤاد
واحباء الاكفان من ورق المصحف كبراً عن انفس الأبرار
واتلوا النش بالقراءة والنسيح لا بالنحيب والتعداد
اسف غير فافع واجتهاد لا يرهقي الى ضياء اجتهاد
طالما اخرج الحزن جوى الحزن نى الى غير لائق بالمداد
مثلاً فانت الصلاة سلباً ن فأنهى على رقاب الجياد
وهو من شجرت الانس والجن بما صح من شهادة صاد^(١)

كيف اصبحت في محلك بعدي يا جديراً مني بحسن اقتصاد
قد اقر الطيب منك بمنزرت وتقتضى تردد العواد
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجدان لا معاد حتى المهاد
هجد الساهرون حولك للتوبيخ وبع لأعين الهجد
كنت خل الصبا فلما اراد البين واقفت وأيه في المراد^(٢)
ورأيت الوفاء لصاحب الاول من شيمة العكريم الجواد
وخلعت الشباب فضا فيا ليتك ابليت مع الانداد
فاذهبها خير ذاهبين حقيقين بقيا روائح وغواد
ومراث لو أنهم دموع لحن السطور في الانشاد

(١) ان الحزن قد يخرج الانسان عن صوابه كما فعل ملان من شرب الخيل وذلك لما عرضت عليه
فاشتغل بها حتى فاته الصلاة - وهو الذي شهد له في سورة صاد اذ قيل - فمخرونا له الريح تجري
بأمره - الآية (٢) الضمير في اراد راجع الى الصبا

زحل^١ اشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد
ولسار المريخ من حدائق الدعسر مطفئ وان علت في انقاد
والثريا رعيته بافتراق الشمل حتى^٢ تفتد في الافراد
كل بيت للهدم ما تبتي الورقاء والسند الرفيع العباد
بان امر الاله واختلف النسا من قداح الى ضلال وهاد
والفتى ظاعن^٣ ويكفيه ظل^٤ التيدر ضرب^٥ الاطراب والارباب^٦
والذي حارت البدية فيه حيوان مستحدث من جماد
والليب^٧ اللبيب من ليس يفتقر^٨ بكون مصيره للفساد

قصيدته الحكمة

في رثاء جعفر بن علي بن المهذب

احسن ^١ بالواجد من وجدو	صبر ^٢ بعيد النار في زفدو
ومن الما في الرزة غير الاسى	كان بصكاء مشهى جهده
فلينرف الجفن على جفرو	اذ كان لم يفتح على ندو
والشي لا يكفر مداحه	الا اذا قيس الى ضدو
لولا غضي نجيد وقلائدو	لم يثن ^٣ بالطيب على رندو ^٤
ليس الذي يسكى على وصله	مثل الذي يسكى على صدو
كان الاسى فرضاً لو ان الردى	قال لنا افدوه فلم نقدو
هل هو الا طالع ^٥ لاهدى	سار من القرب الى سعدو

يا دهر^١ يا منجز^٢ ايعاده ومخلف^٣ المأمول من وعده

(١) والاسان راحل بنيتي ظل السدر عن ان يبني الخيام - اي انه قليل الاقامة في الدنيا فيجب ان لا يتم بها والسدر شجر الشبق

(٢) اي ان الرند خص بالثناء لغايته بسائر الاشجار التي لا طيب لها

اي جديد ■ لم تُبله
ادى ذوي الفضل واحداهم
ان لم يكن رشد الفتى نافعاً
تجربة الدنيا وافعالها
والقلب من اهوائه عابد
ان زمني برزاياه لي
سكاننا في كثر مائه
لو عرف الانسان مقداره
امس الذي مر على قربه
اضى الذي اجل في سته
والواحد المفرد في حقه
وحالة الباسكي لا بانه

واي أقرانك لم توده^(١)
يجمعهم سلك في مده
فيه انفع من رشه
حت انما الزهد على زهده
ما يعبد الكافر من بده^(٢)
صيرني اسرح في رقيه^(٣)
ينفق ما يختار من نقده
لم يفخر المولى على عبده
يعجز اهل الارض من رده
مثل الذي هو جل في سده
كالخاشد المحكك من حشه
كحالة الباسكي على ولده

ما رغبة الحي بآبائه
ومجده افضاله لا الذي
لولا سجاياه واخلاقه
تشتاق آبار نفوس الوري
قدعو بطول العمر افواهنا
يسر ان مد بقاء له
كم صان عن قبله خده

ما جنى الموت على نجده^(٤)
من قبله مكان ولا بعده
لكان كالدوم في وجده
وانما الشوق الى ورده^(٥)
لن تنهى القلب في رده
وكل ما يكره في مده
لطلت الارض على خده

(١) توده . خلكه (٢) اليد الصنم

(٣) اي لكثرة اشتلا في رزايا الدهر وقرني عليها صرت لا ابالي بما بل ازداد نشاطاً ومرحاً .
والقد سير يند من جلد يوثق به الاسير

(٤) كيف يفتخر الحي بآبائه من الموت ومر الذي فتلك باجداده

(٥) كما ان النفوس تشتاق ايار لاجل ورده كذلك الانسان انما هو اخلاقه وسجاياه

وحامل ثقيل القى جیده
ورُبُّ ظَنَّانٍ الى موردٍ
وكان يشكر الضعف من فقدہ
والموت لو يعلم في ورده

فيا انا المفقود - في خسر
جاءك هذا الحزن مستجدياً
سليم الى الله فكل الذي
لا يمدم الاسمر في غابر
ان الذي الوحشة في داره
لا أوحشت دارك من شمها
كالشهب ما سلاك من فقدہ^(١)
اجرك في الصبر فلا تجده
سائك او سرُّك من عنده
حقاً ولا الابيض في غنِّه^(٢)
تؤنسه الرحمة في حله
ولا خلا غائبك من أسده

اسئلة من وصف وفخره

قال متبرماً من بخداد ومتشوقاً الى وطنه

مغاني اللوى من شخصك اليوم اطلال
وابضت فيك النخل والنخل يانم
حملت من الشامين اطيب جرعة
فسيقاً لكأس من فم مثل خاتم
كان الخزاسي جئت - حلة
أتعلم ذات القوط والشنف أنني
وفي النوم مفنى من خيالكَ بحلال^(٣)
راعيني من حبك الطلع والصال^(٤)
واتودها والقوم بالفقر ضلال^(٥)
من الدُّر لم يهجم بتقييده خال^(٦)
عليك بها في اللون والطيب سرِّبال
يشغني بالزارِ اقلب رؤبال^(٧)

(١) يزي انا الفقد ويقول ان في اولاده الخمسة ما يملك من فقدہ

(٢) الاسمر الرمح والابيض السيف

(٣) يخاطب الحبيبة ويقول ان المنازل منك خالية ولكن خيالك كثير الحلول في عيوننا عند النوم

(٤) وابضت لاجلك النخل واحييت اشجار البادية لانك بدوية

(٥) اي حملت من الشام والجزيرة اطيب جرعة واقلمها (اي رضايك)

(٦) الحال هنا الحائل اي المدد بعظم شأنه

(٧) اسلم هذه الفتاة للتحلية في اذنا بالقوط والشنف ان لي فيها خصماً يتددني ويزار علي كالامد

غيا دارها بأحزَن إن مزارها
بكت فكأن البتة تادي فريده^(١)
تحلى النقا دُرَيْن دَمًا وألوه^(٢)
وغنت لنا في دار ساورة قينة^(٣)
فقلت تمنى كيف شئت فغنا
قريب ولكن دون ذلك أحوال^(٤)
علم لسقى الخلفى قلب^(٥) وخلخال^(٦)
وولت أعبلا وهي كالشمس معطل^(٧)
من الورق مطراب الاوائل ميهال^(٨)
فتأولك عندي يا حماسة إحوال

تجملني كيف اطمانت في الحال
رزي الاماني لا انيس ولا مال^(٩)
كفى حزنا بين مشيت واقبال^(١٠)
زمان له بالشيب حاكم واسجال^(١١)
فاني عن اهل الواصم سأل^(١٢)
خفوق فزادي كلما خفق الآل^(١٣)
ولو ان ماء الكرخ صباء بوزال^(١٤)
من الدهر فلينعم لساكنك البسال^(١٥)
وهيات لي يوم القيامة اشغال^(١٦)
له بارقا والماء كالزئير معطل^(١٧)
عن الجمل قدأف الجواهر مفضال^(١٨)
لا زاد والدنيا حظوظ واقبال^(١٩)
مكارم لا تكري وان كذب الحال^(٢٠)
تثبت أن الحمر حلت للشوة
فاذهل أني بالعراق على شفا
مقل من الاهلين بسر واسر
طويت الصبا طي السجل وزاري
مضى سالت بغداد عني واهلها
اذا جن لي لي جن لي وزائد^(٢١)
وما بلادي كان النجع مشربا
فيا وطني ان فتي بك سابق^(٢٢)
فان استطع في الحشر آتاك زائرا
وكم ماجد في سيف دجلة لم أتم^(٢٣)
من العمر تراك المواجه معرض^(٢٤)
سيطأبني رزي الذي لو طلبته
اذا صدق التجد افقرى العم لفتي^(٢٥)

- (١) بكت الحبيبة للفرار وقطرت دموعها على قدمها فصار القلب (الاسوار) والمخلخال يتأديان للفريد في المقدم علم فتجالف مع الدموع
(٢) وغنت لنا في هذا المكان مثبته من الخمام
(٣) ماء بلادي الطيب ولو ان ماء بغداد كالصبيان
(٤) سيف دجلة اي سط دجلة - وكم من كرم هناك لم اقصده واهم الطمع يوده
(٥) اذا خدم الحظ احدا اخترع له الناس (الم) من المكازم ما ليس في مخايله - وقد تلاعب في جده وعم وخال تلاعبا بياناً ظاهر التكلف
(٦) (٣) الآل السراب
(٧) (٤) ماء بلادي الطيب ولو ان ماء بغداد كالصبيان
(٨) (٥) سيف دجلة اي سط دجلة - وكم من كرم هناك لم اقصده واهم الطمع يوده
(٩) (٦) اذا خدم الحظ احدا اخترع له الناس (الم) من المكازم ما ليس في مخايله - وقد تلاعب في جده وعم وخال تلاعبا بياناً ظاهر التكلف

وقال في الشريف موسى بن اسحق مجيباً آياه عن قصيدة

حلاقي فانّ ييض الاماني فنتيت والظلام ليس بقاني
ان تناسيت وداود اناش فاجعلاني من بعض من تذكرائه
ربّ ليل كأنه الصبح في الحسن وان كان اسود الطيلان
قد ركضنا فيه الى اللهو لا وقف النجم وقفة الحيران^(١)
كم اردنا ذلك الزمان بدح فثقلنا بدم هذا الزمان
فكأنني ما قلت والبدد طفل وشباب الظلماء في عتفوان
لياتي هذه عروس من الرثج عليها قلائد من جنان
هرب النوم عن جفوني فيها هرب الامن من فراد الحيران
وكان الهلال يهوى الثريا فما للدواع معتقان
قال صهي في لعتين من الحندس والبيد اذ بدا الفرقدان
نحن غرقى فكيف بنقذنا نجان في حومة الدجى غرقان^(٢)
وسهيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب الحب في الحفنان
مستبداً كأنه العارس المعام يبدو ممرض الفرسان
يسرع الدج في احرار كما تسرع في الدج مقلة النضبان
خبرجته دماً سيوف الاعادي فبكت رحمة له الشمران
قدماء وراه وهو في العجز حكاك ليست له قدمان^(٣)
ثم شاب الدجى وخاف من المجر فقتل المشيب بالضران
ونضاً فجره على نسر الواقع سيفاً فهم بالطيران
وعلى الدهر من دماء الشهيدى علي ونجسه شاهدان^(٤)

(١) تكلف المطابقة بين الجري والوقوف فقال كم جرينا فيه الى اللهو والنجم في الليل واقف
حائراً (يصف الليل بالطول)

(٢) قال صهي وقد دخا في احشاء الظلام والفرق: نحن غرقى فكيف بنقذنا الفرقدان وها غرقان

(٣) تخاف سهيل جمان يقال لما قدما سهيل - فهو معكوس الحال يشي - اعجز اكمن لا قدمان له

والشمران نجان (٤) النسر الواقع اسم نجم - قال ويلوح على الدهر من دماء الشهيدى
الامام علي وابنه الحسين شاهدان

فها في اواخر الليل جفرا ن وفي أولياته شفقان^(١)
وجمال' الاوان عقب' جدود كل' جد' منهم' جمال' اوان

• • •

يا ابن مستعرض الصفوف بيدر^(٢) ومبدر' الجوع من غطفان^(٣)
أحدر' الحمة الذين هم الافراض في كل منطق' والماني^(٤)
والشعوص' التي خلقن ضياء قبل خلق المريخ والميزان^(٥)
قبل ان تخلق السموات' او نو من افلاكهن' بالندوران^(٦)
لو تأتت لنطحها حمل' الشهب' تودى عن رأسه الشرطان^(٧)
او اراد الهالك طمناً لها ما ذ كسبر' القنار' قبل' الطمان^(٨)
او مصاها حوت' النجوم سقاء حنقه صائد' من الخدقان^(٩)
انت كالشمس في الضياء وان جا وزت كيوان' في ملو' المكان^(١٠)
وسجايا محمدر' اعجزت في الوصف لطف' الانكار' والاذهان
وجوت في الانام اولاده' الستة' مجرى الارواح في الابدان
اقلوا حاملي الجداول' في الاغصان مستنمين' بالقدران^(١١)
يضربون الاقوان ضرباً بعيد' السعد' نحاً في حكم' كل قران
وجلوا فمرة' الوغى بوجود حننت' فهي معدن' الاحسان
قد اجينا قول' الشريف بقول واثبتنا الحصى عن المرجان

(١) هذان الشاعدان هما الفجران الكاذب والصادق اي الحمرة التي غرى اول الصبح وكذلك الشفقان اي الحمرة او الصفرة التي قبضت في اخق المغرب بعد الغروب. ويزعم اخا من آثار ما اريق من دم الشهيدين (يريد بذلك انما تلوح مدى الدهر)

(٢) يا ابن النبي الذي عرض صفوفه بواقعة بدر واياك هذه القبائل

(٣) يريد بالحمة الذين هم موضوع كل ثناء اعضاء المعرة الشريفة - النبي وهابياً وفاطمة

والحسن والحسين (٤) المريخ والميزان من النجوم

(٥) الشرطان كوكبان مضيئان من برج الحمل يقال لهما قرنا الحمل

(٦) يقصد الهالك المعروف بالرامح (٧) كيون اسم لرحل

(٨) يقصد بالجدول السيف وبالقدوران الدروع

أيها الدرُّ انا فضت من بحر حلى الطريق ^{الجريان}
ما أمرؤ القيس بالمصلي اذا جا ^{راه في الشربيل سكيت الزمان} (١)

وقال من قصيدة يفتخر وبذم الزمان

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ
أعندي وقد مارست كل خفة
تعدُّ ذنوبي عند قوم حكيمة
سكاني اذا طلت الزمان واهله
وقد سار ذكرى في البلاد فن لهم
يهم الليالي بعض ما انا مضر
واني وان سكنت الاخير زمانه
واغدو ولو أن الصباح صرام
واني جواد لم يحل لجامه
وان كان في إس القتي شرفه
ولي منطق لم يرض لي كنه مغلي
لدى موطن يشافه كل سيد
ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا
فواعجباكم يدعي الفضل ناقص
وكيف تنسام الطير في وكناتها

عقاف وإقدام وحزم ونائل
بصدق واش. او يحجب سائل
ولا ذنب لي الا العلا والفواضل
رجعت وعندي للانام طوائف (٢)
باغفاء شمس ضواها متكاملا
وبتقل رضوى دون ما انا حامل (٣)
لا تر بما لم تستطه الاوائل
وأسري ولو أن الظلام جعافل
ونضو بمان الغفلة الصياقل (٤)
فا السيف الا غمده والحائل
هل أني بين السباكين نازل (٥)
ويقصر عن ادراكه المتناول
تجاهلت حتى ظن أني جاهل
ووا أسفاكم يظهر النقص قاضل
وقد نصبت للفرقدن الجبال (٦)

(١) المصلي هو الثاني في السباق . وسكيت الزمان الاخير

(٢) كاني اذا فكت اهل الزمان عادوني فاصبحت وفي نفوسهم علي ثارات

(٣) رضوى اسم جبل بالمدينة

(٤) قوله لم يحل من التحية . والنضو الياني السيف الياني . والصياقل الذبن يصافون السيوف

(٥) الما كان نجهان مروفان

(٦) شبه نفسه بالفرقدن في علو المقام وقال اذا كان مثلي تصب له الجبال فما قولك فيمن

يتنافس يومي في أمسي كسراً
وطال اعترافي بأثرمان وصرفه
فلو بان عهدي ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائي بالخل ماذر
وقال الشهي للشمس انت خفية
وطاوت الأرض السماء سفاهة
فيا موت زر أن الحباسة ذميمة
وتحمد اسعاري علي الاوائل
فلست أبالي من تقول الفوائل
ولو مات زندي ما بكته الاوائل
وعبر قناً بالفهامة باقل^(١)
وقال الدجى يا صبح لولك حائل
وقاحت الشهب الحصى والجنادل
ويا نفس جدي ان دهرك هازل

امثلة من لزومها

وفيهما تظهر زعمته الى التشاؤم من احوال الانسان والزمان

١

أولو الفضل في اوطانهم غرباء
وحسب الفتي من ذلة العيش أنه
وما بعد مر الحس عشرة من صبا
تواصل حبل النسل ما بين آدم
تشاءب همود^(١) اذ كاب خالد
وزهدني في الخلق معرفتي بهم
إذا نزل المقدار لم بك للقطا
على الولد يحكي والد ولو انهم
وزادك بعداً من بنبك وزادهم

تشذ وتنأى عنهم القرباء
يروح بادق القوت وهو حباء
ولا بعد مر الاربعين صبا
وبني ولم يوصل بلاسي^(٢) با
بعدى فما عدتني الثوباء^(٣)
وعلي بان المالين حباء
نهوض ولا للمخدرات^(٤) إباء
ولا على اصدارهم خطباء
عليك حقوداً أنهم نجباء

(١) الطائي هو حاتم المشهور بكرمه . ومادر رجل من بني هلال معروف بالخل . وقس هـ الخطيب الجاهلي المشهور . وباقل يضرب به المثل في العي

(٢) يريد جذير البيتين ان حبل النسل انقطع فيه (اي انه لم يتزوج) وان التزوج كالقوباء
عدوى تعيب الناس بعضهم من بعض اما هو فبقي سليماً منها

(٣) المخدرات الاسود في آجامها

٢

إذا كان علم الناس ليس بنافع
 قضى الله فينا بالذي هو كائن
 وهل يابى الإنسان من ملك ربه
 وقد بان أن النعم ليس بغافل
 ومن كان ذا جود وليس بكثير
 ولا دافع فالخسر للطاء
 فتم وضاعت حكمة الحكماء
 فيخرج من أرض له وساء
 له عمل في انجم الفهاء
 فليس بتعسوب من العكرماء^(١)
 أفيقوا أفيقوا يا غواة فأنما
 أرادوا بها جمع الحطام فاددكوا
 يقولون إن الدهر قد حان موته
 وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه
 دياتكم^(٢) مكر من القدماء
 وبادوا وماتت سنة اللؤماء
 ولم يبق في الأيام غير قماء^(٣)
 فلا تسعوا من كاذب الزملاء

٣

يرتجى الناس أن يقوم أمام
 كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
 فإذا ما أطلعت جاب الرحمة عند المسير والارساء
 أنما هذه المذاهب أسبا^ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
 فأنفرد ما استطاعت فأتاها^٤ دق يضعي ثقلاً على الجلساء

٤

يحنن مرأى لبني آدم
 ما فيهم بر ولا ناسك
 أفضل من أفضلهم صخرة
 وكلهم في الذوق لا يعتد
 إلا إلى نفع له يجذب
 لا نظلم الناس ولا تكذب

(١) المكثري أي الكثير المال

(٢) لا يصد بالديانة هنا الإيثار الحقيقي بل النظم والطوامر والظنوس الخارجية التي هي من وضع الإنسان (٣) ذماء بنية الروح في الجسد (٤) إشارة إلى القول بظهور المهدي

٥

من لي أن لا أقيم في بلد
أذكر فيه بشير ما يجب
يظن في السر والديانة والمسلم وبينها حجب
كل أموري علي واحدة
لا صغر يتقى ولا رجب
أقررت بالجهل وأدغمي فحسي قوم فامري وامرهم عجب

٦

قد قيل ان الروح تأسف بعدما
ان كان يصحبها الحجب فلطمها
او لا فكهم هذيان قوم غاير
تنأى عن الجسد الذي قتلت به
تدري وتفتن للزمان وعشه
في الكتب ضاع مداده في كتبه

٧

■ صائم طول الحياة وانما
لوتان من ليل وصبح لوتان
والناس كالاشعار ينطق دهرهم
قالوا فلان جند اصدق
فامروهم قال الامارة بالحنس
كن من تشاء مهجناً او خالصاً
فطري الحمام ويوم ذاك أعتد
شعري واضفني الزمان الأيد
يهم فطلق مشر ومقيد
لا يكذبوا ما في البرية جيد
وتقيهم بعلاته متصيد
واذا رزقت غنى فانت السيد

٨

لا تبدأوني بالعداوة منكم
أيضض ضوء الصبح ناظر مدلاج
ان السيوف تراح في اعمادها
روح اذا اتصلت بشخص لم يزل
ان كنت من ربح فيا ربح اسكني
فسيحكم مندي نظير محمد
ام نحن اجمع في ظلام سرمد
وتظل في تعب اذا لم تغمد
هو وهي في مرض العناء المكند
او كنت من لخبير فيا لخب احمد

٩

نُبْرُ يا غراب وأفسد ان ترى احداً
 غفد من الزرع ما يكفيك عن عرض
 وما ألومك بل أوليك معذرة
 قال حواء راعوا الاسد مخدرة
 ومن اتاهم بظلم فهو عندهم
 هم الماشر ضاءوا كل من صجروا
 لو كنت حافظاً لثارت لهم ينعت
 الا مسيئاً واي الخلق لم يجبر
 وحاول الرزق في العالي من الشجر
 اذا خطفت ذمال القوم في الحجر
 ولم ينادوا بسلم ربة الوبر^(١)
 كجالب النمر منقراً الى هجر^(٢)
 من جنسهم واباحوا هكل محتجر
 ثم اقتربت لما اخلك من حجر

١٠

العالم العالي^(٣) برأي معاشر
 زعمت رجال ان سياراته
 فهل الكواكب مثلنا في ديننا
 والذود في حكم الخواطر محدث
 والحد بين الناس رسم دائر
 طبع خلقت عليه لبس بزائل
 كالعلم الهاوي بحس ويعلم
 تسق المقول وانها تنهكلم
 لا يتفقن فهائت او مسلم
 والأولي هو الزمان المظلم
 والثمر نهج والبرية مسلم
 طول الحياة وآخر متعلم

ان جارت الأمراء جاء موثرو
 ان شئت ان تكفي الحمام فلا نص
 احسن بدنيا القوم لو كان الفتي
 اعنى واجور يستضيح ويكلم^(٤)
 هذي الحياة الى الميتة سلم
 لا يقتضى وأديه لا يحلم^(٥)

(١) اي. خافوا الاسد في عربتها وانلقوا سائر الحيوانات في اوجرها

(٢) هجر يلد مشهور بشعره

(٣) يريد بالعالم العالي عالم الافلاك والعالم الهاوي عالم الانسان والطبيعة

(٤) يكلم اي يدمي

(٥) أديه لا يحلم اي يئده لا يفسد والمقتضى لو كان الانسان لا يصير الى ذوال

واخو السمادة بينهم من يسلم
حكيماً يهاب وجاهل يتعلم
غلبت فأض بحريها يتالم^(١)

يتشبه الطافي بطاغٍ مثله
في الناس ذو حلم ينفه نفسه
وهكلاهما تيبٌ يحارب شيمه

١١

جعلت لمن هو فوقنا اركاناً
طرفين - وقتاً ذاهباً ومكاناً
فيه فكيف يلام فيما كانا
لهكنه يترقب الامكانا
فيكل وهو يحاذر الاسكانا
ما الدهر اضحكنا ولا ابكنا
ولو استطاع تكلماً لشكنا
فينا وقارب شرناً ازكنا
نفساً على حالٍ ولا تركنا^(٢)

اركان دنياها غرائز اربع
وافه صغر للبلاد واعلها
والدهر لا يدري بما هو كائن
والمرء ليس بواحد في غارة
والحي تخلق جسمه حركاته
نبيكم ونضعك والقضا مسلط
نشكو الزمان وما اتى بجنابة
متوافقين على المظالم ركبتم
يضي بنا الفتيان ما اخذنا لنا

١٢

جدوا في الزمان او العبود
وقد عرفوا اذاه وجروده
على ما كان مودعه ليوه
يعلمه التدخين افروده
وان خافوا الردى وتبيوه
وكم نصيح التصيح فكذبوه
على آثار شيء رتبوه
وايطلت النعي^(٣) ما ارجبوه

قد اخل الانام بغير شك
وودوا العيش في زمن خوون
وينشأ ناشئ^(٤) الفتيان منا
وما دان الفتى مجباً ولا مكن
لعل الموت خير للبرايا
أطاعوا ذا الخداع وصدقوه
وجاءتنا شرائع كل قوم
ونغير بعضهم أغوال بعض

(١) الفتيان الليل والنهار

(٢) آض اي رجع

(٣) الناشئ الحدث البالغ

(٤) النعي

فلا تفرح إذا رُجيت فيهم
 صحننا دهرنا دهرأ — وقدمأ
 وغيظ به بنوه وغيظ منهم
 وهل ترجى الكرامة من اوان
 وهل من وقتهم أبني وأطنى
 أجلوا مكثراً وتنصفوه
 فقد دفعوا الدنيء ورُجيوه^(١)
 رأى الفضلاء ان لا يصحبوه
 فعذب ساكنيه وعذبوه
 وقد غلب الرجال مغلبوه
 على أي المذاهب قلبوه
 وعابوا من أقل وأثبوه^(٢)

(١) رجب عظمه وعابه

(٢) المكثرون الذين تنصفوه أي خدموه

ابن الفارض

ابو القاسم (ابو حفص) عمر بن علي بن مرشد

٥٧٧ — ٦٣٢ هـ

١١٨١ — ١٢٣٥ م



مصادر دراسته شعره ونصركه

- الشمع لابن المراج الطوسي لندن ١٩١٩
 الرسالة القشيرية دار الكتب المصرية ١٣٣٠
 كشف المحجوب للمعجوبي ترجمة Nicholson 1911
 الاحياء للقرطبي وبيهاشه هوارف المطارف للسهروردي مصر ١٣٠٢
 وفيات الاميان لابن خلكان الطبعة الميرية
 الخطاط والآثار للقرطبي مطبعة النيل ١٣٢٥
 حسن المحاضرة للسيوطي ١٣٢١
 شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مصر ١٣٥١
 قوانين حكم الاتراك لابي المواهب الشاذلي مطبعة ولاية سوريا ١٣٠٩
 شرح الديوان للبوريني والتابلسي مصر ١٣١٠
 " " " (نشر الدخاح) مرسيليا ١٨٥٣
 الثانية الكبرى شرح القرطبي (١٢٩٣ هـ) والقشيري (١٣١٠)
 الثانية الكبرى تحرير Von Hausman فيينا ١٨٤٤

Nicholson, Studies in Islamic Mysticism, Cambridge, 1921

Maassigou - Kneze, of Islam. Tasawwuf

- ابن الفارض والحب الالهي محمد مصطفى حلي مصر ١٩١٥
 ومقالات شتى لادباء عرب ومستشرقين

نشأته

يرجع ابن الفارض بنسبه الى بني سعد^(١) . ووالده حموي الاصل قدم مصر يتظن^(٢) ، وكان يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام فلقب بالفارض^(٣) . ويستدل انه (الوالد) كان رجل فضل وجاء يتصدر مجالس الحكم والعلم ، حتى مثل ان يكون قاضي القضاة فامتنع ونزل عن الحكم . واعتزل الناس وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الازهر الى ان توفاه الله^(٤) .

وفي مصر ولد شاعرا ، ولا شك انه كان لوالده يد كبيرة في ثقافته وفي تكييف ترماته النفسية . قال ابن المهدي الحنبلي - « فحشا تحت كنف ابيه في عفاف وحيانة وميادة ، بل زهد وقناعة وورع ، وأسدل عليه نايه وقناعه . فلما شب وترعرع اشتغل بفقهاء الشافعية ، واخذ الحديث من ابن عساكر^(٥) .

وقد ظهر فيه منذ اوائل شبابه ميل الى التدين والتفرد بالتجريد الروحي على طريقة المتصوفين . فكان يستأذن والده في الانفراد بالمادة والتأمل . ويظهر انه كان في جبل المقطم مكان خاص يعرف بوادي المستضعفين يختلف اليه المتجردون^(٦) ، فلقب الى ابن الفارض الحلاء فيه ، فتردد وتجرد وكان يلوي الى ذلك المكان احيانا^(٧) . ثم انقطع عنه ولزم ابيه . فلما توفي الوالد عاد الولد الى التجريد والسياسة الروحية او سلوك طريق الحقيقة فلم يفتح عليه شيء^(٨) . (اي لم يكشف له من المعرفة ما يستغني به ولعله يريد هنا لم يوح اليه من الشعر شيء) ثم قبض له رجل من الاتقياء اشار عليه ان يقصد مكة . فقصدها واقام فيها مجاوراً نحواً من ١٥ سنة . وهناك بين المناسك المقدسة نصبت شاعريته وكملت مواهبه الروحية . ثم عاد الى مصر ، وكانت يومئذ تحت سيادة الايوبيين ، وقد غنوا كل العناية بفتح المدارس والمعاهد فيها ، فاجتهدت في ايامهم الروح الدينية والتعليم

(١) قبيلة السبعة حليلة مرضعة النبي العربي

(٢) شذرات الذهب - ٥ - ١٢٩ (٣) عن نسخة في الديوان ص ٧

(٤) شذرات الذهب - ٥ - ١٢٩ . وابن عساكر هذا غير الحافظ الشهير صاحب التاريخ الكبير

(٥) الديوان ٦ (٦) شذرات الذهب - ٥ - ١٢٩

(٧) الديوان ٧ . شذرات الذهب - ١ - ١٥٠

بالسلبية . حدث ذلك على اثر انتصاراتهم على الصليبيين ، تلك الانتصارات التي وطدت مركزهم في مصر والشام والحجاز ، وتوكت لهم في تاريخ الشرق الاسلامي ذكرى خالدة . والذي بلغت النظر ان عطف الايوبيين على السنة كان مقروناً بزيادة عدد الصوفية ^(١) في مصر ، فكان التصوف يومئذ كان يعتبر مظهراً من مظاهر التدنيس ليس الا . ولذلك زى الجمهور بكرمون مشايخ الطرق ويعظمون شأنهم ، وثرى الحكام والامراء يقفون لهم « الخوانك » ^(٢) . وبذكر المقرئ ما ملخصه ^(٣) : ان صلاح الدين خصص سنة ٥٦٩ بصرى داراً للصوفية كانت قبلاً لوزراء الفاطميين ، ووقف لهم وقفاً كبيراً ، فكانت اول خانكاه علمت بديار مصر ، وعُرفت بدورة الصوفية . وكان سكناها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترعى بركتهم . وولى مشيختها الاكابر والاميان . قال « واخبرني الشيخ احمد بن علي القصار انه ادرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر الى القاهرة ليشاهدوا الصوفية عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة ، كي تحصل لهم البركة والخير بشاهدتهم » . ثم يصف موكبهم الفخم ويقب على ذلك بقوله « انه كان من اجل عوايد القاهرة » وقد بقي الامر كذلك الى اوائل القرن التاسع الهجري .

فلا نستغرب اذن ما نسمعه من اكرام الناس لابن الفارض وقد رجع من مكة شيخاً متصوفاً وشاعراً كبيراً ، حتى كان اذا مشى في المدينة ترددهم الناس عليه يلتصقون منه البركة والدعاء ، ويتصدون تقبيل يده ^(٤) . قال ولده ^(٥) « وكان اذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهبة ، وسكينة ووقار . ورأيت جماعة من مشايخ الفقهاء والفقراء (المتصوفة) واكابر الدولة من الامراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس يحضرون مجلسه وهم في غاية ما يكون من الادب معه والاتضاع له . واذا خاطبوه فكأنهم يخاطبون ملكاً عظيماً » . وقال ابن العماد الحنبلي ^(٦) « فاقام بقاعة الخطابة في جامع الازهر ، وعكفت عليه الامة وقصد بالزيارة من الخاص والعام » حتى ان الملك الكامل كان ينزل لزيارته » .

(١) راجع للثبوت في حسن المعاصرة ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤

(٢) جمع خانكاه وهي قارية معناه البيت ويقصدون بها محلات خاصة لاقادمتهم

(٣) الخطط (بولاق) ٢ - ٢١٥ (٤) الديوان ٦

(٥) الديوان ٦ (٦) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠

قلنا اننا لا نستغرب ما رواه ولده ، وما نقله صاحب شذرات الذهب عن مثلة شاعرنا الدينية والاجتماعية ، على انه لا بد من القول انصافاً للتاريخ ان ابن خلكان الذي ادرك الشاعر وترجم له ^(١) لا يذكر شيئاً من هذا القبيل . وكل ما يقوله من ذلك « سمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجرد » . فهو يزكي قوله سبطه ولده ومن نقل عنهما انه كان معروفاً بالصلاح والحكم وسلك طريقة التصوف على انه يسكت عما ذهبوا اليه من تعظيم الخاصة والعامة له . ولا يلزم عن سكوته انكار ما ذهبوا اليه ، ولكن فيه ما يجوز لنا التحرر مما قد يكون من قبيل الغلو أو التفرغ .

شخصيته

يجمع مؤرخوه على انه كان ورعاً وقوراً طيب الاقوال والافعال . والذي يراجع سيرته ويتفهم روح قصائده يتجلى له في نفسه ثلاث نزايابوزة

انه كان شديد التأثر (وخصوصاً بالجمال) الى درجة الانفصال العصبي ، يسهره جمال الشكل حتى في الجمادات . ومن ذلك ما يروونه من تأثره بحسن بعض الجمال ، او بؤنية حسنة الصنعة رآها في دكان مطار ^(٢) . وقد يسهره جمال الاخان - فاذا سمع انشاداً جميلاً استغلفه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس . نقل عن ولده ان الشيخ كان ماشياً في السوق بالقاهرة فرأى على جماعة من الحرسية يضحون بالناقوس ويغنون . فلما سمعهم صرخ صرخة عظيمة ، ورقص رقصاً كثيراً في وسط السوق « ورقص جماعة كثيرة من المارين » وتواجد الناس الى ان سقط اكثرهم الى الارض . ثم خلع الشيخ ثيابه ورمى بها اليهم وحمل بين الناس الى الجامع الازهر ، وهو عريان مكشوف الرأس « وفي وسطه لباسه » واقام في هذه السكر (النوبة العصية) ملقى على ظهره مسجى كاليت ^(٣) .

ومما يذكر من هذه السكرات او النوبات التواجذية انه كان مرة جالساً في الجامع الازهر على باب قاعة الخطابة ، وعنده جماعة من الفقراء والامراء ، وجماعة من مشايخ

(١) كان ابن خلكان في الرابعة والعشرين لا توفي ابن الفارض

(٢) الديوان ١٤

(٣) شذرات الذهب ٥ - ١٥١

الاعجام الجواريت بالجامع وغيرهم . وكلما ذكروا حالاً من احوال الدنيا مثل الطشت او الفوش قالوا هذا من زخم (اي وضع) العجم . فبينما هم يتفارضون في ذلك ويفخمون « زخم العجم » رفع المؤذنون اصواتهم بالأذان جملة واحدة فقال الشيخ « وهذا زخم العرب » وتواجد ، وصرخ كل من كان حاضراً حتى صار لهم ضجة عظيمة (١) .

فالرجل كان شديد التأثر العصبي وسرى اثر ذلك في شعره ولا سيما في قصيدته الكبرى نظم السلوك . والظاهر ان للطريقة الصوفية وما يلازمها من رياضة وأحكام وقاملات روحية تأثيراً يئاً من هذا القبيل . وقد روي في كتاب كشف المحجوب كثير من اخبار الصوفيين الذين ماتوا لشدة وجدهم (٢) .

٢ - ميله الى الحلوة والتشف . وهو ظاهر منذ حديثه في ما ذكرناه سابقاً من اختلافه الى وادي المستضيئين وظاهر ايضاً في مجاورته بمكة ، وما روجه عن هيامه باوديتها يستأنس برحلتها . وقد عبر عن ذلك بقوله -

وابعدني من اربعي بعد اربع . شاي وعقلي وارياحي وصفتي
فلي بعد اوطائي سكون الى الفلا . وبالوحش انسي اذ من الانس وحشي

وكان ايام النيل يتردد الى المسجد المعروف بالمشتي في الروضة ، ويجب مشاهدة البحر (اي نهر النيل) مساء (٣) . وفي ذلك ما يشير الى حبه التأمل بالجمال الطبيعي والبعد من ضجيج الناس ومتاعهم .

وقد قرن كل ذلك بقهر النفس نقشاً وصياماً حتى نقل من ولده انه كان للشاعر اربعينيات (٤) يحجها بالصيام والتأمل . وكانت تلك طريقة اعتمدها بعض المتصوفين ولهم في ذلك الحديث الذي يرفعونه الى النبي « من اخلى لله تعالى العبادة اربعين يوماً ظهرت

(١) الديوان ١٥

(٢) كشف المحجوب (عنه فكلسون من الفارسية الى الاسكنايزي) راجع في النسخة الاسكنايزية الصنعات ٢٠٦ - ٢١٠ (٣) شذرات الذهب ٥ - ١٥٠

(٤) الديوان ١٧ وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠ . ومعنى الاربعينية اربعون يوماً

ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^(١). وقد عقد الشهوردي فصلاً في هذه الطريقة^٢ ومطابقتها وكيف يدخلها المرید وما يتطلب منه ، فليراجع من يريد التمتع في ذلك^(٣) .
 وبخلاصته ان مشايخ الصوفية متفقون على ان بناء امرهم على اربعة اشياء - قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس . فمن استطاع ان يجتمل الجوع ابتغاء الفرح الاعلى الذي ينمية لهب الخواص فله ذلك . ولا يتعم عليه الانقطاع التام عن الطعام والشراب طيلة الاربعين يوماً بل الاكتفاء باقليل القليل من خبز وملح او ما شاكل ، والقيام بما تتطلبه الخلقة من رياضة روحية حتى يفتح عليه ويكشف بشيء من المنح الالهية .
 ويظهر مما دونه ان شاعرنا كان يقوم بهذه الرياضة الزهدية احياناً وانه الى ذلك يشير في قوله

في هواكم رمضان عمره ينقضي ما بين احب وطي

وهما حاولنا غربة الاخبار التي يروونها عن تقشفه وصيامه فاننا لا نرى محيصاً عن القول ان الرجل كان متصرفاً وكان يسلك طريقة اهل الورع والزهد^(٤) ، وقصائده ولا سيما الثانية الكبرى تنضح بذلك نضجاً لا سبيل الى انكاره .

٣ - كرم سجيته وحسن مشرته . قد يكون في امره ما كان في شاعرنا من حدة التأثير والميل الى الطريقة الزهدية ، ويكون مع ذلك سيرة العشرة قليلة الخير . اما ابن الفارض فقد اجمع العكس على نعته بسمو الخلق من رقة وايناس وكرم وترفع عن حطام الدنيا^(٥) . فهو لم يكن من الذين بصطعنوا التدين طمعاً بالحصول على المال او شرف المقام بل كان التدين طبعاً فيه يرفعه عن الشهوات والاطماع الميية . وقد عرف الناس له ذلك فأكرموه ورفعوه الى مصاف الصالحين .

ومن مزاياه البارزة السخاء . روي انه ركب مرة مع مكاري الى جامع مصر واشترط المكاري ان تكون امرته « على الفتوح » اي بقدر ما يفتح على الشاعر من العطايا . قال

(١) عوارف المعارف (عاش الاحياء) ٣ - ٢٢٣

(٢) « « « الفصل الثامن والعشرون

(٣) راجع قصته مع السلطان الملك الكامل . المديوان ١٥

(٤) ابن خلكان في ترجمته ، وشذرات الذهب ٥ - ١٥٠

الراوي - وكان يرافقه - وتبعنا فارس من جهة الامير غر الدين فاستند اليّ فقال لي قل
لشيخ هذه مئة دينار يقبلها من الامير على الفتوح . فقلت ذلك للشيخ . فقال نحن ركبنا
مع المكارى على الفتوح واسر له بها . فرجع الفارس الى الامير واخبره بذلك . فبعث
اليه مثلاً ، فقال اعطها للمكارى . ولما وصلنا الى الجامع اعتذر الشيخ الى المكارى
ودعاه (١) .

وكان شديد المؤاخاة لنفسه . قال لولده (٢) حصلت مني هفوة انحصرت بسببها باطلاً
وظاهراً حتى كادت روحي تخرج من جسدي ، فخرجت هائماً كالفارس من امر عظيم
تعالى وهو مطالب به ، فطلمت المقطم وقصدت مواطن سياحتي وانا ايسكي واستغيت
واستغفر فلم ينفرج ما بي . وقصدت مدينة مصر ودخلت جامع عمرو بن العاص ، ووقفت
في صحن الجامع خائفاً مذموراً « وجدت البكاء والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج
بالي ، فقلب عليّ حال مزيج لم اجد مثله قط ، فصرخت وقلت

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

قال فسمعت قائلاً يقول بين السماء والارض ، اصمع صوته ولا ارى شخصه

محمد الهادي الذي عليه جبريل عبط

ولا فنصير انه لا يجوز التقيد بشئ هذه القصص والاستناد اليها في الحكم على
شاعرنا ولكنها ترينا على الأقل رأي الذين ترجموا له « او كيفية تأثرهم باخلاقه . والقصة
الاخيرة ترجع الى ايام الشاعر فقد رواها ابن خلكان عن بعض اصحابه وانه ترجم يوماً وهو
في خلوة ببيت الحريري « من ذا الذي ما ساء قط » فسمع البيت الثاني من قائل لم يرد
شخصه . ولا يذكر ابن خلكان دقائق القصة كما يرويها ولد الشاعر . وليس بالعجيب
ان يكون ابن القارض كما ذكرنا وان يوهمه الانفعال النفسي انه يسمع صوت شخص لا
يراه . فما ذلك الشخص الا نفسه الواحدة ، التي كثيراً ما كان الوجد ينصلها عن العالم
المحسوس .

فرجل كآبن الفارض شديد الاحساس والتأثر ، كثير الحفارة والتأمل ، وروح مترفع
عن حطام الدنيا « محب حسن الصفة كثير الخير ، لا يستغرب ان تفيض نفسه بقصائد
الوجد والهيام ، وان ينال من معاصريه ومن تبعهم جميل الذكر والاكرام .

امر الصوفية في شعره

مر معنا في القسم الاول من هذا الكتاب شيء من الطريقة الصوفية ومنشأها ، فلا
فلا لزوم لاعدته هنا . على انه لا بد لنا لدرس ابن الفارض وتفهم شعره ، من النظر في
الصوفية ومصلحتها العامة فنقول —

« القاب بانان » باب « فتوح الى عالم الملكوت » ، وباب مفتوح الى الحواس الخمس
المتسكة بعالم الملك والشهادة . فعلم الانبياء . والانبياء . يأتي من الباب الاول ، وعلم
الحكماء (العلماء والفلاسفة) يأتي من الثاني . والفرق بين الفريقين ان الحكماء يعملون
في اكتساب العلوم واجتلابها الى القلب ، واما الاولياء (الصوفية) فيعملون في جلاء
القلب وتطهيرها وتصفيها وتصقيها فقط حتى تتلأل فيها جلية الحق بنور الاشراق ،
وهذا هو الكشف « (١) .

فالصوفية اذن مجاهدة تطهير القلب من الادران والانفراد بذمك الله توخلاً الى
الحصول على الالهام النوراني — او الاتحاد الكامل بالحق الاعلى .

وفي خلال هذه المجاهدة تمر نفس الصوفي في تطورات شتى ، منها ما يدعى مقامات ،
ومنها ما يدعى احوالاً . ويراد بالمقامات قيام المبدئين يدي الله والانقطاع اليه ، ولزوم
العبادات والمجاهدات والرياضات الروحية . وبكلمة اوضح هي المسالك التي يتدرج فيها
نحو غايته المنشودة ، كالطوبى — والورع — والزهد — والفقير — والصبر — والتوكل —
والرضا وغير ذلك « (٢) .

واما الاحوال فهي ما يحل بالقولب من صفاء الازكار — او هي اختبارات النفس اذ

(١) مأخوذاً من الاحياء النوراني ٣ - ٢٩

(٢) من اراد معاني هذه الالفاظ من الوجوه الصوفية فليراجع الملح ٣ - ٥٥ او كتاب قوانين.
حكم الاشراق لابي المواقب الشاذلي

تمر في شئى المقامات . ومن ذلك القرب - المحبة - الحروف - الرجا - الشوق -
الانس - الطمانينة - المشاهدة - اليقين^(١) .

والصوفية مصطلحات يكثرون من ترديدها في اشعارهم ، وقد افرد لها ابن السراج
الطوسي في التلح باً خاصاً ذكر فيه نحواً من ١٥٩ نوعاً ، ثم شرعها شرحاً وافياً فليداجمها
من شاء^(٢) . وانما نختزى هنا بأشهرها وأكثرها تردداً في الشعر الصوفي وخاصة في شعر
ابن الفارض - ومنها

الجمع والتفرقة - فالجمع هو اتحاد الواجد بالله عن - بيل الوجد^(٣) ، والتفرقة تعلقه
بالبشرية -

قالاؤل من طريق القلب والكافي عن طريق اللسان - فتال الجمع قوله

لها صلواتي بالمقام اقيمها واشهد فيها أنها لي صلت
كلالة وصل واحد ساجد الى حقيقته والجمع في كل سجدة

الفناء والبقاء - الفناء رؤية حركات المبد والبقاء رؤية نتائج الله . كقوله

وتلاني ان كان فيه اتلافي بك عجل به - جعلت فذاكا

وقوله -

ان كان في تلغي رضاك حياية - ولك البقاء - وجدت فيه لذاذا

الحب والهوى - وما يتعلق به من كتمان - والم - ونحول - وشوق - وهجر -

ووصل - وتهلك - وعذل وغيره من الوجة الصوفية وهو الموضوع

العام في شعر ابن الفارض ، والامثلة اكثر من ان تحصر هنا

(١) راجع معانيها في اللع ٥٤ - ٧٢ (٢) اللع ٢٢٢ - ٢٧٦

(٣) وفي جامع البدائع (١٩١٧ ص ٨٧ ان كل واحد من الموجودات يشق الخير المطلق
عشاً غريزياً ، وان الخير المطلق يتجلى لماشقه وان غاية الغري منه هي قبول تجليه على اكمل ما في
الامكان . وهو المعنى الذي يسميه الصوفية بالاتحاد

الوجد - ان ينقطع القلب عن العلاقات الدنيوية فيشاهد ويسمع ما لم يكن يتنبأ له من قبل

يا انا العذل في من الحق مثلي هام وجدأ به عدمتُ إناكا
لو رايت الذي سباني فيه من جمال - ولن تراه - سباكا

القبض والبسط - وهما حالان شريفان لاهل المعرفة (الصوفية) . اذا قبضهم الله حشهم عن تناول المناجات حتى الاحكل والشرب والكلام ، واذا بسطهم ردّهم الى هذه الاشياء حتى يتأدب الخلق بهم .

وفي رحمت البسط كلّي رغبة بها انبسطت آمال اهل بسطاتي
وفي رهوت القبض كلّي رهبة فقيا اجلت العين مني اجلت

السكر والصحو - (النشبة والحضور) فالسكر فيه القلب من مشاهدة الخلق ، ومشاهدته للخلق بلا تغير ظاهر على البعد (ويختلف عن النشبة بانها تظهر)

تمذب اخلاق الندامي فيبتدي بها لطريق العزم من لا له عزم
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائماً ولك الحكم

والصحو رجوع القلب الى ما غاب عن حياته لصفاء اليقين ، ويختلف من الحضور بان هذا دائم والصحو حادث

المحو وصحو الجمع - وهما حالان تتلوان السكر والصحو . فالمحو صفعة السكر ثانية

بعد الصحو الاول يتلوها صحو الجمع وهو الرتبة العليا وفيها يتم الاتحاد بالله واذا ذاك تنساوى الطوالع وتجنس الأضداد فيصبح العابد والمعبود واحداً ، وكذلك الرسول والمرسل ، والمحب والمحبوب ، والحاضر والماضي ، والليل والنهار ، والصفة والذات -

فالوجود واحد - وليس هنالك زمان ، أو سابق ذوات ، أو اختلاف اديان ، أو انا وانت وهو ، بل روح واحدة هي حقيقة الحقائق التي تجعل مظاهرها مختلفة في الوجود الحي .

ففي الصحو بعد المحو لم اك غيرها وذاتي بذاتي اذ تحلت تجلت

فكل الذي شاهدته فل واحد ^٤ بخرمه لعكن بحجب الاكثة
اذا ما ازال السر لم تر غيره ولم يبق بالأشكال إشكال ربه

واذا برقت انوار التوحيد على قلب العارف (الصوفي) كشف سلطانها سائر الانوار

وفي جنبها بمت السعادة بالشقا ضللاً وعقاي من هداي به عقل
وقلت لرشدي والتشك والتقى تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا

الكشف - بيان ما يخفى على الفهم فيكشف عنه للعارف كأنه رأي عين

وما برحوا معنى اراهم معي فان نأوا صودة في الذهن قام لهم شكل

. . .

فالدجاجي لنا بك الآن غر^٥ حيث اهديت لي هدى من سناكا
واقباس الانوار من ظاهري غير صبيب وباطني ما اواكا

التجريد - ما تجرد للقلب من شواهد الالهية اذا حفا من كدورة البشرية

اربيبه هي متحكم كا صتم من مذه في اذني
او لم يبه النهي من مذه زاوياً وجه قبول النصح زي

. . .

ولقد خلوت مع الطيب وبينا سر^٦ ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها ففدوت معروفاً وكنت منكراً
فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني نجوا

السطح - كلام غريب يتوجه اللسان عن وجد يفيض من قلب الواجد كما يفيض

الماء النور اذا جرى في مجرى ضيق . كقوله -

غمر ولا كرم وآدم لي اب^٧ وكرم ولا خمر ولي انما ام^٨

وقوله في حالة الاتحاد -

فأثلو علوم العالمين بلطفه واجلو علي العالمين بلطفه
 واستعرض الآفاق تخوي بخطره واخترق السبع الطباق بخطره
 فن قال او من طال او صال انسا عت بامدادي له برقيقة
 وما سار فوق الماء او طار في الهوا او اقتحم النيران الا بهتقي
 ومبني لو قامت بميت لطيفة ردت اليه نفسه وأعيدت

اسلوبه الشعري

نشأ ابن الفارض في مصر بلغت فيه الأتانة البديعة نثراً ونظماً اعلى درجاتها . فهو
 مصر القاضي الفاضل ، والمهاد الاصباحي ، وابن التاويدي ، وابن النبيه ، والهاء زهير ،
 وابن سنا . الملك ، وابن الساعاتي ، وسوام سنن عاصروا شاعرنا او سبقوه قليلاً . وقد
 عرفت هذه الطبقة جميعها برامها الشديد بالصناعة اللفظية وتكلف انواع البديع . ولم
 يشذ عنهم ابن الفارض بل لعله ابدعهم شأوا في ذلك . فالتأنق البديعي عام في جميع
 قصائده بل في اكثر ابياتها . واكثر ما يظهر في ما يلي -

الجناس (في انواعه المختلفة) - ومنه

التام - ليت شعري هل كفى ما قد جرى مذ جرى ما قد كفى من مقالي

والملق - جنة عندي رباها المحلت ام حلت حيلتها من جنتي

المختق او شبهه - دار خلل لم يدر في خلدي انه من ينأ عنها يلق غمي

وكثيراً ما يعنى بجمع عدد من ضروب الجناس في بيت واحد - كقوله

وباينت بانك كذا عن طويلع بلع رسل من حلق فيه حلت.

ففيه الملق والمعرف وشبه المشتق

فذاك هوى اهدى اليه على المود اذ غنت عن المود اغنت

وفيه شبه المشتق والتام والناقص

الطباقي - فلي بين هاتيك الحيام ضئيلة عليّ بجمعي صحة بنشئي

وبسط طوى قبض التناقي بساطه لنا بطوى ولّى بارغد ميشة

مني له ذل الخضوع ومنه لي من النوع وقوة المستضعف

الطبي والنشر - فضحي وسقي ذا كراي عواذلي وذلك حديث النفس عنها برجمة

فقلبي وطرفي ذا بنى جالها معنى وذا مغرى بلين قوام

ومعدي ومعدي لم يحل ولم يحل ووجدني وجدني والغرام غوامي

وقد يحمله الشغف بهذه الصنعة على جمع بضعة من انواع البديع - كقوله

وقالوا جوت حبراً دموعك قلت من امور جوت في كثرة الشوق قلت

نحرت لضيف الطيف في جنبي الكرى ترى جفري دمي دماً فوق وجنتي

ففي هذين البيتين جناس وطباق وسراعاة نظير وبجاز مرسل

وقوله

اي صبا اي صبا هبت لنا سحراً من اين ذباك الشذي

ذلك ان هالخت ريان الكلا وتحوشت بجوذان كلبي

فلذا تودي وتودي ذا صدا وحديثاً عن فتاة الحبي حبي

ففيه من الجناس التام والمعرف وفيه التناسب ، والطباق ، والطبي والنشر

ومن مزايا أسلوبه . توهم التناقض . وهو ان يوهك بوجود تنافض في المعنى ،

والحقيقة غير ذلك . كقوله -

ما بين ضال المنعنى وظلاله ضلّ المنيه راهدى بضلاله

فلي بعد اوطائي سكون الى الفلا والموحش اندي اذ من الانس وحشي

فلعل قار جوانحي ان تنطفي بهوبها واود ان لا تنطفي

وقلت لرشدي والتشك والهوى تخأوا وما بيني وبين الهوى خلوا

ومن اجاب اسمي لمن بيننا سمي واعدو ولا افدو لن دأبه الفذل

ومنها اطف المارة والاشارة وحلاوة الحرس - ويسكاد بكون مذهبه العام . ولا بدع فوضويعه حبي والفاظه رقيقة مألوفة . وهو يجمع بين سلامة البهقري وصنعة الي قام جماعاً اظيفاً قد يعلو به من كليهما . نعم تلك صفات الشعر الفزلي في كل زمان ، ولكن لابن الفارض نفس خاص يمتاز به - اطف وروحي ينمكس على اسلوبه فيجيبه الى القلوب برغم ما فيه من عيوب سيأتي ذكرها . ولو اردنا التذليل على ذلك لاتيينا باكثر ديوانه وانما نكتفي هنا بقوله -

يا اخت سعاد من حبي جشتي وسالقر اذيتها بتلطف
فسمت ما لم نسعي ونظرت ما لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي

وقوله

زدني بفرط الحب فبك تخجرا وارحم حشا بلظي هواك تسعرا
واذا سأتك ان ادراك حقيقة قاعم ولا فجعل جوالي ، لن ترى

ومن حسناته دقة الوصف والتشثيل . وتظهر في بلاغة تشابيهه ، ووضوح رسومه الالفسكية كقوله -

خافياً عن عائد لاح كما لاح في برديد بعد التشرطي

فتشبيه ما صار اليه من النحول باثر الطي في الثوب يدل على دقة في الرسم تذكر للشاعر . وقوله يصف شبرع الجبال الاسنى في كل شي . -

تراه ان غاب عني كل جارية
في نعمة العود والناي الرخيم اذا
وفي مدارح غزلان الخائل في
وفي ماسقط انداء الغمام على
في كل معنى لطيف رائق بهج
تألفا بين السلطان من المزعج
برد الاصال والاصباح في البلج
بساط نور من الازهار منتج

الى آخر هذه الايات المشهورة .

وقوله يشبه تواجده بحال الطفل الذي يسكن من شد القباط ويحن الى الخلاص منه
فيثاغري ويهز فيجد في ذلك ما يسكنه وينسيه شد القباط - (الثانية ١٣٠)

ويُنِيك من شاتي الوليد وان نشا
اذا ان من شد القباط وحن في
ينافى فيلقى كل كل اصابه
يسكن بالتحريك وهو بهذه
وجدت يوجد آخذي مند ذكرها
يليداً بالهام حكومي وفطنة
نشاط الى تفريج افراط شدة
ويصني لمن ناعاه كالتنصت
اذا ما له ايدي مرييه هزتر
بتحير قال او بالغان صبت

وقس على ما ذكر كثير من لطائفه التي بشرح بها حاله فيصف تأثير الحب او جمال
المحبوب او ضلال العلة ال ، وما الى ذلك مما يبلغ فيه الطبقات العليا من الخيال الشعري

• • •

عجوب أسلوبه

على ان في شعر ابن الفارض عيوباً لا يجوز الاعضاء عنها أهمها
تكرير المعاني - وذلك طبعي في قصائد تدور على موضوع واحد ، وما اشبهه في
ذلك بابي النهاية . على ان شاعراً لا يكتفي بتكرير المعنى بل كثيراً ما يكرر العبارة
وقد يكرر البيت في اماكن شتى . كقوله -

اخذتم فؤادي وهو بعني فا الذي يضركم لو كان عندكم العكل

فقد جاء في قصيدة اخرى -

اخذتم فزادي وهو بعضي فالذي يضركم لو تتبوه بجملتي
 وورد هذا المعنى مراراً في مواضع أخرى
 وقوله

كهلال الشك لولا انه ان عيني هينه لم تنأي
 وتواه في موضع آخر

كأنني هلال الشك لولا تأدومي خفيت فلم تهد العيون لرويتي
 وقوله

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ليت شعري ما قد كفى من مقلتي
 وقد ورد أيضاً بقوله

قد كفى ما جرى دماً من جفون بك فرحى فهل جرى ما كفاكا
 وقوله

فلو بسطت جسمي رأيت كل جوهر به كل حسن فيه كل حجة
 ومثله

ولو بسطت جسمي رأيت كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام
 وقوله عن العين

فانما ميت ودمعي غلة واكفانه ما ابيض حزناً لفرقتي
 ومثله

فسيدي حي في جفوني غلدة ونومي بها ميت ودمعي له غسل
 وقس على ما ذكر ما لم يذكر

وقلما تجد قصيدة من قصائده تخلو من مخاطبة سائق الظن « والتقدم اليه ان يحمل

السلام الى الاحباب » وان يذكر لهم ميثاً صريحاً تخيل الحزم الى درجة الخفاء .
ويكثر في شعره التنقص من العذال واللائع ، وذكر ربح الصبا التي يحضها بحمل
اخباره او اخبار الحبيب .

ومن عيوبه القموض - وهو اداً لبعد اشاراته وشطحاته احياناً ، او تصغه في الصنعة
خذ قوله مثلاً

تاب بدر التام طيف عيالك اطرفي يبقطني اذ حاصكا
قد كبيت في سواك احين بك قرئت وما رايت سواك
وكذاك الخليل غلب قبلي طرفه حين راقب الافلاك

ومنى الايات - ظهر لي البدر قائماً منك مشبهاً عيالك ، فما ظهر لي سواك لان عيني
لا تشاهد الا جمالك . وكذا ابرع الخليل كان يرقب النجوم باحثاً من مبعثها العظيم .
وفي هذا التركيب من التصف ما ترى .

وله من هذا القبيل ما يلتفت النظر : واعرض منه شطحياته وهي راجعة الى غرائب
ما يصغه من احواله الصوفية وهذه لا يفهمها الا ارباب هذه الطريقة او المطلعون على
اسرارها .

اما غموض البديع فمروف وهو يشارك فيه كل اهل الصنعة ، وربما فاقهم احياناً
لمحاولته الجمع بين عدة ضروب في معنى او بيت واحد .

• • •

وبرغم قدرته اللغوية وشاعريته المتنازة لا يخلو ديوانه من هفوات لغوية او اعرابية
مكفولة -

لو طويتم نصح جار لم يكن فيه يوماً يال طياً يال طي
وصحيته يالو طياً يال طي

وقوله يضرشكم لو تتبعوه مجملاتي - الصواب لو تتبعونه

وقوله تاب بدر التام طيف عيالك - وصوابه من طيف عيالك

وقوله "لعل أحيائي بمكة يرددوا" بذكر سليبي ما نحن الاضالع
وصوابه يرددون

وقوله "فإن لما في كل جارة نصل" وصوابه نصلاً وقد يخرجونه بتقدير
ضمير الشأن فتصبح فانه الخ

وهو يسكت من استعماله لفة "اكتلوني البواغيت" كقوله

وان كثروا اهل الصباية او قتلوا وقوله وان مزجوه مذلي
وما الى ذلك مما يلاحظ في تضائيف ديوانه .

ومن تساهله اللغوي قوله -

لم يرق لي منزل بعد النفا . وهو لطيف على ان فعل راق يشعدي راساً فيقال راقني ذلك
وايس ما ذكرناه بالذي يتفرّد به ابن الفارض ، فقد مرّ معنا ما عيب على المتنبي
وغير المتنبي . وقلمنا يخرج ديوان من مثل هذه المخرجات ، واكثرها المحافظة على الوزن .

هزله

عرف ابن الفارض بأنه شاعر الحب . والناس في ذلك طائفتان ، اهل الظاهر ، واهل
الباطن . فاهل الظاهر هم القائلون بأنه لا يخرج من سبيل المشاق او الفزايح الذين وصفوا
الجمال الانساني (ولا سيما جمال المرأة) وتأثيره في نفوس المحبين . وقد عزا اليه بعضهم ولله
بسماع الفتاة من جوارحه ، وأنه كان يرقص لذلك ويتواجد^(١) . وعلى هذا الظاهر يفشرون حبه
وسماعه او على الاقل لا يتمرضون لما في ذلك من رموز صوفية . ذكروا ان بعضهم في
عصر الحافظ ابن حجر كتب عن الثانية شرحاً ، وارسله الى بعض عظماء صوفية الوقت
ليقرظه ، فاقام عنده مدة ، ثم كتب اليه عند ارسائه الجواب اليه

سارت مشرقه وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

« قليل له في ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بإرجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة ، وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله » (١)

ومن نظر الى الديوان نظراً ظاهرياً ابن ابي حجلة . وقد قال في وصفه (٢) « هو من ادق الدواوين شعراً ، وانفسها درأ برباً وبحراً ، واسرعها الى القلوب حراً ، واكثرها على الطلول نوحاً ، اذ هو صائر عن نفثة مصدر ، وعاشق مهجور ، وقلب بحر النوى مكسور » .

ولا يقصد ابن ابي حجلة بالشق هنا النوع الصوفي الذي يرمز الى الجلال الالهي ، اذ المعروف عنه انه كان من سني الاعتقاد بابن الفارض (٣) ، بل يقصد ما يذهب اليه كثيرون من ان غزله غزل عادي كغزل ابن ابي ربيعة ، وعباس بن الاحنف ، والبيهقي ، زهير وسواهم . ولا ينكر ان شهرة شاعرها فاعته عند الجمهور على هذه الوجهة الظاهرية ، فهم يحفظون قصائده ويرددونها لضربها على اوتار الغرام ، ولانها تلائم ما يشعرون به من خوالج الوجد والهام . على ان شعور الجمهور لا يحتم علينا ان ننظر اليها كذلك . ومهما حاولنا ان نضرب صفحاً عن تصوفه فان من قصائده ما لا يفسر الا تفسيراً باطنياً او رمزياً (صوفياً) . ومن ذلك قصيدته الحزنية ، واليك مثلاً منها -

ولو جليت سرّاً على اكبر فدا	بصيراً ومن راودها يسمع الضم
ولو ان ركباً يمشوا ترب ارضها	وفي الركب ملسوح لما ضرة السم
تقدّم حكل الكائنات حديثها	قدماً ولا شكل هناك ولا رسم
وقامت بها الاشياء ثم لحكمة	بها احتجبت عن كل من لا له فهم
وهامت بها روحي بحيث قازجا	الحاداً ولا جرم تخلله جرم
وقالوا شربت الائم كلاً واقفا	شربت التي في تركها عندي الائم

والذي يقرأ هذه القصيدة ويتفهم معانيها ومرامياها ، ثم يقابلها بجزميات ابن نواس مثلاً يرى فرقاً واضحاً بينهما ما قد يتوهم من تشابه الصفات في الحزف النراسية والفارضية

• • •

(١) شذرات الذهب - ٥ - ٥٥١

(٢) الديوان ١١

(٣) « « « ١٥١

واهم من هذه الحرية واسمى تصوراً ثابته الكبرى « او نظم السلوك » التي مطلها

سقتني حبة الحب راحة مقاتي . وكاسي عجا من عن الحسن جلت

وهي قصيدة فريدة في الادب العربي ، او كما يقول المنشق العلامة هاجر في مقدمة ترجمته لها « انها اسمى ما وصل اليها من هذا القبيل في ادب الشرق والغرب »^(١) . ويقابلها « بنشيد الانشاد » في التوراة فيقول « هي نشيد انشاد العرب في الحب الصوفي ولأن قصرت عن « نشيد الانشاد » في الصور الطبيعية ، فانها تفوقه في الرموز التصوفية »^(٢) .

• • •

والمردي انه لم ينظمها على حد نظم شعراء اشراف بل كانت تحصل له جذبات يغيب فيها عن حوائه فاذا غاب الى ما فتح الله عليه منها ، ثم يدع حتى يعاوده ذلك الحال^(٣) .

ويصف ولده هذه الغيوبة فيقول « كان الشيخ في غالب اوقانه لا يزال دهمياً ، وبهره شاخصاً ، لا تسمع من يكلبه ولا يراه : فتارة يكون واقفاً ، وتارة يكون قاعداً « وتارة يكون مضطجعا على جنبه ، وتارة يكون مستلقياً على ظهره مسجياً كاليتيم . ويرى عليه عشرة ايام متواصلة ، او اقل من ذلك واكثر ، وهو على هذه الحالة - لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك - ثم يستفيث وينبث من هذه الغيبة ، ويكون اول كلامه انه يلقي من القصيدة « نظم السلوك » ما فتح الله عليه »^(٤) .

وعلى ما رووه من غيبته يشب المتشرق الاستاذ نكلسون بقوله « أنا لا أرى لزاماً ان نشك في صحة ما رووه ففي التاريخ ما يذكره - هذا بلابلوك (Binkoi) فقد قال عن نفسه ان سكرة روحية كانت تنشأ كلما امك القلم او المرء - وسانت كاترين اوف سيانا كانت قلبي احاديثها على كتبها وهي في حالة الوجد او الغيبة (Ecstasy) . وحكان

(١) مقدمة الترجمة XX (تجانب ١٨٥٩)

(٢) مقدمة الترجمة VII (١٩٣٠) الديوان ١١

جلال الدين الرومي ، اذا غاص في بحر المحبة ، امسك بصعود في داره واخذ يدور حوله وفي خلال ذلك ينظم ويغني (١) .

فليس من الغريب ان تأخذ « الحال » شاعراً رقيق الشعور شديد التأثر كابن الفارض . والذي يتأمل تأنيته العجيبة يرى فيها آثار تلك الحال ، كقوله -

ودأبني منها ذعولي ولم أفق	عليّ ولم انفُ العاني بظنّي
فاصبحت فيها والمأ لاهياً بها	ومن ولّمت شغلها عنه ألهمت
ومن شغلي عني شغلت قلوبها	قضيت ردى ما كنت ادري بنقلتي
وما ذلت في نفسي بها متدّها	لنشوة حبي والحاسن غربي

وقوله -

يشاهدها فسكرى بطرف تخيلي	ويسمها ذكركي بجمع فطنّي
ويحضرها للنفس وهي تصوراً	فيحبها في الحس وهي ندبتي
فامسج من سكرى بغير مدامة	والطرب في سرّي ومنّي طربتي

ومما يشير الى انه نظم كثيراً منها على اثر تواجد او « حال » ان المعاني تتكرر فيها على طرق شتى . ففي نفس الشاعر شوق مستمر يحمّله الى العلى ، وكثيراً ما يجيب عنه ابواب التأمل المنطقي . على انه يتبدّر شعوره في ابيات او قطع قد تختلف لفظاً ما نظم قبلاً ولكنها لا تختلف معنى . ومن ذلك . نظم ما نظم في الجمع والاتحاد والفسا والصحو وما شاكل من هذه المعاني التي كانت تشغل عقله فاذا غاب تسارعت الى خاطره فالى لسانه . واذا امّرض ان الصنعة البدئية فيها تعارض ذلك لتطلبها التدقيق في التركيب وامتلاك الحواس في اختيار الالفاظ المناسبة ، فلنا قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه ليس بعمم . واذا كان رجل كالبن الفارض مشبع الروح بالتأملات الصوفية ، وكان مع ذلك واسع الاطلاع على لغة عصره الشعرية يخزن في ذاكرته الكثير من اوضاعهم واساليبهم ، لم يستعمل عليه حتى في حال ذهوله ان يبت شعوره بواسطة تلك الاوضاع والاساليب .

فالتأني الكبري فثيد الوجد الروحي . فيها تشرب ذاك الحب الاسنى الذي يملك
على الناظم حواسه فيسكره وينقله من عالم المادة الى عالم الروح . فيها ترى ذلك العراك
المستمر بين الصلاح والشرّ وذلك القرز النهائي الذي يتال بشاهدة جمال الالهى —
وما هو الا ان ظهرت لناظري باكمل اوصاف على الحسن اربرت
خلّيت لي البلوى خلّيت بينها وبينى فكانت منك اجل زينتك
وما الحب الحقيقى الا الذي ينتهي بتلاشي ارادة المحب او اتحاده في حقيقة المحبوب

وغيت من افراد نفسي بحيث لا يزاحني ابداء وصف بحضرتي
وما انا ابدى في اتحادى مبدئى وانهي انتهائى في تواضع رقتى
اما الجمال فهو الجمال المطلق الذي يتجلّى في كل ما هو جميل في الطبيعة والانسان
وصرح باطلاق الجمال ولا تقل بتقيده ميلاً لزحف زينتك
فكل مليح حسنه من جمالها مكار له بل حسن كل مليحة
وحب الجمال هو حب الله نفسه وهو عند ابن الفارض أعلى من عبادة النساك ومن
عبادة المتقين انفسهم بظواهر التقليد والنقل

وطب بالهرى نفساً قد سُدت انفس العباد من المبدأ في كل امة
وقر بالعلو وانظر على نفسك ملا بظاهر اعمال ونفس تركت
وجز متعللاً لو خف طغ مؤملاً بنقول احكام ومقول حكمة
وحز بالولا ميراث ارفع عارقه غدا حنه ايشاء تانيه حنه
وته ساجداً بالشعب اذبال عاشق بوصله على اعلى الهجرة بُوت
على ان الجمال الانساني لا يمكن مشاهدته الا بعد التجرد من اثواب العقل والحس

الى ان بدا مني لسيني بارق وبان سنا لجري وبانت دجيتي
هناك الى ما احجم العقل دونه وصلت وبى منى اتصالي ووصلتي
واستار لبس الحس لما كشفها وكانت لها اسرار حكمي ارحمت
رفعت حجاب النفس عنها بكشفي النقاب وكانت من سؤالي مجيبي
ومتى شاهدت النفس المتجرّدة الجمال الاسنى تسارت لديها الاسماء والصفات واصبحت

هي والوجود الالهي شيئاً واحداً ، فرأت في كل الاشكال معنى واحداً

ترى صور الاشياء تحلى عليك من وراء حجاب اللبس في كل يخلق
تجسست الاضداد فيها لحكمة فاشكالها تبدو على كل هيئة

وكل الاديان مظاهر لدين واحد حتى عبادة الاوثان ليس عبادتهم في الحقيقة الا اتجاه
نحو الجلال الالهي المطلق

فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية

ولشيوخ مثل ذلك في شعره اتهمه البعض بالحلول^(١) وكفروه ، حتى قال المناوي
وهو من المدافعين عنه^(٢) - « والحاصل انه اختلف في شأن صاحب الترجمة (ابن الفارض)
وابن عربي ، والعزيز التلمساني (وفلان وفلان يمددهم) من الحسكر الى القبطانية ،
وكثرت التعانيف من القريبين في هذه القضية » على ان شاعرنا يدافع عن نفسه فيقول

وكيف وباسم الحق ظل تحققي تكون اراجيف الضلال تخيفني
ولي من اصح الرؤيتين اشارة تراء من رأي الحلول فقيدي
وفي الذكر ذكر اللبس ليس بنكر ولم اعد من حكمتي كتاب وسنة

فابن الفارض لا يعتمد في شعره الطريقة الجدلية ، ولا يدخل في نضال فلسفي يدهمه
بالادلة والبراهين ، بل هو يصور الوجود بالوان الجمال المطلق ، وينسج من حواطفه حلّة
سداها ولحنتها الحب المسكرو حلّة تلبسها النفس فتحتجب عن علاقاتها المادية ، وتعلو في
لوح الفضاء الى حيث تتجرج روح الكون . وفي ذلك المقام تطل على الوجود فلا ترى
فيه الا شكلاً واحداً ولوناً واحداً وقوة واحدة .

الحب هو نشيد ابن الفارض وهو - سوا - نظرت اليه من جهة الظاهر او جهة الباطن -
حب سام يرفع النفس الى المثل العليا ، ويكشف لها عن جمال الوجود الاعظم .
وما مي ، وعتب ، ورأى ، وسقى ، وليلى وسواهن عنده الا مرايا تعكس لنا نور
المحبوب الاسنى

وما الوجد ، والشوق ، والوصل ، والمجير ، والمذل ، والتعذيب ، والذل ، والنعول ،
والموت ، والفقر ، والرفاء ، واللوم ، والعتاب ، والرضا واضراب هذه الاوضاع الغزلية
الا اختبارات نفس شديدة الاحساس في سبيلها نحو هدر الجمال
وما مرابع الحجاز الا رمز للمرابع العلوية ، ولذلك تراه يردد ذكرها في اكثر
قصائده ، فيقول مثلاً

يا ساكني البطحاء هل من هودق احيا بها يا ساكني البطحاء

. . .

لا تُداني من هوى مرتبعي عدوتي تيساً ربع بشتي

. . .

نساء بمكة والمقام ومن اتى البيت الحرام ملأها
ما دُثحت ربيع الصبا شيع الرمي الأوامد منكم افراحا

تلك هي عاطفته الحجازية التي تبرز في اكثر قصائده . ومهما غلا المشككون فانه
في تلك العاطفة ما يبرز قولنا بصرفية شاعرنا ونبالة حبه .

المختار من شعر ابن الفارض

نفس رقيقة ترتفع على اجنحة الحب الى العلى ثم تذوب في الفضاء الواسع تاركة
وراءها نغماً لطيفاً يوجّه الشعر فيطرب السامعين

بائته المشهورة

سائق الاطمان يطوي اليد طي	منماً حرج على كتمان طي ^(١)
وبذات الشيخ عني ان سر	ت بحجر من حبيب الجزع حي ^(٢)
وتلطف وأمر ذكرى منهم	علم أن ينظروا مطلقاً الي
قل تركت الصب فيكم شبحاً	ما له مما براه الشوق في
خائفاً عن حائذ لاح كما	لاح في برديه بعد النشر طي
كهلل الشكر لولا أنه	أن عيني عينه لم تسأي ^(٣)
مبلاً للنأي طرفاً جاد إن	ضن نوء الطرف أن يسقط نحي ^(٤)
بين اهليه غريباً نازحاً	وهي الاوطان لم يطفه لي ^(٥)
نشر العكاشح ما كان له	طاري الكشح قيل النأي طي
في هواكم رمضان غمرة	ينقضي ما بين احبائه وطبي ^(٦)
حائراً في ما اليه امرؤ	حائر والمرء في الحنة مبي
يا أهيل الود أني تنصكرو	في كهلأ بعد عرفاني فني ^(٧)
وهو الفاسد عمري عادة	يحب الشيب الى الشاب الأحي ^(٧)

(١) طي الاول مصدر طوى ، ولاتانية اسم قبيلة

(٢) ذات الشيخ موضع . الجزع منصرف الرادي . والمحي (الثانية) اي سلم

(٣) هو في الحفاء كهلل الذي لم تثبت دويته ولولا انيته لما رأت حني ذاته (عينه)

(٤) ساكباً دموع طرف يورد بالبكاء . وإن بخل نجم « الطرف » عند سقوطه بالمطر

(٥) لي اي عطف

(٦) بين سر وجوع (٧) الاحي اي الاسود الشعر

زيد بالشكوى اليها الجرح كي
ولها متبلاً في الحب كي^(١)
صاده لخط مهياؤ او ظلي
قال ما لي حيلة في ذا الهوي
وبمبول التنايا لي دوي
من رشادي وكذاك العشق غي
صمم^(٢) عن عذلي في اذلي
ضل كم يهذي ولا اصفي لتي
بعد نقاد الدمع اجري عدي
عين ماء فهي إحدى منيبي
إن زروا ذاك به منأ ملي
كل شيء حسن منكم لدي

ومنى اشك جواحاً بالحشا
عجبا في الحرب أدمى بالآ
هل صحتهم او رأيتم أسدا
وضع الآتي بصدري حقه
سقي من سقم اجنانكم
رجع اللاهي عليكم آنسا
أبعينه عن عنكم كما
ظل يهدي لي هدى في زعمه
ذابت الروح اشتياقا فهي
فهبوا مني - ما اجدي البكا -
او حشا سال وما أخشاه
بل أسيروا في الهوى او احنوا

وأعدده عند صمي يا أغني
لا ولا مستحسن من بدي صمي^(٣)
وظلما قلبي لذيالك اللهي
سكرة وأطربها من سكرتي
أم حلت - عجلتها من جنتي^(٤)
أنه من بنا عنها يلق غي

روح القلب بذكر المنحني
لم يرق لي منزل بعد النفا
آه واشوقي لضاحي وجهها
فبكل منه والاحاظ لي
جنة مندي ربها أملت
دار خلل لم يدُر في خلدي

بالرقي ترقى الى وصل رقي^(٥)

خاطبة الخطب دع الدعوى فا

- (١) كي جبان
(٢) هل عيت عينه من جمالكم كما صممت اذني عن سماع عذله
(٣) تصغير لى وهو سيرة في باطن الشفة او ماء الشر
(٤) هي إحدى جنة سواء اجريت ام غلت بالحب وبشر بالجنة الثانية الى السماء
(٥) رقي اسم فتاة ويكنى جاعن الجمال الاسنى

رُحٌ سافى وأفتم نصمي وإن
 كم قتل من قبل ما له
 أي تهذيب سوى البعد لنا
 إن تشي راضية قلبي جوى
 ما رأيت مثلك بيني حساً
 نسب اقرب في شرع الهوى
 ليت شعري هل كفى ما قد جرى
 سرّكم عندي ما اعلمه
 مظهر ما كنت أخفي من قديم
 يا أصبحالي فإدى بيننا
 طلوا روحي بأرواح العبا
 أي ضبا أي صبا هجت لنا
 فإك إن صاغت ريان العكلا
 فلذا تروى وتروى ذا صدّي
 سألني ما شئتني ، في سائل الدمع لو شئت غني عن شفتي
 فشب لم تغيب وسلمى اسلمت
 شئت أن تروى فلبوى تعي
 قود في جنباً من كل حي
 منك عذب حبذا ما بعد أي (١)
 في الهوى حسي أفتخاراً أن تشي
 وكشلي بك صبا لم تروى
 بيننا من نسب من أبوي
 مذ جرى ما قد كفى من مقلتي
 غير دمع عندي من دمي (٢)
 حديث صانه مني طلي
 وأبعد بيننا لم يقض طلي
 فبرأها يعود الميت حي
 سحرأ من أين ذباك الشذي ؟
 وتحرشت بحوذان كلسا (٣)
 وحديثاً من فتاة الحبي حي
 وحى أهل الحى رزية ري (٤)

هو الحب

هو الحب فالطم بالحق ما الهوى سهل
 ومش خالاً فالحب راحة عبا
 ونصحتك طمأ بالهوى والذي ادى
 فان شئت أن تحباً سيذا فت به
 فما اختاره مضى به وله عقل
 وأول سقم وآخره قتل
 حياة لمن اهوى علي بها الفضل
 شيدا والا فالغرام له أهل

(١) أي حبذا التهذيب (٢) عندي أي احمر ، دمي تصغير دم أي سائل من دمي
 (٣) أي إنما ذلك الشذا لانك لمست الكلا الثامر وتحوشت بنبات الحوذان في وادي
 الحبيب . ولذا قالت تروى صاحب العيش وتروى الحبر الصادق (الحي) عن فتاة الحبي
 (٤) يا من تمالني عما اسأني انظر الى الدمع السائل تجده فيه جوازي . وتب وسلمى وري اماء فتيات

فتنُّ لم يمت في حبه لم يمش به
 قسك باذيال الهوى وأطلع الجيا
 وقل لقتيل الحبيب وقيت حبه
 تعرض قوم للفرام وأعرضوا
 رضوا بالاماني وأبتأوا بحظوظهم
 ودون أجتناه النحل ما جنته النحل
 وخل سبيل الناسكين وإن جلوا^(١)
 والدعي هيات ما الكتل الكحل
 بجانبهم عن صفتي فيه واعتأوا
 وخاضوا بحار الحبيب دعوى فآبتأوا

. . .

أحبة قلبي والحبة شامي
 هي عطقة منعكم علي بنظرة
 احبائي انتم احسن الدهر لم آسا
 اذا كان حظي المهر منكم ولم يكن
 وقضيبكم عذب لدي وجودكم
 وعبري صبر منعكم وعليكم
 اخذتم فؤادي وهو بعضي فإ الذي
 نأيتهم فغير الدمع لم أر واقياً
 فسيدي حي في جفوني مخلد
 هوى طل ما بين الطلول دمي فين
 تباله قومي اذ رأوني متباً
 وماذا عني عني يقال سوى هذا
 وقال لسا الحبي عناً^(٢) يذكر من
 اذا انعمت نعم علي بنظرة
 وقد صدئت عيني برؤية غيرها
 لديكم اذا شتمت بها اتصل الحبل
 فقد تمت بيني وبينكم الرسل
 فكروا كما شتمت ذلك الحبل
 بعد فذاك المهر عندي هو الوصل
 علي بما يقتضي الهوى لكم عدل
 اري ابداً عندي مرارته تحلو
 يضركم لو كان منكم الكل
 سوى زفوة من سر مار الجوى تملو
 ونومي بها ميت ودعمي له قتل
 جفوني جرى بالسفع من سفحه وبل^(٣)
 وقالوا من هذا الفتى من الحبل
 بتم له شغل نعم لي بها شغل
 جفاً وبعد المز لذل له الذل
 فلا اسدت سدي ولا اجلت اجل
 ولثم جفوني ترها للصداء يحلو

(١) إن أحب الجمال الأسى والتادي فيه (على طريقة الصوقية) هو أفضل الطرق فسر به ولو خالفت أهل الطرق الأخرى

(٢) هوى مدر دمي بين طلول الاحبة فجري من جفوني لذلك وايل من الدموع

(٣) عناً به أي ابتعدوا ذكر من جنانا

وقد علموا أنني قليل لخالطها
 حديثي قديم في هواها وما له
 وما لي مثل في غرامي بها كما
 حرام شفا سقمي لديها وضيت ما
 ظلي وإن ساءت فقد حسنت به
 ولي همه تعلم إذا ما ذكرتها
 جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
 فنافس ببذل النفس فيها أنا الهوى
 فتن لم يجد في حبر نعم بنفسه
 ولولا مراعاة الصيانة فقرة
 لقلت لثاق الملاحة اقبلوا
 وإن ذكرت يوماً فغفروا لذكرها
 وفي حبها بعث العادة بالشقا
 وقلت لرشدي والتفتك والتقي
 وفرقت قلبي عن وجودي غلصاً
 واصبر إلى المذال حباً لذكرها
 فإن حدثوا عنها فصكلي مسمع
 تخافت الأقوال فينا تبايناً
 نشنع قوم بالوصال ولم تصل
 فما صدق التشنع عنها لشوقي
 وكيف أرتجي وصل من لو تصورت
 ترى مقاتي يوماً ترى من أحبهم
 وما يرحوا معنى أراهم معي فإن
 فهم نصب عيني ظاهراً حيث أسروا
 لهم ابداً معي حنو وإن جفوا

(١١) فان لها في كل جادة نصل
 كما علت بعد وليس له قبل
 غدت فتنة في حبها ما لها مثل
 به قصمت لي في الهوى ودمي حل
 وما حظ قدرتي في هواها به أطلو
 وروح بذكرها إذا رخصت تغلو
 فاصبح لي من كل شغل بها شغل
 فان قبلتها منك يا حبذا البذل
 ولو جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
 ولو كثرُوا اهل الصباية أو قتلوا
 اليها على رأي ومن غيرها ولوا
 سجوداً وإن لاحت إلى وجهها صلوا
 ضللاً وحظي من هداي به قتل
 تحلوا وما بيني وبين الهوى خلوا
 ليلي في شغلي بها مصفا اخلوا
 كأنهم ما بيننا في الهوى وصل
 وكلي أن حدثهم ألسن تتلو
 برجم ظنون بيننا ما لها اصل
 وارجف بالسلوان قوم ولم أسل
 وقد كذبت عني الاراجيف والنقل
 حماها التي وهما لضاقت بها السبل
 ويمنيني دمري ويمنع الشمل
 نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل
 وهم في فؤادي باطناً ايها حلوا
 ولي ابداً ميل اليهم وإن ملوا

(١١) الأصل فان لها نصلاً ولكنهم يخرجون الاعراب بتقديرهم ضمير الشأن فكانه يقول غاته
 لها الخ (٢١) حل الثانية مصدر حل أي منع أو ربط

إذا التفتيل

ما بين معتك الاحداق والشهج
ودعت قبل الهوى روحي لا نظرت
فله اجفان عين فيك ساعرة
واضلع نجلت كادت تقوسها
وادمع هملت لولا التنفس من
وجذا فيك اسقام خفيت بها
اصبحت فيك كما اميت مكتنبا
اهفو الى كل قلب بالفرام له
مذبذبا شئت غير البعد منك تجد
وخذ بقيق ما ابقيت من دمي
من لي بالثلاف روحي في هوى رشا
من مات فيه غراما عاش مرتقيا
محجب لو سرى في مثل طرقة
وان ضللت بليل من فوائده
وان تنفس قال المسك معقفا
ياساكن القلب لا تنظر الى سگني
تبارك الله ما احلى شائله
يهوى لذكر اسمه من ليج في عذلي
وأرحم العرق في مسراه منتبا
تراه ان غاب عني حصل جارحة
في نقمة الود والناي الرخيم اذا
وفي مساح غزلان الحائل في

■ التفتيل بلا ثم ولا مرج
عيني من حسن ذاك المنظر البهيج
شوقا اليك وقلب بالفرام شج
من الهوى كبدي الحرى من العوج
تار الهوى لم اكذ النجو من الأوج
عني تقوم بها عند الهوى حبيبي
ولم اقل جزعا يا أزمة أنفوجي
شغل وكل لسان بالهوى لهج
اوفى حبه بما يرضيك مبهج
لا خير في الطب إن ابقى على المهج
حاور الثائل بالارواح بمقج
ما بين اهل الهوى في ارفع الدرج
اغتنه غرته الفراء عن الشرج^(١)
اهدى لسني الهدى صح من البليج
لصار في طيه من شره أرجي
واربع فؤادك وأحذر فتنة الدمع
فكم امات واحيت فيه من سهج
جمي وان كان عذلي فيه لم يلج^(٢)
ثغره وهو مستحي من الفلج
في كل معنى لطيف رائق بهج
تألفا بين أخان من الهوج
ورد الاوائل والاوصباح في البليج

(١) اي لو سرى في ليل اسود كشمه لكان من غرته نود ينثيه عن الشرج

(٢) اي يهوى سمعي ان يسبح كلام المائل لانه يذكر الحبيب وان كان (سمعي) لا يدل المثل

وفي مياقط انداء النعام على
وفي مساحب اذبال النسم اذا
وفي التثامي نقر العكاس مرتشفا
لم ادر ما غربة الاوطان وهو معي
بساط نور من الازهار منتج
اهدى الي سحيراً طيب الارج
ريق المدامة في مستقر فرج
وخاطري اين كنا غير متزعج

قلبي يحذني

قلبي يحذني بانك متلفي
لم أقض حق هوانك ان كنت الذي
ما لي سوى روعي وبازل نفسه
فلان رضيت بها فقد اسعفتني
يا مانعي طيب المسامر وما نحي
عطفاً على روقي وما ابقيت لي
فالوجد باق والوصال بمماطلي
لم اخل من حذر عليك فلا تضع
واسأل نجوم الليل هل ذار الكرى
لا غرو ان شئت بفض جفونها
وبا جرى في موقف التوديع من
ان لم يكن وصل لديك فعد به
فالطل منك لدي ان عز الوفا
اهفر لانفاس النسم تعلق
فصل فار جوائحي بهو بها
يا اهل ودي انتم املي ومن
عودوا لما حكتم عليه من الوفا
وحياتكم وحياتكم قسماً وفي

روحي فذاك عرفت ام لم تعرف
لم اقض فيه اسى وشي من يفني^(١)
في حب من يهواه ليس بمصرف
يا خيبة المسمى اذا لم تسيف
نوب السقام به ووجدني المتلف
من جسمي المضي وقلبي المتدلف
والصبر فان واللقاء مسوفي
سهرى بتشجيع الجبال الشرجف
بفني وكيف يزور من لم يعرف
هيني وسكت بالدموع الدرف
الم النوى شاهدت هول الموقف^(٢)
املي وماطل ان وعدت ولا تني
يخلو كوصل من حبيب مسمف
ولوجه من تقلت شذاه تشوئي
ان تنظني ، واردا ان لا تنظني
ناداكم يا اهل ودي قد كني
كرمأ فاني ذاك اخل الوفي
عمري بغير حياتكم لم اخلف

(٢) الموقف يوم الحساب في الآخرة

(١) اقضي الاولى اودني . وثانية اموت

لو أن روعي في يدي ووجهها
لا تحسبوني في الهوى متصفاً
اخفيت حبكم فاخفاني امي
وكتمت عني قلوب ابدية
ولقد اتول لمن تحرش بالهوى
انت القليل باي من اجته
قل للمذول اطلت لومي طامعاً
دع عنك تمنيفي وذوق طعم الهوى
برح الحفاء بحب من لو في اندجى
وهواه وهو أليتي وحكفي به
لو قال تبها قف على جمر القضا
لا تنكروا شغني بما يرضى وان
غلب الهوى فاطمت امر صابقي
مني له ذل الخضوع ومنه لي
ألف الصدود ولي فؤاد لم يزل
لو اصموا يعقوب ذكر ملاحق
او لو رآه عائداً أيوب في
كل الدور اذا تجلى مقبلاً
ان قلت عندي فيك كل صابرة
كملت محاسنه فلو اهدى النسا
وعلى تقنن واصفيه بحسنه
ولقد صرقت لجنه حكايلي على
اسد أخي وغني مجديشه
لا أرى بعين السمع شاهد حسه

لندشري بقدمكم لم أنصف
كلني بكم خلق بغير تكلف
حتى لعري كدت عت اختي
لوجدته أخى من اللطف الحفي
عرضت نفسك للبلأ فاستهدف
فاختر لنفسك في الهوى من تصطني
أن الملام عن الهوى مستوقي
فاذا عشقت فعد ذلك عتف
سقر الشام لثقت يا يدر أنصف
قدما احكاد أجلة كالمصنف^(١)
لوقفت بمثلاً ولم اتوقف
هو بالوصال علي لم يتعطف
من حيث فيه مصيت نهي متني
مر النوع وقوة المستضعف
مذ كنت غير وداده لم يأنف
في وجهه نسي الجمال اليوسني
سنة الكرى قدما من البلوى شني
تصو اليه واكل قفر ابيف
قال الملاحه لي وكل الحسن في^(٢)
للبدور عند تمامه لم يخفف
بغنى الزمان وفيه ما لم يوصف
يدر حسنه لحمدت حسن تصرافي
وانتد على سمني حلاه وشفت
معنى فانيضي بذلك وشرف^(٣)

(١) الباقي اي قسسي . والمصحف القرآن الكريم

(٢) اي وكل الحسن في

(٣) غني مجديشه لا اري جماله عن طريق السمع وقد جعل السمع عيناً عن طريق المجاز

يا أختَ سعدٍ من حبيبي جنتي
قسمتُ ما لم تسمعي وتظرت ما
ان زار يوماً يا حشائي تعطي
ما للنوى ذنبٌ ومن أهوى ممي
برسالة أدبتها بتلطف
لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي^(١)
كذلك به أو سار يا عين أذرفي
ان غاب عن انسان عيني فهو في^(٢)

زدني بفرط الحب

زدني بفرط الحب فيك فخيّر
واذا سألتك ان اراك حقيقة
يا قابُ انت وعدتني في حبه
ان الترام هو الحياة فت به
قل للفن قدّموا قبلي ومن
عني خذوا وبي اقتدوا ولي أحموا
واقدر خاوت مع الحبيب ويلنسا
واباح طرقي نظرة أملتها
قدّشت بين جماله وجلاله
فأدر طاعلك في محاسن وجهه
لو ان كل الحسن يكتل صورة
وارحم حشّي بلظي هواك تسرا
فاسمع ولا تجعل جوابي لن ترى
صبراً لحاذر ان تضيق وتضجرا
صبا لحظك ان تموت وتعدرا
بمدي ومن اضحى لاشجائي يرى
وتحدّثوا بصبايتي بين الوري
مرّ ارق من النسيم اذا سرى
فقدوت معروفاً وكنت منكرا
وقدا لان الحال عني مخبرا
تلقى جميع الحسن فيه مصورا
ورآه حكان مهلاً ومكبرا



(١) ايها الفتاة المنتهية الى قبيلة سعد انتك حملت لي رسالة الحبيبة وانك لم تسمعي منها ولم تعرفي ما سمعت وعرفت انا

(٢) اي في القلب

محتويات الكتاب

ص	ص
٢٩	٢٠٥ نظرة عامة في الادوار السياسية
٣٠	في العصر العباسي
العرب في الامصار	٢ التنافس بين العناصر
٣٢ الاقتراح بالزواج	١٠ تجزؤ الخلافة
٣٣ تعرب الامم المطلوبة	١١ الامارات المستقلة في بلاد فارس
٣٤ حفاضة بغداد	١٢ الامارات التركية
٣٥ الجباية والمصادرة	١٣ الامارات العربية
٣٧ امثلة من بدخ العباسيين - - ملابس	١٣ الدولة الفاطمية
الموفق والمكتفي	١٤ الدولة الاندلسية
٣٧ جواهر المقتدر	١٥ تأثير هذا التجزؤ في الادب
٣٨ بدخ ام جعفر وام المستعين	١٦ الحركات الهدامة الداخلية
الحادي والرشد والوائق	١٦ حركات الخوارج
الولائم والافراح والمساكن	١٧ حركات الطوية
٣٠ العمران الزراعي والتجاري	١٨ الزنج
١٣ بعض صور اجتماعية	١٨ القرامطة
الادب - الجوالي والنلمان	١٩ الخشاشون
١١ مجالس الشراب	٢٠ العوامل الهدامة الخارجية - غارات
١٥ التأتق في الفنون المصرية	الروم
انتشار المدارس والعلوم	٢١ غارات الصليبيين
١٦ ظواهر الحركة الفكرية العامة	تطور الحياة الاجتماعية
مباري المحركة الفكرية	٢٣ الحضارة في فجر الاسلام
١٧ مصادرها الرئيسية - اليوناني	٢٤ الدولة الاموية

٥١

المصدر الفارسي

٥٤

المصدر الهندي

٥٥ الجادري الفكرية الكبرى - الفلسفة

الكلام -

٥٦-٦١ المعتزلة - نشأتها - مبادئها

٦١-٦٣ الاشعرية وتعاليمها

٦٣-٦٧ التصوف - نشأته - مبادئه

خصائص الشعر الباصي

٧٠ الشعر الوجداني والموضوعي

٧١-٧٤ التجدد في صناعة الشعر - رقعة

المباردة

٧٥-٧٨ التنقيح في المعاني

٧٨-٨٠ البديع اللفظي

٨١ التوسع في المصطلحات اللفظية

٨٢ أمراء الشعر الموقد

٨٤ أبو نواس - مصادر دراسته

٨٥ بينته وعصره

٨٧-٩٠ ميله الى الشعبيية

٩٠-٩٣ مقامه الادبي والسياسي

٩٣-١٠١ شعره - المقلد والمجدد

١٠١-١٠٨ شخصيته ونظيره الى الحياة

المختار من شعره

١٠٩ دح منك لومي

١٠٩

دح الربع ما للربع فيك نصيب

١١١ ذكر الصبوح بسحرة فارثا

١١٢ ما زلت استل روح الدن في لطف

١١٣ عاج الشقي على رسم يسانله

١١٤ خفيت عليك محاسن الخمر

١١٥ ودار تدامي سطلوها وادجلوا

١١٦ وقتيان صدق قد صرفت مطيهم

١١٧ غدوت على اللذات منهتك السر

١١٨ يا شفيق النفس من حكم

١١٩ اذا خطرت منك المهر فداوها

١٢٠ لا تخشعن لطارق الحدائق

١٢١ اني عشقت وما بالعشق من باس

١٢٢ اذا التقي في النوم طيفا

١٢٣ بعض اقواله في جنات

١٢٤ يا دار ما فعلت بك الايام

١٢٥ وعظمتك واعظت القدير

١٢٦ سمع الله للامين مطايا

١٢٧ انت يا ابن الربيع الرمتني النسيك المغ

١٢٨ ايا رب وجه في القرب عتيق

١٢٩ خل جنيتك لرام

١٣٠ الم ترني ابحت الاله نفسي

١٣١ ايا من بين باطية وزق

١٣٢ دب في الفناء سفلا وعلا

١٣٣ ابو العتاهية - مصادر دراسته

١٣٤ نسبة وزندقته

ص

ص

١٥٣ الدهر ذو دول والموت ذو علل

١٥٦ ابو تمام - مصادر دراسته

١٥٧ توطئة تاريخية

١٥٩ اهم مدوحيه

١٥٠-١٦٣ شخصيته - عقرايه - اعجابه

بنفسه

١٦١ خصائصه الفنية

١٦١-١٧٠ التأنق البيدي

١٧١-١٧٥ تقنيته المنوي

١٧٦-١٨٢ شظه بالاعراب ودوامي غوضه

المختار من شعره

١٨٣ السيف اصدق انباء من الكتب

١٨٧ من سجايا الطلول الأتجيا

١٨٩ على مثلاً من اربع وملاص

١٩١ اهن عوادي يوسف وصراجه

١٩٢ دية صحبة القياد مكوب

١٩٣ فلت تستجير الدمع خوف نوى غد

١٩٥ الحق ابلج والسيوف عراد

١٩٧ اجل آيا الربع الذي خف آهله

١٩٨ كذا فليجل الحطب وليفدح الامر

٢٠٠ دموع اجابت دامي الحزن همع

٢٠٢ البحتري - مصادر دراسته

٢٠٣ توطئة تاريخية - اطوار حياته الثلاثة

٢٠٥ مدوحوه

١٢٧-١٣١ حياته الادبية - انصرافه

الى الزهد

١٣١-١٣٤ رسالته الشعرية

١٣٤ ابو العاتية وابو نواس

١٣٥ حكمه

١٣٨ شاعريته

١٣٩ مزايا شعره - السهولة

١٤٠ رشاقة التعبير

١٤١ سرعة الخاطر

١٤٢ عيوب شعره

المختار من شعره

١٤٥ نصبت لنا دون التفكير يا دنيا

بكتيت على الشباب بدمع عيني

لدوا الموت وابنوا للخراب

١٤٦ طلبت المستقر بكل ارض

اخوي مرأ بالقبور

١٤٧ حتى متى يستغزني الطمع

١٤٨ متى تنقض حاجة المتكلف

بليت وما تبلى ثياب صباكا

١٤٩ نعى نفسي الي من الليالي

لن طلل اسائه

١٥٠ الا هل الى طول الحياة سيل

١٥١ اتدري اي ذل في السؤال

رأيت يوشك ارجلك الايام

١٥٣ سكن يبقى له سكن

ص

٢٠٧ ولعه بالحر

مذهبه العباسي

شعره في ديوانه

٢٠٨ رأي النقد في اسلوبه

٢٠٩ - ١١٤ مواضعه الشعرية

٢١٠ - ٢٢٠ مزيمته الفنية - الوجد

٢٢٠ - ٢٢٣ غزله - حنينه الى وطنه

المختار من شعره

٢٢١ ايذك ما ينفك يسري لزينا

٢٢٢ سلام عليكم لا وفاة ولا عهد

٢٢٣ الفا انمي ان يكون رشيدا

٢٢٤ اخفي هوى لك في الضلوع واظهر

٢٢٥ لم تر تغليس الربيع المبكر

٢٢٦ صنت نفسي عما يدنس نفسي

٢٢٧ قل للمحباب اذا حدثه الشال

٢٢٨ ميلوا الى الدار من ليلى نحيبها

٢٢٩ أأفاق صب من هوى فأفريقا

٢٣٠ رجارا فاي غزبة لم تسكب

٢٣١ ابن الرومي - مصادر دراسته

٢٣٢ سيرته

٢٣٣ - ٢٤٨ حاله مع بمدوحه

٢٤٩ - ٢٥٠ حاله مع الزمان

٢٥١ - ٢٥٦ عقلية واترها في شعره

٢٥٦ شعره وشاعريته

ص

٢٥٧ القول بالوحدة في قصائده

٢٥٨ مزايده الفنية - طول النفس

٢٥٩ استيفاء المعنى وتقضي الاغراض

٢٦٠ دقة احاسه - مجازه المرسل

المختار من شعره

٢٦١ كنى بالشيب من ناه مطاع

٢٦٢ شاب راسي ولات حين مشيب

٢٦٣ بكاز كايشني وان كان لا يجدي

٢٦٤ امامك فانظر اي نهجيك تنهج

٢٦٥ ذاد من عفتي لذيد المنام

٢٦٦ يا اخي اين ربيع ذاك اللقاء

٢٦٧ يا خليلي تيمنتني وحيد

٢٦٨ - ٢٨١ مقطعاته الحكيمة

٢٨١ المتنبي - مصادر دراسته

٢٨٢ نشأه الاولى في العراق فالثام

٢٨٣ - ٢٩٠ اسباب سجنه وتلقيبه بالمتنبي

٢٩٠ تردده في الانطار الشامية

٢٩٠ في حلقة سيف الدولة

٢٩٣ في مصر - عند كافور

٢٩٤ بين العراق وقارس

٢٩٥ مقتله

٢٩٥ مزايده الخلفية - تعاظه

٢٩٦ سر - سياسته

٢٩٦ شعره بالفرق

٣٠٦ طموحه الى الجهد

٣٠٣ عصيته العربية ونسبه

٣٠٧ شهرته الشعرية

٣٠٨ شراحه ونقاد

شخصية الشعرية

٣١٠ موانع الشباب ونفثات الالم

٣١٤ الجهاد والبطولة - في حلب

٣١٦ النبط من الماضي والامل بالمستقبل

في مصر

٣١٧ شعره في العراق وفارس

المتنبى في حكمه

المختار من شعره

٣١٩ كم قتيل كما قتلت شهيد

٣٢١ في الحد ان فزم الخليل رحيل

٣٢٣ فدينك من ربع وان زدقنا كريا

٣٢٥ على قدر اهل العزم

٣٢٧ واحر قلباء

٣٢٩ كفى بك دمه ان ترى الموت شافيا

٣٣٠ اود من الايام ما لا توده

٣٣٣ من الجأذر في زي الاعارب

٣٣٤ فراق ومن فارقت غير مذمم

٣٣٦ الحزن يخلق والتجمل يردع

٣٣٨ نداء الشرفية والموالي

٣٤٠ ملومكما يحل من الملام

٣٤٤ المعري - مصادر دراسته

٣٤٥ تولقة تاريخية - عصره

٣٤٦-٣٤٩ بيتيه - رحلاته - طبعه

٣٤٩-٣٥٢ ترجمته وجاهه وكرمه

٣٥٣ زندقته وايمانه

٣٥٤ القراع الفكري في عصره واثره في

الشاعر

٣٥٥ طوره الاول وطوره الثاني

٣٥٦-٣٦٠ شاعريته وشعره - سقط

الزند - لزومياته

٣٦١-٣٦٤ صلاته وتحمده

٣٦٤ دقة تشابه وروعة حكمه

٣٦٥-٣٦٧ المواقف الشعرية - التلميذات

٣٦٨ الطبيعة والحياة البشرية - الاديان

٣٦٩ الشعب وزعمائه

٣٧٠ الطبيعة البشرية

٣٧٢ اسباب شهرته

المختار من شعره

٣٧٣ نقيمت الرضا حتى على ضاحك المزن

٣٧٥ غير مجر في ملتي واعتقادي

٣٧٨ احسن بالواجد من وجده

٣٨٠ مقاني الورى من شخصك اليوم اطلال

٣٨٢ جلاني فان بيض الاماني

٣٨٤ الا في سبيل الجهد ما انا فاعل

امثلة من لثروميته

- ٣٨٥ اولو الفضل في اوطانهم غرباء
 ٣٨٦ اذا كان علم الناس ليس ينافع
 • يرتجي الناس ان يقوم امام
 • يحسن مرأى لبني آدم
 ٣٨٧ من لي ان لا اقيم في بلد
 • قد قيل ان الروح تأسف بعدما
 • انا صاتم طول الحياة
 • لا تبدأوني بالداوة منكم
 ٣٨٨ جو يا غرب واقفد
 • العالم العالي براي معاشر
 ٣٨٩ اركان دنيا فراتر اربع
 • قد اختل الاثم بنير شك

٣٩٢ ابن الفارض - مصادر دراسته

٣٩٣ نشأته

٣٩٥ شخصيته

٣٩٩ اثر الصوفية في شعره

٤٠٣ اسلوبه الشعري ومزاياه الفنية

٤٠٦ عيوب اسلوبه

٤٠٩ غزله

٤١١ غيبوته والثائية الكبرى

المختار من شعره

٤١٦ سائق الاغلمان

٤١٨ هو الحب

٤٢١ ما بين معترك الاحداق

٤٢٢ قلبي يحدثني

٤٢٤ زدني بفروط الحب

من مؤلفات صاحب الكتاب

الدراسات الأدبية

في

العالم العربي

دراسات تحليلية في أكثر من أربعين صفحة كبيرة تتناول العوامل الفعالة في النهضة العربية الحديثة وظواهرها الأدبية . وهي أول محاولة علمية لفهم الأسس التي يقوم عليها بناء أدبنا الحديث

تطور الأساليب الشعرية

وهو عرض تاريخي أدبي في نحو ١٥٠ صفحة كبيرة للنثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الإسلام إلى النهضة الأخيرة ، ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من أمراء الأقلام ولكثير من نصوصهم الانشائية

المختارات السائرة (الطبعة الثالثة)

مجموعة من روائع الشعر والنثر مما ذاع في الاقطار قديماً وحديثاً وجرى على الألسن لسر سائيه وجمال مبانيه . وهي مرتبة بحسب المواضيع ومصدرة بدراسات في الفنون الأدبية وخصائصها الرئيسية (في نحو ٣٥٠ صفحة كبيرة

المرول العربية وآدابها (الطبعة العاشرة)

وهو موجز في تاريخ الأدب يتناول الدول العربية وما نشأ فيها من الآداب . وفيه تراجم أشهر الشعراء والكتبة من أقدم المصور إلى الوقت الحاضر - مقرونة بأمثله من أجود ما روي أو نشر لهم

وهناك مؤلفات أخرى تطلب قارئها من صاحبها أو من المطبعة الأميركانية في بيروت أو من دار العلم للعلايين (بيروت)

أخطاء

نأسف لوقوعها في الكتاب ونرجو من القارىء المبادرة الى اصلاحها قبل الشروع بطالته


صفحة	سطر	الخطأ	صوابه	صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
١٦	٧	توفي سنة ٣٩٠	سنة ٣٢١	٢٠٠	٥	منها	منها
٤٩	١	شرا	شرقاً	٢٣٩	١١	ابن سعيد	ابو سعيد
٥٢	١٤	اليوناني	المصدر اليوناني	٢٤٦	١٩	حالة ممدوحيه	حاله مع ممدوحيه
٨٩	٣	بالملا	بالفلا	٢٧٣	٩	يهيجانها	يهيجانها
١١٨	٧	وقد نهزت	ولقد نهزت	٢٧٤	١٥	علي	علي
١٣٢	٣	ارم	ارام	٢٩٧	١٢	ابنه محمد	ابنه محمد
١٤٠	١٨	ذئقة	ذائقة	٣٢٠	١٧	خوض	خوض
١٦٠	٢١	ذريني	دميني	٣٩٩	١	كثير الحفاوة	كثير الحفاوة
١٧٢	١٦	قبل الموت	فوت الموت	٤١٤	٩	القطبانية	القطبانية
١٨٠	٢١	يرجعن	يرجعن				

وهناك سقطات مطبعية اخرى اكثرها من باب التنقيط واحسنها ما يلي —

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢٥	٨	الحواري	الحواري
٤١	٩	غير ميم	غير ميم
١١٢	١١	انتني	انتني
١٣٥	١٥	فاستمدتني	فاستمدتني
١٨٧	١٧	والنشييا	والنشييا
٢٠١	١٤	الحود	الجود
٣٤٦	١	خارم	خارم






Bookkeeper

Deacidification for Libraries and Archives

September 2009

NYU - BOBST



31142 00228 2260

PJ7553 .M3

Umara' al-